

تراث الإسلام

تفسير الطبري

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ - ٣١٠ هـ

١٤

حَقَّقَهُ وَخَرَّجَ أَحَادِيثَهُ

محمود محمد شاكر

الناشر

مكتبة ابن تيمية

القاهرة ت ٨٦٤٢٤٠

الجزء الرابع عشر

فيه

تفسير سورة الأنفال

من ٤٨ - ٧٥

وتفسير سورة التوبة

من ١ - ١٢٩

والآثار من ١٦١٨٣ - ١٧٥١٧

تفسير الطبري

1777

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حمداً يستبقي سابغَ نِعْمَتِهِ ، ويستديم الموصولَ من مَنَّتِهِ ،
ويقرّبنا إخلاصه إلى رِضوانه ، ويُجِيرنا صدقَه من سَخَطه ، ويُجَيِّ
قلوبنا بذكره ، ويؤدّي بنا إلى حِفْظ العَهْدِ في طاعته ، ورِعاية حَقّه في
عِبادته ، ويُنجِينا مَذْخُورَه من كَرْب المَوْتِ عند لِقَاءِ المَنِيَّةِ ، ويكفُّ
عنا باقيه عذاب الآخرة ، ثُمَّ يَكُونُ غَناءً لَنَا يَوْمَ لَا تُغْنِي نَفْسٌ عَنْ
نَفْسٍ شَيْئاً .

وَصَلَّى اللهُ عَلَى البَشِيرِ الدَّاعِيَا بترغيبه إلى جَنَّتِهِ ، والنَّذِيرِ المُبْعِدِنا
بترهيبه عن نارِهِ ، صلاةً تُبَلِّغُنَا رِضاهُ سُبْحانَه ، وتحفُّنَا بِرَفَرَفِ رَحْمَتِهِ
يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ ، وتُصَفِّي كَدَرَ أَعْمالِنَا يَوْمَ لَا يَشْفَعُ شافعٌ إِلَّا مَنْ
بَعْدَ إِذْنِهِ ، وهو الغفور الرحيم ، يُقِيلُ عَثَرَةَ عِباده بِرَأْفَتِهِ ، وينعمدُ
إِساءَتهم بِإِحسانِهِ .

وبعدُ ، فقد أَبْلَيْتُ شَبابِي وَصَدَرًا مِنْ كُھُولِي ، وَأَخِي يَوْمِئِذٍ رُكْنٌ
مِنَ العِلْمِ بَازِخٌ ، آوَى إِلَيْهِ إِذْ حَزَبَنِي أَمْرٌ ، أَوْ ضَاقَ عَلَيَّ مَسَلَكٌ .
فأَصْبَحْتُ فَإِذَا الرُّكْنُ قَدْ سَاحَ ، وَإِذَا أَنَا قَدْ أَفْرَدْتُ إِفْرَادَ السَّارَى فِي
فَلَاةٍ بِغَيْرِ دَلِيلٍ . كَانَ نُورًا يُضِيءُ الطَّرِيقَ ، فَلَمَّا طَفَيْ ، أَصْبَحْتُ فِي
ظُلُمَاءٍ يَنْهَانِي سَوَادُهَا أَنْ أُسِيرَ .

وكنْتُ أَعْمَلُ فِي هَذَا التَّفْسِيرِ وَخَدَى بَعِيدًا عَنْهُ ، هَكَذَا كَانَ .
 لَمْ يَكُنْ يَشَارِكُنِي فِي قِرَاءَةِ نَصِّهِ ، وَلَا فِي كَشْفِ مُبْهَمِهِ ، وَلَا فِي تَقْوِيمِ
 مَا اعْوَجَّ مِنْ نَهْجِهِ ، وَلَا فِي تَخْرِيجِ مَا تَوَلَّيْتُهُ مِنْ رَوَايَةِ حَدِيثِهِ .
 وَقَضَيْتُ دَهْرًا وَأَنَا أَظُنُّ أَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ ثَمَرَةُ جُهْدِي وَعِلْمِي !! فَلَمَّا
 قَبِضَ اللَّهُ إِلَيْهِ عَبْدَهُ الصَّالِحَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَبَقِيتُ أَيْضًا أَعْمَلُ وَخَدَى
 بَعِيدًا عَنْهُ أَيْ بَعْدِي !! فَعِنْدُنِي وَجَدْتُ مَسَّ الْحَقِّ فِي فَقْدِهِ ، وَإِذَا هُوَ
 كَانَ يَكُونُ مَعِيَ وَإِنْ خِلْتُهُ بَعِيدًا ، وَكَانَ يَكُونُ مُعِينِي وَإِنْ لَمْ أَسْتَعِنتَهُ ،
 وَكَانَ يَكُونُ نَوْرَ طَرِيقِي ، وَإِنْ خَلْتُ الطَّرِيقَ مُضِئًا مِنْ ذَاتِ نَفْسِهِ !
 فَأَيُّ هَدْيٍ طُمِسَ عَنِّي بِفَقْدِكَ ! وَأَيُّ دَلِيلٍ نَأَى عَنِّي بِرَحِيلِكَ !
 وَأَيُّ نَوْرِ غَارَ عَنِّي بِغِيَابِكَ ! وَأَيُّ حُزْنٍ بَقِيَ لِي بِفَنَائِكَ ! فَيَا أَبْنَ
 أَبِي وَأُمِّي :

لَوْ كَانَ يُنْجِي مِنَ الرَّدَى حَذَرُ نَجَاكَ بِمَا أَصَابَكَ الْحَذَرُ
 يَرْحَمُكَ اللَّهُ مِنْ أَخِي ثِقَةٍ لَمْ يَكُ فِي صَفْوِ وَدِّهِ كَدَرُ
 فَهَكَذَا يَذْهَبُ الزَّمَانُ ، وَيَفْنَى الْعِلْمُ فِيهِ ، وَيَذْرُسُ الْأَثَرُ

محمود محمد شاكر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتْهُ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٤٨﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم » ،
 وحين زين لهم الشيطان أعمالهم ، وكان تزيينه ذلك لهم ، ^(١) كما : —
 ١٦١٨٣ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قال : جاء إبليس يوم بدر في جُنْدٍ من الشياطين ، معه رايته ، في صورة رجل من بني مُدَلِج ، والشيطان في صورة سراقه بن مالك بن جعشم ، ^(٢) فقال الشيطان للمشركين : « لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم » . فلما اصطف الناس ، أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضةً من التراب فرمى بها في وجوه المشركين ، فولّوا مدبرين . وأقبل جبريل إلى إبليس ، فلما رآه ، وكانت يده في يد رجل من المشركين ، انتزع إبليس يده فولّى مدبراً هو وشيعته ، فقال الرجل : يا سراقه ، تزعم أنك لنا جار ؟ قال : « إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب » ، وذلك حين رأى الملائكة .

(١) انظر تفسير « زين » فيما سلف ١٢ : ١٣٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) في المطبوعة ، حذف قوله : « والشيطان » ، وساق الكلام سياقاً واحداً .

١٦١٨٤ - حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا ، أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي قال : أتى المشركين إبليس في صورة سراقه ابن مالك بن جعشم الكنانى الشاعر ، ثم المدبجى ، فجاء على فرس ، فقال للمشركين : « لا غالب لكم اليوم من الناس » ! فقالوا : ومن أنت ؟ قال : أنا جاركم سراقه ، وهؤلاء كنانة قد أتوكم !

١٦١٨٥ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، قال ابن إسحق ، حدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير قال : لما أجمعت قريش المسير ، ذكرت الذى بينها وبين بنى بكر = يعنى من الحرب = فكاد ذلك أن يثنىهم ،^(١) فتبدى لهم إبليس في صورة سراقه [بن مالك] بن جعشم المدبجى ، وكان من أشرف بنى كنانة ، فقال : « أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة [من خلفكم بشيء] تكرهونه » ! فخرجوا سراعاً .^(٢)

١٦١٨٦ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، قال ابن إسحق في قوله : « وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم » ، فذكر استدراج إبليس إياهم ، وتشبهه بسراقه بن مالك بن جعشم لهم ،^(٣) حين ذكروا ما بينهم وبين بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة في الحرب التى كانت بينهم ،^(٤) يقول الله : « فلما تراءت الفئتان » ، ونظر عدو الله إلى جنود الله من الملائكة قد أيد الله بهم رسوله والمؤمنين على عدوهم = « نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون » ، وصدق عدو الله ، إنه رأى ما لا يرون = وقال : « إني أخاف الله والله شديد العقاب » ، فأوردتهم ثم أسلمهم .

(١) في المطبوعة : « أن يشبطهم » ، غير ما في المخطوطة ، وهو مطابق لما في السيرة .

(٢) الأثر : ١٦١٨٥ - سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٣ ، والزيادة بين الأقواس منها .

(٣) في المطبوعة ، حذف « لهم » ، وهى ثابتة في المخطوطة وسيرة ابن هشام .

(٤) في المطبوعة : « من الحرب » ، غير ما في المخطوطة ، وهو مطابق لما في سيرة ابن هشام .

والناشر كما تعلم وترى ، كثير العبث بكلام أهل العلم .

قال : فذكر لى أنهم كانوا يرونه فى كل منزل فى صورة سراقه بن مالك بن جعشم لا ينكرونه . حتى إذا كان يوم بدر والتقى الجمعان ، كان الذى رآه حين نكص : « الحارث بن هشام » أو : « عمير بن وهب الحمحى » ، فذكر أحدهما ، فقال : « أين ، أى سراق ! » ، ^(١) ومثل عدو الله فذهب . ^(٢)

١٦١٨٧ - حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم » ، إلى قوله : « شديد العقاب » ، قال : ذكر لنا أنه رأى جبريل تنزل معه الملائكة ، فزعم عدو الله أنه لا يدى له بالملائكة ، وقال : « إنى أرى ما لاترون إنى أخاف الله » ، وكذب والله عدو الله ، ما به مخافة الله ، ولكن علم أن لا قوة له ولا منعة له ، وتلك عادة عدو الله لمن أطاعه واستفاد له ، ^(٣) حتى إذا التقى الحق والباطل أسلمهم شر مُسلم ، ^(٤) وتبرأ منهم عند ذلك .

١٦١٨٨ - حدثنى القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم » الآية ، قال : لما كان يوم بدر ، سار إبليس برايته وجنوده مع المشركين ، وألقى فى قلوب المشركين : أن أحداً لن يغلبكم ، وإنى جار لكم ! فلما التقوا ، ونظر الشيطان إلى أمداد الملائكة ، نكص على عقبيه = قال : رجع مدبراً = وقال : « إنى أرى ما لا ترون » ، الآية .

١٦١٨٩ - حدثنا أحمد بن الفرّج قال ، حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز

(١) هذه الجملة والى تليها غيرها الناشر كل التغير ، فكتب : « فقال : أين سراق ! أسلمنا عدو الله وذهب » . والذى فى المخطوطة مطابق لما فى سيرة ابن هشام . وقوله : « مثل » ، أى : انتصب ونهض .

(٢) الأثر : ١٦١٨٦ - سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٨ ، ٣١٩ ، وآخر صدر الخبر فيجعله فى آخره . وهذا الخبر لم يروه ابن هشام فى سياق تفسير هذه الآيات فى سيرته ٢ : ٣٢٩ ، تابعا للأثر السالف رقم : ١٦١٧٣ ، بل ذكر الآية ثم قال : « وقد مضى تفسير هذه الآية » .

(٣) فى المطبوعة : « واستعاض به » ، غير ما فى المخطوطة بسوء أمانته ورأيه . و « استفاد له » ، إذا د له وأطاعه .

(٤) « مسلم » (بضم فسكون ففتح) مصدر ميمي ، بمعنى « الإسلام » .

ابن الماجشون قال ، حدثنا مالك ، عن إبراهيم بن أبي عبلة ، عن طلحة بن عبيد الله بن كرز : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما رأى إبليس يوماً هو فيه أصغر ، ولا أحقر ، ولا أدر ، ولا أغبط من يوم عرفة ، وذلك مما يرى من تنزيل الرحمة والعفو عن الذنوب ، إلا ما رأى يوم بدر ! قالوا : يا رسول الله ، وما رأى يوم بدر ؟ قال : أما إنه رأى جبريل ينزع الملائكة .^(١)

١٦١٩٠ - حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن حميد بن هلال ، عن الحسن في قوله : « إني أرى ما لا ترون » ، قال : رأى جبريل معتجراً ببرد^(٢) ، يمشي بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي يده اللجام ، ما ركب .

١٦١٩١ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا هاشم بن القاسم قال ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن حميد بن هلال قال : قال الحسن ، وتلا هذه الآية : « وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم » الآية ، قال : سار إبليس مع المشركين ببدر برايته وجنوده ، وألقى في قلوب المشركين أن أحداً لا يغلبكم وأنتم تقتاتلون على دين

(١) الأثر : ١٦١٨٩ - رواه مالك في الموطأ : ٤٢٢ ، بنحو هذا اللفظ ، وانظر التقصي لابن عبد البر : ١٢ ، ١٣ .

« أحمد بن الفرغ بن سليمان الحمصي » ، شيخ الطبري ، مضى برقم : ٦٨٩٩ ، ١٥٣٧٧ . و « عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون التيمي » ، فقيه المدينة ومفتيها في زمانه ، وهو فقيه ابن فقيه ، وهو ضعيف الحديث . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٣٥٨/٢/٢ . و « إبراهيم بن أبي عبلة الرمل » ، مضى برقم : ١١٠١٤ .

و « طلحة بن عبيد الله بن كرز بن جابر الكعبي » ، كان قليل الحديث ، مضى برقم : ١٥٥٨٥ .

وهذا خبر مرسل .

وقوله : « يزع الملائكة » ، أي : يرتبهم ويسويهم ، ويصفهم للحرب ، فكأنه يكفهم عن التفرق والانتشار ، و « الوازع » ، هو المقدم على الجيش ، الموكل بالصفوف وتدريبهم ، وترتيبهم في قتال العدو . من قولهم : « وزعه » ، أي : كفه وحجسه عن فعل أو غيره . (٢) « الاعتجار » ، هو لف الدمامة على استدارة الرأس ، من غير إدارة تحت الحنك . وإدارتها تحت الحنك هو « التلحي » (بتشديد الحاء) .

آبائكم ، ^(١) ولن تغلبوا كثرةً ! فلما التقوا نكص على عقبيه = يقول : رجع مدبراً = وقال : « إني برىء منكم إني أرى ما لا ترون » ، يعنى الملائكة .

١٦١٩٢ - حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب قال : لما أجمعت قريش على السير قالوا : إنما نتخوف من بنى بكر ! فقال لهم إبليس ، في صورة سراقه بن مالك بن جعشم : أنا جار لكم من بنى بكر ، ولا غالب لكم اليوم من الناس .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام : « وإن الله لسميع عليم » ، في هذه الأحوال = وحين زين لهم الشيطان خروجهم إليكم ، أيها المؤمنون ، لحربكم وقتالكم وحسن ذلك لهم وحشهم عليكم ، وقال لهم : لا غالب لكم اليوم من بنى آدم ، فاطمنوا وأبشروا = « وإني جار لكم » ، من كنانة أن تأتيكم من ورائكم فعيذكم ، ^(٢) أجيركم وأمنعكم منهم ، فلا تخافوهم ، واجعلوا حدكم وبأسكم على محمد وأصحابه ^(٣) = « فلما تراءت الفئتان » ، يقول : فلما تراحفت جنود الله من المؤمنين وجنود الشيطان من المشركين ، ونظر بعضهم إلى بعض = « نكص على عقبيه » ، يقول : رجع القهقري على قفاه هارباً . ^(٤)

* * *

يقال منه : « نكص ينكص وينكص نكوصاً » ، ومنه قول زهير :

هُمْ يَضْرِبُونَ حَبِيكَ الْبَيْضِ إِذْ لَحِقُوا لَا يَنْسَكُصُونَ، إِذَا مَا اسْتُلِحِحُوا وَاحْمُوا ^(٥)

* * *

(١) في المطبوعة : « لن يغلبكم » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) في المطبوعة : « فيغيركم » ، ومثلها في المخطوطة غير منقوطة ، وهذا صواب قراءتها بعد إصلاح فسادها .

(٣) في المطبوعة : « جدكم » بالميم ، وانظر ما سلف ج ١٣ ص : ٥٧٧ ، تعليق : ١ .

(٤) انظر تفسير « العقب » فيما سلف ٣ : ١١/١٦٣ : ٤٥٠ .

(٥) ديوانه : ١٥٩ ، من قصيدته في هرم بن سنان ، وهي من جياذ شعره .

و « حبيك البيض » ، طرائق حديثه . و « البيض » جمع « بيضة » ، هي الخوذة من سلاح

وقال للمشركون : « إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون » ، يعني أنه يرى الملائكة الذين بعثهم الله مدداً للمؤمنين ، والمشركون لا يرونهم ^(١) = إني أخاف عقاب الله ، وكذب عدو الله = « والله شديد العقاب » ^(٢).

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٤٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « وإن الله لسميع عليم » ، في هذه الأحوال = « وإذ يقول المنافقون » ، وكرر بقوله : « إذ يقول المنافقون » ، على قوله : « إذ يريكمهم الله في منامك قليلاً » = « والذين في قلوبهم مرض » ، يعني : شك في الإسلام ، لم يصحّ يقينهم ، ولم تُشرح بالإيمان صدورهم ^(٣) = « غرَّ هؤلاء دينهم » ، يقول : غر هؤلاء الذين يقاتلون المشركين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من أنفسهم ، دينهم ^(٤) = وذلك الإسلام .

* * *

وذكر أن الذين قالوا هذا القول ، كانوا نفرًا ممن كان قد تكلم بالإسلام من مشركي قريش ، ولم يستحكم الإسلام في قلوبهم .

المحارب ، على شكل بيضة النعام ، يلبسها الفارس على رأسه لتقيه ضرب السيوف والرمح . و « استلحم الرجل » (بالبناء للمجهول) : إذا نشب في ملحمة القتال ، فلم يجد مخلصاً . وقوله : « وحموا » ، من قولهم : « حمى من الشيء حمية وحماية » ، إذا فارت نفسه وغلت ، وأنف أن يقبل ما يراى به من ضيم ، ومنه : « أنف حمى » .

(١) انظر تفسير « بريء » فيما سلف من فهارس اللغة (برأ) .

(٢) انظر تفسير « شديد العقاب » فيما سلف من فهارس اللغة (عقب) .

(٣) انظر تفسير « مرض » فيما سلف ١ : ٢٧٨ - ٢٨١ / ١٠ : ٤٠٤ .

(٤) انظر تفسير « الغرور » فيما سلف ١٢ : ٤٧٥ ، تعليق : ١ ، والمرجع هناك .

• ذكر من قال ذلك :

١٦١٩٣ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا داود ، عن عامر في هذه الآية : « إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غرّ هؤلاء دينهم » ، قال : كان ناسٌ من أهل مكة تكلموا بالإسلام ، فخرجوا مع المشركين ١٦/١٠ يوم بدر ، فلما رأوا قلة المسلمين قالوا : « غرّ هؤلاء دينهم » .

١٦١٩٤ — حدثني إسحق بن شاهين قال ، حدثنا خالد ، عن داود ، عن عامر ، مثله .^(١)

١٦١٩٥ — حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا يحيى ابن زكريا ، عن ابن جريج ، عن مجاهد في قوله : « إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غرّ هؤلاء دينهم » ، قال : فئة من قریش : أبو قيس بن الوليد بن المغيرة ،^(٢) وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة ، والحارث بن زمعة بن الأسود بن المطلب ، وعلى بن أمية بن خلف ، والعاصي بن منبته بن الحجاج ، خرجوا مع قریش من مكة وهم على الارتياب ، فحبسهم ارتيابهم . فلما رأوا قلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : « غرّ هؤلاء دينهم » ، حتى قدموا على ما قدموا عليه ، مع قلة عددهم وكثرة عدوهم ، فشرّد بهم من خلفهم .^(٣)

١٦١٩٦ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن

(١) الأثر : ١٦١٩٤ — « إسحق بن شاهين الواسطي » ، شيخ الطبري مضى برقم : ٧٢١١ ، ٩٧٨٨ . وكان في المخطوطة « أبو إسحق بن شاهين » ، وهو خطأ ، صوابه ما في المطبوعة . وكنيته « أبو بشر » .

(٢) مكان « أبو قيس بن » ، بياض في المخطوطة ، وفوق البياض حرف (ط) دلالة على الخطأ ، وبعدها « الوليد بن المغيرة » ، فكتب ناشر المطبوعة : « قيس بن الوليد بن المغيرة » ، وأخطأ ، إنما هو « أبو قيس بن الوليد » ، وهو الذي شهد بدرًا ، وقتله حمزة بن عبد المطلب . فأنبته . والظاهر أن البياض لا يراد به إلا هذا الذي أثبتته ، لا زيادة عليه .

(٣) في المطبوعة ، حذف « فشرّد بهم من خلفهم » ، وهي ثابتة في المخطوطة .

معمر ، عن الحسن : « إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم » ، قال : هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر ، فسموا « منافقين » = قال معمر : وقال بعضهم : قوم كانوا أقرؤوا بالإسلام وهم بمكة ، فخرجوا مع المشركين يوم بدر ، فلما رأوا قلة المسلمين قالوا : « غر هؤلاء دينهم » .

١٦١٩٧ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض » ، إلى قوله : « فإن الله عزيز حكيم » ، قال : رأوا عصابة من المؤمنين تشردت لأمر الله .^(١) وذكر لنا أن أبا جهل عدو الله لما أشرف على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال : « والله لا يُعبد الله بعد اليوم ! » ، قسوة وعُتُوًا .

١٦١٩٨ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج في قوله : « إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض » ، قال : ناس كانوا من المنافقين بمكة ، قالوه يوم بدر ، وهم يومئذ ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً .

١٦١٩٩ - . . . قال حدثني حجاج ، عن ابن جريج في قوله : « إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض » ، قال : لما دنا القوم بعضهم من بعض ، فقلل الله المسلمين في أعين المشركين ، وقلل المشركين في أعين المسلمين ، فقال المشركون : « غر هؤلاء دينهم » ، وإنما قالوا ذلك من قلتهم في أعينهم ، وظنوا أنهم سيهزمونهم لا يشكون في ذلك ، فقال الله : « ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم » .

* * *

وأما قوله : « ومن يتوكل على الله » ، فإن معناه : ومن يسلم أمره إلى الله ،

(١) في المطبوعة : « تشددت » ، وفي المخطوطة : « تسردت » ، وكأن صواب قراءتها ما أثبت ، « تشرد في الأرض » ، هرب وففر ، وكأنه يعنى هجرتهم إلى الله ورسوله . هكذا اجتهدت ، والله أعلم .

ويثق به ، ويرض بقضائه ، فإن الله حافظه وناصره^(١) = لأنه « عزيز » ، لا يغلبه شئ ، ولا يقهره أحد ، فجارؤه منيع ، ومن يتوكل عليه مكفى^(٢) .
وهذا أمر من الله جل ثناؤه المؤمنين به من أصحاب رسول الله وغيرهم ، أن يفوضوا أمرهم إليه ، ويسلموا لقضائه ، كما يكفهم أعداءهم ، ولا يستلهم من ناوهم ، لأنه « عزيز » غير مغلوب ، فجارؤه غير مقهور = « حكيم » ، يقول : هو فيما يدبر من أمر خلقه حكيم ، لا يدخل تدبيره خلل^(٣) .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبُرُهُمْ وُذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ (٥٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولو تعاین ، يا محمد ، حين يتوفى الملائكة أرواح الكفار ، فتزجها من أجسادهم ، تضرب الوجوه منهم والأستاه ، ويقولون لهم : ذوقوا عذاب النار التي تحرقكم يوم ورودكم جهنم^(٤) .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

- (١) انظر تفسير « التوكل » فيما سلف ١٣ : ٣٨٥ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
- (٢) فى المطبوعة : « ... عليه يكفه » ، غير ما فى المخطوطة ، وهو محض الصواب .
- (٣) انظر تفسير « عزيز » ، و « حكيم » فيما سلف من فهارس اللغة (عزز) ، (حكم) .
- (٤) انظر تفسير « التوفى » فيما سلف ١٣ : ٣٥ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .
- = وتفسير « الأدبار » فيما سلف ١٣ : ٤٣٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
- = وتفسير « النوق » فيما سلف ١٣ : ٥٢٨ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
- = وتفسير « الحريق » فيما سلف ٧ : ٤٤٦ ، ٤٤٧ .

١٦٢٠٠ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : « إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم » ، قال : يوم بدر .

١٦٢٠١ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يحيى بن سليم ، عن إسماعيل بن كثير ، عن مجاهد : « يضربون وجوههم وأدبارهم » ، قال : وأستاهم ، ولكن الله كريم يكنى .^(١) ١٧/١٠

١٦٢٠٢ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، حدثنا سفیان ، عن أبي هاشم ، عن مجاهد في قوله : « يضربون وجوههم وأدبارهم » ، قال : وأستاهم ، ولكنه كريم يكنى .^(٢)

١٦٢٠٣ - حدثني محمد بن المني قال ، حدثنا وهب بن جرير قال ، أخبرنا شعبة ، عن يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير في قوله : « يضربون وجوههم وأدبارهم » ، قال : إن الله كفى ، ولو شاء لقال : « أستاهم » ، وإنما عني : « أدبارهم » ، أستاهم .

١٦٢٠٤ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال : أستاهم ، يوم بدر = قال ابن جريج ، قال ابن عباس : إذا أقبل المشركون بوجوههم إلى المسلمين ، ضربوا وجوههم بالسيوف . وإذا ولتوا ، أدركتهم الملائكة فضربوا أدبارهم .

١٦٢٠٥ - حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا عباد بن راشد ، عن الحسن : قال : قال رجل : يا رسول الله ، إني رأيت بظهر

(١) الأثر : ١٦٢٠١ - يحيى بن سليم الطائفي ، ثقة ، مضى برقم : ٤٨٩٤ ، ٩٧٨٨ ، وكان في المطبوعة « يحيى بن أسلم » ، وهو خطأ محض ، والمخطوطة مضطربة الكتابة .
و إسماعيل بن كثير الحجازي ، ثقة ، مضى برقم : ٨٩٢٩ .
(٢) في المطبوعة : « ولكن الله » ، وأثبت ما في المخطوطة .

أبي جهل مثل الشراك^(١) قال : ما ذاك ؟ قال : ضربُ الملائكة .

١٦٢٠٦ — حدثنا محمد قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا إسرائيل ،

عن منصور ، عن مجاهد : أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم : إني حملت على رجل من المشركين فذهبت لأضربه ،^(٢) فندَرَ رأسه ؟^(٣) فقال : سبقك إليه الملك .

١٦٢٠٧ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثني حرملة :

أنه سمع عمر مولى غفرة يقول : إذا سمعت الله يقول : « يضرّون وجوههم وأدبارهم » ، فإنما يريد : أستاذهم .^(٤)

* * *

قال أبو جعفر : وفي الكلام محذوف ، استغنى بدلالة الظاهر عليه من

ذكره ، وهو قوله : « ويقولون » ، « ذوقوا عذاب الحريق » ، حذف « يقولون » ،

كما حذف من قوله : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا ﴾ [سورة السجدة : ٢١] ، بمعنى : يقولون : ربنا أبصرنا .^(٥)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمُ أَيِّدِيكُمُ وَأَنَّا

اللَّهُ لَبِئْسَ بِظُلَمٍ لِّلْعَمِيدِ ﴾ (٥١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره ، مخبراً عن قيل الملائكة لهؤلاء المشركين

الذين قتلوا بيدرك ، أنهم يقولون لهم وهم يضربون وجوههم وأدبارهم : « ذوقوا عذاب

(١) « الشراك » ، سير النعل الذي يكون على ظهرها .

(٢) انظر ما أسلفت في تفسير « ذهب يفعل » ، فيما سلف ١١ : ١٢٨ ، تعليق : ١ ،

ثم ١١ : ٢٥٠ ، ٢٥١ ، وص ٢٥٠ تعليق : ١ .

(٣) « ندر الشيء » سقط . يقال : « ضرب يده بالسيف فأندرها » ، أى قطعها فسقطت .

(٤) الأثر ١٦٢٠٧ — « حرملة بن عمران التجيبي » ، ثقة ، مضى برقم : ٦٨٩٠ ،

١٣٢٤٠ .

و « عمر » ، مولى غفرة ، هو « عمر بن عبد الله المدني » ، أبو حفص ، ليس به بأس ، كان صاحب مرسلات وروايات . مترجم في التهذيب وابن أبي حاتم ١١٩/٣ .

(٥) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٤١٣ .

الله الذى يحرقكم » ، هذا العذاب لكم = « بما قدمت أيديكم » ، أى : بما كسبت أيديكم من الآثام والأوزار ، واجترحتكم من معاصى الله أيام حياتكم ، ^(١) فذوقوا اليوم العذاب ، وفى معادكم عذاب الحريق ، وذلك لكم بأن الله « ليس بظلام للعبيد » ، لا يعاقب أحداً من خلقه إلا بجرم اجترمه ، ولا يعذبه إلا بمعصيته إياه ، لأن الظلم لا يجوز أن يكون منه .

* * *

وفى فتح « أن » من قوله : « وأن الله » ، وجهان من الإعراب : أحدهما : النصب ، وهو للعطف على « ما » التى فى قوله : « بما قدمت » ، بمعنى : « ذلك بما قدمت أيديكم » ، وبأن الله ليس بظلام للعبيد ، فى قول بعضهم ، والخفض ، فى قول بعض .

والآخر : الرفع ، على « ذلك بما قدمت » ، وذلك أن الله . ^(٢)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ كَذَّابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٥٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : **فِعِلْهُ** هؤلاء المشركون من قريش الذين قتلوا بيدى ، كعادة قوم فرعون وصنيعهم وفعلهم وفعل من كذب بحجج الله ورسله من الأمم الخالية قبلهم ، ^(٣) ففعلنا بهم كفعلنا بأولئك .

* * *

(١) انظر تفسير « قدمت أيديكم » فيما سلف ٢ : ٧ / ٣٦٨ : ٨ / ٤٤٧ : ٥١٤ / ٤٩٧ .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤١٣ .

(٣) انظر تفسير « آل » فيما سلف ٢ : ٦ / ٣٧ : ٣٢٦ .

وقد بينا فيما مضى أن « الدأب » ، هو الشأن والعادة ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع . (١)

* * *

١٦٢٠٨ - حدثني الحارث قال ، حدثني عبد العزيز قال ، حدثنا شيبان ، عن جابر ، عن عامر ومجاهد وعطاء : « كدأب آل فرعون » ، كفعل آل فرعون ، كسُنن آل فرعون .

* * *

وقوله : « فأخذهم الله بذنوبهم » ، يقول : فعاقبهم الله بتكذيبهم حججه ورسله ، ومعصيتهم ربهم ، كما عاقب أشكالهم والأمم الذين قبلهم = « إن الله قوى » ، لا يغلبه غالب ، ولا يرد قضاءه رادٌ ، يُنفذ أمره ، ويُضضى قضاءه في خلقه = شديد ١٨/١٠ عقابه لمن كفر بالله ووجد حججه .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ ذَلِكْ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٥٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وأخذنا هؤلاء الذين كفروا بآياتنا من مشركى قريش بيدى بذنوبهم ، (٢) وفعلنا ذلك بهم ، بأنهم غيروا ما أنعم الله عليهم به من ابتعائه رسوله منهم وبين أظهرهم ، بإخراجهم إياه من بينهم ، وتكذيبهم له ، وحرهم إياه ، فغيرنا نعمتنا عليهم بإهلاكنا إياهم ، كفعلنا ذلك فى الماضين قبلهم ممن طغى علينا وعصى أمرنا .

* * *

(١) انظر تفسير « الدأب » فيما سلف ٦ : ٢٢٣ - ٢٢٥ .

(٢) انظر تفسير « الأخذ » فيما سلف من فهارس اللغة (أخذ) .

وينحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

• ذكر من قال ذلك :

١٦٢٠٩ — حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ، يقول : « نعمة الله » ، محمد صلى الله عليه وسلم ، أنعم به على قريش ، وكفروا ، فنقله إلى الأنصار .

* * *

وقوله : « وأن الله سميع عليم » ، يقول : لا يخفى عليه شيء من كلام خلقه ، يسمع كلام كل ناطق منهم بخير نطق أو بشر^١ = « عليم » ، بما تضمنه صدورهم ، وهو مجازيهم ومثيهم على ما يقولون ويعملون ، إن خيراً فخييراً ، وإن شراً فشرّاً .^(١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ (٥٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : غير هؤلاء المشركون بالله ، المقتولون بيد ربه ، نعمة ربه التي أنعم بها عليهم ، بابتعائه محمداً منهم وبين أظهرهم ، داعياً لهم إلى الهدى ، بتكذيبهم إياه ، وحربهم له = « كذاب آل فرعون » ، كسنة آل فرعون وعادتهم وفعلهم بموسى نبي الله ،^(٢) في تكذيبهم إياه وقصدهم لحربه ،^(٣) وعادة

(١) انظر تفسير «سميع» و «عليم» فيما سلف من فهارس اللغة (سمع) ، (علم) .

(٢) انظر تفسير «الذاب» فيما سلف ص : ١٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

= وتفسير «آل» فيما سلف ص : ١٨ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٣) في المطبوعة : «وتصديدهم لحربه» ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو صواب محض .

من قبلهم من الأمم المكذبة رسلها وصنيعهم = « فأهلكناهم بذنوبهم » ، بعضاً بالرجفة ، وبعضاً بالخسف ، وبعضاً بالريح = « وأغرقنا آل فرعون » ، في اليم = « وكل كانوا ظالمين » ، يقول : كل هؤلاء الأمم التي أهلكناها كانوا فاعلين ما لم يكن لهم فعله ، من تكذيبهم رسل الله ، والجحود لآياته . فكذلك أهلكنا هؤلاء الذين أهلكناهم بيدك ، إذ غيروا نعمة الله عندهم ، بالقتل بالسيف ، وأذلنا بعضهم بالإسار والسبأ .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٥٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إن شر ما دب على الأرض عند الله ، (١) الذين كفروا بربهم ، فجحلدوا وحدانيته ، وعبدوا غيره = « فهم لا يؤمنون » ، يقول : فهم لا يصدقون رسل الله ، ولا يقرؤون بوحيه وتنزيله .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ الَّذِينَ عَاهَدَتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾ (٥٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « إن شر الدواب عند الله الذين كفروا ، (٢) » الذين عاهدت منهم ، يا محمد ، يقول : أخذت عهودهم ومواثيقهم أن لا يحاربوك ، (٢) ولا يظاهروا عليك محارباً لك ، كقريظة ونظرائهم ممن كان بينك وبينهم عهد

(١) انظر تفسير « الدابة » فيما سلف ٣ : ٢٧٤ ، ١١ / ٢٧٥ : ١٣ / ٢٤٤ : ٤٥٩ .

(٢) انظر تفسير « العهد » فيما سلف ١٣ : ٧٢ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

وعقد = « ثم ينقضون » ، عهددهم وموائيقهم كلما عاهدوك وواثقوك ، ^(١) حاربوك وظاهروا عليك ، ^(٢) وهم لا يتقون الله ، ولا يخافون في فعلهم ذلك أن يوقع بهم وقعة تجتاحهم وتهلكهم ، كالذى : —

١٦٢١٠ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : « الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم » ، قال : قريظة ، ما لأوا على محمد يوم الخندق أعداءه .

١٦٢١١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

* * *

القول تأويل قوله ﴿ فَإِمَّا تَثَقَّفْنَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مِّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدْكُرُونَ ﴾ (٥٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ^{١٩/١} ^{١٩/١} فإما تلقيناً في الحرب هؤلاء الذين عاهدتهم فنقضوا عهذك مرة بعد مرة من قريظة ، فتأسرهم ^(٣) = « فشردهم من خلفهم » ، يقول : فافعل بهم فعلاً يكون مشرداً من خلفهم من نظرائهم ، ممن بينك وبينه عهد وعقد .

* * *

و « التشريد » ، التطريد والتبديد والتفريق .

* * *

ولنما أميراً بذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل بالناقض العهد بينه

(١) في المطبوعة : « كلما عاهدوا ذافعوك وحاربوك » ، وفي المخطوطة : « كلما عاهدوا ذافعوك وحاربوك » ، وكان الصواب ما أثبت .

(٢) انظر تفسير « النقص » فيما سلف ٩ : ١٠/٣٦٣ : ١٢٥ .

(٣) انظر تفسير « ثقف » فيما سلف ٣ : ٧/٥٦٤ : ١١٠ .

وبينهم إذا قدر عليهم ، فعلاً يكون إخافة لمن وراءهم ، ممن كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينه عهد ، حتى لا يجترثوا على مثل الذى اجترأ عليه هؤلاء الذين وصف الله صفتهم فى هذه الآية من نقض العهد .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٢١٢ - حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « فإما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم » ، يعنى : نكل بهم من بعدهم .

١٦٢١٣ - حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « فشرد بهم من خلفهم » ، يقول : نكل بهم من وراءهم .

١٦٢١٤ - حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فإما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم » ، يقول : عظم بهم من سواهم من الناس .

١٦٢١٥ - حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فإما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم » ، يقول : نكل بهم من خلفهم ، مَنْ بعدهم من العدو ، لعلهم يحذرون أن ينكثوا فتصنع بهم مثل ذلك .

١٦٢١٦ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير : « فشرد بهم من خلفهم » ، قال : أنذر بهم من خلفهم .

١٦٢١٧ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ،

عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس قال : نكل بهم من خلفهم ، مَن بعدهم = قال ابن جريج ، قال عبد الله بن كثير : نكل بهم مَن وراءهم .

١٦٢١٨ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « فإما تثقفنم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون » ، أى : نكل بهم من وراءهم لعلهم يعقلون .^(١)

١٦٢١٩ - حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك بن مزاحم يقول في قوله : « فشرد بهم من خلفهم » ، يقول : نكل بهم من بعدهم .

١٦٢٢٠ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قول الله : « فإما تثقفنم في الحرب فشرد بهم من خلفهم » ، قال : أخفهم بما تصنع بهؤلاء . وقرأ : ﴿ وَأَخْرَيْنَا مِنْ دُونِهِمْ لَأَنْتَعَلُوا مِنْهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾^(٢) [سورة الأنفال : ٦٠]

* * *

وأما قوله : « لعلهم يذكرون » ، فإن معناه : كي يتعظوا بما فعلت بهؤلاء الذين وصفت صفتهم ،^(٣) فيحذروا نقض العهد الذي بينك وبينهم خوف أن ينزل بهم منك ما نزل بهؤلاء إذا هم نقضوه .

* * *

(١) الأثر : ١٦٢١٨ - سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٩ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦١٧٣ ، ثم هو في الحقيقة تابع الأثر السالف رقم : ١٦١٨٦ ، سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٨ ، ٣١٩ .
(٢) الأثر : ١٦٢٢٠ - انظر الأثر التالي رقم : ١٦٢٤٢ ، والتعليق عليه .
(٣) انظر تفسير « التلويح » فيما سلف من فهارس اللغة (ذكر) .

القول في تأويل قوله ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ ﴾ (٥٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « وإما تخافن » ، يا محمد ، من عدو
ك بينك وبينه عهد وعقد ، أن ينكث عهده ، وينقض عقده ، ويغدر بك = وذلك
هو « الخيانة » والغدر ^(١) = « فانبد إليهم على سواء » ، يقول : فناجزهم بالحرب ،
وأعلمهم قبل حربك إياهم أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم ، بما كان منهم
من ظهور أمار الغدر والخيانة منهم ، ^(٢) حتى تصير أنت وهم على سواء في العلم
بأنك لهم محارب ، فيأخذوا للحرب آلتها ، وتبرأ من الغدر = « إن الله لا يحب الخائنين » ،
الغادرين بمن كان منه في أمان وعهد بينه وبينه أن يغدر به فيحاربه ، قبل
إعلامه إياه أنه له حرب ، وأنه قد فاسخه العقد .

* * *

فإن قال قائل : وكيف يجوز نقضُ العهد بخوف الخيانة ، و « الخوف » ظنٌ
= لا يقين ؟ ^(٣)

قيل : إن الأمر بخلاف ما إليه ذهب ، وإنما معناه : إذا ظهرت أمارُ
الخيانة من عدوك ، ^(٤) وخفت وقوعهم بك ، فألق إليهم مقاليد السلم وأذنهم
بالحرب . ^(٥) وذلك كالذي كان من بني قريظة إذ أجابوا أبا سفيان ومن معه من ٢٠/١٠

(١) انظر تفسير « الخيانة » فيما سلف ١٣ : ٤٨٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « التبذ » فيما سلف ٢ : ٤٠١ ، ٧/٤٠٢ : ٤٥٩ .
وفي المطبوعة : « آثار الغدر » ، وأثبت ما في المخطوطة ، و « الأمار » و « الأمانة » ،
العلامة ، ويقال : « أمار » جمع « أمانة » .

(٣) انظر تفسير « الخوف » فيما سلف ١١ : ٣٧٣ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .

(٤) في المطبوعة : « آثار الخيانة » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وانظر التعليق السالف رقم : ٢ .

(٥) في المخطوطة : « واد » ، وبعدها بياض ، صوابه ما في المطبوعة .

المشركين إلى مظاهرتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحاربتهم معهم ،^(١) بعد العهد الذي كانوا عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسالمة ، ولن يقاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم .^(٢) فكانت إجابتهم إياه إلى ذلك ، موجبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم خوف الغدر به وبأصحابه منهم . فكذاك حكم كل قوم أهل موادةٍ للمؤمنين ، ظهر لإمام المسلمين منهم من دلائل الغدر مثل الذي ظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من قريظة منها ، فحق^٣ على إمام المسلمين أن ينبذ إليهم على سواء ، ويؤذنهم بالحرب .

* * *

ومعنى قوله : « على سواء » ، أى : حتى يستوى علمك وعلمهم بأن كل فريق منكم حرب لصاحبه لاسيما .^(٣)

* * *

وقيل : نزلت الآية في قريظة .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٢٢١ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « فأنبذ إليهم على سواء » ، قال : قريظة .

* * *

وقد كان بعضهم يقول : « السواء » ، في هذا الموضع ، المَهْل .^(٤)

* ذكر من قال ذلك :

١٦٢٢٢ — حدثني علي بن سهل قال ، حدثنا الوليد بن مسلم قال : إنه مما تبين لنا أن قوله : « فأنبذ إليهم على سواء » ، أنه : على مهل = كما حدثنا بكير ، عن مقاتل بن حيان في قول الله : ﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ

(١) في المطبوعة : « ومحاربتهم معه » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) في المخطوطة : « ولم يقاتلوا » ، وما في المطبوعة شبهه بالصواب .

(٣) انظر تفسير « السواء » فيما سلف ١٠ : ٤٨٨ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٤) في المطبوعة : « وقد قال بعضهم » ، غير الجملة كلها بلا شيء .

مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۖ فَسَيَحْمِلُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ۖ ، [سورة التوبة : ١ ، ٢]

* * *

وأما أهل العلم بكلام العرب ، فإنهم في معناه مختلفون .
فكان بعضهم يقول : معناه : فانبد إليهم على عدل = يعنى : حتى يعتدل
علمك وعلمهم بما عليه بعضكم لبعض من المحاربة ، واستشهدوا لقولهم ذلك بقول
الراجز : (١)

وَأَضْرِبْ وَجُوهَ الْفُؤَدِ الْأَعْدَاءِ حَتَّى يُجَيِّبُوكَ إِلَى السَّوَاءِ (٢)
يعنى : إلى العدل

* * *

وكان آخرون يقولون : معناه : الوسط ، من قول حسان :
يَا وَيْحَ أَنْصَارِ الرَّسُولِ وَرَهْطِهِ بَعْدَ الْمَغِيبِ فِي سَوَاءِ الْمُلْحَدِ (٣)
بمعنى : في وسط اللحد .

* * *

وكذلك هذه المعانى متقاربة ، لأن « العدل » ، وسط لا يعلو فوق الحق ولا
يقصّر عنه . وكذلك « الوسط » ، عدل ، واستواء علم الفريقين فيما عليه بعضهم
لبعض بعد المهادنة ، (٤) عدل من الفعل ووسط . وأما الذى قاله الوليد بن مسلم
من أن معناه : « المهل » ، فما لا أعلم له وجهاً في كلام العرب .

* * *

(١) لم أعرف قائله .

(٢) كان في المطبوعة : « الفدر للأعداء » ، وهو خطأ ، صوابه من المخطوطة . و « الفدر »
(بضمين) ، جمع « غدور » ، مثل « صبور » ، وهو : الغادر المستمرى للفدر .

(٣) سلف البيت وتخريجه وشرحه فيما مضى ٢ : ٤٩٦ ، تعليق : ٢ .

(٤) في المطبوعة : « واستواء الفريقين . . . » ، وفي المخطوطة : « واستواء على الفريقين » ،
وصواب قراءتها ما أثبت ، وهو حق المعنى .

القول في تأويل قوله ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا
إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ (٥٩)

قال أبو جعفر : اختلفت القراءة في قراءة ذلك .

فقرأ ذلك عامة قراءة الحجاز والعراق : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ﴾ ،
بكسر الألف من «إنهم» ، وبالتاء في «تحسبن» = بمعنى : ولا تحسبن ، يا محمد ،
الذين كفروا سبقونا ففاتونا بأنفسهم . ثم ابتدئ الخبر عن قدرة الله عليهم فقل :
إن هؤلاء الكفرة لا يعجزون ربهم ، إذا طلبهم وأراد تعذيبهم وإهلاكهم ، بأنفسهم
فيفوتوه بها .

* * *

وقرأ ذلك بعض قراءة المدينة والكوفة : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ، بالياء في
«يحسبن» وكسر الألف من «إنهم» .

* * *

وهي قراءة غير حميدة ، لمعنيين ، (١) أحدهما خروجها من قراءة القراءة
وشذوذها عنها = والآخر : بعدها من فصيح كلام العرب . وذلك أن «يحسب»
يطلب في كلام العرب منصوباً وخبره ، كقوله : «عبد الله يحسب أخاك قائماً»
و «يقوم» و «قام» . فقارئ هذه القراءة أحسب «يحسب» خبراً لغير مخبر عنه
مذكور . وإنما كان مراده ، ظننى : (٢) ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزوننا =
فلم يفكر في صواب مخرج الكلام وسقمه ، واستعمل في قراءته ذلك كذلك ،
ما ظهر له من مفهوم الكلام . وأحسب أن الذي دعاه إلى ذلك ، الاعتبار بقراءة
عبد الله . وذلك أنه فيما ذكر في مصحف عبد الله : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

٢١/٩٠

(١) هذه القراءة التي ردها أبو جعفر ، هي قراءتنا اليوم .

(٢) في المطبوعة : «وإنما كان مراد بطى ولا يحسبن» ، فأتى بعجب لا معنى له . وقوله

الطبرى : «ظننى» ، يقول كما نقول اليوم . «فيما أظن»

أَنَّهُمْ سَبَقُوا إِلَهُمْ لَا يُعْزِرُونَ ، وهذا فصيح صحيح ، إذا أدخلت « أنهم » في الكلام ، لأن « يحسن » عاملة في « أنهم » ، وإذا لم يكن في الكلام « أنهم » كانت خالية من اسم تعمل فيه .

وللذي قرأ ذلك من القراءة وجهان في كلام العرب ، وإن كانا بعيدين من فصيح كلامهم :

أحدهما : أن يكون أريد به : ولا يحسن الذين كفروا أن سبقوا ، أو : أنهم سبقوا = ثم حذف « أن » و « أنهم » ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [سورة الروم : ٢٤] ، بمعنى : أن يريكم ، وقد ينشد في نحو ذلك بيت للذي الرمة :

أَظَنَّ ابْنُ طَرْثُوثٍ عُتْبِيَّةً ذَاهِبًا بَعَادِيَّتِي تَكْذَابُهُ وَجَمَاعِيَّةُ (١)

(١) ديوانه ٤٧٣ ، من قصيدة ذكر فيها « المهاجر بن عبد الله الكلابي » وإلى الإمامة ، وكان للمهاجر عريف من السعاة بالبادية يقال له : « رومي » ، فاختلف ذو الرمة ، وعُتْبِيَّة ابن طَرْثُوث في بئر عادية ، فخاصم ذو الرمة إلى رومي ، ففضى رومي لابن طَرْثُوث قبل فصل الخصومة ، وكتب له بذلك سجلا ، فقال ذو الرمة من قصيدته تلك ، برواية ديوانه :

أَقُولُ لِنَفْسِي ، لَا أَعَاتِبُ غَيْرَهَا وَذُو اللَّبِّ مَهْمَا كَانَ ، لِلنَّفْسِ قَاتِلُهُ
لَعَلَّ ابْنَ طَرْثُوثٍ عُتْبِيَّةً ذَاهِبًا بَعَادِيَّتِي تَكْذَابُهُ وَجَمَاعِيَّةُ
بِقَاعٍ ، مَنَعْنَاهُ ثَمَانِينَ حِجَّةً وَبِضْعًا ، لَنَا أَخْرَاجُهُ وَمَسَايِلُهُ

ثم ذكر المهاجر بالذكر الجميل ، ثم قال :

يَعِزُّ ، ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، مَنْ أَنْتَ نَاصِرٌ وَلَا يَنْصُرُ الرَّحْمَنُ مَنْ أَنْتَ خَادِلُهُ
إِذَا خَافَ قَلْبِي جَوْرَ سَاعٍ وَطُمَأْنَنُ ذَكَرْتُكَ أُخْرَى فَاطْمَأْنَنَتْ بِلَا بَلَّةُ
تَرَى اللَّهَ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ سَرِيرَةٌ لِعَبْدٍ ، وَلَا أَسْبَابُ أَمْرٍ يُحَاوِلُهُ
لَقَدْ خَطَّ رُومِي ، وَلَا زَعْمَانِي ، لِمُتَبِّةٍ خَطًّا لَمْ تُطَبِّقْ مَقَاصِلُهُ
بَغَيْرِ كِتَابٍ وَاضِحٍ مِنْ مُهَاجِرٍ وَلَا مُقَعَّدٍ مِنِّي بِمُخْضَرٍ أَجَادِلُهُ

بمعنى : أظن ابن طرثوث أن يذهب بعاديتي تكذابه وجعائله ؟ وكذلك قراءة من قرأ ذلك بالياء ، يوجه « سبقوا » إلى « سابقين » ، على هذا المعنى ^(١) .
والوجه الثانى على أنه أراد إضمار منصوب بـ « يحسب » ، كأنه قال : ولا يحسب الذين كفروا أنهم سبقوا = ثم حذف « أنهم » وأضمر ^(٢) .
وقد وجه بعضهم معنى قوله : ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ﴾ ، [سورة آل عمران : ١٧٥] : إنما ذلكم الشيطان يخوف المؤمنين من أوليائه ، وأن ذكر « المؤمنين » مضمّر فى قوله : « يخوف » ، إذ كان الشيطان عنده لا يخوف أوليائه ^(٣) .

* * *

وقرأ ذلك بعض أهل الشام : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ بالتاء من « تحسبن » = ﴿ سَبَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾ ، بفتح الألف من « أنهم » ، بمعنى : ولا تحسبن الذين كفروا أنهم لا يعجزون .

* * *

قال أبو جعفر : ولا وجه لهذه القراءة يُعقل ، إلا أن يكون أراد القارئ بـ « لا » التى فى « يعجزون » ، « لا » التى تدخل فى الكلام حشواً وصلة ، ^(٤) فيكون معنى الكلام حينئذ : ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا أنهم يعجزون = ولا وجه لتوجيه حرف فى كتاب الله إلى التطويل ، ^(٥) بغير حجة يجب التسليم لها ، وله فى الصحة مخرج .

* * *

قال أبو جعفر : . والصواب من القراءة فى ذلك عندى ، قراءة من قرأ :

وهذه قصة حية . وكان فى المطبوعة : « عيشة » ، والصواب من الديوان ، وما يدل عليه الشعر السالف إذ سماه « عتبة » ، ثم صغره . و « العادية » ، البر القديمة ، كأنها من زمن « عاد » . و « التكذيب » ، مصدر مثل « الكذب » . و « الجعائل » ، الرشى ، تجعل للعامل المرتشى .

(١) انظر هذا فى معانى القرآن للفراء ١ : ٤١٤ - ٤١٦ .

(٢) كان فى المطبوعة : « ثم حذف الهمز وأضمر » ، وهو كلام لا تفلته الخساسة . وصواب قراءة المخطوطة : « أنهم » كما أثبتنا ، وهو واضح جداً .

(٣) انظر ما سلف ٧ : ٤١٧ ، تفسير هذه الآية .

(٤) « الصلة » ، الزيادة ، كما سلف مراراً ، انظر فهارس المصطلحات فيما سلف .

(٥) « التطويل » ، الزيادة أيضاً . انظر ما سلف ١ : ١١٨ ، ٢٢٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ،

٤٤٠ ، ٤٤١ ، وهو هناك « التطويل » .

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ ، بالفاء ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِيَّاهُمْ﴾ ، بكسر الألف من «إيهم» ،
 ﴿لَا يُعْجِزُونَ﴾ ، بمعنى : ولا تحسبن أنت ، يا محمد ، الذين جحدوا حجج الله
 وكذبوا بها ، سبقونا بأنفسهم فقاتونا ، إنيهم لا يعجزوننا = أى : يفوتونا بأنفسهم ،
 ولا يقدرون على الهرب منا ، (١) كما : —

١٦٢٢٣ — حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا
 أسباط ، عن السدي : «ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنيهم لا يعجزون» ، يقول : لا يفوتون.

* * *

القول في تأويل قوله ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : «وأعدوا» ، هؤلاء الذين كفروا بربهم ،
 الذين بينكم وبينهم عهد ، إذا خفتم خيانتهم وغدرهم ، أيها المؤمنون بالله ورسوله =
 «ما استطعتم من قوة» ، يقول : ما أطقم أن تعدوه لهم من الآلات التي تكون قوة
 لكم عليهم ، (٢) من السلاح والخيول = «ترهبون به عدو الله وعدوكم» ، يقول :
 تخيفون بإعدادكم ذلك عدو الله وعدوكم من المشركين .

* * *

وينحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٢٢٤ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس قال ، سمعت أسامة

ابن زيد ، عن صالح بن كيسان ، عن رجل من جهينة ، يرفع الحديث إلى رسول
 الله صلى الله عليه وسلم : «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» ، ألا إن الرمي هو
 القوة ، ألا إن الرمي هو القوة . (٣)

(١) انظر تفسير «أعجز» فيما سلف ١٢ : ١٢٨ .

(٢) انظر تفسير «الاستطاعة» ، فيما سلف ٤ : ٩/٣١٥ : ٢٨٤ .

(٣) الأثر : ١٦٢٢٤ — «ابن إدريس» ، هو «عبد الله بن إدريس الأودي» الإمام ،
 مضى مراراً . وكان في المطبوعة والمخطوطة : «أبو إدريس» ، وهو خطأ صرف .

١٦٢٢٥ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا سعيد بن شرحبيل قال ، حدثنا ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، وعبد الكريم بن الحارث ، عن أبي علي الهمداني : أنه سمع عقبة بن عامر على المنبر يقول : قال الله : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » ، ألا وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر : قال الله : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ، ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي ، ثلاثاً .^(١)

و «أمامة بن زيد الليثي» ، ثقة ، مضى برقم : ٢٨٦٧ ، ٣٣٥٤ .

و «صالح بن كيسان المدني» ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ١٠٢٠ ، ٥٣٢١ .
وسمى هذا الخبر من طرق أخرى رقم : ١٦٢٢٦ - ١٦٢٢٨ ، وسأذكرها عند كل واحد منها ، وانظر تخريج الخبر التالي .

(١) الأثر : ١٦٢٢٥ - «سعيد بن شرحبيل الكندي» ، روى عنه البخاري ، وروى له النسائي وابن ماجة بالواسطة . ثقة . مترجم في التهذيب ، والكبير ٤٤٢/١/٢ ، وابن أبي حاتم ٣٣/١/٢ .

و «ابن لهيعة» ، مضى مراراً ، ومضى الكلام في أمر توثيقه .
و «يزيد بن أبي حبيب الأزدي المصري» ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى مراراً آخرها : ١١٨٧١ .

و «عبد الكريم بن الحارث بن يزيد الحضرمي المصري» ، ثقة ، مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٦٠/١/٣ .
و «أبو علي الهمداني» ، هو «ثمامة بن شق الهمداني» المصري ، ثقة ، مترجم في التهذيب ، والكبير ١٧٧/٢/١ ، وابن أبي حاتم ٤٦٦/١/١ .
وهذا إسناد فيه ضعف لمن ضعف ابن لهيعة ، والطبري نفسه سيقول في ص : ٣٧ ، تعليق : ٢ ، أنه سند فيه وهاء .

بيد أن هذا الخبر روى من طرق صحيحة جداً :

رواه مسلم في صحيحه ١٣ : ٦٤ ، من طريق هارون بن معروف ، عن ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن أبي علي ثمامة بن شق ، بمثله .
ورواه أبو داود في سننه ٣ : ٢٠ ، رقم : ٢٥١٤ ، من طريق سعيد بن منصور ، عن ابن وهب ، بمثله .

ورواه ابن ماجة في سننه : ٩٤٠ رقم : ٢٨١٣ ، من طريق يونس بن عبد الأعلى ، عن ابن وهب بمثله .

ورواه الحاكم في المستدرک ٢ : ٣٢٨ ، عن طريق سعيد بن أبي أيوب ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي الخير ، عن عقبة ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين . ولم يخرجه البخاري ، لأن صالح بن كيسان أوقفه » ووافقه الذهبي .

١٦٢٢٦ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا محبوب ، وجعفر بن عون ،
ووكيع ، وأبو أسامة ، وأبو نعيم = ، عن أسامة بن زيد ، عن صالح بن كيسان ، ٢٢/١٠
عن رجل ، عن عقبة بن عامر الجهني قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم
على المنبر : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » ، فقال : ألا إن
القوة الرمي ، ألا إن القوة ، الرمي ، ثلاث مرات . (١)

١٦٢٢٧ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن أسامة بن زيد ، عن
صالح بن كيسان ، عن رجل ، عن عقبة بن عامر : أن النبي صلى الله عليه وسلم
قرأ هذه الآية على المنبر ، فذكر نحوه . (٢)

١٦٢٢٨ - حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا
أسامة بن زيد ، عن صالح بن كيسان ، عن عقبة بن عامر ، عن النبي صلى
الله عليه وسلم ، نحوه . (٣)

١٦٢٢٩ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا
موسى بن عبيدة ، عن أخيه ، محمد بن عبيدة ، عن أخيه عبد الله بن عبيدة ،
عن عقبة بن عامر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : « وأعدوا لهم ما استطعتم
من قوة » ، ألا إن القوة الرمي . (٤)

(١) الأثر : ١٦٢٢٦ - « محبوب » ، هو « محبوب بن محرز القواريري » ، وثقه ابن حبان ،
وضعه الدارقطني . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٣٨٨/١/٤ .
و « جعفر بن عون الخزومي » ، ثقة ، أخرج له الجماعة ، مضى برقم : ٩٥٠٦ .
وهذا الخبر رواه الترمذي من طريق وكيع عن أسامة بن زيد ، ثم قال : « وقد روى بعضهم
هذا الحديث عن أسامة بن زيد ، عن صالح بن كيسان ، عن عقبة بن عامر ، وحديث وكيع أصح ،
وصالح بن كيسان لم يدرك عقبة بن عامر ، وأدرك ابن عمر » . وانظر الخبر رقم : ١٦٢٢٨ .
(٢) الأثر : ١٦٢٢٧ - هو مكرر الأثر السالف ، وانظر تخريجه ، رواه من هذه
الطريق ، الترمذي في سننه ، كما سلف .

(٣) الأثر : ١٦٢٢٨ - هذا هو الحديث الذي أشار إليه الترمذي ، وقال فيه : « صالح
ابن كيسان ، لم يدرك عقبة بن عامر » . انظر ما سلف : ١٦٢٢٦ .

(٤) الأثر : ١٦٢٢٩ - « موسى بن عبيدة بن نسيط الربذي » ، ضعيف بمرّة ، لا تعمل
الرواية عنه . سلف مراراً ، آخرها رقم : ١١٨١١ ، ١٤٠٤٥ ، روى عن أخويه « عبد الله »
و « محمد » وأخوه « محمد بن عبيدة بن نسيط الربذي » ، لم أجد له ترجمة ، وهو مذكور في ترجمة

١٦٢٣٠ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن سفيان، عن شعبة ابن دينار، عن عكرمة في قوله: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة»، قال: الحصون = «ومن رباط الخيل»، قال: الإناث. (١)

١٦٢٣١ - حدثنا علي بن سهل قال، حدثنا ضمرة بن ربيعة، عن رجاء ابن أبي سلمة قال: لقي رجل مجاهداً بمكة، ومع مجاهد جُوالق، (٢) قال: فقال مجاهد: هذا من القوة! = ومجاهد يتجهز للغزو.

١٦٢٣٢ - حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدي: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة»، من سلاح. * * *

وأما قوله: «ترهبون به عدو الله وعدوكم» =

فقال ابن وكيع:

١٦٢٣٣ - حدثنا أبي، عن إسرائيل، عن عثمان بن المغيرة الثقفي، عن مجاهد، عن ابن عباس: «ترهبون به عدو الله وعدوكم»، قال: تخزون به عدو الله وعدوكم.

١٦٢٣٤ - حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا إسرائيل، عن عثمان، عن مجاهد، عن ابن عباس، مثله.

١٦٢٣٥ - حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا إسرائيل، عن خصيف، عن عكرمة وسعيد بن جبير، عن ابن عباس: «ترهبون به عدو الله

أخيه «موسى»، وترجمة أخيه «عبد الله»، وأنه روى عنه. وكان أكبر من أخيه موسى بثمانين سنة. وأخوه «عبد الله بن عبيدة بن نشيط الربذي»، روى عن جماعة من الصحابة، وثقه بمفهم، وضمفه آخرون، وقال أحمد: «موسى بن عبيدة وأخوه، لا يشتغل بهما». مترجم في التهذيب، وابن أبي حاتم ١٠١/٢/٢.

(١) الأثر: ١٦٢٣٠ - «شعبة بن دينار الكوفي»، روى عن عكرمة، وأبي بردة بن أبي موسى الأشعري، ثقة. مترجم في التهذيب، والكبير ٢٤٥/٢/٢، وابن أبي حاتم ٣٦٨/١/٢.

(٢) «الجوالق» (بضم الجيم، وفتح اللام أو كسرهما)، وعاء من الأوعية، هو الذي نسميه اليوم في مصر محرقاً «الشوال».

وعدوكم» ، قال : تخزون به عدو الله وعدوكم . وكذا كان يقرؤها : ﴿ تَخْزُون ﴾ (١) .
 ١٦٢٣٧ - حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال : حدثنا إسرائيل ،
 عن عثمان بن المغيرة ، وخصيف ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : « ترهبون به » ،
 تخزون به . (٢)

١٦٢٣٨ - حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا
 إسرائيل ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، مثله .

يقال منه : « أُرْهِبْتُ العدو ، ورَهَّبْتُهُ ، فَأَنَا أُرْهِبُهُ وَأُرْهِبُهُ ، إِرْهَابًا وَتَرْهِيْبًا ،
 وهو الرَّهْبُ والرَّهْبُ » ، ومنه قول طفيل الغنوى :

وَيْلُ أُمِّ حَيٍّ دَفَقْتُمْ فِي نُحُورِهِمْ بَنِي كِلَابٍ غَدَاةَ الرُّغْبِ وَالرُّهْبِ (٣)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في هؤلاء « الآخرين » ، من هم ، وما هم ؟
 فقال بعضهم : هم بنو قريظة .
 * ذكر من قال ذلك :

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « وكذا كان يقرؤها : ترهبون » ، والصواب الذي لا شك فيه
 هنا ، هو « تخزون » ، كما أثبتنا ، وقد ذكر قراءة ابن عباس هذه ، ابن خالويه في القراءات
 الشاذة : ٥٠ (وفي المطبوعة خطأ ، كتب : يمحرون به عدو الله ، والصواب ما أثبت) ، وقال
 أبو حيان في تفسيره ٤ : ٥١٢ : « وقرأ ابن عباس ، وعكرمة ، ومجاهد : « تخزون به » ، مكان :
 ترهبون به = وذكرها الطبري على جهة التفسير لا على جهة القراءة ، وهو الذي ينبغي ، لأنه مخالف
 لسواد المصحف » .

قلت : وقد رأيت بعد أن الطبري ذكرها أيضاً على جهة القراءة ، ولا يستقيم نصه إلا بما أثبت .

(٢) سقط من الترقيم : ١٦٢٣٦ ، سهواً .

(٣) ديوانه : ٥٦ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٢٤٩ يمدح بها بني جعفر بن كلاب ،
 من أبيات ثلاثة ، مفردة .

١٦٢٣٩ - حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وآخرين من دونهم » ، يعنى : من بنى قريظة .

١٦٢٤٠ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وآخرين من دونهم » ، قال : قريظة .

* * *

وقال آخرون : من فارس .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٢٤١ - حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » ، هؤلاء أهل فارس .

* * *

وقال آخرون : هم كل عدو للمسلمين ، غير الذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يشرّد بهم من خلفهم . قالوا : وهم المنافقون .
* ذكر من قال ذلك :

١٦٢٤٢ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قول الله : « فإذا تثقفهم في الحرب فشرّد بهم من خلفهم » ، قال : أخفهم بهم ، لما تصنع بهؤلاء . وقرأ : « وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » .^(١)

١٦٢٤٣ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » ، قال : هؤلاء المنافقون ، لا تعلمونهم لأنهم معكم ، يقولون : لا إله إلا الله ، ويغزون معكم .

* * *

(١) الأثر : ١٦٢٤٢ - هذا مكرر الأثر السالف رقم ١٦٢٢٠ ، ولا أدري فيم جاء به هنا مفرداً ، وأما الأثر الذى عناه ، فهو الذى يليه ، والظاهر أنه خطأ من الطبرى نفسه فى النقل ولغظ هذا الخبر ، يخالف لغظ الخبر السالف قليلاً .

وقال آخرون : هم قوم من الجن .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله أمر المؤمنين بإعداد الجهاد وآلة الحرب وما يتقوّن به على جهاد عدوه وعدوهم من المشركين ، من السلاح والرمي وغير ذلك ، ورباط الخيل = ولا وجه لأن يقال : عني « القوة » ، معنى دون معنى من معاني « القوة » ، وقد عمّ الله الأمر بها .

فإن قال قائل : فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بيّن أن ذلك مراد به الخصوص بقوله : « ألا إن القوة الرمي » ؟ (١)

قيل له : إن الخبر ، وإن كان قد جاء بذلك ، فليس في الخبر ما يدلّ على أنه مراد بها الرمي خاصة ، دون سائر معاني القوة عليهم ، فإن الرمي أحد معاني القوة ، لأنه إنما قيل في الخبر : « ألا إن القوة الرمي » ، ولم يقل : « دون غيرها » ، ومن « القوة » أيضاً السيف والرمح والحربة ، وكل ما كان معونة على قتال المشركين ، كمعونة الرمي أو أبلغ من الرمي فيهم وفي النكاية منهم . هذا مع وهاء سند الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . (٢)

* * *

وأما قوله : « وآخرين من دونهم لا تعلمونهم » ، فإن قول من قال : عني به الجن ، أقرب وأشبه بالصواب ، لأنه جل ثناؤه قد أدخل بقوله : « ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » ، الأمر بارتباط الخيل لإرهاب كل عدو لله وللمؤمنين يعلمونهم . ولا شك أن المؤمنين كانوا عالمين بعداوة قريظة وفارس لهم ، لعلمهم بأنهم مشركون ، وأنهم لهم حرب . ولا معنى لأن يقال ، وهم يعلمونهم لهم

(١) انظر الآثار السالفة رقم : ١٦٢٢٤ - ١٦٢٢٩ .

(٢) هذه مرة أخرى تختلف فيها كتابة المخطوطة ، فههنا : « وهاء » ، كما أثبتنا ، وكان في المطبوعة : « وهى » ، وانظر ما كتبه ما سلف ٩ : ٥٣١ ، تالميق : ٢ .
ثم انظر ما قلته في تخريج الخبر السالف رقم : ١٦٢٢٥ ، وما ذكرته من الطريق الصحيحة في رواية هذا الخبر .

أعداء: «وآخرين من دونهم لا تعلمونهم»، ولكن معنى ذلك إن شاء الله: ترهبون بارتباطكم، أيها المؤمنون، الخيلَ عدوَّ الله وأعداءكم من بني آدم الذين قد علمتم عداوتهم لكم، لكفرهم بالله ورسوله، وترهبون بذلك جنساً آخر من غير بني آدم، لا تعلمون أما كنهم وأحوالهم، الله يعلمهم دونكم، لأن بني آدم لا يرونهم. وقيل: إن صهيل الخيل يرهب الجن، وأن الجن لا تقرب داراً فيها فرس. (١)

* * *

فإن قال قائل: فإن المؤمنين كانوا لا يعلمون ما عليه المنافقون، فما تنكر أن يكون عني بذلك المنافقون؟

قيل: فإن المنافقين لم يكن تروعهم خيل المسلمين ولا سلاحهم، وإنما كان يروعهم أن يظهر المسلمون على سرائرهم التي كانوا يستترون من الكفر، وإنما أمر المؤمنون بإعداد القوة لإرهاب العدو، فأما من لم يرهبه ذلك، فغير داخل في معنى من أمر بإعداد ذلك له المؤمنون. وقيل: «لا تعلمونهم»، فاكثرت «العلم» بمنصوب واحد في هذا الموضع، لأنه أريد: لا تعرفونهم، كما قال الشاعر: (٢)

(١) ذكر ابن كثير في تفسيره خبرين، أحدهما رواه ابن أبي حاتم، عن يزيد بن عبد الله ابن عريب، عن أبيه عن جده: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: هم الجن، في هذه الآية. ثم قال رواه الطبراني، وزاد: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يخجل بيت فيه عتيق الخيل»، (انظر الإصابة ترجمة: عريب)، ثم قال ابن كثير: «هذا الحديث منكر، لا يصح إسناده ولا متنه». وانظر القرطبي ٨: ٣٨.

وهذا الذي قاله الطبري، رده العلماء من قوله، وحق لهم. وقد رجح ابن كثير وأبو حبان (٤: ٥١٣)، أن المعنى بذلك هم المنافقون، وهو القول الذي رده أبو جعفر فيما يلي، ورد أبي جعفر رد محكم.

فإن كان لنا أن نختار، فإني أختار أن يكون عني بذلك، من خفي على المؤمنين أمره من أهل الشرك، كعصارى الشام وغيرهم، ممن لم ينظر المؤمنون عداوتهم بعد، وهي آتية سوف يرونها عياناً بعد قليل. وفي الكلام فضل بحث ليس هذا مكانه، والآية عامة لا أدري كيف يخصها أبو جعفر، بخبر لا حجة فيه.

(٢) هو النمر بن تولب المكي.

فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُنِي وَوَهْبًا وَأَنَا سَوْفَ يَلْقَاهُ كِلَانَا^(١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ (٦٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وما أنفقتم ، أيها المؤمنون ، من نفقة في شراء آلة حرب من سلاح أو حراب أو كُرَاع أو غير ذلك من النفقات ،^(٢) في جهاد أعداء الله المشركين يخلفه الله عليكم في الدنيا ، ويدخر لكم أجوركم على ذلك عنده حتى يوفيكموها يوم القيامة^(٣) = « وأنتم لا تظلمون » ، يقول : يفعل ذلك بكم ربكم ، فلا يضيع أجوركم عليه .

* * *

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

(١) الاقتضاب : ٣٠٣ ، الفصل للزخشرى : ٨٨ . وكان النمر بن تولب ، نازع رجلا يقال له « وهب » ، من قومه ، في يثر تدعى « الدحول » (بالحاء المهملة) ، في أرض عكل ، نديرة الماء ، يقول فيها من هذه الأبيات :

ولكنَّ الدَّحُولَ إِذَا أَتَاهَا عِجَافُ الْمَالِ تَتْرُكُهُ سِمَانَا

وكان النمر سقاء منها ، فلم يشكر له ، وخان الأمانة ونازعه فيها فقال :

يُرِيدُ خِيَانَتِي وَهَبٌ ، وَأَرْجُو مِنَ اللَّهِ الْبِرَاءَةَ وَالْأَمَانَا

فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُنِي وَوَهْبًا وَيَعْلَمُ أَنَّ سَمِيلَقَاهُ كِلَانَا

وَأَنَّ بَنِي رَبِيعَةَ بَعْدَ وَهْبٍ كَرَاعِي الْبَيْتِ يَحْفَظُهُ خِفَانَا

وكان البيت في المطبوعة والمخطوطة :

فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُنِي وَأَنَا سَوْفَ يَلْقَاهُ كِلَانَا

(٢) انظر تفسير « النفقة » فيما سلف من فهارس اللغة (نفق) .

(٣) انظر تفسير « وى » فيما سلف ١٢ : ٢٢٤ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

١٦٢٤٤ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، « وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون » ، أى : لا يضيع لكم عند الله أجره في الآخرة ، وعاجل خلفه في الدنيا .^(١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾^(١١) ٢٤/١٠

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : وإما تخافن من قوم خيانة وهدراً ، فانبذ إليهم على سواء ، وأذنهم بالحرب = « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها » ، وإن مالوا إلى مسالمتك ومتركتك الحرب ، إما بالدخول في الإسلام ، وإما بإعطاء الجزية ، وإما بمودعة ، ونحو ذلك من أسباب السلم والصلح^(٢) = « فاجنح لها » ، يقول : قل إليها ، وابدل لهم ما مالوا إليه من ذلك وسألوكه .

* * *

يقال منه : « جنح الرجل إلى كذا يجنح إليه جنوحاً » ، وهى تميم وقيس ، فيما ذكر عنها ، تقول : « يجنح » ، بضم النون ، وآخرون يقولون : « يَجْنِح » بكسر النون ، وذلك إذا مال ، ومنه قول نابغة بنى ذبيان :

جَوَانِحَ قَدْ أَتَقَنَّ أَنَّ قَبِيْلَهُ إِذَا مَا أَلْتَقَى الْجَمْعَانِ أَوَّلُ غَالِبٍ^(٣)
« جوانح » ، موائل

* * *

(١) الأثر : ١٦٢٤٤ - سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٢١٨ .

(٢) انظر تفسير « السلم » فيما سلف ٤ : ٢٥١ - ٢٥٥ .

(٣) ديوانه ٤٣ ، من شعره المشهور في عمرو بن الحارث الأعرج ، حين هرب إلى الشام ، من النعمان بن المنذر في خبر المتجردة ، وقبله ، ذكر فيها غارة جيشه ، والنسور التى تتبع الجيش :

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

• ذكر من قال ذلك :

١٦٢٤٥ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « وإن جنحوا للسلم » ، قال : للصلح ، ونسخها قوله : ﴿ أَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ ، [سورة التوبة : ٥] .

١٦٢٤٦ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : : « وإن جنحوا للسلم » ، إلى الصلح = « فاجنح لها » ، قال : وكانت هذه قبل « براءة » ، وكان نبي الله صلى الله عليه وسلم يوادع القوم إلى أجل ، فلما أن يسلموا ، ولما أن يقاتلهم ، ثم نسخ ذلك بعد فى « براءة » فقال : ﴿ أَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ ، وقال : ﴿ قَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً ﴾ ، [سورة التوبة : ٣٦] ، ونبذ إلى كل ذى عهد عهده ، وأمره بقتالهم حتى يقولوا « لا إله إلا الله » ، ويسلموا ، وأن لا يقبل منهم إلا ذلك . وكل عهد كان فى هذه السورة وفى غيرها ، وكل صلح يصالح به المسلمون المشركين يتوادعون به ، فإن « براءة » جاءت بنسخ ذلك ، فأمر بقتالهم على كل حال حتى يقولوا : « لا إله إلا الله » .

١٦٢٤٧ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح ، عن الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة والحسن البصرى قالوا : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها » ، نسخها الآية التى فى « براءة » قوله : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [سورة التوبة : ٢٩] .

إِذَا مَا غَرَوَا بِالْجَنِّ ، حَلَقَ فَوْقَهُمْ
عَصَابُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَابِ
يُصَاحِبُهُمْ حَتَّى يُفِرْنَ مُفَارِهِم
مِنَ الضَّارِيَاتِ بِالْذِّمَاءِ الدَّوَارِبِ
تَرَاهُنَّ خَلْفَ الْقَوْمِ خَزَرًا عُيُونَهَا
جَوَانِحَ قَدْ أَيقَنَ
جلوس الشيوخ فى ثياب المرانب

وهذا من جيد الشعر وخالصه .

١٦٢٤٨ - حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها » ، يقول : وإن أرادوا الصلح فأرده .

١٦٢٤٩ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها » ، أي : إن دعوك إلى السلم = إلى الإسلام = فصالحهم عليه .^(١)

١٦٢٥٠ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها » ، قال : فصالحهم . وهذا قد نسخه الجهاد .

* * *

قال أبو جعفر : فأما ما قاله قتادة ومن قال مثل قوله ، من أن هذه الآية منسوخة ، فقول " لا دلالة عليه من كتاب ولا سنة ولا فطرة عقل .

وقد دللنا في غير موضع من كتابنا هذا وغيره على أن الناسخ لا يكون إلا ما نفي حكم المنسوخ من كل وجه . فأما ما كان بخلاف ذلك ، فغير كائن . ناسخاً .^(٢)

وقول الله في براءة : ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ ، غير نافٍ حكمه حكم قوله : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها » ، لأن قوله : « وإن جنحوا للسلم » ، إنما عني به بنو قريظة ، وكانوا يهوداً أهل كتاب ، وقد أذن الله جل ثناؤه للمؤمنين بصلح أهل الكتاب ومتاركهم الحرب على أخذ الجزية منهم .

وأما قوله ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ ، فإنما عني به مشركو العرب من عبدة الأوثان ، الذين لا يجوز قبول الجزية منهم . فليس في إحدى

(١) الأثر : ١٦٢٤٩ - سيرة ابن هشام ٢ : ٣٣٠ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٢٤٤ ، وفي السيرة : « إلى السلم على الإسلام » .

(٢) انظر مقالته في « النسخ » فيما سلف ١١ : ٢٠٩ ، وما بعده وما قبله في فهارس الكتاب ، وفي فهارس العربية والنحو وغيرها .

الآيتين نرى حكم الأخرى ، بل كل واحدة منهما محكمة فيما أنزلت فيه .
 ١٦٢٥١ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وإن جنحوا للسلم » ، قال : قريظة .

* * *

وأما قوله : « وتوكل على الله » ، يقول : فوَّض إلى الله ، يا محمد ، أمرك ، واستكفِه ، واثقاً به أنه يكفيك ، ^(١) كالذى : —

١٦٢٥٢ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وتوكل ٢٥/١٠ على الله » ، إن الله كافيك . ^(٢)

* * *

وقوله : « إنه هو السميع العليم » ، يعنى بذلك : إن الله الذى تتوكل عليه ، « سميع » ، لما تقول أنت ومن تسالمة وتشاركه الحرب من أعداء الله وأعدائك عند عقد السلم بينك وبينه ، وما يشترط كل فريق منكم على صاحبه من الشروط ^(٣) = « العليم » ، بما يضمه كل فريق منكم للفريق الآخر من الوفاء بما عاقده عليه ، ومن المضمّر ذلك منكم فى قلبه ، والمنطوى على خلافه لصاحبه . ^(٤)

* * *

(١) انظر تفسير « التوكل » فيما سلف ص : ١٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) الأثر : ١٦٢٥٢ - سيرة ابن هشام ٢ : ٣٣٠ ، وهو تابع الأثر السالف رقم :

١٦٢٤٩ .

(٣) فى المطبوعة : « ويشترط كل فريق . . . » ، وفى المخطوطة : « ويشترط . . . » ، والصواب بينهما ما أثبت .

(٤) انظر تفسير « سميع » و « عليم » فيما سلف من فهارس اللغة (سميع) ، (علم) .

القول في تأويل قوله ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنْ حَسِبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (٦٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وإن يرد ، يا محمد ، هؤلاء الذين أمرتك بأن تنبذ إليهم على سواء إن خفت منهم خيانة ، وبمسالتهم إن جنحوا للسلم ، خداعك والمكر بك^(١) = « فإن حسبك الله » ، يقول : فإن الله كافيكهم وكافيك خداعهم إياك ،^(٢) لأنه متكفل بإظهار دينك على الأديان ، ومتضمن أن يجعل كلمته العليا وكلمة أعدائه السفلى = « هو الذي أيدك بنصره » ، يقول : الله الذي قواك بنصره إياك على أعدائه^(٣) = « وبالمؤمنين » ، يعنى : بالأنصار .

* * *

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* * *

. ذكر من قال ذلك :

١٦٢٥٣ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، « وإن يريدوا أن يخدعوك » ، قال : قريظة .

١٦٢٥٤ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله » ، هو من وراء ذلك .^(٤)

١٦٢٥٥ - حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « هو الذي أيدك بنصره » ، قال : بالأنصار .

* * *

(١) انظر تفسير « الخداع » فيما سلف ١ : ٢٧٣ - ٢٧٧ ، ٣٠٢ / ٩ : ٣٢٩ .

(٢) انظر تفسير « حسبك » فيما سلف ١١ : ١٣٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « أيد » فيما سلف ١٣ : ٤٧٧ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٤) الأثر : ١٦٢٥٤ - سيرة ابن هشام ، ٢ : ٣٣١ ، وهو تابع الأثر السالف .

القول في تأويل قوله ﴿ وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٦٣)

قال أبو جعفر : يريد جل ثناؤه بقوله : « وألف بين قلوبهم » ، وجمع بين قلوب المؤمنين من الأوس والخزرج ، بعد التفرق والتشتت ، على دينه الحق ، فصيرهم به جميعاً بعد أن كانوا أشتاتاً ، وإخواناً بعد أن كانوا أعداء .
وقوله : « لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم » ، يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : لو أنفقت ، يا محمد ، ما في الأرض جميعاً من ذهب وورقٍ وعَرَصٍ ، ما جمعت أنت بين قلوبهم بحيلك ، ^(١) ولكن الله جمعها على الهدى فأتلفت واجتمعت ، تقوية من الله لك وتأيداً منه ومعونة على عدوك . يقول جل ثناؤه : والذي فعل ذلك وسببه لك حتى صاروا لك أعواناً وأنصاراً ويداً واحدة على من بغاك سوءاً ، هو الذي إن رام عدوً منك مراماً يكفيك كيده وينصرك عليه . فثق به ، وامض لأمره ، وتوكل عليه .

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* * *
ذكر من قال ذلك :

١٦٢٥٦ — حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « وألف بين قلوبهم » ، قال : هؤلاء الأنصار ، ألف بين قلوبهم من بعد حرب ، فيما كان بينهم . ^(٢)

(١) « الحيل » (بفتح فسكون) ، القوة ، مثل « الحول » ، يقال : « إنه لشديد الحيل » ، وفي الحديث : « اللهم ذا الحيل الشديد » . وهو لا يزال يستعمل كذلك في عامية مصر .

(٢) ما بين « من بعد حرب » و « فيما كان بينهم » ، بياض في المخطوطة ، فيه معقوفة بالحمرة ، لا أدري أهو بياض تركه لسطع ، أم هو سهو من الناسخ ملأه بالحمرة .

١٦٢٥٧ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا
شعبة ، عن بشير بن ثابت ، رجل من الأنصار : أنه قال في هذه الآية : « لو
أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم » ، يعني : الأنصار ^(١) .

١٦٢٥٨ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وألف
بين قلوبهم » ، على الهدى الذى بعثك به إليهم = « لو أنفقت ما في الأرض جميعاً
ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » ، بدينه الذى جمعهم عليه = يعنى
الأوس والخزرج ^(٢) .

١٦٢٥٩ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن يمان ، عن إبراهيم الخوزى ،
عن الوليد بن أبي مغيث ، عن مجاهد قال : إذا التقى المسلمان فتصافحا غفر لهما . ٢٦/١٠
قال قلت لمجاهد : بمصافحة يغفر لهما ؟ ^(٣) فقال مجاهد : أما سمعته يقول : « لو
أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم » ؟ فقال الوليد لمجاهد : أنت
أعلم منى ^(٤) .

١٦٢٦٠ — حدثنا عبد الكريم بن أبي عمير قال ، حدثني الوليد ، عن أبي
عمرو قال ، حدثني عبدة بن أبي لبابة ، عن مجاهد ، ولقيته وأخذ بيدي فقال :
إذا تراءى المتحابان في الله ، ^(٥) فأخذ أحدهما بيد صاحبه وضحك إليه ، تحاتت

(١) الأثر : ١٦٢٥٧ — « بشير بن ثابت الأنصارى » ، مولى النعمان « بن بشير » ،
ذكره ابن حبان في الثقات . روى عنه شعبة . مترجم في التهذيب ، والكبير ٩٧/٢/١ ، وابن أبي حاتم
٣٧٢/١/١ .

(٢) الأثر : ١٦٢٥٨ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٣١ ، وهو تابع الأثر السالف رقم :
١٦٢٥٤ .

(٣) في المخطوطة : « يغفر له » ، والذي في المطبوعة أجود .

(٤) الأثر : ١٦٢٥٩ — « إبراهيم الخوزى » ، هو : « إبراهيم بن يزيد الخوزى الأموى » ،
مولى عمر بن عبد العزيز ، ضعيف ، مضى برقم : ٧٤٨٤ ، وكان في المطبوعة والمخطوطة : « إبراهيم
الخوزى » ، وهو خطأ محض .

و « الوليد بن أبي مغيث » ، نسب إلى جده ، ولم أجد منسوباً إليه في غير هذا المكان ، وإنما
هو : « الوليد بن عبد الله بن أبي مغيث » ، مولى بنى عبد الدار ، ثقة . روى عن يوسف بن ماهك ،
ومحمد بن الحنفية . مترجم في التهذيب ، والكبير ١٤٦/٢/٤ ، وابن أبي حاتم ٩/٢/٤ .

(٥) « تراءى الرجلان » ، رأى أحدهما الآخر .

خطاياهما كما يتحات ورق الشجر . (١) قال عبدة : فقلت له : إن هذا ليسير ! قال : لا تقل ذلك ، فإن الله يقول : « لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم » ! قال عبدة : فعرفت أنه أفقه منى . (٢)

١٦٢٦١ - حدثنى محمد بن خلف قال ، حدثنا عبيد الله بن موسى قال ، حدثنا فضيل بن غزوان قال : أتيت أبا إسحق فسلمت عليه فقلت (٣) : أنعرفنى ؟ فقال فضيل : نعم ! لولا الحياء منك لقبَلْتُكَ = حدثنى أبو الأحوص ، عن عبدالله قال : نزلت هذه الآية فى المتحابين فى الله : « لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم » . (٤)

١٦٢٦٢ - حدثنى يعقوب قال ، حدثنا ابن عليه قال ، أخبرنا ابن عون ،

(١) « تحات ورق الشجر » ، تساقط من غصنه إذا ذبل ، ثم انتثر .

(٢) الأثر : ١٦٢٦٠ - « عبد الكريم بن أبى عمير » ، شيخ الطبرى ، سلف برقم : ٧٥٧٨ ، ١١٣٦٨ ، ١٢٨٦٧ .

و « الوليد » ، هو « الوليد بن مسلم » ، سلف مراراً .

و « أبو عمرو » ، هو الأوزاعى الإمام .

و « عبدة بن أبى لبابة الأمدى » ، مضى برقم : ٥٨٥٩ .

وانظر الخبر الآتى رقم : ١٦٢٦٣ .

(٣) فى المستدرک : « لقيت أبا إسحق بعد ما ذهب بصره » .

(٤) الأثر : ١٦٢٦١ - « أبو إسحق » هو : السبعى .

و « أبو الأحوص » ، هو « عوف بن مالك بن فضلة » ، تابعى ثقة ، مضى مراراً .

و « عبد الله » ، هو « عبد الله بن مسعود » .

وهذا الخبر رواه الحاكم فى المستدرک ٢ : ٣٢٩ ، من طريق يعلى بن عبيد ، عن فضيل ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى .

ورواه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧ : ٢٧ ، ٢٨ ، من طريق أخرى ، وقال : « رواه البزار ، ورجاله رجال الصحيح ، غير جنادة بن سلم ، وهو ثقة » .

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ١٩٩ ، وزاد نسبه إلى ابن المبارك ، وابن أبى شيبة ، وابن أبى الدنيا فى كتاب الإخوان ، والنسائى ، وابن أبى حاتم ، وأبى الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقى فى شعب الإيمان .

وسمى من طريق أخرى رقم : ١٦٢٦٤ .

عن عمير بن إسحق قال : كنا نُحدِّث أن أوَّل ما يرفع من الناس = أو قال : عن الناس = الألفة .^(١)

١٦٢٦٣ - حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ، حدثنا أيوب بن سويد ، عن الأوزاعي قال ، حدثني عبدة بن أبي لبابة ، عن مجاهد = ثم ذكر نحو حديث عبد الكريم ، عن الوليد .^(٢)

١٦٢٦٤ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أسامة ، وابن نمير ، وحفص ابن غياث = ، عن فضيل بن غزوان ، عن أبي إسحق ، عن أبي الأحوص قال : سمعت عبد الله يقول : « لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم » ، الآية ، قال : هم المتحابون في الله .^(٣)

وقوله : « إنه عزيز حكيم » ، يقول : إن الله الذي ألف بين قلوب الأوس والخزرج بعد تشتت كلمتهما وتعاديهما ، وجعلهم لك أنصاراً = « عزيز » ، لا يقهره شيء ، ولا يردّ قضاءه رادٌّ ، ولكنه ينفذ في خلقه حكمه . يقول : فعليه فتوكل ، وبه فتق = « حكيم » ، في تدبير خلقه .^(٤)

القول في تأويل قوله ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٦٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : « يا أيها النبى حسبك الله » ، وحسب من اتبعك من المؤمنين ، الله . يقول لهم جل ثناؤه : ناهضوا

(١) الأثر ١٦٢٦٢ - « عمير بن إسحق » - مصى قرياً برقم ١٦١٤٨

(٢) الأثر ١٦٢٦٣ - انظر ما سلف رقم ١٦٢٦٠ ، والتعاقب عليه

(٣) الأثر ١٦٢٦٤ - طريق أخرى للأثر السالف رقم ١٦٢٦١

(٤) انظر تفسير « عزيز » و « حكيم » فيما سلف من مھارس اللغة (عرر) - (حكم)

عدوكم ، فإن الله كافيكهم أمرهم ، ولا يهولنكم كثرة عددهم وقلة عددكم ، فإن الله مؤيدكم بنصره .^(١)

* * *

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٢٦٥ - حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا مؤمل بن إسماعيل قال ، حدثنا سفيان ، عن شاذب أبي معاذ ، عن الشعبي في قوله : « يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين » ، قال : حسبك الله ، وحسب من اتبعك من المؤمنين ، الله .^(٢)

١٦٢٦٦ - حدثني أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي قال ، حدثنا عبيد الله ابن موسى قال ، أخبرنا سفيان ، عن شاذب ، عن الشعبي في قوله : « يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين » ، قال : حسبك الله ، وحسب من معك .

١٦٢٦٧ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عبيد الله ، عن سفيان ، عن شاذب ، عن عامر ، بنحوه = إلا أنه قال : حسبك الله ، وحسب من شهد معك .

١٦٢٦٨ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب ، عن ابن زيد في قوله : « يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين » ، قال : يا أيها النبي حسبك الله ، وحسب من اتبعك من المؤمنين ؛ إن حسبك أنت وهم ، الله .

* * *

ف « من » من قوله : « ومن اتبعك من المؤمنين » ، على هذا التأويل الذي

(١) انظر تفسير « حسب » فيما سلف ص : ٤٤ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) الأثر : ١٦٢٦٥ - « شاذب ، أبو معاذ » ، ويقال : « أبو عثمان » ، مولى البراء ابن عازب . قال سفيان ، عن شاذب : « كنت تياساً ، فنهاني البراء بن عازب عن عصب الفحل » . روى عنه سفيان الثوري ، وشعبة . مترجم في الكبير ٢/٢٠١ ، وابن أبي حاتم ١/٣٧٧ ، وكان في المطبوعة : « شاذب بن معاذ » ، وهو خطأ ، صوابه في المخطوطة . وسيأتي في الإسنادين التاليين .

ذكرناه عن الشعبي ، نصب ، عطفاً على معنى « الكاف » في قوله : « حسبك الله » ، لا على لفظه ، لأنها في محل خفض في الظاهر ، وفي محل نصب في المعنى . لأن معنى الكلام : يكفيك الله ، ويكفي من اتبعك من المؤمنين .

* * *

وقد قال بعض أهل العربية في « من » ، أنها في موضع رفع على العطف على اسم « الله » ، كأنه قال : حسبك الله ومتبعوك إلى جهاد العدو من المؤمنين ، دون القاعدین عنك منهم . واستشهد على صحة قوله ذلك بقوله : « حرص المؤمنين على القتال » . (١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ۖ ﴾ (٦٥) أَلَّنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿ ٦٦ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبه محمد صلى الله عليه وسلم : « يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال » ، حُثَّ متبوعك ومصدقك على ما جشتم به من الحق ، على قتال من أدبر وتولى عن الحق من المشركين (٢) « إن يكن منكم عشرون » رجالاً = « صابرون » ، عند لقاء العدو ، ويحتسبون أنفسهم ويثبتون

(١) هو الفراء في معاني القرآن ١ : ٤١٧ .

(٢) انظر تفسير « التحريض » فيما سلف ٨ : ٥٧٩ .

لعدوهم = « يغلبوا مثنين » ، من عدوهم ويقهروهم = « وإن يكن منكم مئة » ، عند ذلك « يغلبوا » ، منهم « ألفاً » = « بأنهم قوم لا يفقهون » ، يقول : من أجل أن المشركين قوم يقاتلون على غير رجاء ثواب ، ولا لطلب أجر ولا احتساب ، لأنهم لم يفقهوا أن الله مُوجِبٌ لمن قاتل احتساباً ، وطلب موعود الله في الميعاد ، ما وعد المجاهدين في سبيله ، فهم لا يثبتون إذا صدقوا في اللقاء ، خشية أن يُقتلوا فتذهب دنياهم .^(١) ثم خفف تعالى ذكره عن المؤمنين ، إذ علم ضعفهم فقال لهم : « الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً » ، يعنى : أن في الواحد منهم عن لقاء العشرة من عدوهم ضعفاً = « فإن يكن منكم مئة صابرة » ، عند لقاءهم للثبات لهم = « يغلبوا مثنين » منهم = « وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين » منهم = « بإذن الله » ، يعنى : بتخليفة الله إياهم لغلبتهم ، ومعونته إياهم^(٢) = « والله مع الصابرين » ، لعدوهم وعدو الله ، احتساباً في صبره ، وطلباً لجزيل الثواب من ربه ، بالعون منه له ، والنصر عليه .

* * *

وينحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

* ذكر من قال ذلك :

١٦٢٦٩ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا محمد بن محبوب قال ، حدثنا

سفيان ، عن ليث ، عن عطاء في قوله : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مثنين » ، قال : كان الواحد لعشرة ، ثم جعل الواحد باثنين ، لا ينبغي له أن يفرّ منهما .^(٣)

١٦٢٧٠ — حدثنا سعيد بن يحيى قال ، حدثنا أبي قال ، حدثنا ابن جريج ،

(١) انظر تفسير « فقه » فيما سلف ١٣ : ٢٧٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الإذن » فيما سلف ١١ : ٢١٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) الأثر : ١٦٢٦٩ — محمد بن محبوب بن إسحق القرشي ، ثقة ، مضى برقم : ٦٣٢٠ .

عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس قال : جعل على المسلمين على الرجل عشر من الكفار ، فقال : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين » ، فخفف ذلك عنهم ، فجعل على الرجل رجلاً . قال ابن عباس : فما أحب أن يعلم الناس تخفيف ذلك عنهم .

١٦٢٧١ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال : قال محمد بن إسحق ، حدثني عبد الله بن أبي نجيح المكي ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن عبد الله ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية ، ثقلت على المسلمين ، وأعظموا أن يقاتل عشرون مئتين ، ومئة ألفاً ، فخفف الله عنهم . فنسخها بالآية الأخرى فقال : « الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين » ، قال : وكانوا إذا كانوا على الشطر من عدوهم لم ينبغ لهم أن يفروا منهم . وإن كانوا دون ذلك ، لم يجب عليهم أن يقاتلوا ، وجاز لهم أن يتحوزوا عنهم .^(١)

١٦٢٧٢ - حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين » ، قال : كان لكل رجل من المسلمين عشرة ، لا ينبغي له أن يفروا منهم . فكانوا كذلك حتى أنزل الله : « الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين » ، فعبأ لكل رجل من المسلمين رجلين من المشركين ، فنسخ الأمر الأول = وقال مرة أخرى في قوله : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين » ، فأمر الله الرجل من المؤمنين أن يقاتل عشرة من الكفار ، فشق ذلك على المؤمنين ، ورحمهم الله ، فقال : « إن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين » ،

(١) الأثر : ١٦٢٧١ - سيرة ابن هشام ٢ : ٣٣١ ، وهو تابع الأثر التالي رقم : ١٦٢٨٥ ، قدم الطبري وآخر في هذا الموضع ، فاختلف ترتيب نقله من تفسير ابن إسحق في سيرته .

فأمر الله الرجلَ من المؤمنين أن يقاتل رجلين من الكفار .

١٦٢٧٣ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « يا أيها النبي حرّض المؤمنين على القتال » ، إلى قوله : « بأنهم قوم لا يفقهون » ، وذلك أنه كان جعل على كل رجل من المسلمين عشرة من العدو يؤشّبهم = يعنى : يغريهم ^(١) = بذلك ، ليوطنوا أنفسهم على الغزو ، وأن الله ناصرهم على العدو ، ولم يكن أمراً عزمه الله عليهم ولا أوجبه ، ولكن كان تحريضاً ووصية أمر الله بها نبيه ، ثم خفف عنهم فقال : « الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً » ، فجعل على كل رجل رجلين بعد ذلك ، تخفيفاً ، ليعلم المؤمنون أن الله بهم رحيم ، فتوكلوا على الله وصبروا وصدقوا . ولو كان عليهم واجباً ، كفّروا إذن كل رجل من المسلمين [نكل] عن لقي من الكفار إذا كانوا أكثر منهم فلم يقاتلوهم . ^(٢) فلا يغرّتك قول رجال ! فإنى قد سمعت رجالاً يقولون : إنه لا يصلح لرجل من المسلمين أن يقاتل حتى يكون على كل رجل رجلان ، وحتى يكون على كل رجلين أربعة ، ثم بحساب ذلك . وزعموا أنهم يعصون الله إن قاتلوا حتى يبلغوا عدة ذلك ، وأنه لا حرج عليهم أن لا يقاتلوا حتى يبلغوا عدة أن يكون على كل رجل رجلان ، وعلى كل رجلين أربعة ، وقد قال الله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [سورة البقرة : ٢٠٧] ، وقال الله : ﴿ فَقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة النساء : ٨٤] ، فهو التحريض الذى أنزل الله

(١) « التأشيب » التحريش بين القوم بالشر ، ومثله « التأشيب » بمعنى الإغراء بالعدو ، انظر السلف في التعليق على رقم : ١٦٠٥٩ ، ج ١٣ : ٥٣١ ، تعليق رقم : ٢ ، وكتب اللغة مقصرة في بيان معنى هذا الحرف من العربية .

(٢) في المطبوعة : « ولو كان عليهم واجباً الغزو إذا بعد كل رجل من المسلمين عن لقي من الكفار » ، جاء بكلام لا معنى له . وكان في المخطوطة : « ولو كان عليهم واجباً كفروا إذا كل رجل من المسلمين عن لقي من الكفار » ، وصواب الجملة ما أثبت ، ولكن الناسخ أسقط ، والله أعلم ، [نكل] أتى وضعها بين المؤمنين . و « نكل عن عدوه » ، نكص .

عليهم في « الأنفال » ، فلا تعجزن^١ ، قاتل^٢ ، قد سقطت بين ظهري أناس كما شاء الله أن يكونوا . (١)

١٦٢٧٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح ، عن الحصين ، عن زيد ، عن عكرمة والحسن قالا : قال في « سورة الأنفال » = « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين وإن يكن منكم مئة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون » ، ثم نسخ فقال : « الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً » ، إلى قوله : « والله مع الصابرين » .

١٦٢٧٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن عكرمة في قوله : « إن يكن منكم عشرون صابرون » ، قال : واحد من المسلمين وعشرة من المشركين . ثم خفف عنهم ، فجعل عليهم أن لا يفر رجل من رجلين .

١٦٢٧٦ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : « إن يكن منكم عشرون صابرون » ، إلى قوله : « وإن يكن منكم مئة » ، قال : هذا لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، جعل على الرجل منهم قتال عشرة من الكفار ، (٢) فضجوا من ذلك ، فجعل على الرجل قتال رجلين ، تخفيفاً من الله .

١٦٢٧٧ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إبراهيم بن يزيد ، عن عمرو بن دينار ، وأبي معبد ، عن ابن عباس قال : إنما أمر الرجل أن يصبر نفسه لعشرة ، والعشرة لمئة ، إذ المسلمون قليل ، فلما كثر

(١) في المطبوعة : « فلا يعجزك قاتل قد سقطت » ، وهو بلا معنى ، صوابه ما في المخطوطة كما أثبتته ، وهو فيها غير منقوط ، وهذا صواب قراءة . وقوله : « فلا تعجزن » ، يعني لا تقعد عن القتال عجزاً ، ولكن قاتل ، فإنك قد وقعت بين عدد من العدو ، كما شاء الله أن يكون عددهم ، قلوا أو كثروا .

(٢) في المطبوعة في الموضعين حذف « قتال » ، لأنها في المخطوطة : « فقال » ، وصواب قراءتها ما أثبت .

المسلمون ، خفف الله عنهم . فأمر الرجل أن يصبر لرجلين ، والعشرة للعشرين ، والمئة للمئتين .

١٦٢٧٨ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين » ، قال : كان فرض عليهم إذا لقي عشرون مئتين أن لا يفروا ، فإنهم إن لم يفروا غلبوا ، ثم خفف الله عنهم وقال : « إن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين » ، فيقول : لا ينبغي أن يفر ألف من ألفين ، فإنهم إن صبروا لهم غلبوهم .

٢٩/١٠

١٦٢٧٩ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين » ، جعل الله على كل رجل رجلين ، بعد ما كان على كل رجل عشرة = وهذا الحديث عن ابن عباس .

١٦٢٨٠ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يزيد بن هرون ، عن جرير بن حازم ، عن الزبير بن الحرث ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : كان فُرض على المؤمنين أن يقاتل الرجل منهم عشرة من المشركين ، قوله : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين وإن يكن منكم مئة يغلبوا ألفاً » ، فشق ذلك عليهم ، فأزل الله التخفيف ، فجعل على الرجل أن يقاتل الرجلين ، قوله : « إن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين » ، فخفف الله عنهم ، ونقصوا من النصر بقدر ذلك .^(١)

١٦٢٨١ - حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين » ، يقول : يقاتلوا مئتين ، فكانوا أضعف من ذلك ، فنسخها الله عنهم ، فخفف

(١) في المطبوعة : « ونقصوا من الصبر » ، زاد « وأو » ، وغير « النصر » ، فأفسد الكلام . غفر الله له .

فقال : « فإن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين » ، فجعل أول مرة الرجل لعشرة ، ثم جعل الرجل لاثنتين .

١٦٢٨٢ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين » ، قال : كان فرض عليهم إذا لقي عشرون مئتين أن لا يفروا ، فإنهم إن لم يفروا غلبوا . ثم خفف الله عنهم فقال : « إن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله » ، فيقول : لا ينبغي أن يفروا ألف من ألفين ، فإنهم إن صبروا لم يغلِبوهم .

١٦٢٨٣ — حدثنا الحسن قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثوري ، عن جوير ، عن الضحاك قال : كان هذا واجباً : أن لا يفروا واحد من عشرة : ١٦٢٨٤ — وبه قال : أخبرنا الثوري ، عن الليث ، عن عطاء ، مثل ذلك .

* * *

وأما قوله : « بأنهم قوم لا يفقهون » ، فقد بيّنا تأويله .^(١)

* * *

وكان ابن إسحق يقول في ذلك ما : —

١٦٢٨٥ — حدثنا به ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « بأنهم قوم لا يفقهون » ، أى : لا يقاتلون على نيّة ولا حق فيه ، ولا معرفة بخير ولا شر .^(٢)

* * *

قال أبو جعفر : وهذه الآية = أعنى قوله : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين » = وإن كان مخرجها مخرج الخبر ، فإن معناها الأمر . يدل على

(١) انظر ما سلف ص : ٥١ .

(٢) الأثر : ١٦٢٨٥ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٣١ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٢٥٧ ، وقد أخره أبو جعفر عن موضعه إلى هذا الموضع ، وقدم عليه الخبر رقم : ١٦٢٧١ ، وهو تال له في تفسير السورة في سيرة ابن هشام .
وكان في المطبوعة . « ولا معرفة بخير » ، وأثبت ما في المخطوطة والسيرة .

ذلك قوله : « الآن خفف الله عنكم » ، فلم يكن التخفيف إلا بعد التثقيل . ولو كان ثبوت العشرة منهم للمثمة من عدوهم كان غير فرض عليهم قبل التخفيف ، وكان ندباً ، لم يكن للتخفيف وجه ، لأن التخفيف إنما هو ترخيص في ترك الواحد من المسلمين الثبوت للعشرة من العدو . وإذا لم يكن التشديد قد كان له متقدماً ، لم يكن للترخيص وجه ، إذ كان المفهوم من الترخيص إنما هو بعد التشديد . وإذا كان ذلك كذلك ، فعلوم أن حكم قوله : « الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً » ، ناسخ لحكم قوله : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين وإن يكن منكم مئة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا » . وقد بينا في كتابنا ﴿ كتاب البيان عن أصول الأحكام ﴾ ، ^(١) أن كل خبر من الله وعد فيه عباده على عمل ثواباً وجزاء ، وعلى تركه عقاباً وعذاباً ، وإن لم يكن خارجاً ظاهره مخرج الأمر ، ففي معنى الأمر = بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

* * *

واختلفت القراءة في قراءة قوله : « وعلم أن فيكم ضعفاً » .
فقرأه بعض المدنيين وبعض البصريين : ﴿ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾ ، بضم « الضاد »
في جميع القرآن ، وتوين « الضعف » ، على المصدر من : « ضَعُفَ الرجلُ ضَعْفًا » .

* * *

وقراه ذلك عامة قراءة الكوفيين : ﴿ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾ ، بفتح « الضاد » ، على المصدر أيضاً من « ضَعُف » .

* * *

وقراه بعض المدنيين : ﴿ ضَعْفَاء ﴾ ، على تقدير « فعلاء » جمع « ضعيف » على ٣٠/١٠ « ضعفاء » ، كما يجمع « الشريك » ، « شركاء » ، و« الرحيم » ، « رُحماء » .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءات في ذلك بالصواب ، قراءة من قرأه : ﴿ وَعَلِمَ

(١) في المطبوعة : « كتاب لطيف البيان » ، وأثبت ما في المخطوطة ، والكتاب هو هو .

أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ، و﴿ ضُعْفًا ﴾ ، بفتح الضاد أو ضمها ، لأنهما القراءتان المعروفتان ، وهما لغتان مشهورتان في كلام العرب فصيحتان بمعنى واحد ، فبأيهما قرأ القارئ فهو مصيب الصواب .

* * *

فأما قراءة من قرأ ذلك : « ضعفاء » ، فإنها عن قراءة القراءة شاذة ، وإن كان لها في الصحة مخرج ، فلا أحب للقارئ القراءة بها .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ ذَاتُ سُرٍّ حَتَّىٰ يُخْبِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٦٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ما كان لنبي أن يحتبس كافرًا قدر عليه وصار في يده من عبدة الأوثان للقداء أو للمن .

* * *

و « الأسر » في كلام العرب : الحبس ، يقال منه : « مأسور » ، يراد به : محبوس . ومسموع منهم : « أبأله الله أسراً » . (١)

* * *

وإنما قال الله جل ثناؤه [ذلك] لنبهه محمد صلى الله عليه وسلم ، يعرفه أن قتل المشركين الذين أسره صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثم فادى بهم ، كان أولى بالصواب من أخذ الفدية منهم وإطلاقهم .

* * *

(١) انظر تفسير « الأسير » فيما سلف ٢ : ٣١١ ، ٣١٢ .

وأما قوله : « أبأله الله أسراً » ، فإن « الأسر » بضم الألف وسكون السين ، وهو احتباس البول ، يقال : « أخذه الأسر » . وهذه الجملة كانت في المخطوطة : « أبي الله أسراً » ، وفي لسان العرب ، كما في المطبوعة « أناله بالنون » ، وفي أساس البلاغة : « أبي أدعيتهم : أبي لك الله أسراً » . والذي في المخطوطة وأساس البلاغة يرجع صواب ما قرأته بالباء .

وقوله : « حتى يثخن في الأرض » ، يقول : حتى يبالغ في قتل المشركين فيها ، ويقهرهم غلبة وقسراً .

* * *

يقال منه : « أثخن فلان في هذا الأمر » ، إذا بالغ فيه . وحكى : « أثخنه معرفة » ، بمعنى : قتله معرفة .

* * *

= « تريدون » ، يقول للمؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تريدون » ، أيها المؤمنون ، « عرض الدنيا » ، بأسركم المشركين = وهو ما عرض للمرء منها من مال ومتاع .^(١) يقول : تريدون بأخذكم الفداء من المشركين متاع الدنيا وطعمها = « والله يريد الآخرة » ، يقول : والله يريد لكم زينة الآخرة وما أعد للمؤمنين وأهل ولايته في جناته ، بقتلكم إياهم ، وإثخانكم في الأرض . يقول لهم : فاطلبوا ما يريد الله لكم وله أعمالوا ،^(٢) لا ما تدعوكم إليه أهواء أنفسكم من الرغبة في الدنيا وأسبابها = « والله عزيز » ، يقول : إن أنتم أردتم الآخرة ، لم يغلبكم عدو لكم ، لأن الله عزيز لا يقهر ولا يغلب = وأنه « حكيم »^(٣) في تديره أمر خلقه .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال هل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٢٨٦ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض » ، وذلك يوم بدر ، والمسلمون يومئذ قليل ، فلما كثروا واشتد سلطانهم ، أنزل الله تبارك وتعالى بعد هذا في الأسارى : ﴿ فَإِمَّا مِّنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءٌ ﴾ ، [سورة محمد : ٤] ، فجعل الله النبي والمؤمنين في أمر الأسارى بالخيار ، إن

(١) انظر تفسير « العرض » فيما سلف ٩ : ١٣/٧١ : ٢١١

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « واطلبوا » ، والسياق للفاء لا الواو .

(٣) انظر تفسير « عزيز » و « حكيم » فيما سلف من فهارس اللغة (عزز) ، (حكم) .

شاؤوا قتلهم ، وإن شاؤوا استعبدوهم ، وإن شاؤوا فادّوهم .

١٦٢٨٧ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة

قوله : « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا » ، الآية ، قال : أراد أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر الفداء ، ففادوهم بأربعة آلاف أربعة آلاف^(١) . ولعمري ما كان أنثخن رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ! وكان أول قتال قاتله المشركين .

١٦٢٨٨ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن فضيل ، عن حبيب بن أبي

عمرة ، عن مجاهد قال : « الإثخان » ، القتل^(٢) .

١٦٢٨٩ - حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا شريك ،

عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير في قوله : « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض » ، قال : إذا أسرتهم فلا تفادوهم حتى تثخنوا فيهم القتل .

١٦٢٩٠ - قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا إسرائيل ، عن

خصيف ، عن مجاهد : « ما كان لنبي أن يكون له أسرى » ، الآية ، نزلت الرخصة بعد ، إن شئت فمن ، وإن شئت ففاد .

١٦٢٩١ - حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ،

حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض » ، يعني الذين أسروا ببدر . ٣١/١٠

١٦٢٩٢ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ما

كان لنبي أن يكون له أسرى » ، من عدوه = « حتى يثخن في الأرض » ، أي :

(١) في المطبوعة حذف « أربعة آلاف » ، الثانية ، كأنها لم تعجبه ، فغفر الله له ! !

(٢) الأثر : ١٦٢٨٨ - « حبيب بن أبي عمرة » ، القصاب ، أو : اللحام ، « أبو عبد الله

الحمام » ، ثقة قليل الحديث سلف برقم : ١٠٢٢٤ .

يثخن عدوه حتى ينفهم من الأرض = « تريدون عرض الدنيا » ، أى : المتاع والفداء بأخذ الرجال = « والله يريد الآخرة » ، بقتلهم ، لظهور الدين الذى يريدون إطفاءه ، الذى به تدرك الآخرة .^(١)

١٦٢٩٣ - حدثني أبو السائب قال ، حدثنا أبو معاوية قال ، حدثنا الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله قال : لما كان يوم بدر وجيء بالأسرى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تقولون فى هؤلاء الأسرى ؟ فقال أبو بكر : يا رسول الله ، قومك وأهلك ، استبقهم واستأنهم ،^(٢) لعل الله أن يتوب عليهم . وقال عمر : يا رسول الله ، كذبوك وأخرجوك ، قدمهم فاضرب أعناقهم ! وقال عبد الله بن رواحة : يا رسول الله ، انظروا ديار كثير الحطب فأدخلهم فيه ، ثم أضرمه عليهم ناراً . قال : فقال له العباس : قُطِعَتْ رَحِمُكَ ! قال : فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبه ، ثم دخل . فقال ناس : يأخذ بقول أبي بكر . وقال ناس : يأخذ بقول عمر . وقال ناس : يأخذ بقول عبد الله بن رواحة . ثم خرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن الله لبلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن ، وإن الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة ! وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم قال : ﴿ مَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ كَافِرٌ بَرَّحِيمٌ ﴾ [سورة إبراهيم : ٣٦] ، ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى قال : ﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ ، الآية [سورة المائدة : ١١٨] .

(١) الأثر : ١٦٢٩٢ - سيرة ابن هشام ٢ : ٣٣٢ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٢٧١ . وفى لفظ سيرة ابن هشام بعض الاختلاف ، وأشك فى قوله هناك : « أى : قتلهم لظهور الدين الذى يريد إظهاره ، والذى تدرك به الآخرة » .

(٢) كان فى المطبوعة : « واستأن بهم » ، وهو نص الخبر فى مسند أحمد وغيره ، من « الأناة » . يقال : « استأنى بالشيء » ، ترفق به ، وأخره وانتظر به ، وتربص به . ونقل صاحب أساس البلاغة : « واستأنيت فلاناً » : لم أعجله ، وأنشد لابن مقبل :

وَقَوْمٌ بِأَيْدِيهِمْ رِمَاحُ رُدَيْنَةٍ شَوَارِعَ تَسْتَأْنِي دِمًا أَوْ تَسْلَفُ

قال : « تنظروه أو تتمجله » .

ورواية « واستأنهم » هذه هى الثابتة فى تاريخ أبي جعفر ، فى رواية هذا الخبر .

ومثلك يا عمر مثل نوح ، قال : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ ، [سورة نوح : ٢٦] ، ومثلك كمثل موسى قال : ^(١) ﴿ رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالَهُمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ [سورة يونس : ٨٨] . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنتم اليوم عالة ، ^(٢) فلا ينفلتن أحدٌ منهم إلا بفداء أو ضرب عتق . قال عبد الله بن مسعود : إلا سهيل بن بيضاء ، فإنني سمعته يذكر الإسلام ! فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما رأيتني في يوم أخوف أن تقع عليَّ الحجارة من السماء ، مني في ذلك اليوم ، حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إلا سهيل بن بيضاء . قال : فأنزل الله : « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض » ، إلى آخر الثلاث الآيات . ^(٣)

(١) في المطبوعة : « ومثلك يا ابن راحة كمثل موسى » ، زاد من عنده ما ليس في المخطوطة ، وهو اجتراف قبيح بلا علم ، فإن الحديث ليس فيه هذه الزيادة ، والقول فيه موجه إلى عمر ، ولم يذكر فيه عن ابن راحة مثل ، كما في جميع المراجع ، بل في بعضها : « وإن مثلك يا عمر كمثل موسى » . فهذه زيادة لا تحل لأحد .
وإنما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب مثل لعبد الله بن راحة ، والله أعلم ، لما في مشورته من النكال الشديد ، فإنه لا يعذب بالنار إلا رب النار سبحانه وتعالى ، وأعاذنا من عذاب جهنم بفضلِهِ ورحمته ومنه على كل عاص من عباده .
(٢) « العالة » ، الفقراء ذوى الناقة ، جمع « عائل » . و « عال الرجل » ، احتاج وانفتقر .
(٣) الأثر : ١٦٢٩٣ - إسناده منقطع ، لأن « أبا عبيدة بن عبد الله بن مسعود » ، لم يسمع من أبيه .

وهذا الخبر رواه أحمد في مسنده من هذه الطريق نفسها رقم : ٣٦٣٢ - ٣٦٣٤ ، ورواه الحاكم في المستدرک ٣ : ٢١ ، ٢٢ ، من طريق جرير بن عبد الحميد ، عن الأعمش ، وقال « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » ، وقال الذهبي : « صحيح » ، سمعه جرير ابن عبد الحميد .

ورواه الطبري في تاريخه ٢ : ٢٩٥ ، بلفظه وإسناده .
ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ٦ : ٨٦ ، ٨٧ ، وفصل الكلام فيه ، وقال : « رواه أحمد . . . »
ورواه الطبراني ، وفيه أبو عبيدة ، ولم يسمع من أبيه . ولكن رجاله ثقات .
ورواه الواحدي في أسباب النزول : ١٧٨ .

وأما قوله « إلا سهيل بن بيضاء » ، فهو خطأ من بعض الرواة ، وإنما هو « سهل بن بيضاء » أخو « سهيل » لأبيه وأمه ، قال ابن سعد : « أسلم بمكة وكتم إسلامه ، فأخرجته قريش معها في نفير بدر ، فشهد بدراً مع المشركين ، فأسر يومئذ . فشهد له عبد الله بن مسعود أنه رآه يصلي بمكة ،

١٦٢٩٤ - حدثنا ابن بشار قال ، [حدثنا عمر بن يونس البجلي] قال ، حدثنا
عكرمة بن عمار قال ، حدثنا أبو زميل قال ، حدثني عبد الله بن عباس قال :
لما أسروا الأسارى ، يعنى يوم بدر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين أبو بكر
وعمر وعلى ؟ قال : ما ترون فى الأسارى ؟ فقال أبو بكر : يا رسول الله ، هم
بنو العم والعشيرة ، وأرى أن تأخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار ، وعسى الله أن
يهديهم للإسلام ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ترى يا ابن الخطاب ؟
فقال : لا والذي لا إله إلا هو ، ما أرى الذى رأى أبو بكر ، يا نبي الله ، ولكن
أرى أن تمكتنا منهم ، فتمكن علينا من عقيل فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من
العباس فيضرب عنقه ، وتمكنى من فلان ، نسيب لعمر ، فأضرب عنقه ، فإن
هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها . فهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر
ولم يهو ما قلت . ^(١) قال عمر : فلما كان من الغد ، جئت إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، فإذا هو وأبو بكر قاعدان يبكيان ، فقلت : يا رسول الله ، أخبرنى
من أى شئ تبكى أنت وصاحبك ، فإن وجدت بكاء بكيت ، وإن لم أجد بكاء
تباكيت ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبكى للذى عرض لأصحابى من
أخذهم الفداء ، ولقد عرض على عذابكم أذى من هذه الشجرة ! لشجرة قرية
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله عز وجل : « ما كان لنبى أن تكون
له أسرى حتى يثخن فى الأرض » ، إلى قوله : « حلالاً طيباً » ، وأحل الله
الغنيمة لهم . ^(٢)

* * *

فخل عنده . والذي روى القصة فى سهيل بن بيضاء قد أخطأ ، سهيل بن بيضاء أسلم قبل عبد الله
ابن مسعود ، ولم يستخف بإسلامه ، وهاجر إلى المدينة ، وشهد بدرًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
مسلمًا ، لاشك فيه . فخلط من روى ذلك الحديث ما بينه وبين أخيه ، لأن سهيلاً أشهر من أخيه
سهل ، والقصة فى سهل ، ابن سعد ١٥٦/١/٤ .

(١) هذا الخبر عن ابن عباس ، عن عمر رضى الله عنه ، كما سترى فى التخريج .

(٢) الأثر : ١٦٢٩٤ - « أبو زميل » ، هو « سماك بن الوليد الحنفى » ، سلف أخيراً

القول في تأويل قوله ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٦٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لأهل بدر الذين غنموا وأخذوا من الأسرى الفداء : «لولا كتاب من الله سبق» ، يقول : لولا قضاء من الله سبق لكم أهل بدر في اللوح المحفوظ ، بأن الله مُحِلٌّ لكم الغنيمة ، وأن الله قضى فيما قضى أنه لا يُضِلُّ قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ، ^(١) وأنه لا يعذب أحداً شهد المشهد الذي شهدتموه ببدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ناصراً دين الله = لنالك من الله ، بأخذكم الغنيمة والفداء ، عذاب عظيم . ^(٢)

* * *

برقم : ١٥٧٣٤ ، ١٦٠٠ ، وسائر رجال الإسناد قد مضوا جميعاً .
وكان في المطبوعة والمخطوطة : «حدثنا ابن بشار قال حدثنا عكرمة بن عمار» ، وهو إسناد مختل ، والظاهر أن الناسخ كتب «ابن بشار» في آخر الصفحة ، كما هو في مخطوطتنا ، ثم لما انتقل إلى أول الصفحة التالية كتب : «حدثنا عكرمة بن عمار» ، فأسقط من الإسناد ما أثبتته بين القوسين ، واستظهرته من رواية صدر هذا الخبر نفسه في الترمذی ، في كتاب التفسير ، حيث رواه مختصراً ، قال : «حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا عمر بن يونس اليماني ، حدثنا عكرمة بن عمار ، حدثنا أبو زميل ، حدثني عبد الله بن عباس ، حدثني عمر بن الخطاب» .

وقد مضى مختصراً كما في الترمذی ، برقم : ١٥٧٣٤ ، وقد بينت تخريج الخبر هناك .
وهذا الخبر مطولاً رواه أحمد في مسنده رقم : ٢٠٨ ، ٢٢١ ، من طريق أبي نوح قزاد ، عن عكرمة بن عمار .

ورواه مسلم في صحيحه مطولاً ١٢ : ٨٤ - ٨٧ ، من طريق هناد بن السرى ، عن ابن المبارك ، عن عكرمة ، ثم من طريق زهير بن حرب ، عن عمر بن يونس الحنفي (اليماني) ، عن عكرمة .
ورواه أبو جعفر في التاريخ ٢ : ٢٩٤ ، مطولاً ، من طريق أحمد بن منصور ، عن عاصم ابن علي ، عن عكرمة .

و«رواه الواحدي في أسباب النزول : ١٧٩ .

وهو حديث صحيح ، لا يعرف إلا من طريق عكرمة بن عمار ، كما سلف .

وخرجه ابن كثير في تفسير ٤٥ : ١٨ ، ١٩ .

(١) انظر تفسير «كتاب» فيما سلف من فهارس اللغة (كتب) .

(٢) انظر تفسير «المس» فيما سلف ١٣ : ٣٣٣ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٢٩٥ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا ابن أبي عدي قال ، حدثنا عوف ، عن الحسن في قوله : « لولا كتاب من الله سبق » الآية ، قال : إن الله كان مُطْعِم هذه الأمة الغنيمة ، وإنهم أخذوا الفداء من أسارى بدر قبل أن يؤمروا به . قال : فعاب الله ذلك عليهم ، ثم أحله الله .

١٦٢٩٦ — حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع قال ، حدثنا بشر بن المفضل عن عوف ، عن الحسن في قول الله : « لولا كتاب من الله سبق » الآية ، وذلك يوم بدر ، وأخذ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم المغانم والأسارى قبل أن يؤمروا به ، وكان الله تبارك وتعالى قد كتب في أم الكتاب : « المغانم والأسارى حلال لمحمد وأمته » ، ولم يكن أحله لأمة قبلهم ، وأخذوا المغانم وأسروا الأسارى قبل أن ينزل إليهم في ذلك ، قال الله : « لولا كتاب من الله سبق » ، يعنى في الكتاب الأول . أن المغانم والأسارى حلال لكم = « لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم » .

١٦٢٩٧ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « لولا كتاب من الله سبق » الآية ، وكانت الغنائم قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم في الأمم ، إذا أصابوا مغنماً جعلوه للقربان ، وحرم الله عليهم أن يأكلوا منه قليلاً أو كثيراً . حُرِّم ذلك على كل نبي وعلى أمته ، فكانوا لا يأكلون منه ، ولا يغفلون منه ، ولا يأخذون منه قليلاً ولا كثيراً إلا عذبهم الله عليه . وكان الله حرمه عليهم تحريماً شديداً ، فلم يحله لنبي إلا لحمد صلى الله عليه وسلم ، وكان قد سبق من الله في قضائه أن المغنم له ولأمته حلال ، فذلك قوله يوم بدر ، في أخذ الفداء من الأسارى : « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم » .

١٦٢٩٨ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن عروة ، عن

الحسن : « لولا كتاب من الله سبق » ، قال : إن الله كان مُعْطِي هذه الأمة الغنيمة ، وفعلوا الذي فعلوا قبل أن تُحَلَّ الغنيمة .

١٦٢٩٩ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر قال ، قال الأعمش في قوله : « لولا كتاب من الله سبق » ، قال : سبق من الله أن أحل لهم الغنيمة .

١٦٣٠٠ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن بشير بن ميمون قال : سمعت سعيداً يحدث ، عن أبي هريرة ، قال : قرأ هذه الآية : « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم » ، قال : يعنى : لولا أنه سبق في علمي أني سأحلُّ الغنائم ، لمسكم فيما أخذتم من الأسارى عذاب عظيم .^(١)

١٦٣٠١ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا جابر بن نوح ، وأبو معاوية بنحوه ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أحلت الغنائم لأحدٍ سُدِّ الرؤوس من قبلكم ، كانت تنزل نارٌ من السماء وتأكلها ، حتى كان يوم بدر ، فوقع الناس في الغنائم ، فأنزل الله : « لولا كتاب من الله سبق لمسكم » ، حتى بلغ ، « حلالاً طيباً » .

١٦٣٠٢ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه = قال : فلما كان يوم بدر أسرع الناس في الغنائم .^(٢)

(١) الأثر : ١٦٣٠٠ - « بشير بن ميمون الخراساني الواسطي » ، أبو صيفي ، ضعيف ، منكر الحديث ، متهم بالوضع . وقال أبو حاتم : « ضعيف الحديث ، وعامة روايته مناكير » . وأجمعوا على طرح حديثه ، مترجم في التهذيب ، والكبير ١٠٥/٢/١ ، وابن أبي حاتم ٢٧٩/١/١ ، وميزان الاعتدال ١ : ١٥٣ ، ١٥٤ .

و « سعيد » هو « سعيد المقبري » .

(٢) الأثران : ١٦٣٠١ ، ١٦٣٠٢ - حديث صحيح الإسناد ، إلا ما كان من أمر جابر بن نوح الحماني ، ليس حديثه بشيء ، ضعيف ، قال يحيى بن معين : « جابر بن نوح ،

١٦٣٠٣ - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن فضيل ، عن أشعث بن ٣٣/١٠ سوار ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة ، قال : أسر المسلمون من المشركين سبعين وقتلوا سبعين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اختاروا أن تأخذوا منهم الفداء فتقوؤا به على عدوكم ، وإن قبلتموه قتل منكم سبعون = أو تقتلوه ! فقالوا : بل نأخذ الفدية منهم ، وقتل منهم سبعون ، قال عبيدة ، وطلبوا الخيرتين كليهما . (١)

١٦٣٠٤ - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن فضيل ، عن أشعث ، عن عبيدة قال : كان فداء أسارى بدر مئة أوقية ، و « الأوقية » أربعون درهماً ، ومن الدنانير ستة دنانير . (٢)

١٦٣٠٥ - حدثنا أبو كريب ويعقوب بن إبراهيم قالوا ، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا ابن عون ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة : أنه قال في أسارى بدر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن شتم قتلتموه ، وإن شتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدئهم ! فقالوا : بلى ، (٣) نأخذ الفداء فنستمتع به ، ويستشهد منا بعدئهم .

إمام مسجد بنى حان ، ولم يكن بثقة ، كان ضعيفاً . مترجم في التهذيب ، والكبير ٢١٠/٢/١ ، وابن أبي حاتم ٥٠٠/١/١ ، وميزان الاعتدال ١ : ١٧٦ ، وأبو كريب رواه عن جابر ، وعن أبي معاوية ، فحديث أبي معاوية هو الصحيح .

وهذا الخبر رواه الترمذى في كتاب التفسير من طريق عبد بن حميد ، عن معاوية بن عمرو ، عن زائدة ، عن الأعشى ، وقال : « هذا حديث حسن صحيح » .
ورواه البيهقى في السنن ٦ : ٢٩٠ من طريق محاضر ، عن الأعشى ، ومن طريق أبي معاوية ، عن الأعشى .

وخرجه السيوطى في الدر المنثور ٣ : ٢٠٣ ، وزاد نسبته إلى النسائى ، وابن أبي شيبة في المصنف ، وابن أبي حاتم ، وأبى الشيخ ، وابن مردويه .
(١) « الخيرة » (بكسر الخاء وسكون الياء ، أو فتح الياء) ، هو ما يختار ويصطفى من الخير .

(٢) انظر تقدير « الأوقية » فيما سلف في الأثر رقم : ١٦٠٥٨ .

(٣) انظر مجمىء « بلى » في غير جحد ، فيما سلف في الأثر رقم : ٧٨١ ج ١ : ٥٥٤ / ثم

٢ : ٢٨٠ ، ١٠/٥١٠ : ٩٨ ، تعليق : ٤ / ثم ١٠ : ٢٥٣ ، تعليق : ٣ / ثم ١٢ : ١٧٤ ، تعليق : ٣ .

١٦٣٠٦ - حدثني أحمد بن محمد الطوسي قال ، حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال ، حدثنا همام بن يحيى قال ، حدثنا عطاء بن السائب ، عن أبي وائل ، عن عبد الله بن مسعود قال : أمر عمر رحمه الله بقتل الأسارى ، فأنزل الله : « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم » .^(١)

١٦٣٠٧ - حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاک يقول في قوله : « لولا كتاب من الله سبق » ، قال : : كان المغنم محرماً على كل نبي وأمته ، وكانوا إذا غنموا يجعلون المغنم لله قرباناً تأكله النار . وكان سبق في قضاء الله وعلمه أن يحل المغنم لهذه الأمة ، يأكلونه في بطونهم .

١٦٣٠٨ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن عطاء في قول الله : « لولا كتاب من الله سبق لمسكم » ، قال : كان في علم الله أن تحل لهم الغنائم ، فقال : « لولا كتاب من الله سبق » ، بأنه أحل لكم الغنائم = « لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم » .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : لولا كتاب من الله سبق لأهل بدر ، أن لا يعذبهم ، لمسهم عذاب عظيم .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٣٠٩ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أحمد الزبيرى ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد : « لولا كتاب من الله سبق » ، قال : لأهل بدر ، من السعادة .

١٦٣١٠ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن

(١) الأثر : ١٦٣٠٦ - « همام بن يحيى بن دينار الأزدي » ، ثقة ، مضى برقم :

١٠١٩٠ ، ١١٧٢٥ .

وهذا خبر صحيح إسناده .

أبي نجيح ، عن مجاهد : « لولا كتاب من الله سبق » ، لأهل بدر ، مشهدهم .
 ١٦٣١١ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن
 معمر ، عن الحسن : « لولا كتاب من الله سبق » ، قال : سبق من الله خير
 لأهل بدر .

١٦٣١٢ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة
 قوله : « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم » ، كان سبق
 لهم من الله خير ، وأحلّ لهم الغنائم .

١٦٣١٣ - حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا عبد الوارث
 ابن سعيد ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن : « لولا كتاب من الله سبق » ،
 قال : « سبق » ، أن لا يعذب أحداً من أهل بدر .

١٦٣١٤ - حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا
 عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « لولا كتاب من الله سبق » ، لأهل
 بدر ، ومشهدهم إياه .

١٦٣١٥ - حدثني يونس قال ، أخبرني ابن وهب قال ، قال ابن زيد في
 قوله : « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم » ، لمسكم فيما
 أخذتم من الغنائم يوم بدر قبل أن أحلها لكم . فقال : سبق من الله العفو عنهم
 والرحمة لهم ، سبق أنه لا يعذب المؤمنين ، لأنه لا يعذب رسوله ومن آمن به
 وهاجر معه ونصره .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : « لولا كتاب من الله سبق » ، أن لا يؤخذ
 أحداً بفعل أتاه على جهالة = « لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم » .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٣١٦ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن

ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « لولا كتاب من الله سبق » ، لأهل بدر ،
 ٣٤/١٠ ومشهدهم إياه ، قال : كتاب سبق لقوله : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ
 هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ ﴾ [سورة التوبة : ١١٥] ، سبق ذلك ، وسبق أن لا يؤخذ
 قوماً فعلوا شيئاً بجهالة = « لمسكم فيما أخذتم » ، قال ابن جريج ، قال ابن عباس :
 « فيما أخذتم » ، مما أسرتم . ثم قال بعد : « فكلوا مما غنمتم » .

١٦٣١٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : عاتيه
 في الأسارى وأخذ الغنائم ، ولم يكن أحد قبله من الأنبياء يأكل مغنماً من عدو له . (١)
 ١٦٣١٨ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد قال ، حدثني
 أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم : نصيرت بالربح ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ،
 وأعطيت جوامع الكلم ، وأحلت لي المغانم ، ولم تحل لنبي^٢ كان قبلي ، وأعطيت
 الشفاعة ، خمس^٣ لم يؤتتهن نبي^٢ كان قبلي = قال محمد (٢) : « ما كان لنبي » ،
 أى : قبلك = « أن يكون له أسرى » إلى قوله : « لولا كتاب من الله سبق لمسكم
 فيما أخذتم » ، أى : من الأسارى والمغانم = « عذاب عظيم » ، أى : لولا أنه
 سبق منى أن لا أعذب إلا بعد النهي ، ولم أكن نهيتكم ، لعذبتكم فيما صنعت . ثم
 أحلها له ولهم رحمة^٤ ونعمة^٥ وعائدة^٦ من الرحمن الرحيم . (٣)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، ما قد بيناه قبل . وذلك
 أن قوله : « لولا كتاب من الله سبق » ، خبر عام^٧ غير محصور على معنى دون

(١) الأثر : ١٦٣١٧ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٣١ ، وهو سابق الأثر السالف رقم :

١٦٢٩٢ في ترتيب السيرة .

(٢) قوله : « محمد » ، يعنى محمد بن إسحق ، لا « محمد بن علي » .

(٣) الأثر : ١٦٣١٨ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٣٢ ، صدره تابع الأثر السالف

رقم : ١٦٣١٧ ، وسابق للأثر رقم : ١٦٢٩٢ ، ثم روى صدرأ من الأثر رقم : ١٦٢٩٢ ،
 وأتبعه بما يليه في السيرة .

معنى ، وكل هذه المعاني التي ذكرتها عن ذكرت ، مما قد سبق في كتاب الله أنه لا يؤخذ بشيء منها هذه الأمة ، وذلك : ما عملوا من عمل بجهالة ، وإحلال الغنيمة ، والمغفرة لأهل بدر ، وكل ذلك مما كتب لهم . وإذا كان ذلك كذلك ، فلا وجه لأن يخص من ذلك معنى دون معنى ، وقد عم الله الخبر بكل ذلك ، بغير دلالة توجب صحة القول بخصوصه .

١٦٣١٩ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : لم يكن من المؤمنين أحد ممن نُصِرَ إلا أحبَّ الغنائم ، إلا عمر بن الخطاب ، جعل لا يلقى أسيراً إلا ضرب عنقه ، وقال : يا رسول الله ، ما لنا وللغنائم ، نحن قوم نجاهد في دين الله حتى يُعبد الله ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو عذبنا في هذا الأمر يا عمر ما نجا غيرك ! قال الله : لا تعودوا تستحلون قبل أن أحلّ لكم .

١٦٣٢٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، قال ابن إسحق : لما نزلت : « لولا كتاب من الله سبق » ، الآية ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو نزل عذاب من السماء لم ينج منه إلا سعد بن معاذ ، لقوله : يا نبي الله ، كان الإثخان في القتل أحبّ إلى من استبقاء الرجال .^(١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٦٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين من أهل بدر : « فكلوا » ، أيها المؤمنون = « مما غنمتم » ، من أموال المشركين = « حلالاً » ، بإحلاله لكم = « طيباً واتقوا الله » ، يقول : وخافوا الله أن تعودوا ، أن تفعلوا في دينكم شيئاً بعد هذه

(١) الأثر : ١٦٣٢٠ — لم أجد هذا الخبر في سيرة ابن هشام ، فيما أقدر .

من قبل أن يُعْهَدَ فيه إليكم ، كما فعلتم في أخذ الفداء وأكل الغنيمة ، وأخذتموها من قبل أن يحلَّ لكم = « إن الله غفور رحيم » .^(١)

* * *

وهذا من المؤخر الذى معناه التقديم ، وتأويل الكلام : « فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً » ، « إن الله غفور رحيم » ، « واتقوا الله » .

* * *

ويعنى بقوله : « إن الله غفور » ، لذنوب أهل الإيمان من عباده = « رحيم » ، بهم ، أن يعاقبهم بعد توبتهم منها .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَن فِي أَيْدِيكَ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : يا أيها النبى ، قل لمن فى يديك وفى أصحابك من أسرى المشركين الذين أخذ منهم من الفداء ما أخذ : « إن يعلم الله فى قلوبكم خيراً » ، يقول : إن يعلم الله فى قلوبكم إسلاماً = « يؤتكم خيراً مما أخذ منكم » ، من الفداء = « ويغفر لكم » ، يقول : ويصفح لكم عن عقوبة جرؤكم الذى اجترتموه بقتالكم نبى الله وأصحابه وكفركم بالله = « والله غفور » ، لذنوب عباده إذا تابوا = « رحيم » ، بهم ، أن يعاقبهم عليها بعد التوبة .^(٢)

* * *

(١) انظر تفسير ألفاظ الآية فيما سلف من فهارس اللغة .
(٢) انظر تفسير ألفاظ هذه الآية فيما سلف من فهارس اللغة .

وذكر أن العباس بن عبد المطلب كان يقول : في نزلت هذه الآية .
* ذكر من قال ذلك .

١٦٣٢١ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن إدريس ، عن ابن إسحاق ،
عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : قال العباس : في نزلت :
« ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض » ، فأخبرت النبي صلى
الله عليه وسلم بإسلامي . وسألته أن يحاسبني بالعشرين الأوقية التي أخذ مني ،
فأبى ، فأبدلني الله بها عشرين عبداً ، كلهم تاجر ، ما لي في يديه .^(١)

* * *

وقد : -

١٦٣٢٢ - حدثنا بهذا الحديث ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، قال
محمد ، حدثني الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، عن جابر بن عبد الله
ابن رثاب قال : كان العباس بن عبد المطلب يقول : في والله نزلت ، حين ذكرت
لرسول الله صلى الله عليه وسلم إسلامي = ثم ذكر نحو حديث ابن وكيع .^(٢)

١٦٣٢٣ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة
قوله : « قل لمن في أيديكم من الأسرى » الآية ، قال : ذكر لنا أن نبي الله صلى
الله عليه وسلم لما قدم عليه مالُ البحرين ثمانون ألفاً ، وقد توضعاً لصلاة الظهر ،

(١) الأثر : ١٦٣٢١ - في المطبوعة : « أبي إسحاق » ، والصواب من المخطوطة ، وانظر
التعليق التالي .

(٢) الأثر : ١٦٣٢٢ - هذا الخبر والذي قبله ، ذكرهما الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ٨ ،
مطولا ، وقال : « رواه الطبراني في الأوسط والكبير باختصار ، رجال الأوسط رجال الصحيح ،
غير ابن إسحاق ، وقد صرح بالسماع » .

وظاهر أنه يعني إسناداً غير هذين الإسنادين ، فإن الأول لم يصرح فيه بالسماع ، والثاني
فيه « الكلبي » .

وذكره الواحدي في أسباب النزول ، عن الكلبي ، مطولا : ١٨٠ ، ١٨١ .

وكان في المطبوعة والمخطوطة : « جابر بن عبد الله بن رباب » ، وهو خطأ ، صوابه ما أثبت .

فأعطى يومئذ شاكيًا ولا حرم سائلًا ، وما صلى يومئذ حتى فرقه ، وأمر العباس أن يأخذ منه ويحتثي ، فأخذ . قال : وكان العباس يقول : هذا خير مما أخذ منا ، وأرجو المغفرة .

١٦٣٢٤ - حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى » الآية ، وكان العباس أسير يوم بدر ، فافتدى نفسه بأربعين أوقية من ذهب ، فقال العباس حين نزلت هذه الآية : لقد أعطاني الله خصلتين ، ما أحب أن لي بهما الدنيا : أني أسرت يوم بدر ففديت نفسي بأربعين أوقية ، فأتاني أربعين عبدًا ، وأنا أرجو المغفرة التي وعدنا الله .

١٦٣٢٥ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى » ، إلى قوله : « والله غفور رحيم » ، يعني بذلك : من أسير يوم بدر . يقول : إن عملتم بطاعتي ونصحتم لرسولي ، آتيتكم خيرًا مما أخذ منكم ، وغفرت لكم .

١٦٣٢٦ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس : « يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى » ، عباس وأصحابه ، قال : قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : آمنا بما جئت به ، ونشهد إنك لرسول الله ، لننصحن لك على قومنا . فتزل : « إن يعلم الله في قلوبكم خيرًا ويؤتكم خيرًا مما أخذ منكم » ، إيمانًا وتصديقًا ، يخلف لكم خيرًا مما أصيب منكم = « ويغفر لكم » ، الشرك الذي كنتم عليه . قال : فكان العباس يقول : ما أحب أن هذه الآية لم تنزل فينا ، وأن لي الدنيا ، لقد قال : « يؤتكم خيرًا مما أخذ منكم » ، فقد أعطاني خيرًا مما أخذ مني مئة ضعف ، وقال : « يغفر لكم » ، وأرجو أن يكون قد غُفِر لي .

١٦٣٢٧ - حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاک يقول في قوله : « يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى » الآية ، يعني العباس وأصحابه ، أسروا يوم بدر . يقول الله : إن عملتم بطاعتي ونصحتكم لى ولرسولى ، أعطيتكم خيراً مما أخذ منكم وغفرت لكم . وكان العباس بن عبد المطلب يقول : لقد أعطانا الله خصلتين ، ما شئ هو أفضل منهما : عشرين عبداً . وأما الثانية ، فنحن في موعود الصادق ننتظر المغفرة من الله سبحانه .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٧١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه : وإن يرد هؤلاء الأسارى الذين في أيديكم = « خيانتك » ، أى الغدر بك والمكر والخداع ، بإظهارهم لك بالقول خلاف ما في نفوسهم ^(١) = « فقد خانوا الله من قبل » ، يقول : فقد خالفوا أمر الله من قبل وقعة بدر ، وأمكن منهم ببدر المؤمنين ^(٢) = « والله عليم » ، بما يقولون بألسنتهم ويضمرونه في نفوسهم = « حكيم » ، في تدبيرهم وتدبير أمور خلقه سواهم . ^(٣)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٣٢٨ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن

(١) انظر تفسير « الخيانة » فيما سلف ص : ٢٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « أمكن » فيما سلف ١١ : ٢٦٣ / ١٢ : ٣١٥

(٣) انظر تفسير « عليم » و « حكيم » فيما سلف من فهارس اللغة (علم) ، (حكم) .

ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس : « وإن يريدوا خيانتك » ،
يعنى العباس وأصحابه في قولهم : « آمنا بما جئت به » ، ونشهد إنك رسول الله ،
لننصحن لك على قومنا » ، يقول : إن كان قولهم خيانة = « فقد خانوا الله من قبل
فأمكن منهم » ، يقول : قد كفروا وقاتلوك ، فأمكنك الله منهم .

١٦٣٢٩ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة
قوله : « وإن يريدوا خيانتك » الآية ، قال : ذكر لنا أن رجلاً كتب لنبى الله
صلى الله عليه وسلم ، م عمداً ففاق ، فلحق بالمشركين بمكة ، ثم قال : « ما كان
محمد يكتب إلا ما شئت ! » ، فلما سمع ذلك رجل من الأنصار ، نذر لئن أمكنه
الله منه ليضربنه بالسيف . فلما كان يوم الفتح ، أمّن رسول الله صلى الله عليه
وسلم الناس إلا عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، ومقيس بن صُبابَة ، ^(١) وابن
خطل ، وامرأة كانت تدعو على النبي صلى الله عليه وسلم كل صباح . فجاء عثمان
بأبن أبي سرح ، وكان رضيعة = أو : أخاه من الرضاعة = فقال : يا رسول الله ،
هذا فلان أقبل تائباً نادماً ! فأعرض نبي الله صلى الله عليه وسلم . فلما سمع به
الأنصارى أقبل متقلداً سيفه ، فأطاف به ، ^(٢) وجعل ينظر إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم رجاء أن يومئ إليه . ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدّم يده فبايعه ،
فقال : أما والله لقد تلوّمتك فيه لتوفى نذكرك ! ^(٣) فقال : يا نبي الله ، إني هيبستك ،
فالولا أو مضت إلي ! ^(٤) فقال : إنه لا ينبغي لنبي أن يومض . ^(٥)

١٦٣٣٠ - حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ،

(١) في المطبوعة : « بن صُبابَة » ، وهو خطأ محض .

(٢) يقال : « طاف بالقوم ، وأطاف بهم » ، إذا استدار ، وجاء من نواحيهم وهو يحوم حولهم ..

(٣) « تلوم في الأمر » و « تلوم به » ، انتظر وتلبث وتأنى ، وتعديّة مثل هذا الفعل من صريح العربية .

(٤) « أو مض إليه » ، أشار إشارة خفية ، من « إيماض البرق » ، إذا لمع لمعاً خفياً ، ثم يخفى .

(٥) الأثر : ١٦٣٢٩ - انظر مستند أحمد ٣ : ١٥١ ، حديث أنس ، بغير هذا اللفظ .

حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم » ، يقول : قد كفروا بالله ونقضوا عهده ، فأمكن منهم ببدر .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ إِنَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إن الذين صدقوا الله ورسوله = « وهاجروا » ، يعنى هجروا قومهم وعشيرتهم ودورهم ، يعنى تركوهم وخرجوا عنهم ، وهجرهم قومهم وعشيرتهم^(١) = « وجاهدوا فى سبيل الله » ، يقول : بالغوا فى إعتاب نفوسهم وإنصابتها فى حرب أعداء الله من الكفار^(٢) = « فى سبيل الله » ، يقول : فى دين الله الذى جعله طريقاً إلى رحمته والنجاة من عذابه^(٣) = « والذين آووا ونصروا » ، يقول : والذين آووا رسول الله والمهاجرين معه ، يعنى : أنهم جعلوا لهم مأوى يأوون إليه ، وهو المشوى والمسكن ، يقول : أسكنوهم ، وجعلوا لهم من منازلهم مساكن - إذ أخرجهم قومهم من منازلهم^(٤) = « ونصروا » ، يقول : ونصروهم على أعدائهم ، وأعداء الله من المشركين = « أولئك بعضهم أولياء بعض » ، يقول : هاتان الفرقتان ، يعنى المهاجرين والأنصار ، بعضهم أنصار بعض ، وأعوان على من سواهم من

(١) انظر تفسير « المهاجرة » فيما سلف ٤ : ٣١٧ ، ٧/٣١٨ : ٩/٤٩٠ : ١٠٠ ،

(٢) انظر تفسير « المجاهدة » فيما سلف ٤ : ١٠/٣١٨ : ٢٩٢ ، ٤٢٣ .

(٣) انظر تفسير « سبيل الله » فيما سلف من فهارس اللغة (سبل) .

(٤) انظر تفسير « آوى » ، و « المأوى » فيما سلف ١٣ : ٤٧٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

المشركين ، وأيديهم واحدة على من كفر بالله ، وبعضهم إخوان لبعض دون أقربائهم الكفار . (١)

* * *

وقد قيل : إنما عني بذلك أن بعضهم أولى بميراث بعض ، وأن الله ورث بعضهم من بعض بالهجرة والنصرة ، دون القرابة والأرحام ، وأن الله نسخ ذلك بعد بقله : ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ ، [سورة الأنفال : ٧٥ / وسورة الأحزاب : ٦] .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٣٣١ - حدثني المنفي قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض » ، يعني : في الميراث ، جعل الميراث للمهاجرين والأنصار دون ذوى الأرحام ، قال الله : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ﴾ ، يقول : ما لكم من ميراثهم من شيء . وكانوا يعملون بذلك حتى أنزل الله هذه الآية : ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ [سورة الأنفال ٧٥ / سورة الأحزاب : ٦] ، في الميراث ، فنسخت التي قبلها ، وصار الميراث لذوى الأرحام .

١٦٣٣٢ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله » ، يقول : لا هجرة بعد الفتح ، إنما هو الشهادة بعد ذلك = « والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض » ، إلى قوله : « حتى يهاجروا » . وذلك أن المؤمنين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثلاث منازل : منهم المؤمن المهاجر المبين لقومه في الهجرة ، خرج إلى

(١) انظر تفسير « البوكي » فيما سلف من فهارس اللغة (وك)

قوم مؤمنين في ديارهم وعقارهم وأموالهم = « وآووا ونصروا » ، ^(١) وأعلنوا ما أعلن أهل الهجرة ، وشهروا السيوف على من كذَّبَ ووجد ، فهذان مؤمنان ، جعل الله بعضهم أولياء بعض ، فكانوا يتوارثون بينهم ، إذا توفي المؤمن المهاجر ورثه الأنصارى بالولاية في الدين . وكان الذي آمن ولم يهاجر لا يرث من أجل أنه لم يهاجر ولم ينصر ، فبرأ الله المؤمنين المهاجرين من ميراثهم ، وهى الولاية التى قال الله : « ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا » . وكان حقاً على المؤمنين الذين آووا ونصروا إذا استنصروهم في الدين أن ينصروهم إن قاتلوا ، إلا أن يستنصروا على قوم بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم ميثاق ، فلا نصر لهم عليهم ، إلا على العدو الذين لا ميثاق لهم . ثم أنزل الله بعد ذلك أن ألحق كل ذى رحم برحمه من المؤمنين الذين هاجروا والذين آمنوا ولم يهاجروا . فجعل لكل إنسان من المؤمنين نصيباً مفروضاً بقوله : ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [سورة الأنفال : ٧٥] ، وبقوله : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ [سورة التوبة : ٧١] .

١٦٣٣٣ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : الثلاث الآيات خواتيم الأنفال ، فيهن ذكر ما كان من ولاية رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مهاجرى المسلمين وبين الأنصار في الميراث ، ثم نسخ ذلك آخرها : ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

١٦٣٣٤ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير قوله : « إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا » ، إلى قوله : « بما تعملون بصير » ، قال : بلغنا أنها كانت في الميراث ، لا يتوارث المؤمنون الذين هاجروا ، والمؤمنون الذين لم يهاجروا . قال : ثم نزل بعد : ﴿ وَأُولُوا

(١) في المطبوعة : « وقوله : آووا ونصروا » ، زاد ما ليس في المطبوعة .

الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١﴾ فتوارثوا ولم يهاجروا = قال ابن جريج ، قال مجاهد : خواتيم « الأنفال » الثلاث الآيات ، فبين ذكر ما كان والى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين المسلمين وبين الأنصار في الميراث ، ثم نسخ ذلك آخرها : ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ .

١٦٣٣٥ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة :

« والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا » إلى قوله : « ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا » ، قال : لبث المسلمون زماناً يتوارثون بالهجرة ، والأعرابي المسلم لا يرث من المهاجر شيئاً ، فنسخ ذلك بعد ذلك ، فألحق الله ^(١) : ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أُولِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا ﴾ ، [سورة الأحزاب : ٦] ، أى : من أهل الشرك ، فأجيزت الوصية ^(٢) ، ولا ميراث لهم ، وصارت الموارث بالملل ، والمسلمون يرث بعضهم بعضاً من المهاجرين والمؤمنين ، ولا يرث أهل ملتين . ٣٨/١٠

١٦٣٣٦ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح ، عن الحسن ،

عن يزيد ، عن عكرمة والحسن قالا : « إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله » إلى قوله : « ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا » ، كان الأعرابي لا يرث المهاجر ، ولا يرثه المهاجر ، فنسخها فقال : ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

١٦٣٣٧ - حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن الفضل قال ،

(١) في المطبوعة : « قول الله » ، مكان « فألحق الله » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو الصواب .

(٢) في المخطوطة : « حثرت الوصية » ، هكذا غير منقوط ، وكان الصواب ما في المطبوعة . ولم قرئت : « خيرت الوصية » (بالبناء للمجهول) ، لكان وجهاً .

حدثنا أسباط ، عن السدى : « إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض » ، في الميراث = « والذين آمنوا ولم يهاجروا » ، وهؤلاء الأعراب = « ما لكم من ولايتهم من شيء » ، في الميراث = « وإن استنصروكم في الدين » يقول : بأنهم مسلمون = « فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والذين كفروا بعضهم أولياء بعض » ، في الميراث = « والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم » ، ثم نسخها الفرائض والموارث ، = « وأولوا الأرحام » ، الذين توارثوا على الهجرة = « بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » ، فتوارث الأعراب والمهاجرون .^(١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِّنْ وَلِيَّتِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٧٢)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله تعالى ذكره : « والذين آمنوا » ، الذين صدقوا بالله ورسوله = « ولم يهاجروا » ، قومهم الكفار ، ولم يفارقوا دار الكفر إلى دار الإسلام = « ما لكم » ، أيها المؤمنون بالله ورسوله ، المهاجرون قومهم المشركين وأرض الحرب^(٢) = « من ولايتهم » ، يعنى : من نصرتهم وميراثهم .

* * *

(١) كانت هذه الجملة في المطبوعة : « ... فأولئك منكم » ، الذين توارثوا على الهجرة في كتاب الله ، ثم نسخها الفرائض والموارث ، فتوارث الأعراب والمهاجرون » ، قدم وأخر فيما كان في المخطوطة ، وهو : « ... فأولئك منكم » ، ثم نسخها الفرائض والموارث ، الذى توارثوا على الهجرة في كتاب الله ، فتوارث الأعراب والمهاجرون » ، واستظهرت الصواب كما كتبه .

(٢) انظر تفسير « الهجرة » فيما سلف ص : ٧٧ ، تعليق : ١ ، والمرجع هناك .

وقد ذكرت قول بعض من قال : « معنى الولاية ، ههنا الميراث » ، وسأذكر إن شاء الله من حضرني ذكره بعدُ .

* * *

= « من شيء حتى يهاجروا » ، قومهم ودورهم ، من دار الحرب إلى دار الإسلام = « وإن استنصروكم في الدين » ، يقول : إن استنصركم هؤلاء الذين آمنوا ولم يهاجروا = « في الدين » ، يعنى : بأنهم من أهل دينكم على أعدائكم وأعدائهم من المشركين = « فعليكم » ، أيها المؤمنون من المهاجرين والأنصار ، « النصر » = « إلا » أن يستنصروكم = « على قوم بينكم وبينهم ميثاق » ، يعنى : عهد قد وثق به بعضكم على بعض أن لا يحاربه ^(١) = « والله بما تعملون بصير » ، يقول : والله بما تعملون فيما أمركم ونهاكم من ولاية بعضكم بعضاً ، أيها المهاجرون والأنصار ، وترك ولاية من آمن ولم يهاجر ونصرتكم لإيائهم عند استنصاركم في الدين ، وغير ذلك من فرائض الله التي فرضها عليكم = « بصير » ، يراه ويبيصره ، فلا يخفى عليه من ذلك ولا من غيره شيء . ^(٢)

١٦٣٣٨ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا » ، قال : كان المسلمون يتوارثون بالهجرة ، وأخى النبي صلى الله عليه وسلم بينهم ، فكانوا يتوارثون بالإسلام والهجرة . وكان الرجل يسلم ولا يهاجر ، لا يرث أخاه . فنسخ ذلك قوله : ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ ﴾ [سورة الأحزاب : ٦] .

١٦٣٣٩ — حدثنا محمد قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري : أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ على رجل دخل في الإسلام فقال :

(١) انظر تفسير « الميثاق » فيما ملف ١٣ : ٢١٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « بصير » فيما سلف من فهارس اللغة (بصر) .

تقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتحج البيت ، وتصوم رمضان ، وأنت لا ترى نار مشرك إلا وأنت حرب .^(١)

١٦٣٤٠ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « وإن استنصروكم في الدين » ، يعني : إن استنصركم الأعراب المسلمون ، أيها المهاجرون والأنصار ، على عدوهم ، فعليكم أن تنصروهم ، إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق .

١٦٣٤١ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : ترك النبي صلى الله عليه وسلم الناس يوم توفى على أربع منازل : مؤمن مهاجر ، والأنصار ، وأعرابي مؤمن لم يهاجر ، إن استنصره النبي صلى الله عليه وسلم نصره ، وإن تركه فهو إذئته ،^(٢) وإن استنصر النبي صلى الله عليه وسلم في الدين كان حقاً عليه أن ينصره ، فذلك قوله : « وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر » = والرابعة : التابعون بإحسان .

١٦٣٤٢ - حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « إن الذين آمنوا وهاجروا » ، إلى آخر السورة ، قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى وترك الناس على أربع منازل^(٣) : مؤمن مهاجر ، ومسلم أعرابي ، والذين آووا ونصروا ، والتابعون بإحسان .

* * *

(١) يعني بذلك : أن يبعد منزله عن منزل المشرك ، حتى لا يرى ناره ، نهى منه صلى الله عليه وسلم عن جوار المشرك .

(٢) في المطبوعة : « فهو إذن له » ، ثبت ما في المخطوطة .

(٣) في المطبوعة : « قال رسول الله » ، وذلك أن كاتب المخطوطة وصل لام « قال » بألف « إن » ، ووصل ألف « إن » بنونها .

القول في تأويل قوله ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ أُولَئِكَ بِمَعْزِرٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ (٧٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « والذين كفروا » ، بالله ورسوله = « بعضهم أولياء بعض » ، يقول : بعضهم أعوان بعض وأنصاره ، وأحق به من المؤمنين بالله ورسوله . (١)

* * *

وقد ذكرنا قول من قال : « عني بذلك أن بعضهم أحق بميراث بعض من قرباتهم من المؤمنين » ، (٢) وسند ذكر بقية من حضرنا ذكره .

١٦٣٤٣ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن السدي ، عن أبي مالك قال : قال رجل : نورث أرحامنا من المشركين ! فنزلت : « والذين كفروا بعضهم أولياء بعض » ، الآية .

١٦٣٤٤ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » ، نزلت في مواريث مشركي أهل العهد .

١٦٣٤٥ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا » ، إلى قوله : « وفساد كبير » ، قال : كان المؤمن المهاجر والمؤمن الذي ليس بمهاجر ، لا يترارثان وإن كانا أخوين مؤمنين . قال : وذلك لأن هذا الدين كان بهذا البلد

(١) انظر تفسير « ول » فيما سلف من فهارس اللغة (ول) .

(٢) في المطبوعة : « عني بيان أن بعضهم » ، وهو سياق فاسد . وفي المخطوطة : « عني بيان بعضهم » ، غير منقوط ، مضطرب أيضاً فاسد . والصواب ما أثبت .

قليلاً ، حتى كان يوم الفتح ، فلما كان يوم الفتح ، وانقطعت الهجرة ، توارثوا حينما كانوا بالأرحام . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا هجرة بعد هذا الفتح » ، وقرأ : ﴿ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ .

وقال آخرون : معنى ذلك : أن الكفار بعضهم أنصار بعض = وأنه لا يكون مؤمناً من كان مقيماً بدار الحرب لم يهاجر .^(١)
* ذكر من قال ذلك :

١٦٣٤٦ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « والذين كفروا بعضهم أولياء بعض » ، قال : كان ينزل الرجل بين المسلمين والمشركين ، فيقول : إن ظهر هؤلاء كنت معهم ، وإن ظهر هؤلاء كنت معهم ! فأبى الله عليهم ذلك ، وأنزل الله في ذلك ، فلا تراءى نار مسلم ونار مشرك ،^(٢) إلا صاحب جزية مقبر بالخراج .

١٦٣٤٧ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : حض الله المؤمنين على التواصل ، فجعل المهاجرين والأنصار أهل ولاية في الدين دون سواهم ، وجعل الكفار بعضهم أولياء بعض .^(٣)

وأما قوله : « إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » ، فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله .

فقال بعضهم : معناه : إلا تفعلوا ، أيها المؤمنون ، ما أمرتم به من مواصلة المهاجرين منكم بعضهم من بعض بالهجرة ، والأنصار بالإيمان ، دون أقربائهم من أعراب المسلمين ودون الكفار = « تكن فتنة » ، يقول : يحدث بلاء في الأرض

(١) في المطبوعة : « ولم » بزيادة الواو .

(٢) قوله : « لا تراءى نار مسلم ومشرك » ، أسند الترائى إلى النار ، كناية عن الجوار ،

وانظر التعليق السالف ص : ٨٣ ، رقم : ١

(٣) الأثر : ١٦٣٤٧ - سيرة ابن هشام ٢ : ٣٣٢ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٣١٨ .

بسبب ذلك ^(١) = « وفساد كبير » ، يعنى : ومعاص الله ^(٢).

* ذكر من قال ذلك :

١٦٣٤٨ - حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » ، إلا تفعلوا هذا ، تركوهم يتوارثون كما كانوا يتوارثون = « تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » . قال : ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الإيمان إلا بالهجرة ، ولا يجعلونهم منهم إلا بالهجرة ^(٣).

١٦٣٤٩ - حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « والذين كفروا بعضهم أولياء بعض » ، يعنى فى الميراث = « إلا تفعلوه » ، يقول : إلا تأخذوا فى الميراث بما أمرتكم به = « تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » ،

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : إلا تناصروا ، أيها المؤمنون ، فى الدين ، تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٣٥٠ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، قال : جعل المهاجرين والأنصار أهل ولاية فى الدين دون من سواهم ، وجعل الكفار بعضهم أولياء بعض ، ثم قال : « إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » ، أى : إلا يوال المؤمن المؤمن من دون الكافر ، وإن كان ذا رحم به = « تكن فتنة فى الأرض » ، أى : شبهة فى الحق والباطل ، وظهور الفساد فى الأرض ، بتولتى

(١) انظر تفسير « الفتنة » فيما سلف ١٣ : ٥٣٧ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الفساد » فيما سلف ١٣ : ٣٦ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٣) فى المخطوطة : « ولا يجعلونهم مقيم » ، والصواب ما فى المطبوعة .

المؤمن الكافر دون المؤمن . (١) ثم رد المواريث إلى الأرحام . (٢)

١٦٣٥١ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج قوله : « إلا تفعلوه تكن فتنه في الأرض وفساد كبير » ، قال : إلا تعاونوا وتناصروا في الدين = « تكن فتنه في الأرض وفساد كبير » .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بتأويل قوله : « والذين كفروا بعضهم أولياء بعض » ، قول من قال : معناه : أن بعضهم أنصار بعض دون المؤمنين ، وأنه دلالة على تحريم الله على المؤمن المقام في دار الحرب وترك الهجرة ، لأن المعروف في كلام العرب من معنى « الولي » ، أنه النصير والمعين ، أو : ابن العم والنسيب . (٣) فأما الوارث فغير معروف ذلك من معانيه ، إلا بمعنى أنه يليه في القيام بإرثه من بعده . وذلك معنى بعيد ، وإن كان قد يحتمله الكلام . وتوجيه معنى كلام الله إلى الأظهر الأشهر ، أولى من توجيهه إلى خلاف ذلك .

وإذ كان ذلك كذلك ، فبيِّن أن أولى التأويلين بقوله : « إلا تفعلوه تكن فتنه في الأرض وفساد كبير » ، تأويل من قال : إلا تفعلوا ما أمرتكم به من التعاون والنصرة على الدين ، تكن فتنه في الأرض = إذ كان مبتدأ الآية من قوله : « إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله » ، بالحث على الموالاة على الدين والتناصر جاء ، فكذلك الواجب أن تكون خاتمتها به .

* * *

(١) كان في المطبوعة بعد قوله « فساد كبير » ما نصه : « إن يتول المؤمن الكافر دون المؤمن ، ثم رد المواريث إلى الأرحام » ، ومثلها في المخطوطة إلا أنه كتب « إن يتول » . وهو كلام مضطرب ، سببه أن « المؤمن » ذكر في الكلام مرات ، فأسقط ما بين « المؤمن » في قوله « إلا يوال المؤمن المؤمن » ، إلى قوله بعد : « يتول المؤمن الكافر » ، فاضطرب الكلام . وسقته على الصواب من سيرة ابن هشام . (٢) الأثر : ١٦٣٥٠ - سيرة ابن هشام ٢ : ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٣٤٧ ، وفيه جزء منه .

(٣) انظر تفسير « الولي » فيما سلف من فهارس اللغة (ولي) .

(٤) في المطبوعة والمخطوطة : « وكذلك » ، بالواو ، والفاء حق السياق .

القول في تأويل قوله ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (٧٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا » ، آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين معه ونصروهم ، ونصروا دين الله ، أولئك هم أهل الإيمان بالله ورسوله حقاً ، لا من آمن ولم يهاجر دار الشرك ، وأقام بين أظهر أهل الشرك ، ولم يغر مع المسلمين عدوهم^(١) = « لهم مغفرة » ، يقول : لهم ستر من الله على ذنوبهم ، بعفوه لهم عنها^(٢) = « ورزق كريم » ، يقول : لهم في الجنة مطعم ومشرب هنيئ كريم^(٣) ، لا يتغير في أجوافهم فيصير نجساً^(٤) ، ولكنه يصير رشحاً كرشح المسك^(٥) .

وهذه الآية تنبئ عن صحة ما قلنا : أن معنى قول الله : « بعضهم أولياء بعض » في هذه الآية ، وقوله : « ما لكم من ولايتهم من شيء » ، إنما هو النصرة والمعونة ، دون الميراث . لأنه جل ثناؤه عقب ذلك بالثناء على المهاجرين والأنصار والخبر عما لهم عنده ، دون من لم يهاجر بقوله : « والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا

(١) انظر تفسير « هاجر » و « جاهد » ، و « آوى » فيما سلف قريباً ص ٧٧ ، تعليق : ١ - ٤ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « المغفرة » فيما سلف من فهارس اللغة (غفر) .

(٣) انظر تفسير « رزق كريم » فيما سلف

وكان في المطبوعة هنا « طعم ومشرب » ، والصواب من المخطوطة .

(٤) « النجس » ، ما يخرج من البطن .

(٥) روى مسلم وأبو داود من حديث جابر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

﴿ إِن أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ ، وَلَا يَتَقَلَّبُونَ وَلَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ . قِيلَ : فَمَا بَالُ الطَّعَامِ ؟ قَالَ : جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ ، يُلْهِمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا تُلْهِمُونَ النَّفْسَ ﴾

(صحيح مسلم ١٧ : ١٧٣) .

في سبيل الله والذين آووا ونصروا» ، الآية ، ولو كان مراداً بالآيات قبل ذلك ، الدلالة على حكم ميراثهم ، لم يكن عَقِيبَ ذلك إلا الحث على إمضاء الميراث على ما أمر . ^(١) وفي صحة ذلك كذلك ، الدليل الواضح على أن لا ناسخ في هذه الآيات لشيء ، ولا منسوخ .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « والذين آمنوا » ، بالله ورسوله ، ٤١/١٠ بعد تبين ما بينت من ولاية المهاجرين والأنصار بعضهم بعضاً ، وانقطاع ولايتهم ممن آمن ولم يهاجر حتى يهاجر = « وهاجروا » ، دار الكفر إلى دار الإسلام = « وجاهدوا معكم » ، أيها المؤمنون = « فأولئك منكم » ، في الولاية ، يجب عليكم لهم من الحق والنصرة في الدين والمواربة ، مثل الذي يجب لكم عليهم ، ولبعضكم على بعض ، ^(٢) كما : ١٦٣٥٢ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، قال : ثم ردت الموارث إلى الأرحام ممن أسلم بعد الولاية من المهاجرين والأنصار دونهم ، إلى الأرحام التي بينهم ، ^(٣) فقال : « والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » ، أي : بالميراث ^(٤) = « إن الله بكل شيء عليم » . ^(٥)

* * *

- (١) في المطبوعة : « إلا الحث على مضي » ، وفي المخطوطة : « على أمضى » ، وصواب قراءتهما أثبت .
 (٢) انظر تفسير « هاجر » ، و « جاهد » فيما سلف ص : ٨٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
 (٣) في المطبوعة والمخطوطة : « ثم الموارث إلى الأرحام التي بينهم » ، أسقط من الكلام تمام الكلام الذي أثبتته من سيرة ابن هشام ، وسبب ذلك كما فعل في رقم : ١٦٣٥٠ ، هو ذكر الأرحام مرتين ، فاختلط عليه بصره فنقل ما نقل .
 (٤) في المطبوعة : « أي : في الميراث » ، وهو خطأ ، صوابه في المخطوطة والسيرة .
 (٥) الأثر : ١٦٣٥٢ - سيرة ابن هشام ٢ : ٣٣٣ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٣٥٠ .

القول في تأويل قوله ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٧٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : والمتناسبون بالأرحام = « بعضهم أولى ببعض » ، في الميراث ، إذا كانوا ممن قسم الله له منه نصيباً وحظاً ، من الحليف والولى = « في كتاب الله » ، يقول : في حكم الله الذي كتبه في اللوح المحفوظ والسابق من القضاء^(١) = « إن الله بكل شيء عليم » ، يقول : إن الله عالم بما يصلح عباده ، في توريثه بعضهم من بعض في القرابة والنسب ، دون الحلف بالعقد ، وبغير ذلك من الأمور كلها ، لا ينحى عليه شيء منها . (٢)

* * *

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٣٥٣ — حدثنا أحمد بن المقدام قال ، حدثنا المعتمر بن سليمان قال ، حدثنا أبي ، قال ، حدثنا قتادة أنه قال : كان لا يرث الأعرابي المهاجر ، حتى أنزل الله : « وألوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » .

١٦٣٥٤ — حدثنا محمد بن المثني قال ، حدثنا معاذ بن معاذ قال ، حدثنا ابن عون ، عن عيسى بن الحارث : أن أخاه شريح بن الحارث كانت له سُرِّيَّة ، فولدت منه جارية ، فلما شبت الجارية زُوِّجَتْ ، فولدت غلاماً ، ثم ماتت السُرِّيَّة ، واختصم شريح بن الحارث والغلام إلى شريح القاضي في ميراثها ، فجعل شريح بن الحارث يقول : ليس له ميراث في كتاب الله ! قال : فقضى شريح بالميراث للغلام . قال : « وألوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » ، فركب ميسرة بن يزيد إلى ابن الزبير ، فأخبره بقضاء شريح وقوله ، فكتب ابن

(١) انظر تفسير « كتاب » فيما سلف ص : ٦٤ ، تعليق ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « عليم » فيما سلف من فهارس اللغة (علم) .

الزبير إلى شريح : « إن ميسرة أخبرني أنك قضيت بكذا وكذا » ، وقلت : « وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » ، وإنه ليس كذلك ، إنما نزلت هذه الآية : أن الرجل كان يعاقد الرجل يقول : « ترثني وأرثك » ، فنزلت : « وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » . فجاء بالكتاب إلى شريح ، فقال شريح : أعتقها حيتان بطنها !^(١) وأبي أن يرجع عن قضائه .^(٢)

١٦٣٥٥ - حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن ابن عون قال ، حدثني عيسى بن الحارث قال : كانت لشريح بن الحارث سريرة ، فذكر نحوه = إلا إنه قال في حديثه : كان الرجل يعاقد الرجل يقول : « ترثني وأرثك » ، فلما نزلت ترك ذلك .^(٣)

آخر تفسير « سورة الأنفال »

والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله .

(١) في المطبوعة : « جنين » ، غير ما في المخطوطة . وفي أخبار القضاة لوكيع « جنان بطنها » ، والذي هنا ، وفي أخبار القضاة ، مشكل ، فأثبتته حتى أعرف صوابه ، أو يعرفه غيره .

(٢) الأثر : ١٦٣٥٤ ، ١٦٣٥٥ - رواه وكيع في أخبار القضاة ٢ : ٣٢٠ ، ٣٢١ ، من طريق عمرو بن بشر ، عن حسن بن عيسى ، عن عبد الله ، عن ابن عون ، بنحوه .

تفسير

سُورَةُ التَّوْبَةِ

﴿ القول في تفسير السورة التي يذكر فيها التوبة ﴾

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ① ﴾ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُحْزِي الْكَافِرِينَ ② ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « براءة من الله ورسوله » ، هذه براءة من الله ورسوله .

ف « براءة » ، مرفوعة بمحذوف ، وهو « هذه » كما قوله : ﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا ٤٢/١٠ ﴾ [سورة النور : ١] ، مرفوعة بمحذوف هو « هذه » . ولو قال قائل : « براءة » مرفوعة بالعائد من ذكرها في قوله : « إلى الذين عاهدتم » ، وجعلها كالمرفعة ترفع ما بعدها ، إذ كانت قد صارت بصلتها وهي قوله : « من الله ورسوله » ، كالمرفعة ، وصار معنى الكلام : البراءة من الله ورسوله ، إلى الذين عاهدتم من المشركين^(١) = كان مذهبا غير مدفوعة صحته ، وإن كان القول الأول أعجب إلى ، لأن من شأن العرب أن يضمروا لكل معانٍ ، نكرةً كان أو معرفةً ذلك المعانٍ ، « هذا » و « هذه » ، فيقولون عند معانيهم الشيء الحسن : « حسن والله » ، والقبیح : « قبيح والله » ، يريدون : هذا حسن والله ، وهذا قبيح والله ، فذلك اخترت القول الأول .

* * *

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « براءة » مكان « البراءة » ، والسياق يقتضى ما أثبت إن شاء الله .

وقال : « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم » ، والمعنى إلى الذين عاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين ، لأن العهود بين المسلمين والمشركين عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يكن يتولى عقدها إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من يعقدها بأمره ، ولكنه خاطب المؤمنين بذلك لعلمهم بمعناه ، وأن عقود النبي صلى الله عليه وسلم على أمته كانت عقودهم ، لأنهم كانوا لكل أفعاله فيهم راضين ، ولعقوده عليهم مسلمين ، فصار عقده عليهم كعقودهم على أنفسهم ، فلذلك قال : « إلى الذين عاهدتم من المشركين » ، لما كان من عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده .

* * *

وقد اختلف أهل التأويل فيمن برئ الله ورسوله إليه من العهد الذى كان بينه وبين رسول الله من المشركين ، فأذن له فى السياحة فى الأرض أربعة أشهر . فقال بعضهم : هم صنفان من المشركين : أحدهما كانت مدة العهد بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أقل من أربعة أشهر ، وأمهل بالسياحة أربعة أشهر = والآخر منهما : كانت مدة عهده بغير أجل محدود ، فقصر به على أربعة أشهر ليرتاد لنفسه ، ثم هو حرب بعد ذلك لله ولرسوله وللمؤمنين ، يقتل حيثما أدرك ويؤسر ، إلا أن يتوب .

• ذكر من قال ذلك :

١٦٣٥٦ - حدثنا بن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضى الله عنه أميراً على الحاج من سنة تسع ، ليقم للناس حجهم ، والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم . فخرج أبو بكر ومن معه من المسلمين ، ونزلت «سورة براءة» فى نقض ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين من العهد الذى كانوا عليه فيما بينه وبينهم : أن لا يُصدَّ عن البيت أحد جاءه ، وأن لا يُخاف أحد فى الشهر الحرام . وكان ذلك عهداً عاماً بينه وبين الناس من أهل الشرك . وكانت بين

ذلك عهد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قبائل من العرب خصائص إلى أجل مسمى^(١) ، فنزلت فيه وفيمن تخلف عنه من المنافقين في تبوك ، وفي قول من قال منهم ، فكشف الله فيها سرائر أقوام كانوا يستخفون بغير ما يظهرون ، منهم من سُمِّيَ لنا ، ومنهم من لم يُسَمَّ لنا ، فقال : « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين » ، أى : لأهل العهد العام من أهل الشرك من العرب = « فسيحوا في الأرض أربعة أشهر » ، إلى قوله : « إن الله برىء من المشركين ورسوله » ، أى : بعد هذه الحجة . (٢)

وقال آخرون : بل كان إمهالُ الله عز وجل بسياحة أربعة أشهر ، مَنْ كان من المشركين بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد ، فأما من لم يكن له من رسول الله عهد ، وإنما كان أجله خمسين ليلة ، وذلك عشرون من ذى الحجة والمحرم كله . قالوا : وإنما كان ذلك كذلك ، لأن أجل الذين لا عهد لهم كان إلى انسلاخ الأشهر الحرم ، كما قال الله : ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ ، الآية [سورة التوبة : ٥] . قالوا : والنداء ببراءة ، كان يوم الحج الأكبر ، وذلك يوم النحر في قول قوم ، وفي قول آخرين يوم عرفة ، وذلك خمسون يوماً . قالوا : وأما تأجيل الأشهر الأربعة ، وإنما كان لأهل العهد بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من يوم نزلت « براءة » . قالوا : ونزلت في أول شوال ، فكان انقضاء مدة أجلهم ، انسلاخ الأشهر الحرم . وقد كان بعض من يقول هذه المقالة يقول : ابتداء التأجيل كان للفريقين واحداً = ٤٣/١٠ أعنى الذى له العهد ، والذى لا عهد له = غير أن أجل الذى كان له عهد كان أربعة أشهر ، والذى لا عهد له انسلاخ الأشهر الحرم ، وذلك انقضاء المحرم .

* ذكر من قال ذلك :

(١) « خصائص » يعنى لأنها لهم خاصة دون غيرهم .

(٢) الأثر : ١٦٣٥٦ - سيرة ابن هشام ٤ : ١٨٨

١٦٣٥٧ - حدثنا المنفى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس في قوله : « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الأرض أربعة أشهر » ، قال : حدث الله للذين عاهدوا رسوله أربعة أشهر ، يسيحون فيها حيثما شاؤوا ، وحدّ أجل من ليس له عهد ، انسلاخ الأشهر الحرم من يوم النحر إلى انسلاخ المحرم ، فذلك خمسون ليلة . فإذا انسلاخ الأشهر الحرم ، أمره بأن يضع السيف فيمن عاهد .

١٦٣٥٨ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : لما نزلت « براءة من الله » ، إلى : « وأن الله مخزى الكافرين » ، يقول : براءة من المشركين الذين كان لهم عهد يوم نزلت « براءة » ، فجعل مدة من كان له عهد قبل أن تنزل « براءة » ، أربعة أشهر ، وأمرهم أن يسيحوا في الأرض أربعة أشهر . وجعل مدة المشركين الذين لم يكن لهم عهد قبل أن تنزل « براءة » ، انسلاخ الأشهر الحرم ، وانسلاخ الأشهر الحرم من يوم أذن ببراءة إلى انسلاخ المحرم ، وهي خمسون ليلة : عشرون من ذى الحجة ، وثلاثون من المحرم = « فإذا انسلاخ الأشهر الحرم » إلى قوله : « واقعدوا لهم كل مرصد » ، يقول : لم يبق لأحد من المشركين عهد ولا ذمة منذ نزلت « براءة » وانسلاخ الأشهر الحرم ، ومدة من كان له عهد من المشركين قبل أن تنزل « براءة » ، أربعة أشهر من يوم أذن ببراءة ، إلى عشر من أول ربيع الآخر ، فذلك أربعة أشهر .

١٦٣٥٩ - حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاک يقول في قوله : « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين » ، قبل أن تنزل « براءة » ، عاهد ناساً من المشركين من أهل مكة وغيرهم ، فنزلت : براءة من الله إلى كل أحد ممن كان عاهدك من المشركين ، فإني أنقض العهد الذى بينك وبينهم ، فأؤجلهم أربعة أشهر يسيحون

حيث شأوا من الأرض آمنين . وأجل من لم يكن بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد ، انسلاخ الأشهر الحرم ، من يوم أذن براءة ، وأذن بها يوم النحر ، فكان عشرين من ذى الحجة والمحرم ثلاثين ، فذلك خمسون ليلة . فأمر الله نبيه إذا انسلاخ الحرم أن يضع السيف فيمن لم يكن بينه وبين نبي الله صلى الله عليه وسلم عهد ، يقتلهم حتى يدخلوا في الإسلام . وأمر بمن كان له عهد إذا انسلاخ أربعة من يوم النحر ، أن يضع فيهم السيف أيضاً ، يقتلهم حتى يدخلوا في الإسلام . فكانت مدة من لا عهد بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين ليلة من يوم النحر ، ومدة من كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد ، أربعة أشهر : من يوم النحر ، إلى عشرين خلون من شهر ربيع الآخر .

١٦٣٦٠ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة

قوله : « براءة من الله ورسوله » ، إلى قوله : « وبشر الذين كفروا بعذاب أليم » ، قال : ذكر لنا أن علياً نادى بالأذان ، وأمر على الحاج أبو بكر رحمة الله عليهما . وكان العام الذي حج فيه المسلمون والمشركون ، ولم يحج المشركون بعد ذلك العام = قوله : « الذين عاهدتم من المشركين » إلى قوله : « إلى مدتهم » ، قال : هم مشركو قريش ، الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية ، وكان بقي من مدتهم أربعة أشهر بعد يوم النحر ، وأمر الله نبيه أن يوفى بعهدهم إلى مدتهم ، ومن لا عهد له انسلاخ المحرم ، ونبد إلى كل ذى عهد عهده ، وأمر بقتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ولا يقبل منهم إلا ذلك .

* * *

وقال آخرون : كان ابتداء تأخير المشركين أربعة أشهر وانقضاء ذلك لجميعهم ، وقتاً واحداً . قالوا : وكان ابتداءه يوم الحج الأكبر ، وانقضاؤه انقضاء عشر من ربيع الآخر .
* ذكر من قال ذلك :

١٦٣٦١ — حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ،

حدثنا أسباط ، عن السدي : « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين » ،

قال : لما نزلت هذه الآية . برئ من عهد كل مشرك ، ولم يعاهد بعدها إلا من كان عاهد ، وأجرى لكل مدتهم = « فسيحوا في الأرض أربعة أشهر » ، لمن دخل عهده فيها ، من عشر ذى الحجة ، والمحرم ، وصفر ، وشهر ربيع الأول ، وعشر من ربيع الآخر .
 ١٦٣٦٢ - حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو معشر قال ، حدثنا محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أميراً على الموسم سنة تسع ، وبعث على بن أبي طالب ، رضى الله عنهما ، بثلاثين أو أربعين آية من « براءة » ، فقرأها على الناس ، يؤجل المشركين أربعة أشهر يسيحون في الأرض ، فقرأ عليهم « براءة » يوم عرفة ، أجل المشركين عشرين من ذى الحجة ، والمحرم ، وصفر ، وشهر ربيع الأول ، وعشر من ربيع الآخر ، وقرأها عليهم في منازلهم ، وقال : لا يحجن بعد عامنا هذا مشرك ، ولا يطوفن بالبيت عريان .

١٦٣٦٣ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « فسيحوا في الأرض أربعة أشهر » ، عشرون من ذى الحجة ، والمحرم ، وصفر ، وربع الأول ، وعشر من ربيع الآخر . كان ذلك عهدهم الذى بينهم .
 ١٦٣٦٤ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « براءة من الله ورسوله » ، إلى أهل العهد : خزاعة ، ومُدْلَج ، ومن كان له عهد منهم أو غيرهم . (١) أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك حين فرغ ، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج ، ثم قال : إنه يحضر المشركون فيطوفون عُرَاقاً ، فلا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك . فأرسل أبا بكر وعلياً رحمة الله عليهما فطافا بالناس بنى الحجاز ، وبأمكنهم التى كانوا يتبايعون بها ، وبالمواسم كلها ، فأذنوا أصحاب العهد بأن يأمتوا أربعة أشهر ، فهى الأشهر المتواليات : عشرون من آخر ذى الحجة إلى عشر يخلون

(١) فى المخطوطة : « ومن كان له أو غيرهم » ، والذى فى المطبوعة : « ومن كان له عهد من غيرهم » ، وصححتها كما ترى .

من شهر ربيع الآخر ، ثم لا عهد لهم . وآذن الناس كلهم بالقتال إلا أن يؤمنوا .
 ١٦٣٦٥ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن
 ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من
 المشركين » ، قال : أهل العهد : مدلج ، والعرب الذين عاهدهم ، ومن كان له
 عهد . قال : أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك حين فرغ منها وأراد
 الحج ، ثم قال : إنه يحضر البيت مشركون يطوفون عراة ، فلا أحب أن أحج
 حتى لا يكون ذلك . فأرسل أبا بكر وعلياً رحمة الله عليهما ، فطافا بالناس بذي
 المجاز ، وبأماكنهم التي كانوا يتبايعون بها ، وبالموسم كله ، وآذنوا أصحاب العهد
 بأن يأمّنوا أربعة أشهر ، فهى الأشهر الحرم المنسلخات المتواليات : عشرون من
 آخر ذى الحجة إلى عشر يخلون من شهر ربيع الآخر ، ثم لا عهد لهم . وآذن
 الناس كلهم بالقتال إلا أن يؤمنوا . فأمن الناس أجمعون حينئذ ، ولم يسع أحد .
 وقال : حين رجع من الطائف ، مضى من فوره ذلك فغزا تبوك ، بعد إذ جاء إلى المدينة .

* * *

وقال آخرون ممن قال : « ابتداء الأجل لجميع المشركين وانقضاءه كان واحداً » :
 كان ابتداءه يوم نزلت « براءة » ، وانقضاء الأشهر الحرم ، وذلك انقضاء الحرم .
 * ذكر من قال ذلك :

١٦٣٦٦ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن

معمر ، عن الزهري : « فسيحوا في الأرض أربعة أشهر » ، قال : نزلت في ١٠/٥ ،
 شوال ، فهذه الأربعة الأشهر : شوال ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، والحرم .

* * *

وقال آخرون : إنما كان تأجيلُ الله الأشهر الأربعة المشركين في السياحة ،
 لمن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد مدته أقل من أربعة أشهر .
 أما من كان له عهد مدته أكثر من أربعة أشهر ، فإنه أمر صلى الله عليه وسلم أن
 يتم له عهده إلى مدته .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٣٦٧ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر قال : قال الكلبي : إنما كانت الأربعة الأشهر لمن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد دون الأربعة الأشهر ، فآثم له الأربعة . ومن كان له عهد أكثر من أربعة أشهر ، فهو الذي أمر أن يتم له عهده ، وقال : ﴿ أَتَمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ ﴾ ، [سورة التوبة : ٤] .

* * *

قال أبو جعفر رحمه الله : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، قول من قال : الأجل الذي جعله الله لأهل العهد من المشركين ، وأذن لهم بالسياحة فيه بقوله : « فسيحوا في الأرض أربعة أشهر » ، إنما هو لأهل العهد الذين ظاهروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونقضوا عهدهم قبل انقضاء مدته . فأما الذين لم ينقضوا عهدهم ولم يظاهروا عليه ، فإن الله جل ثناؤه أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بإتمام العهد بينه وبينهم إلى مدته بقوله : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ ، [سورة التوبة : ٤] .

فإن ظنَّ أن قول الله تعالى ذكره : ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ ، [سورة التوبة : ٥] ، يدلُّ على خلاف ما قلنا في ذلك ، إذ كان ذلك ينبيء على أن الفرض على المؤمنين كان بعد انقضاء الأشهر الحرم ، ^(١) قتل كل مشرك ، فإن الأمر في ذلك بخلاف ما ظن ، وذلك أن الآية التي تتلو ذلك تبين عن صحة ما قلنا ، ^(٢) وفساد ما ظنه من ظن أن انسلاخ الأشهر

(١) في المطبوعة : « ينبيء عن أن . . . » ، وقد سلف مراراً أن استعمال أبو جعفر « على » مع « ينبيء » ، فأثبتها كما في المخطوطة ، وهي جائزة لتضمنها معنى « يدل » .
(٢) في المطبوعة : « تنبيء عن صحة » ، وأثبت ما في المخطوطة .

الحرم كان يبيح قتل كل مشرك ، كان له عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو لم يكن كان له منه عهد ، وذلك قوله : ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ مَا أَسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة التوبة : ٧] ، فهؤلاء مشركون ، وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالاستقامة لهم في عهدهم ، ما استقاموا لهم بترك نقض صلحهم ، وترك مظاهرة عدوهم عليهم .

وبعد ، ففي الأخبار المتظاهرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه حين بعث علياً رحمة الله عليه ببراءة إلى أهل العهود بينه وبينهم ، أمره فيما أمره أن ينادى به فيهم : « ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فعهدته إلى مدته » ، أوضح الدليل على صحة ما قلنا . وذلك أن الله لم يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بنقض عهد قوم كان عاهدهم إلى أجل فاستقاموا على عهدهم بترك نقضه ، وأنه إنما أجل أربعة أشهر من كان قد نقض عهده قبل التأجيل ، أو من كان له عهد إلى أجل غير محدود . فأما من كان أجل عهده محدوداً ، ولم يجعل بنقضه على نفسه سبيلاً ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بإتمام عهده إلى غاية أجله مأموراً . وبذلك بعث مناديه ينادى به في أهل الموسم من العرب .

١٦٣٦٨ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا

قيس ، عن مغيرة ، عن الشعبي قال ، حدثني محرر بن أبي هريرة ، عن أبي هريرة قال : كنت مع علي رحمة الله عليه ، حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم ينادى . فكان إذا صَحَلَ صوته ناديتُ .^(١) قلت : بأي شيء كنتم تنادون ؟ قال : بأربع : لا يَطْفُفُ بالكعبة عُرْيَان ، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدٌ

(١) « صَحَلَ صوته » ، هو البجح . وله معنى آخر شبيه به في حديث أم معبد ، في صفة رسول الله ، بأبي هو وأمي ، صلى الله عليه وسلم قالت : « وفي صوته صَحَل » ، (بفتحيتين) ، وهو مثل البجة في الصوت . فلا يكون حاداً رفيعاً .

٦/١٠ : فعهده إلى مدته ، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، ولا يحج بعد عامنا هذا مشرك . (١)

١٦٣٦٩ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا عفان قال ، حدثنا قيس ابن الربيع قال ، حدثنا الشيباني ، عن الشعبي قال : أخبرنا الحرر بن أبي هريرة ، عن أبيه قال : كنت مع علي رضي الله عنه ، فذكر نحوه = إلا أنه قال : ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدٌ فعهده إلى أجله . (٢)

* * *

قال أبو جعفر : وقد حدث بهذا الحديث شعبة ، فخالف قياساً في الأجل .
١٦٣٧٠ - فحدثني يعقوب بن إبراهيم ومحمد بن المنثي قالا ، حدثنا عثمان ابن عمر قال ، حدثنا شعبة ، عن المغيرة ، عن الشعبي ، عن الحرر بن أبي هريرة ، عن أبيه قال : كنت مع علي حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم ببراءة إلى أهل مكة ، فكنت أنادي حتى صَحِلَ صوتي . فقلت : بأى شيء كنت تنادي ؟ قال : أمرنا أن ننادي : أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن ، ومن كان بينه وبين رسول

(١) الأثر : ١٦٣٦٨ - رواه أبو جعفر بثلاثة أسانيد ، وسيأتي تخريجه فيما بعد .
« قيس » ، هو : « قيس بن الربيع الأسدي » ، لينة أحمد وغيره ، وقد سلف مراراً آخرها رقم : ١٢٨٠٢ .
و « مغيرة » هو : « مغيرة بن مقسم الضبي » ، ثقة ، روى له الجماعة . سلف مراراً ، آخرها رقم : ١١٣٤٠ .
و « حرر بن أبي هريرة » ، تابعي ثقة ، قليل الحديث ، سلف برقم : ٢٨٦٣ .
وهذا خبر ضعيف لإسناده ، لضعف « قيس بن الربيع » .
(٢) الأثر : ١٦٣٦٩ - هذا الإسناد الثاني من حديث الحرر بن أبي هريرة .
« عفان » ، هو : « عفان بن مسلم بن عبد الله الصفار » ، روى له الجماعة ، كان يروى عن قيس بن الربيع ، ويقع فيه . مضت ترجمته برقم : ٥٣٩٢ .
و « الشيباني » هو « أبو إسحق الشيباني » ، « سليمان بن أبي سليمان » ، الإمام ، مضى مراراً ، من آخرها رقم : ١٢٤٨٩ .
وعلة إسناده ضعف « قيس بن الربيع » .
ولكن رواه الحاكم في المستدرک ٢ : ٣٣١ من طريق شعبة ، عن سليمان الشيباني ، وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبي . انظر التعليق التالى .

الله صلى الله عليه وسلم عهد فأجله إلى أربعة أشهر ، فإذا حلّ الأجل فإن الله برىء من المشركين ورسوله ، ولا يطفئ البيت عريان ، ولا يحجج بعد العام مشرك .^(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأخشى أن يكون هذا الخبر وهماً من ناقله في الأجل ، لأن الأخبار متظاهرة في الأجل بخلافه ، مع خلاف قيس شعبة في نفس هذا الحديث على ما بينته .

* * *

١٦٣٧١ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أبي إسحق ، عن الحارث الأعور ، عن علي رحمة الله عليه قال : أمرت بأربع : أمرت أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ، ولا يطف رجل بالبيت عرياناً ، ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مسلمة ، وأن يتم إلى كل ذي عهد عهده .^(٢)

(١) الأثر : ١٦٣٧٠ - هذا هو الإسناد الثالث :

«عثمان بن عمر بن فارس العبدى» ، ثقة روى له الجماعة ، مضى مراراً . منها رقم : ٥٤٥٨ ، وغيره .

وهذا الخبر من طريق شعبة ، عن المغيرة ، رواه أحمد في مسنده رقم : ٧٩٦٤ ، ورواه النسائي في سننه ٥ : ٢٣٤ .

ورواه الحاكم في المستدرك ٢ : ٣٣١ من طريق أخرى ، عن النضر بن شميل ، عن شعبة ، عن سليمان الشيباني وقال : «هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه» ، ووافقه الذهبي . انظر التعليق السالف .

واستوفى الكلام فيه ابن كثير في تفسيره ٤ : ١١١ ، وفي التاريخ ٥ : ٣٨ ، وقال في التاريخ : «وهذا إسناد جيد ، ولكن فيه نكارة من جهة قول الرواي : إن من كان له عهد فأجله إلى أربعة أشهر . وقد ذهب إلى هذا ذاهبون ، ولكن الصحيح : أن من كان له عهد فأجله إلى أمده بالغاً ما بلغ ، ولو زاد على أربعة أشهر . ومن ليس له أمد بالكلية ، فله تأجيل أربعة أشهر . بقى قسم ثالث ، وهو : من له أمد يتناهى إلى أقل من أربعة أشهر من يوم التأجيل ، وهذا يحتمل أن يلتحق بالأول ، فيكون أجله إلى مدته وإن قل . ويحتمل أن يقال إنه يؤجل إلى أربعة أشهر ، لأنه أول من ليس له عهد بالكلية» .

وانظر شرح الخبر في مسند أحمد .

(٢) الأثر : ١٦٣٧١ - «الحارث الأعور» ، هو «الحارث بن عبد الله الهمداني» ،

١٦٣٧٢ - حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن زيد بن يثيع قال : نزلت « براءة » ، فبعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر ، ثم أرسل علياً فأخذها منه . فلما رجع أبو بكر قال : هل نزل في شيء ؟ قال : لا ، ولكني أمرت أن أبلغها أنا أو رجل من أهل بيتي . فانطلق إلى مكة ، ^(١) فقام فيهم بأربع : أن لا يدخل مكة مشرك بعد عامه هذا ، ولا يطف بالكعبة عريان ، ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، ومن كان بينه وبين رسول الله عهدٌ فعهدهُ إلى مدته . ^(٢)

١٦٣٧٣ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن زكريا ، عن أبي إسحق ، عن زيد بن يثيع ، عن علي قال : بعثني النبي صلى الله عليه وسلم حين أنزلت : « براءة » بأربع : أن لا يطف بالبيت عريان ، ولا يقرب المسجد الحرام مشرك بعد عامهم هذا ، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو إلى مدته ، ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة . ^(٣)

١٦٣٧٤ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن عبد الأعلى ، عن معمر ،

ضعيف جداً ، سلف مراراً ، انظر رقم : ١٧٤ .

فإسناده ضعيف . وسيأتي بإسناد آخر رقم : ١٦٣٧٤ .

(١) قوله : « فانطلق » ، يعني علياً رحمه الله .

(٢) الأثران : ١٦٣٧٢ ، ١٦٣٧٣ - حديث زيد بن يثيع ، سيرويه من ثلاث طرق ،

هذا ، والذي يليه ، ثم رقم : ١٦٣٧٩ .

و « زيد بن يثيع » ، أو « أثيع » بالتصغير فهما ، تابعي ثقة قليل الحديث ، مضى برقم :

١٥٧٣٧ .

وهذا الخبر رواه أحمد في مسنده رقم : ٥٩٤ ، من طريق سفيان ، عن أبي إسحق السبيعي ،

وإسناده صحيح .

ورواه الترمذي في كتاب الحج ، باب ما جاء في كراهية الطواف عرياناً ، وقال : « وفي الباب

عن أبي هريرة ، قال أبو عيسى : حديث علي حسن » . ويعني بحديث أبي هريرة ما سلف رقم :

١٦٣٦٨ - ١٦٣٧٠ .

ثم رواه أيضاً في كتاب التفسير وقال : « هذا حديث حسن صحيح » .

وروى أحمد في مسند أبي بكر رقم : ٤ ، نحو هذا الحديث مطولاً ، من حديث زيد بن يثيع ،

عن أبي بكر .

عن أبي إسحق ، عن الحارث ، عن علي رحمة الله عليه ، قال : بعثت إلى أهل مكة بأربع ، ثم ذكر الحديث .^(١)

١٦٣٧٥ - حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري قال ، حدثنا حسين بن محمد قال ، حدثنا سليمان بن قرم ، عن الأعمش ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر ببراءة ، ثم أتبعه علياً فأخذها منه . فقال أبو بكر : يا رسول الله ، حدث في شيء ؟ قال : لا ، أنت صاحبي في الغار وعلى الحوض ، ولا يؤدّي عني إلا أنا أو علي ! وكان الذي بعث به علياً أربعاً : لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، ولا يحجّ بعد العام مشرك ، ولا يطف بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو إلى مدّته .^(٢)

١٦٣٧٦ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن ابن أبي خالد ، عن عامر قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم علياً رحمة الله عليه ، فنأدى :
٤٧/١٠ ألا لا يحجّن بعد العام مشرك ، ولا يطف بالبيت عريان ، ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فأجله إلى مدته ، والله برىء من المشركين ورسوله .

١٦٣٧٧ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثنا محمد بن إسحق ، عن حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف ، عن أبي جعفر محمد بن علي بن حسين

(١) الأثر : ١٦٣٧٤ - انظر التعليق على الأثر رقم : ١٦٣٧١ .

(٢) الأثر : ١٦٣٧٥ - « حسين بن محمد المروزي » ، روى له الجماعة ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٥٣٣٨ .

و « سليمان بن قرم بن معاذ التيمي » ، ثقة ، غمزوه بالغلو في التشيع . مضى برقم : ٩١٦٣ .

و « الحكم » هو « الحكم بن عتيبة » ، مضى مراراً .

وهذا الخبر رواه الترمذي في كتاب التفسير ، من طريق أخرى ، من طريق عباد بن العوام ، عن سفيان بن الحسين ، عن الحكم بن عتيبة ، بنحوه ، وقال : « هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، من حديث ابن عباس » .

ابن على قال : لما نزلت براءة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان بعث أبا بكر الصديق رحمة الله عليه ليقم الحج للناس ، قيل له : يا رسول الله ، لو بعثت إلى أبي بكر ! فقال : لا يؤدّي عنى إلّا رجل من أهل بيتى ! ثم دعا على ابن أبي طالب رحمة الله عليه ، فقال : اخرج بهذه القصّة من صدر « براءة » ، وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بيمنى : أنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يخرج بعد العام مشرك ، ولا يطف بالبيت عريان ، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو إلى مدته . فخرج على بن أبي طالب رحمة الله عليه على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم الغضباء ، حتى أدرك أبا بكر الصديق بالطريق . فلما رآه أبو بكر قال : أميرٌ أو مأمور ؟ قال : مأمور ، ثم مضيا رحمة الله عليهما ، فأقام أبو بكر للناس الحج ، والعرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحج التي كانوا عليها في الجاهلية . حتى إذا كان يوم النحر ، قام على بن أبي طالب رحمة الله عليه ، فأذن في الناس بالذى أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا أيها الناس ، لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، ولا يخرج بعد العام مشرك ، ولا يطف بالبيت عريان ، ومن كان له عهد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو له إلى مدته . فلم يخرج بعد ذلك العام مشرك ، ولم يطف بالبيت عريان . ثم قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان هذا من « براءة » ، فيمن كان من أهل الشرك من أهل العهد العام ، وأهل المدة إلى الأجل المسمى .^(١)

١٦٣٧٨ - حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ،

حدثنا أسباط ، عن السدى قال : لما نزلت هذه الآيات إلى رأس أربعين آية ، بعث بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر وأمّره على الحج . فلما سار فبلغ

(١) الأثر : ١٦٣٧٧ - سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٠ ، ١٩١ .

« حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف الأنصارى » ، ثقة ، تكلموا فيه ، حتى قال ابن سعد :

« كان قليل الحديث ، ولا يحتجون بحديثه » ، مضى برقم : ١١٧٤١ .

الشجرة من ذى الحليفة ، أتبعه بعلّى فأخذها منه . فرجع أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، بأبى أنت وأمى ، أنزل فى شأنى شيء ؟ قال : لا ، ولكن لا يبلغ عنى غيرى ، أو رجل منى ، أما ترضى يا أبا بكر أنك كنت معى فى الغار ، وأنتك صاحبى على الخوض ؟ قال : بلى ، يا رسول الله ! فسار أبو بكر على الحاج ، وعلى يؤذن ببراءة ، فقام يوم الأضحى فقال : لا يقربن المسجد الحرام مشرك بعد عامه هذا ، ولا يطوفن بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فله عهده إلى مدته ، وإن هذه أيام أكل وشرب ، وإن الله لا يدخل الجنة إلا من كان مسلماً . فقالوا : نحن نبرأ من عهدك وعهد ابن عمك إلا من الطعن والضرب ! فرجع المشركون ، فلام بعضهم بعضاً وقالوا : ما تصنعون ، وقد أسلمت قريش ؟ فأسلموا .

١٦٣٧٩ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن أبى إسحق ، عن زيد بن يسيع ، عن على قال : أمرت بأربع : أن لا يقرب البيت بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، وأن يتم إلى كل ذى عهد عهده = قال معمر : وقاله قتادة .^(١)

* * *

قال أبو جعفر : فقد أنبأت هذه الأخبار ونظائرها عن صحة ما قلنا ، وأن أجل الأشهر الأربعة إنما كان لمن وصفنا . فأما من كان عهده إلى مدة معلومة ، فلم يجعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين لنقضه ومظاهرة أعدائهم عليهم سبيلاً ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقى له بعهده إلى مدته ، عن أمر الله ٤٨/١٠ إياه بذلك . وعلى ذلك دل ظاهر التنزيل ، وتظاهرت به الأخبار عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

وأما الأشهر الأربعة ، فإنها كانت أجل من ذكرنا . وكان ابتداءها يوم

(١) الأثر : ١٦٣٧٩ — انظر التعليق على الأثرين رقم : ١٦٣٧٢ ، ١٦٣٧٣ .

الحج الأكبر ، وانقضائها انقضاء عشر من ربيع الآخر ، فذلك أربعة أشهر متتابعة ، جعل لأهل العهد الذين وصفنا أمرهم ، فيها ، السياحة في الأرض ، يذهبون حيث شاؤوا ، لا يعرض لهم فيها من المسلمين أحدٌ بحرب ولا قتل ولا سلب .

* * *

فإن قال قائل : فإذا كان الأمر في ذلك كما وصفت ، فما وجه قوله : ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ ، [سورة التوبة : هـ] . وقد علمت أن انسلاخها انسلاخ المحرم ، وقد زعمت أن تأجيل القوم من الله ومن رسوله كان أربعة أشهر ، وإنما بين يوم الحج الأكبر وانسلاخ الأشهر الحرم خمسون يوماً أكثره ، فأين الخمسون يوماً من الأشهر الأربعة ؟

قيل : إن انسلاخ الأشهر الحرم ، إنما كان أجل من لا عهد له من المشركين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأشهر الأربعة لمن له عهد ، إما إلى أجل غير محدود ، وإما إلى أجل محدود قد نقضه ، فصار بنقضه إياه بمعنى من خيف خيائته ، فاستحقّ النبذ إليه على سواء ، غير أنه جعل له الاستعداد لنفسه والارتياح لها من الأجل الأربعة الأشهر . ألا ترى الله يقول لأصحاب الأشهر الأربعة ، ويصفهم بأنهم أهل عهد : « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله » ، ووصف المجعول لهم انسلاخ الأشهر الحرم أجلاً ، بأنهم أهل شرك لا أهل عهد فقال : « وأذانٌ من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله » الآية = « إلا الذين عاهدتم من المشركين » الآية ؟ ثم قال : « فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » ، فأمر بقتل المشركين الذين لا عهد لهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم ، وبإتمام عهد الذين لهم عهد ، إذا لم يكونوا نقضوا عهدهم بالمظاهرة على المؤمنين ، وإدخال النقص فيه عليهم .

* * *

فإن قال قائل : وما الدليل على أن ابتداء التأجيل كان يوم الحج الأكبر ،

دون أن يكون كان من شوال ، على ما قاله قائلو ذلك ؟

قيل له : إن قائل ذلك زعموا أن التأجيل كان من وقت نزول « براءة » ، وذلك غير جائز أن يكون صحيحاً ، لأن المجعول له أجلُ السياحة إلى وقت محدود ، إذا لم يعلم ما جُعل له ، ولا سيما مع عهد له قد تقدم قبل ذلك بخلافه ، فكمن لم يجعل له ذلك ، لأنه إذا لم يعلم ما له في الأجل الذي جُعل له وما عليه بعد انقضائه ، فهو كهَيْئته قبل الذي جُعل له من الأجل . ومعلوم أن القوم لم يعلموا بما جُعل لهم من ذلك ، إلا حين نودى فيهم بالموسم . وإذا كان ذلك كذلك ، صحَّ أن ابتداءه ما قلنا ، وانقضائه كان ما وصفنا .

* *

وأما قوله : « فسيحوا في الأرض أربعة أشهر » ، فإنه يعنى : فسيروا فيها مقبلين ومدبرين ، آمنين غير خائفين من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباعه .

* * *

يقال منه : « ساح فلان في الأرض يسبح ، سياحة ، وسيُوحاً ، وسيَحاناً » .

* * *

وأما قوله : « واعلموا أنكم غير معجزي الله » ، فإنه يقول لأهل العهد من الذين كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدٌ قبل نزول هذه الآية : اعلموا ، أيها المشركون ، أنكم إن سحتم في الأرض ، واخترتم ذلك مع كفركم بالله ، على الإقرار بتوحيد الله وتصديق رسوله = « غير معجزي الله » ، يقول : غير مُفِيتيه بأنفسكم ، لأنكم حيث ذهبتم وأين كنتم من الأرض ، ففي قبضته وسلطانه ، لا يمنعكم منه وزيرٌ ، ولا يحول بينكم وبينه إذا أرادكم بعذاب معقلٌ ولا موئل ،^(١) إلا الإيمان به وبرسوله ، والتوبة من معصيته . يقول : فبادروا عقوبته بتوبة ، ودعوا السياحة التي لا تنفعكم .

* * *

وأما قوله : « وأن الله مخزي الكافرين » ، يقول : واعلموا أن الله مُذلُّ الكافرين ، ومُورِثهم العار في الدنيا ، والنار في الآخرة .^(١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وإعلامٌ من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر .

* * *

وقد بينا معنى « الأذان » ، فيما مضى من كتابنا هذا بشواهد .^(٢)

* * *

وكان سليمان بن موسى يقول في ذلك ما :—

١٦٣٨٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قال : زعم سليمان بن موسى الشامي أن قوله : « وأذان من الله ورسوله » ، قال : « الأذان » ، القصص ، فاتحة « براءة » حتى تختم : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ ، [سورة التوبة : ٢٨] ، فذلك ثمان وعشرون آية .^(٣)

١٦٣٨١ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وأذان من الله ورسوله » ، قال : إعلام من الله ورسوله .

* * *

ورفع قوله : « وأذان من الله » ، عطفاً على قوله : « براءة من الله » ، كأنه قال : هذه براءة من الله ورسوله ، وأذانٌ من الله .

* * *

(١) انظر تفسير « الخزي » فيما سلف ١٠ : ٣١٨ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الأذان » فيما سلف ... تعليق : ... والمراجع هناك .

(٣) الأثر : ١٦٣٨٠ — « سليمان بن موسى الأموي الدمشقي » ، الأشدق ، فقيه أهل الشام

في زمانه . مضى برقم : ١٥٦٥٤ ، ١٥٦٥٥ .

وأما قوله : « يوم الحج الأكبر » ، فإن فيه اختلافاً بين أهل العلم .

فقال بعضهم : هو يوم عرفة .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٣٨٢ - حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ، أخبرنا أبو زرعة وهب الله بن راشد قال ، أخبرنا حيوة بن شريح قال ، أخبرنا أبو صخر : أنه سمع أبا معاوية البجليّ من أهل الكوفة يقول : سمعت أبا الصهباء البكري وهو يقول : سألت علي بن أبي طالب رضى الله عنه عن « يوم الحج الأكبر » فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر بن أبي قحافة رضى الله عنه يقيم للناس الحج ، وبعثنى معه بأربعين آية من براءة ، حتى أتى عرفة فخطب الناس يوم عرفة ، فلما قضى خطبته التفت إلىّ فقال : قم ، يا علي ، وأدّ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فقمّت فقرأت عليهم أربعين آية من « براءة » ، ثم صدرنا ، ^(١) حتى أتينا منى ، فرميت الجمرة ونحرت البدنة ، ثم حلق رأسى ، وعلمت أن أهل الجمع لم يكونوا حضروا خطبة أبى بكر يوم عرفة ، فطفقت أتبع بها الفساطيط أقرؤها عليهم . ^(٢) فنّمّ إخال حسبتّم أنه يوم النحر ، ألا وهو يوم عرفة . ^(٣)

(١) « صدر عن الماء والبلاد » ، رجع . و « الصدر » ، (بفتحين) ليلة رجوع الناس من عرفة إلى منى . و « صدر البيت » (بضم الصاد وتشديد الدال) : الحجاج الراجعون من حجهم .
(٢) « الفساطيط » جمع « فسطاط » ، مثل السراقد ، وهو أصغر منه ، يتخذ المسافرون .
(٣) الأثر : ١٦٣٨٢ - سبق شرح هذا الإسناد برقم : ٥٣٨٦ . « أبو زرعة » ، « وهب الله بن راشد المصرى » ، مضى مراراً ، آخرها برقم : ١١٥١٠ ، ومراجعته هناك . وكان في المطبوعة هنا : « أبو زرعة وهبة الله بن راشد قالوا » ، جملة رجلين ! ومثله في المخطوطة مثله ، إلا أنه كتب « قال » بالإنفراد ، قدم الكنية على الاسم . والصواب ما أثبت .

و « حيوة بن شريح » ، مضى مراراً ، آخرها : ١١٥١٠ .

و « أبو صخر » ، هو « حميد بن زياد الخراط » ، قال أحمد : « ليس به بأس » ، أخرج له مسلم . مضى برقم ٤٣٢٥ ، وغيرها كثير .

و « أبو معاوية البجليّ » ، هو « عمار بن معاوية الدهنى » ، كما صرح به الطبري في رقم : ٤٣٢٥ ، وهو ثقة . مضى في مواضع .

١٦٣٨٣ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن أبي إسحق قال : سألت أبا جُحَيْفَةَ عن « يوم الحج الأكبر » فقال : يوم عرفة . فقلت : أمن عندك ، أو من أصحاب محمد ؟ قال : كلُّ ذلك .^(١)

١٦٣٨٤ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن جريج ، عن عطاء قال : الحج الأكبر ، يوم عرفة .

١٦٣٨٥ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن عمر بن الوليد الشنّي ، عن شهاب بن عباد العَصْرِيّ ، عن أبيه قال : قال عمر رحمه الله : يوم الحج الأكبر ، يوم عرفة = فذكرته لسعيد بن المسيب فقال : أخبرك عن ابن عمر : أن عمر قال : الحج الأكبر يوم عرفة .

١٦٣٨٦ - حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا عمر بن الوليد الشنّي قال ، حدثنا شهاب بن عباد العَصْرِيّ ، عن أبيه قال : سمعت عمر بن الخطاب رحمه الله عليه يقول : هذا يوم عرفة ، يوم الحج الأكبر ، فلا يصومَنَّ أحد . قال : فحججت بعد أبي فأتيت المدينة ، فسألت عن أفضل أهلها ، فقالوا : سعيد بن المسيب ، فأتيته فقلت : إني سألت عن أفضل أهل المدينة فقالوا : سعيد بن المسيب ، فأخبرني عن صوم يوم عرفة ؟ فقال : أخبرك عن هو أفضل مني مئة ضعف ،^(٢) عمر ، أو : ابن عمر ، كان ينهى عن صومه ويقول : هو يوم الحج الأكبر .^(٣)

و « أبو الصهباء البكري » ، سلف بيانه برقم : ٥٢٨٦ . وهو إسناد صحيح .

(١) الأثر : ١٦٣٨٣ - « أبو جحيفة السوائي » ، هو « وهب بن عبد الله » ويقال له « وهب الخير » ، مات رسول الله قبل أن يبلغ الحلم . ثقة ، روى له الجماعة . مترجم في التهذيب ، والكبير ١٦٢/٢/٤ ، وابن أبي حاتم ٢٢/٢/٤ .

(٢) في المخطوطة : « أفضل مني أضاعافاً » ، وفي المخطوطة : « أفضل مني ضعف » ، والصواب من تفسير ابن كثير ٤ : ١١٣ .

(٣) الأثران : ١٦٣٨٥ ، ١٦٣٨٦ - « عمر بن الوليد الشنّي » ، « أبو سلمة العبدى » ، ثقة ، مضى برقم : ٤٣٥ ، ١١١٨٥ .

١٦٣٨٧ - حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا عبد الصمد

ابن حبيب ، عن معقل بن داود قال : سمعت ابن الزبير يقول : يوم عرفة هذا ،
يوم الحج الأكبر ، فلا يصمه أحد .^(١)

١٦٣٨٨ - حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا غالب

ابن عبيد الله قال : سألت عطاء عن يوم الحج الأكبر فقال : يوم عرفة ، فأفِضْ .
٥٠/١٠ منها قبل طلوع الفجر .^(٢)

١٦٣٨٩ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج

قال ، أخبرني محمد بن قيس بن مخزومة قال : خطب النبي صلى الله عليه وسلم
عشية عرفة ثم قال : « أما بعد » وكان لا يخطب إلا قال : « أما بعد » فإن هذا
يوم الحج الأكبر .^(٣)

١٦٣٩٠ - حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا

عبد الوهاب ، عن مجاهد قال : يوم الحج الأكبر ، يوم عرفة .

« شهاب بن عباد المصري العبدى » ، روى عن أبيه ، وهو غير « شهاب بن عباد العبدى » ،
شيخ البخارى ومسلم . ذكره ابن حبان فى الثقات . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/٢٣٥ ، وابن
أبى حاتم ١/٣٦١ ، ولم يذكر فيه جرحاً . وذكر فى التهذيب فى ترجمته : « قال الدارقطى :
صدوق زائع » ، وظنى أنه أخطأ ، ذاك « شهاب بن عباد » آخر ، ذكره الذهبى فى ميزان الاعتدال
١ : ٤٥١ .

وأبوه : « عباد المصرى » ، روى عن عمر ، مترجم فى ابن أبى حاتم ٣/٨٨ .

(١) الأثر : ١٦٣٨٧ - « عبد الصمد بن حبيب الأزدي العوذى » ، ضعفه البخارى
وأحمد . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣/٥١ .

و « معقل بن داود » ، لم أجد له ترجمة ، وفى ترجمة « عبد الصمد بن حبيب » ، أنه روى
عن « معقل القسلى » ، ولكنى لم أجد لهذا « القسلى » ، « الأزدي » ، ذكراً فى شيء من مراجع .
(٢) الأثر : ١٦٣٨٨ - « غالب بن عبيد الله العقيلي الجزرى » ، منكر الحديث ،
مضى برقم : ١٢٢١٤ .

(٣) الأثر : ١٦٣٨٩ - « محمد بن بكر بن عثمان البرسانى » ، ثقة ، مضى مراراً .

و « محمد بن قيس بن مخزومة بن المطلب بن عبد مناف » ، تابعى ثقة ، روى عن النبي صلى الله
عليه وسلم مرسلًا ، مضى برقم : ١٠٥٢٠ .

١٦٣٩١ - حدثني الحارث قال ، حدثنا القاسم قال ، حدثنا إسحق بن سليمان ، عن سلمة بن بُخْت ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : يوم الحج الأكبر ، يوم عرفة .^(١)

١٦٣٩٢ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، أخبرني طاوس ، عن أبيه قال ، قلنا : ما الحج الأكبر ؟ قال : يوم عرفة .

١٦٣٩٣ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس قال : أخبرنا ابن جريج ، عن محمد بن قيس بن مخزومة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب يوم عرفة فقال : هذا يوم الحج الأكبر .

• • •

وقال آخرون : هو يوم النحر .

• ذكر من قال ذلك :

١٦٣٩٤ - حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي إسحق ، عن الحارث ، عن علي قال : يوم الحج الأكبر ، يوم النحر .

١٦٣٩٥ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا مصعب بن سلام ، عن الأجلح ، عن أبي إسحق ، عن الحارث قال : سمعت علياً يقول : الحج الأكبر ، يوم النحر .

١٦٣٩٦ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام قال ، حدثنا عنبسة ، عن أبي إسحق ، عن الحارث قال : سألت علياً عن الحج الأكبر فقال : هو يوم النحر .

١٦٣٩٧ - حدثنا ابن أبي الشوارب قال ، حدثنا عبد الواحد قال ، حدثنا سليمان

(١) الأثر : ١٦٣٩١ - «إسحق بن سليمان الرازي» ، سلف مراراً .

و «سلمة بن بُخْت» مدني ، مول قريش ، قال أحمد : «لا بأس به» ، ووثقه ابن معين . مترجم في الكبير ٨٣/٢/٢ ، وابن أبي حاتم ١٥٦/١/٢ . وكان في المطبوعة : «سلمة بن محب» ، وهو خطأ محض ، وهي في المخطوطة ، غير منقوطة .

الشياني قال : سألت عبد الله بن أبي أوفى عن الحج الأكبر ، قال : فقال : يوم النحر . (١)

١٦٣٩٨ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن عيَّاش العامري ، عن عبد الله بن أبي أوفى قال : يوم الحج الأكبر ، يوم النحر . (٢)

١٦٣٩٩ — قال ، حدثنا سفيان ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عبد الله بن أبي أوفى قال : يوم الحج الأكبر ، يوم النحر .

١٦٤٠٠ — حدثنا محمد بن المثني قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن عبد الملك قال : دخلت أنا وأبو سلمة على عبد الله بن أبي أوفى ، قال : فسألته عن يوم الحج الأكبر ، فقال : يوم النحر ، يوم يُهْرَاقُ فيه الدم .
١٦٤٠١ — حدثنا عبد الحميد بن بيان قال ، أخبرنا إسحق ، عن سفيان ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عبد الله قال : يوم الحج الأكبر ، يوم النحر .

١٦٤٠٢ — حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ، حدثنا ابن إدريس ، عن الشياني قال : سألت ابن أبي أوفى عن يوم الحج الأكبر قال : هو يوم النحر .
١٦٤٠٣ — حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا الشياني ، عن عبد الله بن أبي أوفى قال : يوم الحج الأكبر ، يوم النحر .

١٦٤٠٤ — قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا عبد الملك بن عمير قال ، سمعت عبد الله بن أبي أوفى ، وسُئِلَ عن قوله : « يوم الحج الأكبر » ، قال : هو اليوم الذي يُرَاقُ فيه الدم ، ويُحَلَقُ فيه الشعر .

(١) الأثر : ١٦٣٩٦ — « الحارث » ، في هذا الإسناد وما قبله ، هو « الحارث الأعور » ، وقد مضى بيان ضعفه مراراً .

(٢) الأثر : ١٦٣٩٨ — « عيَّاش العامري » ، هو « عيَّاش بن عمرو العامري » ، ثقة ، مترجم في التهذيب ، والكبير ٤٨/١/٤ ، وابن أبي حاتم ٦/٢/٣ .
و « عبد الله بن أبي أوفى الأسلمي » ، صحابي شهد بيعة الرضوان . مضى برقم : ٧٧٥٨ .

١٦٤٠٥ - حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا أبو داود قال ، حدثنا شعبة ، عن الحكم قال : سمعت يحيى بن الجزار يحدث ، عن علي : أنه خرج يوم النحر على بغلة بيضاء يريد الجبّانة ، فجاء رجل فأخذ بلجام بغلته ، فسأله عن الحج الأكبر ، فقال : هو يومك هذا ، خلّ سيّلتها .^(١)

١٦٤٠٦ - حدثنا عبد الحميد بن بيان قال، حدثنا إسحق ، عن مالك ابن مغول، وشُتَيْر ، عن أبي إسحق ، عن الحارث ، عن علي قال : يوم الحج الأكبر ، يوم النحر .

١٦٤٠٧ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن عيينة ، عن أبي إسحق ، عن الحارث ، عن علي قال : سئل عن يوم الحج الأكبر قال : هو يوم النحر .
١٦٤٠٨ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن يحيى بن الجزار ، عن علي : أنه لقيه رجل يوم النحر فأخذ بلجامه ، فسأله عن يوم الحج الأكبر ، قال : هو هذا اليوم .^(٢)

١٦٤٠٩ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن آدم ، عن قيس ، عن عبد الملك بن عمير ، وعياش العامري ، عن عبد الله بن أبي أوفى قال : هو اليوم الذى تُهَرَّاق فيه الدماء .^(٣)

١٦٤١٠ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن عيينة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن ابن أبي أوفى قال : الحج الأكبر ، يوم مُهَرَّاق فيه الدماء، ويحلق فيه الشعر، ويحِلّ فيه الحرام .

١٦٤١١ - حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملى قال، حدثنا يحيى بن

(١) الأثر : ١٦٤٠٥ - «يحيى بن الجزار» ، ثقة ، كان يفلو فى التشيع ، لم يسمع من على إلا ثلاثة أحاديث ، هذا أحدها ، والحديث الآخر ، مضى برقم : ٥٤٢٥ ، ١٦١٠٦ . وانظر الأثر التالى رقم : ١٦٤٠٨ .

(٢) الأثر : ١٦٤٠٨ - هو مكرر الأثر . رقم : ١٦٤٠٥ ، مختصراً .

(٣) الأثر : ١٦٤٠٩ - انظر التعليق على رقم : ١٦٣٩٨ .

عيسى ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن سنان قال : خطبنا المغيرة بن شعبة يوم الأضحى على بعير فقال : هذا يوم الأضحى ، وهذا يوم النحر ، وهذا يوم الحج الأكبر .

١٦٤١٢ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن الأعمش ، عن عبد الله ابن سنان قال : خطبنا المغيرة بن شعبة يوم الأضحى على بعير وقال : هذا يوم الأضحى ، وهذا يوم النحر ، وهذا يوم الحج الأكبر .

١٦٤١٣ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن الأعمش ، عن عبد الله ابن سنان قال : خطبنا المغيرة بن شعبة ، فذكر نحوه .^(١)

١٦٤١٤ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن حماد بن سلمة ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : الحج الأكبر ، يوم النحر .

١٦٤١٥ - حدثنا ابن أبي الشوارب قال ، حدثنا عبد الواحد قال ، حدثنا سليمان الشيباني قال ، سمعت سعيد بن جبير يقول : الحج الأكبر ، يوم النحر .
١٦٤١٦ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن أبي جحيفة قال : الحج الأكبر ، يوم النحر .^(٢)

١٦٤١٧ - حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن أبي بشر قال : اختصم على بن عبد الله بن عباس ورجل من آل شيبه في «يوم الحج الأكبر» ، قال على : هو يوم النحر . وقال الذي من آل شيبه :

(١) الآثار ١٦٤١١ - ١٦٤١٣ - « عبد الله بن سنان الأسدي » ، « أبو سنان » ، روى عن علي ، وابن مسعود ، وضرار بن الأزور ، والمغيرة بن شعبة . روى عنه الأعمش ، وأبو حصين . وهو ثقة له أحاديث . توفي أيام الحجاج ، قبل يوم الجاهم . مترجم في ابن سعد ٦ : ١٢٣ ، وابن أبي حاتم ٦٨/٢/٢ ، وتعميل المنفعة ص : ٢٢٤ .
وكان في المطبوعة : « عبد الله بن يسار » ، في المواضع كلها ، خطأ محض ، وهو في المخطوطة : « سان » غير منقوط كله .

(٢) الأثر : ١٦٤١٦ - « أبو جحيفة » ، « وهب بن الله » ، سلف برقم : ١٦٣٨٣ .

هو يوم عرفة . فأرسل إلى سعيد بن جبير فسأله ، فقال : هو يوم النحر ، ألا ترى أن من فاته يوم عرفة لم يفته الحج ، فإذا فاته يوم النحر فقد فاته الحج ؟

١٦٤١٨ - حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا يونس ، عن سعيد بن جبير أنه قال : الحج الأكبر ، يوم النحر . قال فقلت له : إن عبد الله ابن شيبه ، ومحمد بن علي بن عبد الله بن عباس اختلفا في ذلك ، فقال محمد ابن علي : هو يوم النحر . وقال عبد الله : هو يوم عرفة . قال سعيد بن جبير : رأيته لو أن رجلاً فاته يوم عرفة ، أكان يفوته الحج ؟ وإذا فاته يوم النحر فاته الحج !

١٦٤١٩ - حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ، حدثنا ابن إدريس ، عن الشيباني ، عن سعيد بن جبير قال : الحج الأكبر ، يوم النحر .

١٦٤٢٠ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه قال ، حدثني رجل ، عن أبيه ، عن قيس بن عباد قال : ذو الحجة العاشر النحر ، وهو يوم الحج الأكبر .

١٦٤٢١ - حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي إسحق ، عن عبد الله بن شداد قال : يوم الحج الأكبر ، يوم النحر . والحج الأصغر ، العمرة .

١٦٤٢٢ - حدثنا عبد الحميد بن بيان قال ، أخبرنا إسحق ، عن شريك ، عن أبي إسحق ، عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال : الحج الأكبر ، يوم النحر .

١٦٤٢٣ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا المحارب ، عن مسلم الحجبي قال :

سألت نافع بن جبير بن مطعم عن يوم الحج الأكبر ، قال : يوم النحر .

١٦٤٢٤ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن المغيرة ، عن إبراهيم قال : كان يقال : الحج الأكبر ، يوم النحر .

١٦٤٢٥ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ،

عن عامر قال : يوم الحج الأكبر ، يوم يُهْرَق فيه الدم ، ويحلّ فيه الحرام .
 ١٦٤٢٦ - حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا مغيرة ، عن
 إبراهيم أنه قال : يوم الحج الأكبر ، يوم النحر ، الذي يحلّ فيه كل حرام .
 ١٦٤٢٧ - قال حدثنا هشيم ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي ،
 عن علي قال : يوم الحج الأكبر ، يوم النحر .

١٦٤٢٨ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن ابن عون قال :
 سألت محمداً عن يوم الحج الأكبر فقال : كان يوماً وافق فيه حج رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وحج أهل الوبر . ٥٢/١٠

١٦٤٢٩ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا الحكم بن بشير قال ، حدثنا
 عمر بن ذر قال : سألت مجاهداً عن يوم الحج الأكبر فقال : هو يوم النحر .
 ١٦٤٣٠ - حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا إسرائيل ،
 عن أبي إسحق ، عن مجاهد : يوم الحج الأكبر ، يوم النحر .

١٦٤٣١ - حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا
 إسرائيل ، عن ثور ، عن مجاهد : يوم الحج الأكبر ، يوم النحر .

١٦٤٣٢ - حدثنا أحمد قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ،
 عن جابر ، عن عامر قال : يوم الحج الأكبر ، يوم النحر = وقال عكرمة :
 يوم الحج الأكبر ، يوم النحر ، يوم تهراق فيه الدماء ، ويحلّ فيه الحرام = قال
 وقال مجاهد : يوم يجمع فيه الحج كله ، وهو يوم الحج الأكبر .

١٦٤٣٣ - قال حدثنا إسرائيل ، عن عبد الأعلى ، عن محمد بن علي :
 يوم الحج الأكبر ، يوم النحر .

١٦٤٣٤ - قال ، حدثنا إسرائيل ، عن عبد الأعلى ، عن سعيد
 ابن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .

١٦٤٣٥ - قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا حماد بن سلمة ،

عن سمالك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، مثله .

١٦٤٣٦ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أبي إسحق قاله ، قال علي : الحج الأكبر ، يوم النحر = قال : وقال الزهري : يوم النحر ، يوم الحج الأكبر .

١٦٤٣٧ - حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال ، حدثنا عمي عبد الله ابن وهب قال ، أخبرني يونس ، وعمرو ، عن الزهري ، عن حميد بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر في الحجة التي أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها قبل حجة الوداع ، في رهط يؤذنون في الناس يوم النحر : ألا لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان = قال الزهري : فكان حميد يقول : يوم النحر ، يوم الحج الأكبر .^(١)

١٦٤٣٨ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، حدثنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الشعبي ، عن أبي إسحق قال : سألت عبد الله بن شداد عن الحج الأكبر ، والحج الأصغر ، فقال : الحج الأكبر يوم النحر ، والحج الأصغر العمرة .

١٦٤٣٩ - . . . قال أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن أبي إسحق قال ، سألت عبد الله بن شداد ، فذكر نحوه

١٦٤٤٠ - . . . قال أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن عبد الملك بن عمير قال : سمعت عبد الله بن أبي أوفى يقول : يوم الحج الأكبر ، يوم يوضع فيه الشعر ، ويهراق فيه الدم ، ويحل فيه الحرام .^(٢)

(١) الأثر : ١٦٤٣٧ - «يونس» ، هو «يونس بن يزيد الأيلي» ثقة ، سلف مراراً . و «عمرو» ، هو «عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصاري» ، ثقة مضى مراراً . و «حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري» ، الثقة ، مضى مراراً . وهذا الخبر رواه البخاري في صحيحه (الفتح ٣ : ٨/٣٨٧ : ٢٣٨ - ٢٤١) من طرق ، واستوفى الكلام عليه الحافظ ابن حجر هناك .

و يمثله في السنن لأبي داود ٢ : ٢٦٤ ، رقم : ١٩٤٦ .

(٢) الأثر : ١٦٤٤٠ - انظر ما سلف رقم : ١٦٣٩٩ .

١٦٤٤١ - . . . قال ، حدثنا الثوري ، عن أبي إسحق ، عن علي قال :

الحج الأكبر ، يوم النحر .

١٦٤٤٢ - حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا

قيس ، عن عياش العامري ، عن عبد الله بن أبي أوفى : أنه سئل عن يوم الحج الأكبر فقال : سبحان الله ، هو يوم تهراق فيه الدماء ، ويحل فيه الحرام ، ويوضع فيه الشعر ، هو يوم النحر : (١)

١٦٤٤٣ - . . . قال ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي حصين ، عن عبد الله بن

سنان ، قال : خطبنا المغيرة بن شعبة على ناقه له فقال : هذا يوم النحر ، وهذا يوم الحج الأكبر . (٢)

١٦٤٤٤ - . . . قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا حسن بن صالح ،

عن مغيرة ، عن إبراهيم قال ، يوم الحج الأكبر ، يوم النحر .

١٦٤٤٥ - حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز ، عن إبراهيم بن طهمان ،

عن مغيرة ، عن إبراهيم : يوم الحج الأكبر ، يوم النحر ، يحل فيه الحرام .

١٦٤٤٦ - حدثني أحمد بن المقدام قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ،

حدثنا ابن عون ، عن محمد بن سيرين ، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة ، عن أبيه قال : لما كان ذلك اليوم ، قعد على بعير له ، (٣) وأخذ إنسان بخطامه = أو : زمامه = فقال : أي يوم هذا ؟ قال : فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه غير اسمه فقال : أليس يوم الحج ؟ (٤)

(١) الأثر : ١٦٤٤٢ - انظر ما سلف رقم : ١٦٣٩٨ .

(٢) الأثر : ١٦٤٤٣ - انظر ما سلف رقم : ١٦٤١١ - ١٦٤١٣ ، وكان في المطبوعة هنا أيضاً : « عبد الله بن يسار » ، والصواب « ابن سنان » ، كما في المخطوطة أيضاً .

(٣) زاد في المطبوعة هنا فكتب : « قعد على بعير له النبي » .

(٤) الأثر : ١٦٤٤٦ - رواه البخاري في صحيحه (الفتح ٣ : ٤٥٩) من طريق أبي عامر المقدى ، عن قرّة بن خالد ، عن محمد بن سيرين ، مطولاً وفيه : « أليس يوم النحر » .

١٦٤٤٧ - حدثنا سهل بن محمد السجستاني قال ، حدثنا أبو جابر الحرى قال ، حدثنا هشام بن الغاز الجرشي ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال : هذا يوم الحج الأكبر . (١)

(١) الأثر : ١٦٤٤٧ - « سهل بن محمد بن عثمان السجستاني » ، هو « أبو حاتم » ، النحوي ، المقرئ ، البصري المشهور . ذكره ابن حبان في الثقات . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٢٠٤/١/٢ . وكان في المطبوعة والمخطوطة ، وتفسير ابن كثير « سهل بن محمد الحسائي » . وكان الصواب هو ما أثبتته لما سترى بعد .

و « أبو جابر الحرى » ، هو « محمد بن عبد الملك الأزدي البصري » ، نزيل مكة ، مشهور بكنيته . روى عنه « أبو حاتم السجستاني » ، فن أجل ذلك صححت الاسم السالف « سهل بن محمد السجستاني » . ونسبته « الحرى » ، كانت في المخطوطة « الحرى » ، تشبه أن تكون « باءاً » أو « تاءاً » أو « ثاءاً » ، أو « ميماً » ، فرجعت أنها « ميم » لأنه نزيل مكة ، نسبة إلى « الحرم » . وكانت في المطبوعة : « الحرى » ، وفي تفسير ابن كثير « الحرى » ، ولم يوجد شيء من ذلك في ترجمته . و « أبو جابر » ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال أبو حاتم : « أدركته ، مات قبلنا بيسير ، وليس بقوى » . وهو مترجم في التهذيب ، والكبير ١٦٥/١/١ ، ولم يذكر فيه جرحاً ، وابن أبي حاتم ٥/١/٤ ، وميزان الاعتدال ٣ : ٩٥ .

و « هشام بن الغاز بن ربيعة الجرشي » ، ثقة صالح الحديث . مترجم في التهذيب ، والكبير ١٩٩/٢/٤ ، وابن أبي حاتم ٦٧/٢/٤ .

وهذا الخبر ، أخرجه ابن كثير في تفسيره ٤ : ١١٤ ، وقال : « هكذا رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه ، من حديث أبي جابر - واسمه : محمد بن عبد الملك - به . ورواه ابن مردويه أيضاً من حديث الوليد بن مسلم ، عن هشام بن الغاز . ثم رواه من حديث سعيد بن عبد العزيز ، عن نافع ، به » .

وفاته أن البخاري أخرجه في صحيحه تعليقاً (الفتح ٣ : ٤٥٩) ، مطولا ، وأخرجه أبو داود في سننه ٢ : ٢٦٤ رقم : ١٩٤٥ ، من طريق مؤلف بن الفضل ، عن الوليد بن مسلم ، عن هشام ابن الغاز ، بمثله مطولا .

وأخرجه ابن ماجة في سننه ١٠١٦ ، رقم : ٣٠٥٨ ، من طريق هشام بن عمار ، عن صدقة ابن خالد ، عن هشام بن الغاز ، بمثله ، مطولا .

وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٥ : ١٣٩ .

وقال الحافظ ابن حجر (الفتح ٣ : ٤٥٩ ، ٤٦٠) : « وأخرجه الطبراني عن أحمد بن الممل ، والإسماعيل عن جعفر الفريابي ، كلاهما عن هشام بن عمار = وعن جعفر الفريابي ، عن دحيم ، عن الوليد بن مسلم ، عن هشام بن الغاز ، ومن هذا الوجه أخرجه أبو داود » .

١٦٤٤٨ — حدثنا محمد بن المثني قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا

شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن مرة الهمداني ، عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقه حمراء مخضومة ،^(١) فقال : أتدرون أي يوم يومكم ؟ قالوا : يوم النحر ! قال : صدقتم ، يوم الحج الأكبر .^(٢)

١٦٤٤٩ — حدثنا محمد بن المثني قال ، حدثنا يحيى بن سعيد قال ، حدثنا

شعبة قال ، أخبرني عمرو بن مرة قال ، حدثنا مرة قال ، حدثنا رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه .

١٦٤٥٠ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس قال ، أخبرنا إسماعيل

ابن أبي خالد ، عن أبيه ، عن قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً بأربع كلمات حين حج أبو بكر بالناس ، فنادى ببراءة : إنه يوم الحج الأكبر ، ألا إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، ألا ولا يطوف بالبيت عريان ، ألا ولا يحج بعد العام مشرك ، ألا ومن كان بينه وبين محمد عهد^١ فأجله إلى مدته ، والله برىء

أما الحاكم ، فقد أخرجه في المستدرک ٢ : ٣٣١ من طريق سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي ، عن الوليد بن مسلم ، عن هشام بن الغاز ، ثم قال : « وهذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة . وأكثر هذا المتن مخرج في الصحيحين إلا قوله : إن يوم الحج الأكبر ، يوم النحر سنة . فإن الأقاويل فيه عن الصحابة والتابعين رضى الله عنهم ، على خلاف بينهم فيه ، فمنهم من قال : يوم عرفة ، ومنهم من قال : يوم النحر » ، ووافقه الذهبي على صحته .

(١) « المخضومة » ، المقطوع طرف أذنهما ، وكان أهل الجاهلية يخضرمون نعمهم ، فلما جاء الإسلام ، أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يخضرموا من غير الموضع الذي يخضرم منه أهل الجاهلية ، فكانت خضرة أهل الإسلام بائنة من خضرة أهل الجاهلية .

(٢) الأثر : ١٦٤٤٨ — « رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، ربما كان : « عبد الله بن مسعود » ، فقد روى الخبر مطولاً ابن ماجه في السنن : ١٠١٦ ، رقم : ٣٠٥٧ ، من طريق إسماعيل بن توبة ، عن زافر بن سليمان ، عن أبي سنان ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الله ابن مسعود .

وسائق برقم : ١٦٤٥٤ ، من حديث شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن رجل من أصحاب رسول الله ، كمثل ما في رواية ابن ماجه ، ليس فيه « مرة الطيب » .

من المشركين ورسوله (١).

١٦٤٥١ - حدثني يعقوب قال ، حدثني هشيم ، عن حجاج بن أرقطة ، عن عطاء قال : يوم الحج الأكبر ، يوم النحر .

١٦٤٥٢ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « يوم الحج الأكبر » ، قال : يوم النحر ، يوم يحل فيه المحرم ، وينحر فيه البدن . وكان ابن عمر يقول : هو يوم النحر . وكان أبي يقوله . وكان ابن عباس يقول : هو يوم عرفة . ولم أسمع أحداً يقول إنه يوم عرفة إلا ابن عباس . قال ابن زيد : والحج يفوت بفوت يوم النحر ، ولا يفوت بفوت يوم عرفة ، إن فاتته اليوم لم يفته الليل ، يقف ما بينه وبين طلوع الفجر .

١٦٤٥٣ - حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي قال : يوم الأضحى ، يوم الحج الأكبر .

١٦٤٥٤ - حدثنا سفيان قال ، حدثنا أبي ، عن شعبة ، عن عمرو بن مرة ، قال ، حدثني رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوتي هذه ، حسبته قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر على ناقه حمراء مخضرة فقال : أتدرون أي يوم هذا ؟ هذا يوم النحر ، وهذا يوم الحج الأكبر (٢).

* * *

وقال آخرون : معنى قوله : « يوم الحج الأكبر » ، حين الحج الأكبر ووقته . قال : وذلك أيام الحج كلها ، لا يوم بعينه .

(١) الأثر : ١٦٤٥٠ - « إسماعيل بن أبي خالد الأحمسي » ، مضى مراراً .
و « أبوه » : « أبو خالد الأحمسي البجلي » ، مترجم في التهذيب ، روى عن أبي هريرة ، وجابر بن سمرة . ذكره ابن حبان في الثقات .

وقد حذفت المطبوعة ما أثبت ، وهو « عن ... » ، وبعدها بياض ، سقط من المخطوطة اسم الصحابي الذي روى عنه أبو خالد هذا الخبر .
ولم أجد الخبر في مكان آخر .

(٢) الأثر : ١٦٤٥٤ - انظر التعليق على رقم : ١٦٤٤٨ .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٤٥٥ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « يوم الحج الأكبر » ، حين الحج ، أيامه كلها .

١٦٤٥٦ - حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا ابن عيينة ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال : الحج الأكبر ، أيام منى كلها ، ومجامع المشركين حين كانوا بذى الحجاز وعكاظ ومَجَنَّة ، حين نودى فيهم : أن لا يجتمع المسلمون والمشركون بعد عامهم هذا ، وأن لا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فعهده إلى مدته .

١٦٤٥٧ - حدثني الحارث قال ، حدثنا أبو عبيد قال ، كان سفيان يقول : « يوم الحج » ، و « يوم الجمل » ، و « يوم صفين » ، أى : أيامه كلها .

١٦٤٥٨ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد في قوله : « يوم الحج الأكبر » ، قال : حين الحج ، أى : أيامه كلها .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصحة ، قول من قال : « يوم الحج الأكبر ، يوم النحر » ، لتظاهر الأخبار عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن علياً نادى بما أرسله به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرسالة إلى المشركين ، وتلا عليهم « براءة » ، يوم النحر . هذا ، مع الأخبار التي ذكرناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم النحر : أتدرون أى يوم هذا ؟ هذا يوم الحج الأكبر .

وبعد ، فإن « اليوم » ، إنما يضاف إلى المعنى الذى يكون فيه ، كقول الناس : ١٠/٤٥ « يوم عرفة » ، وذلك يوم وقوف الناس بعرفة = و « يوم الأضحى » ، وذلك يوم

يضحون فيه = « ويوم الفطر » ، وذلك يوم يفطرون فيه . وكذلك « يوم الحج » ، يوم يحجون فيه ، وإنما يحج الناس ويقضون مناسكهم يوم النحر ، لأن في ليلة نهار يوم النحر ، الوقوفُ بعرفة غير فائت إلى طلوع الفجر ، ^(١) وفي صبيحتها يعمل أعمال الحج . فأما يوم عرفة ، فإنه وإن كان فيه الوقوف بعرفة ، فغير فائت الوقوف به إلى طلوع الفجر من ليلة النحر ، والحج كله يوم النحر .

* * *

وأما ما قال مجاهد : من أن « يوم الحج » ، إنما هو أيامه كلها ، فإن ذلك وإن كان جائزاً في كلام العرب ، فليس بالأشهر الأعراف في كلام العرب من معانيه ، بل أغلب على معنى « اليوم » عندهم أنه من غروب الشمس إلى مثله من الغد . وإنما حمل تأويل كتاب الله على الأشهر الأعراف من كلام من نزل الكتاب بلسانه .

* * *

واختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله قيل لهذا اليوم : « يوم الحج الأكبر » .

فقال بعضهم : سمي بذلك ، لأن ذلك كان في سنة اجتمع فيها حج المسلمين والمشركين .

. ذكر من قال ذاك

١٦٤٥٩ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن قال : إنما سمي « الحج الأكبر » ، من أجل أنه حج أبو بكر الحجة التي حجها ، واجتمع فيها المسلمون والمشركون ، فلذلك سمي « الحج الأكبر » ، ووافق أيضاً عيد اليهود والنصارى .

١٦٤٦٠ - حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا

(١) في المطبعة : « الوقوف بعرفة كان إلى طلوع الفجر » ، غير ما في المخطوطة ، وهو للصواب المحض .

حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد بن جدعان ، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال : يوم الحج الأكبر ، كانت حجة الوداع ، اجتمع فيه حج المسلمين والنصارى واليهود ، ولم يجتمع قبله ولا بعده .

١٦٤٦١ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن الحسن قال : قوله : « يوم الحج الأكبر » ، قال : إنما سمي « الحج الأكبر » ، لأنه يوم حج فيه أبو بكر ، ونُبذت فيه العهود .

وقال آخرون : « الحج الأكبر » ، القِرانُ ، و « الحج الأصغر » ، الأفراد .
* ذكر من قال ذلك :

١٦٤٦٢ - حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا أبو بكر النهشلي ، عن حماد ، عن مجاهد قال : كان يقال : « الحج الأكبر » ، و « الحج الأصغر » ، فالجج الأكبر ، القِران = و « الحج الأصغر » ، أفراد الحج .
* * *

وقال آخرون : « الحج الأكبر » ، الحج = و « الحج الأصغر » ، العمرة .
* ذكر من قال ذلك :

١٦٤٦٣ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، قال : « الحج الأكبر » ، الحج ، و « الحج الأصغر » ، العمرة .
١٦٤٦٤ - قال ، حدثنا عبد الأعلى ، عن داود ، عن عامر قال : قلت له : هذا الحج الأكبر ، فإ « الحج الأصغر » ، قال : العمرة .

١٦٤٦٥ - حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي قال : كان يقال : « الحج الأصغر » ، العمرة في رمضان .

١٦٤٦٦ - قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد قال : كان يقال : « الحج الأصغر » ، العمرة .

١٦٤٦٧ - . . . قال ، حدثنا عبد الرحمن ، عن سفيان ، عن أبي أنباء ،
عن عبد الله بن شداد قال : « يوم الحج الأكبر » ، يوم النحر ، و « الحج الأصغر » ، العمرة .
١٦٤٦٨ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن
معمر ، عن الزهري : أن أهل الجاهلية كانوا يسمون « الحج الأصغر » ، العمرة .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك عندي ، قول من
قال : « الحج الأكبر ، الحج » ، لأنه أكبر من العمرة بزيادة عمله على عملها ،
فقليل له : « الأكبر » ، لذلك . وأما « الأصغر » ، فالعمرة ، لأن عملها أقل من
عمل الحج ، فذلك قيل لها : « الأصغر » ، لتقصان عملها عن عمله .

* * *

وأما قوله : « أن الله برىء من المشركين ورسوله » ، فإن معناه : أن الله برىء
من عهد المشركين ورسوله ، بعد هذه الحجة .

* * *

قال أبو جعفر : ومعنى الكلام : وإعلام من الله ورسوله إلى الناس في يوم
الحج الأكبر : أن الله ورسوله من عهد المشركين بريثان ، كما : -
١٦٤٦٩ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : « أن
الله برىء من المشركين ورسوله » ، أي : بعد هذه الحجة .^(١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتُوا إِلَيْهِمْ عَهْدُهُمْ إِلَىٰ مَدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله » ، إلا من عاهد الذين عاهدتم من المشركين ، أيها المؤمنون ^(١) = « ثم لم ينقصوكم شيئاً » ، من عهدكم الذي عاهدتموهم = « ولم يظاهروا عليكم أحداً » ، من عدوكم ، فيعينوهم بأنفسهم وأبدانهم ، ولا بسلح ولا خيل ولا رجال ^(٢) = « فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم » ، يقول : ففؤوا لهم بعهدهم الذي عاهدتموهم عليه ، ^(٣) ولا تنصبوا لهم حرباً إلى انقضاء أجل عهدهم الذي بينكم وبينهم = « إن الله يحب المتقين » ، يقول : إن الله يحب من اتقاه بطاعته ، بأداء فرائضه واجتناب معاصيه . ^(٤)

١٦٤٧١ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن الفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم » ، يقول : إلى أجلهم .

١٦٤٧٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « إلا الذين عاهدتم من المشركين » ، أى : العهد الخاص إلى الأجل المسمى = « ثم لم ينقصوكم شيئاً » ، الآية . ^(٥)

(١) انظر تفسير « المعاهدة » فيما سلف ص : ٢١ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « المظاهرة » فيما سلف ٢ : ٣٠٤ .

(٣) انظر تفسير « الإتمام » فيما سلف ١٣ : ٨٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « التقوى » فيما سلف من فهارس اللغة (وق) .

(٥) الأثر : ١٦٤٧٢ — سيرة ابن هشام ٢ : ١٨٨ ، وهو تابع الأثر السالف رقم :

١٦٤٧٣ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً » ، الآية ، قال : هم مشركو قريش ، الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية ، وكان بقي من مدتهم أربعة أشهر بعد يوم النحر . فأمر الله نبيه أن يوفى لهم بعهدهم إلى مدتهم ، ومن لا عهد له إلى انسلاخ الحرم ، ونفذ إلى كل ذى عهد عهده ، وأمره بقتالهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأن لا يقبل منهم إلا ذلك .

١٦٤٧٤ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : مدة من كان له عهد من المشركين قبل أن تنزل « براءة » أربعة أشهر ، من يوم أذن ببراءة إلى عشر من شهر ربيع الآخر ، وذلك أربعة أشهر . فإن نقض المشركون عهدهم ، وظاهروا عدواً ، فلا عهد لهم . وإن وفوا بعهدهم الذى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يظاهروا عليه عدواً ، فقد أمر أن يؤدى إليهم عهدهم وبني به .

• • •

القول فى تأويل قوله ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحَرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَخْصِرُواهُمْ وَأَقْمِدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٥)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « فإذا انسلخ الأشهر الحرم » ، فإذا انقضى ومضى وخرج .

• • •

يَقَالُ مِنْهُ : «سَلَخْنَا شَهْرَ كَذَا نَسَلَخْهُ سَلَخًا ، وَسَلَخُوا» ، بِمَعْنَى : خَرَجْنَا مِنْهُ .
وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : «شَاةٌ مَسْلُوخَةٌ» ، بِمَعْنَى : الْمَنْزُوعَةُ مِنْ جِلْدِهَا ، الْمَخْرُجَةُ مِنْهُ .^(١)

* * *

وَيَعْنِي بِـ «الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ» ، ذَا الْقَعْدَةِ ، وَذَا الْحِجَّةِ ، وَالْحَرَمِ .^(٢) ٥٦/١٠

* * *

وَلَمَّا أُريدَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ انْسِلَاخُ الْحَرَمِ وَحْدَهُ ، لِأَنَّ الْأَذَانَ كَانَ بِيَرَاءَةِ يَوْمِ الْحِجِّ الْأَكْبَرِ . فَعَلُومُ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا أَجَلُّوا الْأَشْهُرَ الْحَرَمَ كُلَّهَا = وَقَدْ دَلَّلْنَا عَلَى صَحَّةِ ذَلِكَ فِيمَا مَضَى = وَلَكِنَّهُ لَمَّا كَانَ مُتَصِلًا بِالشَّهْرَيْنِ الْآخَرَيْنِ قَبْلَهُ الْحَرَامَيْنِ ، وَكَانَ هُوَ لِهَؤُلَاءِ ثَلَاثًا ، وَهِيَ كُلُّهَا مُتَصِلَةٌ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ ، قِيلَ : «فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحَرَمُ» ، وَمَعْنَى الْكَلَامِ : فَإِذَا انْقَضَتْ الْأَشْهُرُ الْحَرَمُ الثَّلَاثَةُ عَنِ الَّذِينَ لَا عَهْدَ لَهُمْ ، أَوْ عَنِ الَّذِينَ كَانَ لَهُمْ عَهْدٌ فَتَقَضُوا عَهْدَهُمْ بِمَظَاهِرَتِهِمُ الْأَعْدَاءَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ ، أَوْ كَانَ عَهْدُهُمْ إِلَى أَجَلٍ غَيْرِ مَعْلُومٍ .

* * *

= «فَاغْتَلَبُوا الْمُشْرِكِينَ» ، يَقُولُ : فَاغْتَلَبُوهُمْ = «حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ» ، يَقُولُ : حَيْثُ لَقِيتُمُوهُمْ مِنَ الْأَرْضِ ، فِي الْحَرَمِ ، وَغَيْرِ الْحَرَمِ ، فِي الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ وَغَيْرِ الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ = «وَحَذَوْهُمْ» يَقُولُ : وَأَسْرَوْهُمْ = «وَاحْصَرَوْهُمْ» ، يَقُولُ : وَامْنَعُوهُمْ التَّصَرُّفَ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ وَدُخُولِ مَكَّةَ = «وَاقْعَدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ» ، يَقُولُ : وَاقْعَدُوا لَهُمْ بِالطَّلَبِ لِقَتْلِهِمْ أَوْ أَسْرِهِمْ = «كُلَّ مَرْصِدٍ» ، يَعْنِي : كُلَّ طَرِيقٍ وَمَرْقَبٍ .

* * *

وَهُوَ «مَفْعَلٌ» ، مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ : «رَصَدْتُ فَلَانًا أَرْصُدُهُ رَصْدًا» ، بِمَعْنَى : رَقَبْتُهُ .

* * *

«فَإِنْ تَابُوا» ، يَقُولُ : فَإِنْ رَجَعُوا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشَّرْكِ بِاللَّهِ وَجُحُودِ نُبُوَّةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ

(١) انظر تفسير «الانسلاخ» فيما سلف ١٣ : ٢٦٠ .

(٢) انظر تفسير «الأشهر الحرم» فيما سلف ٣ : ٥٧٥ - ٥٧٩ : ٩ : ٤٦٥ ، ٤٦٦ /

صلى الله عليه وسلم ، ^(١) إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأنداد ، والإقرار بنبوّة محمد صلى الله عليه وسلم = « وأقاموا الصلاة » ، يقول : وأدّوا ما فرض الله عليهم من الصلاة بمحدودها = وأعطوا الزكاة التي أوجبها الله عليهم في أموالهم أهلها ^(٢) = « فخلوا سبيلهم » ، يقول : فدعوهم يتصرفون في أمصاركم ، ويدخلون البيت الحرام = « إن الله غفور رحيم » ، لمن تاب من عباده = فأتاب إلى طاعته ، بعد الذي كان عليه من معصيته ، سائر على ذنبه ، رحيم به ، أن يعاقبه على ذنوبه السالفة قبل توبته ، بعد التوبة . ^(٣)

* * *

وقد ذكرنا اختلاف المختلفين في الذين أجّلوا إلى انسلاخ الأشهر الحرم .

* * *

وبنحو ما قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٤٧٥ — حدثنا عبد الأعلى بن واصل الأسدي قال ، حدثنا عبيد الله ابن موسى قال ، أخبرنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع ، عن أنس قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده ، وعبادته لا يشرك به شيئاً ، فارقها والله عنه راضٍ = قال : وقال أنس : هو دين الله الذي جاءت به الرسل وبلغوه عن ربهم ، قبل هرج الأحاديث ، ^(٤) واختلاف الأهواء . وتصديق ذلك في كتاب الله في آخر ما أنزل الله ، قال الله : « فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ » ، قال : توبتهم ، خلع الأوثان ، وعبادة ربهم ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، ثم قال في آية أخرى : ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ

(١) انظر تفسير « التوبة » فيما سلف من فهارس اللغة (تاب) .

(٢) انظر تفسير « إقامة الصلاة » ، و « إيتاء الزكاة » فيما سلف من فهارس اللغة (قوم) ، (أتى) .

(٣) انظر تفسير « غفور » و « رحيم » فيما سلف من فهارس اللغة (غفر) ، (رحم) .

(٤) « هرج الأحاديث » ، الإكثار فيها ، واختلاف المختلفين ، واختلاط أصواتهم .

وَأَتُوا الزَّكَاةَ فَأَخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ﴿ [سورة التوبة : ١١] .^(١)

١٦٤٧٦ - حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » ، حتى ختم آخر الآية . وكان قتادة يقول : خلوا سبيل من أمركم الله أن تخلوا سبيله ، فإنما الناس ثلاثة : رهط مسلم عليه الزكاة ، ومشرك عليه الجزية ، وصاحب حرب يأمن بتجارته في المسلمين إذا أعطى عشور ماله .

١٦٤٧٧ - حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « فإذا انسلخ الأشهر الحرم » ، وهي الأربعة التي عددت لك = يعني : عشرين من ذى الحجة ، والمحرم ، وصفر ، وربيعاً الأول ، وعشرًا من شهر ربيع الآخر .

* * *

وقال قائلوهذه المقالة: قيل لهذه: « الأشهر الحرم » ، لأن الله عز وجل حرّم على المؤمنين فيها دماء المشركين ، والعرض لهم إلا بسبيل خير^(٢) .
* ذكر من قال ذلك :

(١) الأثر : ١٦٤٧٥ - « عبد الأعلى بن واصل بن عبد الأعلى بن هلال الأسدي » ، شيخ الطبري ، ثقة ، مضى برقم : ١١١٢٥ .
و « عبيد الله بن موسى بن أبي المختار العبي » ، روى له الجماعة ، سلف مراراً ، آخرها : ١٣١٧٧ .
وسائر رجال السند ، ثقات ، مضوا جميعاً ، إلا أبا جعفر الرازي ، فقد تكلموا فيه ، وهو ثقة إن شاء الله .

وهذا الخبر رواه ابن ماجة في سننه : ٢٧ ، رقم : ٧٠ ، من طريقين : من طريق نصر بن علي الجهضمي ، عن أبي أحمد ، عن أبي جعفر الرازي ، ثم من طريق أبي حاتم ، عن عبيد الله بن موسى العبي ، عن أبي جعفر ، بمثله .

ورواه الحاكم في المستدرك ٢ : ٣٣١ ، ٣٣٢ عن طريق إسحق بن سليمان الرازي ، عن أبي جعفر الرازي ، ولم يقل فيه : « قال أنس : وهو دين الله . . . » بل ساقه مدرجاً في الحديث ، ثم قال : « وهذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ، وافقه الذهبي ، إلا أنه استدرك عليه فقال : « صدر الخبر مرفوع ، وسأثره مدرج فيما أرى » ، وصدق الذهبي .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « والعرض لهم » ، وهو بمعنى « التعرض » .

١٦٤٧٨ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن

ابن جريج ، عن إبراهيم بن أبي بكر : أنه أخبره عن مجاهد وعمرو بن شعيب في ٥٧/١٠
قوله : « فإذا انسلخ الأشهر الحرم » ، أنها الأربعة التي قال الله : « فسيحوا في
الأرض » ، قال : هي « الحرم » ، من أجل أنهم أومنوا فيها حتى يسيحوها .^(١)

١٦٤٧٩ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في

قوله : « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الأرض
أربعة أشهر » ، قال : « ضرب لهم أجل أربعة أشهر ، وتبرأ من كل مشرك . ثم أمر
إذا انسلخت تلك الأشهر الحرم = « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذلهم
واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد » ، لا تتركوهم يضربون في البلاد ، ولا يخرجوا
لتجارة ،^(٢) ضيقوا عليهم بعدها . ثم أمر بالعفو^(٣) : « فإن تابوا وأقاموا الصلاة
وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم » .

١٦٤٨٠ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « فإذا

انسلخ الأشهر الحرم » ، يعني : الأربعة التي ضرب لهم أجلاً = لأهل العهد العام
من المشركين = « فاقتلهم حيث وجدتموهم وخذلهم واحصروهم واقعدوا لهم كل
مرصد » ، الآية .^(٤)

• • •

(١) الأثر : ١٦٤٧٨ - إبراهيم بن أبي بكر الأحنس ، ثقة ، مضى رقم : ١٠٧٥٨ .

(٢) في المطبوعة : « ولا يخرجون للتجارة » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٣) في المخطوطة : « بعدها أمر بالعفو » ، وفي المطبوعة : « بعدها أمر بالعفو » ، وصواب

السياق يقتضي ما أثبت ، وزيادة « ثم » .

(٤) الأثر : ١٦٤٨٠ - سيرة ابن هشام ٤ : ١٨٩ ، وهو تابع الأثر السالف رقم :

١٦٤٧٢ ، وقوله : « لأهل العهد العام من المشركين » ، من كلام أبي جعفر ، استظهاراً بما سلف
قبله في السيرة ، وفي رقم : ١٦٣٥٦ .

القول في تأويل قوله ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه : وإن استأمنك ، يا محمد ، من المشركين ، الذين أمرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم ، أحد^٢ ليسمع كلام الله منك = وهو القرآن الذي أنزله الله عليه = « فأجره » ، يقول : فأمنه حتى يسمع كلام الله وتتلوه عليه = « ثم أبلغه مأمنه » ، يقول : ثم رُدّه بعد سماعه كلام الله إن هو أبى أن يسلم ، ولم يتعظ بما تلوته عليه من كلام الله فيؤمن = « إلى مأمنه » ، يقول : إلى حيث يأمن منك ومن في طاعتك ، حتى يلحق بداره وقومه من المشركين^(١) = « ذلك بأنهم قوم لا يعملون » ، يقول : تفعل ذلك بهم ، من إعطائك إياهم الأمان ليسمعوا القرآن ، وردك إياهم إذا أبوا الإسلام إلى مأمنهم ، من أجل أنهم قوم جهلة لا يفقهون عن الله حجة ، ولا يعلمون ما لهم بالإيمان بالله لو آمنوا ، وما عليهم من الوزر والإثم بتركهم الإيمان بالله .

* * *

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٤٨١ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وإن

أحد من المشركين استجارك » ، أى : من هؤلاء الذين أمرتك بقتالهم = « فأجره » .^(٢)

(١) انظر تفسير « الأمن » فيما سلف ١٣ : ٤٢٠ ، تعليق ١ ، والمراجع هناك .

(٢) الأثر : ١٦٤٨١ - سيرة ابن هشام ٤ : ١٨٩ ، وهو تابع الأثر السالف رقم :

١٦٤٨٢ - حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « فأجره حتى يسمع كلام الله » ، أما « كلام الله » ، فالقرآن .

١٦٤٨٣ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره » ، قال : إنسان يأتيك فيسمع ما تقول ، ويسمع ما أنزل عليك ، فهو آمنٌ حتى يأتيك فيسمع كلام الله ، وحتى يبلغ مأمنه ، حيث جاءه .^(١)

١٦٤٨٤ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

١٦٤٨٥ - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم غازياً ، فلقى العدو ، وأخرج المسلمون رجلاً من المشركين وأشرعوا فيه الأسنة ، فقال الرجل : ارفعوا عنى سلاحكم ، وأسمعوني كلام الله ! فقالوا : تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وتخلع الأنداد ، وتبترأ من اللات والعزى ! فقال : فإني أشهدكم أني قد فعلت !

١٦٤٨٦ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « ثم أبلغه مأمنه » ، قال : إن لم يوافقه ما تتلو عليه وتحديثه ،^(٢) فأبلغه . قال : وليس هذا بمنسوخ .

* * *

واختلف في حكم هذه الآية ، هل هو منسوخ أو هو غير منسوخ ؟ فقال بعضهم : هو غير منسوخ ، وقد ذكرنا قول من قال ذلك .

* * *

وقال آخرون : هو منسوخ .

(١) في المطبوعة : « حيث جاء » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) في المخطوطة والمطبوعة : « ما تَوَلَّى عليه وتحديثه » ، وفي المخطوطة فوق « تقول » حرف (ط)

دلالة على الخطأ ، والصواب ما أثبت .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٤٨٧ - حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا

سفيان ، عن جوير ، عن الضحاك : « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » ، ٥٨/١٠

نسختها : ﴿ فَأَيُّ مَنَّا بَعْدُ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ ﴾ [سورة محمد : ٤] .

١٦٤٨٨ - قال ، حدثنا سفيان ، عن السدي ، مثله .

* * *

وقال آخرون : بل نسخ قوله : « فاقتلوا المشركين » ، قوله : ﴿ فَأَيُّ مَنَّا بَعْدُ ﴾ .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٤٨٩ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عبدة بن سليمان ، عن ابن أبي

عروبة ، عن قتادة : ﴿ حَتَّى إِذَا أَتَخَسَّيْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ ﴾ ، [سورة محمد : ٤] ،

نسخها قوله : « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندى ، قول من قال : « ليس

ذلك بمنسوخ » . وقد دللنا على أن معنى « النسخ » ، هو نفي حكم قد كان ثبت

بحكم آخر غيره . ^(١) ولم تصح حجة بوجوب حكم الله في المشركين بالقتل بكل

حال ، ثم نسخه بترك قتلهم على أخذ الفداء ، ولا على وجه المن عليهم . فإذا كان

ذلك كذلك ، وكان الفداء والمن والقتل لم يزل من حكم رسول الله صلى الله عليه

وسلم فيهم من أول حرب حاربهم ، ^(٢) وذلك من يوم بدر = كان معلوماً أن معنى

الآية : فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ، وخذوهم للقتل أو المن أو الفداء ،

واحصروهم . وإذا كان ذلك معناه ، صح ما قلنا في ذلك دون غيره .

* * *

(١) انظر ما قاله أبو جعفر في « النسخ » مراراً في فهارس الكتاب .

(٢) في المطبوعة : « فكان الفداء » ، وهو خطأ ، لم يحسن قراءة المخطوطة .

القول في تأويل قوله ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقِيمُوا لَكُمْ فَأَسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : أئني يكون، أيها المؤمنون بالله ورسوله ، وبأئى معنى ، يكون للمشركين بربهم عهدٌ وذمة عند الله وعند رسوله ، يوفى لهم به ، ويتركوا من أجله آمنين يتصرفون في البلاد ؟^(١) وإنما معناه : لا عهد لهم ، وأن الواجب على المؤمنين قتلهم حيث وجدوهم ، إلا الذين أعطوا العهد عند المسجد الحرام منهم ، فإن الله جل ثناؤه أمر المؤمنين بالوفاء لهم بعهدهم ، والاستقامة لهم عليه ، ما داموا عليه للمؤمنين مستقيمين .

واختلف أهل التأويل في الذين عنوا بقوله : « إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام » .

فقال بعضهم : هم قوم من جذيمة بن الدئل .

• ذكر من قال ذلك :

١٦٤٩٠ - حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ،

حدثنا أسباط ، عن السدي : « كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم » ، هم بنو جذيمة بن الدئل .^(٢)

(١) انظر تفسير « العهد » و « المعاهدة » فيما سلف ص : ١٣٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) هكذا جاء هنا « بنو جذيمة بن الدئل » ، وفي رقم : ١٦٤٩١ : « جذيمة بكر كنانة » .

ولا أعلم في « الدئل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة » ، « جذيمة » فإن « جذيمة كنانة » إنما هم :

« بنو جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة » ، أبناء عموه « الدئل » ، و « بكر بن عبد مناة » .

١٦٤٩١ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن محمد بن عباد بن جعفر قوله : « إلا الذين عاهدتم من المشركين » ، قال : هم جذيمة بكر كنانة .^(١)

١٦٤٩٢ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « كيف يكون للمشركين » ، الذين كانوا هم وأنتم على العهد العام ،^(٢) بأن لا تخيفوهم ولا تخيفوكم في الحرم ولا في الشهر الحرام^(٣) = « عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام » ، وهى قبائل بنى بكر الذين كانوا دخلوا في عهد قريش وعقدهم يوم الحديبية ، إلى المدة التى كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، فلم يكن نقضها إلا هذا الحى من قريش ، وبنو الدؤل من بكر . فأمر بإتمام العهد لمن لم يكن نقض عهده من بنى بكر إلى مدته = « فاستقاموا لكم » ، الآية .^(٤)

* * *

وقال آخرون : هم قريش

وبنو جذيمة بن عامر بن عبد مناة ، هم أهل الغميصاء ، الذين أوقع بهم خالد بن الوليد بعد الفتح ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً رضى الله عنه ليتلافى خطأ خالد بن الوليد ، فودى لهم الدماء وما أصيب من الأموال ، حتى إنه إنه ليدى لهم ميلة الكلب .
(انظر سيرة ابن هشام ٤ : ٧٠ - ٧٣) .

(١) الأثر : ١٦٤٩١ - راجع التعليق السالف . وكان في المطبوعة : « بكر ، من كنانة » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « كانوا وأنتم » ، وأثبت ما في سيرة ابن هشام .

(٣) في المطبوعة : « بأن لا تمنعوهم ولا يمنعوك من الحرم » ، غير ما في المخطوطة ، لأنه لم يحسن قراءتها . والصواب ما في المخطوطة ، مطابقاً لما في السيرة .

وقوله : « في الحرم » ، يعنى في مكة البلد الحرام ، وسائر مناسك الحج ، وهى بضم الحاء وسكون الراء . وهى من « الحرم » ، وهو ما لا يحل انتهاكه . وقد قصرت كتب اللغة في إثبات لفظ « الحرم » بهذا المعنى الذى فسرتة ، وهو كثير في أخبارهم بالمعنى الذى ذكرت ، فأثبتته هناك . ومن أجل هذا ظن الناشر أنه حين كتب « من الحرم » ، أن « الحرم » لا تأتى بمعنى « الحرم » .

(٤) الأثر : ١٦٤٩٢ - سيرة ابن هشام ٤ : ١٨٩ ، وهو تابع الأثر السالف رقم :

* ذكر من قال ذلك :

١٦٤٩٣ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : قال ابن عباس قوله : « إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام » ، هم قريش .
١٦٤٩٤ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : « إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام » ،
يعنى : أهل مكة .

١٦٤٩٥ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام » ، يقول : هم قوم كان بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم مدة ، ولا ينبغي لمشرك أن يدخل المسجد الحرام ، ولا يعطى المسلم الجزية = « فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم » ، يعنى أهل العهد من المشركين .

١٦٤٩٦ — حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم » ، قال : هؤلاء قريش . وقد نسخ هذا الأشهر التي ضربت لهم ، وغدروا بهم فلم يستقيموا ، كما قال الله . فضرب لهم بعد الفتح أربعة أشهر ، يختارون من أمرهم : إما أن يسلموا ، وإما أن يلحقوا بأى بلاد شاؤوا . قال : فأسلموا قبل الأربعة الأشهر ، وقبل قتل^(١) .

١٦٤٩٧ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم » ، قال : هو يوم الحديبية ،^(٢) قال : فلم يستقيموا ، نقضوا عهدهم ،

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « وقبل وقبل » ، ولا معنى له ، ولكنه في المخطوطة غير منقوط ، والصواب إن شاء الله ما أثبت .

(٢) كان في المطبوعة : « هم قوم جذيمة » ، وهذا كلام فاسد كل الفساد . وفي المخطوطة :

أى : أعانوا بنى بكرٍ حِلَفٍ قريش ، على خزاعة حِلَفِ النّبي صلى الله عليه وسلم .^(١)

* * *

وقال آخرون : هم قوم من خزاعة .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٤٩٨ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا

ابن عيينة ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام » ، قال : أهل العهد من خزاعة .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب عندى ، قولٌ من قال : هم بعضُ بنى بكرٍ من كنانة ، ممن كان أقام على عهده ، ولم يكن دخل فى نقض ما كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش يوم الحديبية من العهد مع قريش ، حين نقضوه بمعاونتهم حلفاءهم من بنى الدثيل ، على حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من خزاعة .

* * *

وإنما قلتُ : هذا القول أولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، لأن الله أمر نبيه والمؤمنين بإتمام العهد لمن كانوا عاهدوه عند المسجد الحرام ، ما استقاموا على عهدهم . وقد بينّا أن هذه الآيات إنما نادى بها على فى سنة تسع من الهجرة ، وذلك بعد فتح مكة بسنة ، فلم يكن بمكة من قريش ولا خزاعة كافرٌ يومئذ بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدٌ ، فيؤمر بالوفاء له بعهده ما استقام على عهده ، لأن من كان منهم من ساكنى مكة ، كان قد نقض العهد وحارب قبل نزول هذه الآيات .

* * *

« هم يوم الحديبية » ، وصواب قراءته ما أثبت . وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كتب الهدنة بينه وبين قريش عام الحديبية ، ثوابت بنو بكر بن عبد مناة فقالت : « نحن فى عقد قريش وعهدهم » ، وثوابت خزاعة فقالت : « نحن فى عقد محمد وعهده » (سيرة ابن هشام ٣ : ٣٣٢) . ثم كان بعد ذلك بمدة أن تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة ، وهم حلف رسول الله ، فكان ذلك أحد الأسباب الموجبة للمسير إلى مكة وفتحها . وهذا ما دل عليه سائر الخبر .

(١) هو « حلفه » ، أى : حليفه ، وهو الذى بينه وبينه عهد .

وأما قوله : « إن الله يحب المتقين » ، فإن معناه : إن الله يحب من اتقى الله وراقبه في أداء فرائضه ، والوفاء بعهده لمن عاهده ، واجتناب معاصيه ، وترك الغدر بعهده لمن عاهده .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةَ يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (٨)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : كيف يكون لهؤلاء المشركين الذين نقضوا عهدهم أو لمن لا عهد له منهم منكم ، أيها المؤمنون ، عهد وذمة ، وهم = « إن يظهروا عليكم » ، يغبوكم = « لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة » .

* * *

واكتفى بـ « كيف » ، دليلاً على معنى الكلام ، لتقدم ما يراد من المعنى بها قبلها . وكذلك تفعل العرب ، إذا أعادت الحرف بعد مضى معناه ، استجازوا حذف الفعل ، كما قال الشاعر : (١)

وَحَبَّرْتُ مَانِي أَنَّمَا الْمَوْتُ فِي الْقُرَى فَكَيْفَ وَهَذِي هَضْبَةٌ وَكَثِيبٌ (٢)

فحذف الفعل بعد « كيف » ، لتقدم ما يراد بعدها قبلها . ومعنى الكلام : فكيف يكون الموت في القرى ، وهذي هضبة وكثيب ، لا ينجو فيهما منه أحد ؟

* * *

(١) هو كعب بن سعد الغنوي .

(٢) الأصمعيات : ٩٩ ، طبقات فحول الشعراء : ١٧٦ ، أمالي القالي ٢ : ١٥١ ، جمهرة أشعار العرب : ١٣٥ ، ومعاني القرآن للفراء : ١ : ٤٢٤ وغيرها كثير . وهي من أشهر المراثي وأنبهها . وكان لكعب بن سعد أخ يقال له « أبو المنوار » ، فأخذ المدينة وباء ، فنصحوه بأن يفر بأخيه من الأرض الوبيشة ، لينجو من طوارق الموت ، فلما خرج به إلى البادية هلك أخوه ، فتفجع عليه تفجع العربي النبيل .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله : « لا يرقبوا فيكم إلاّ ولا ذمة » .
فقال بعضهم ، معناه : لا يرقبوا الله فيكم ولا عهداً .
* ذكر من قال ذلك :

١٦٤٩٩ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن ابن أبي
نجيح ، عن مجاهد : « لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا » ، [سورة التوبة : ١٠] ، قال : الله .
١٦٥٠٠ - حدثني يعقوب قال ، حدثنا ابن عليه ، عن سليمان ، عن أبي
مجاز في قوله : « لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةٌ » ، قال : مثل قوله : « جبرائيل » ،
« ميكائيل » ، « إيسراfil » ، كأنه يقول : يضيف « جَبَر » ، و « ميكا » ،
و « إسراف » ، إلى « إيل » ، ^(١) يقول : عبد الله = « لا يرقبون في مؤمن إلاّ » ،
٦٠/١٠ كأنه يقول : لا يرقبون الله .

١٦٥٠١ - حدثني محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثني محمد بن ثور ،
عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « إلاّ ولا ذمة » ، لا يرقبون الله
ولا غيره .

* * *

وقال آخرون : « الإلال » ، القرابة .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٥٠٢ - حدثني المثني قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني
معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةٌ » ،
يقول : قرابةً ولا عهداً . وقوله : « وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاّ ولا ذمة » ،
قال : « الإلال » ، يعني القرابة ، و « الذمة » ، العهد .

١٦٥٠٣ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي

(١) في المخطوطة : « كأنه يقول : يضاف جبر » ، وفي المخطوطة : « كأنه يقول جبر
يضيف جبر . . . » . وفي المخطوطة أيضاً « سراف » بغير ألف .

قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة » ، « الإل » ، القرابة ، و « الذمة » ، العهد ، يعنى أهل العهد من المشركين ، يقول : ذمتهم .

١٦٥٠٤ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو معاوية وعبد ، عن جوير ، عن الضحاك ، « الإل » ، القرابة . (١)

١٦٥٠٥ - حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا محمد بن عبد الله ، عن سلمة بن كهيل ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةٌ » ، قال : « الإل » ، القرابة ، و « الذمة » ، العهد .

١٦٥٠٦ - حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت ، الضحاك يقول في قوله : « لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةٌ » ، « الإل » ، القرابة ، و « الذمة » ، الميثاق .

١٦٥٠٧ - حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « كيف وإن يظهروا عليكم » ، المشركون = « لا يرقبوا فيكم » ، عهداً ولا قرابة ولا ميثاقاً .

* * *

وقال آخرون : معناه الحلف .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٥٠٨ - حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة » ، قال « الإل » ، الحلف ، و « الذمة » ، العهد .

* * *

وقال آخرون : « الإل » ، هو العهد ، ولكنه كرر لما اختلف اللفظان ، وإن كان معناهما واحداً .

(١) الأثر : ١٦٥٠٤ - في المطبوعة : « عن حوشب ، عن الضحاك » ، غير ما في المخطوطة ، وهو الصواب . وهذا إسناد مضى مثله مراراً .

• ذكر من قال ذلك :

١٦٥٠٩ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « إلا » ، قال : عهداً .

١٦٥١٠ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « لا يرقبوا فيكم إلاّ ولا ذمة » ، قال : لا يرقبوا فيكم عهداً ولا ذمة . قال : إحداهما من صاحبها كهيئة « غفور » ، « رحيم » ، قال : فالكلمة واحدة ، وهي تفرق . قال : والعهد هو « الذمة » .

١٦٥١١ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن أبيه ، عن خصيف ، عن مجاهد « ولا ذمة » ، قال : العهد .

١٦٥١٢ - حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا قيس ، عن خصيف ، عن مجاهد : « ولا ذمة » ، قال : « الذمة » ، العهد .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء المشركين الذين أمر نبيّه والمؤمنين بقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم ، وحصرهم والقيود لهم على كل مرصد : أنهم لو ظهروا على المؤمنين لم يرقبوا فيهم « إلا » . و « الإل » ، اسم يشتمل على معان ثلاثة : وهي العهد ، والعقد ، والحلف ، والقربة ، وهو أيضاً بمعنى « الله » . فإذا كانت الكلمة تشمل هذه المعاني الثلاثة ، ولم يكن الله خصاً من ذلك معنى دون معنى ، فالصواب أن يُعمَ ذلك كما عمّ بها جل ثناؤه معانيها الثلاثة ، فيقال : لا يرقبون في مؤمنٍ الله ولا قرابة ولا عهداً ولا ميثاقاً . ومن الدلالة على أنه يكون بمعنى « القرابة » ، قول ابن مقبل :

أَفْسَدَ النَّاسَ خُلُوفٌ خَلَفُوا قَطَعُوا الْإِلَّ وَأَعْرَاقَ الرَّحِمِ (١)

(١) من أبيات مفرقة ، لم أجدها مجموعة في مكان ، وهذا بيت لم أجده أيضاً في مكان آخر . و « خلوف » جمع « خلف » (بفتح فسكون) ، وهم بقية السوء والأشرار تخلف من سبقها . وفي المخطوطة : « أخلفوا » بالألف ، والصواب ما في المطبوعة . و « الأعراق » جمع « عرق » ، وعرق

بمعنى : قطعوا القرابة ، وقول حسان بن ثابت :

لَعَمْرُكَ إِنَّ إِلَّاكَ مِنْ قُرَيْشٍ كَالِ السَّقْبِ مِنْ رَأْلِ النِّعَامِ^(١)

وأما معناه إذا كان بمعنى « العهد » ، فقول القائل :^(٢)

وَجَدْنَاهُمْ كَاذِبًا إِلَهُمُ وَذُو الْإِلِّ وَالْعَهْدِ لَا يَكْذِبُ

* * *

وقد زعم بعض من ينسب إلى معرفة كلام العرب من البصريين : أن « الإلال » ،

و « العهد » ، و « الميثاق » ، و « اليمين » ، واحد = وأن « الذمة » في هذا الموضع ،
التذم ممن لا عهد له ، والجمع « ذمم » .^(٣)

* * *

وكان ابن إسحق يقول : غنى بهذه الآية أهل العهد العام .

١٦٥١٣ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « كيف
وإن يظهروا عليكم » ، أى : المشركون الذين لا عهد لهم إلى مدة من أهل العهد

كل شيء : أصله الذى منه ثبت . ويقال منه : « تدراكه أعراق خير ، وأعراق شر » .
(١) ديوانه : ٤٠٧ ، واللسان (أل) ، من أبيات هجا بها أبا سفيان بن الحارث بن
عبد المطلب بن هاشم ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخوه من الرضاعة ، وكان من يشبه
رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان أبو سفيان من يؤذى النبي صلى الله عليه وسلم ، ويهجو ، ويؤذى
المسلمين ، فأنهزى له حسان فأخذ منه كل مأخذ . ثم أسلم في فتح مكة ، وشهد حنيناً ، وثبت فيمن
ثبت مع نبي الله ، وظل أخذاً بلجام بغلة رسول الله يكفها رسول الله يركضها إلى الكفار . ثم ظل
أبو سفيان! بعد ذلك لا يرفع رأسه إلى رسول الله حياء منه .
ولكن كان من هجاء حسان له ، بعد البيت :

فَإِنَّكَ إِنْ تَمَتَّ إِلَى قُرَيْشٍ كَذَاتِ الْجَوِّ جَائِلَةً الْمَرَامِ
وَأَنْتَ مُنَوَّطٌ بِهِمْ هَجِينٌ كَمَا نَيْطَ السَّرَاحِجِ بِالْخِدَامِ
فَلَا تَفْخَرْ بِقَوْمٍ لَسْتَ مِنْهُمْ وَلَا تَكُ كَاللثَامِ بَيْنِي هِشَامِ

و « السقب » ، ولد الناقة ساعة يولد . و « الرأل » ، ولد النعام . يقول : ما قرابتك في قریش ،
إلا كقرابة الفصيل ، من ولد النعام !

(٢) لم أعرف قائله .

(٣) هو أبو عبيدة في مجاز القرآن ١ : ٢٥٣ .

العام = « لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة »^(١).

* * *

فأما قوله : « يرضونكم بأفواههم » ، فإنه يقول : يعطونكم بالسنتهم من القول ، خلاف ما يضمرونه لكم في نفوسهم من العداوة والبغضاء^(٢) = « وتآبى قلوبهم » ، أى : تأبى عليهم قلوبهم أن يدعوا لكم ، بتصديق ما يبدونه لكم بالسنتهم . يحذر جل ثناؤه أمرهم المؤمنين ، ويشحذهم على قتلهم واجتياحهم حيث وجدوا من أرض الله ، وأن لا يقصروا في مكروهمهم بكل ما قدروا عليه = « وأكثرهم فاسقون » ، يقول : وأكثرهم مخالفون عهدكم ، ناقضون له ، كافرون بربهم ، خارجون عن طاعته .^(٣)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَشْتَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(١)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : اتباع هؤلاء المشركون الذين أمركم الله ، أيها المؤمنون ، بقتلهم حيث وجدتموهم ، بتركهم اتباع ما احتج الله به عليهم من حججه ، يسيراً من العوض قليلاً من عرض الدنيا .^(٢)

* * *

وذلك أنهم ، فيما ذكر عنهم ، كانوا نقضوا العهد الذى كان بينهم وبين رسول

(١) الأثر : ١٦٥١٣ - سيرة ابن هشام ٤ : ١٨٩ ، وهو تابع الأثر السالف رقم :

١٦٤٩٢ .

(٢) انظر تفسير « بدت البغضاء من أفواههم » ٧ : ١٤٥ - ١٤٧ / و « يقولون بأفواههم » .

٧ : ٣٧٨ / و « قالوا آمنا بأفواههم » ١٠ : ٣٠١ - ٣٠٨ .

(٣) انظر تفسير « الفسق » فيما سلف من فهارس اللغة (فسق) .

(٤) انظر تفسير « اشترى » فيما سلف ١٠ : ٣٤٤ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

= وتفسير « الآيات » فيما سلف من فهارس اللغة (أَي) .

= وتفسير « الثمن القليل » فيما سلف ١٠ : ٣٤٤ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

الله صلى الله عليه وسلم بأكلةٍ أطعمهموها أبو سفيان بن حرب .

١٦٥١٤ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « اشترؤا بآيات الله ثمناً قليلاً » ، قال : أبو سفيان بن حرب ، أطعم حلفاءه ، وترك حلفاء محمد صلى الله عليه وسلم .
١٦٥١٥ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

* * *

وأما قوله : « فصدوا عن سبيله » ، فإن معناه : فنعوا الناس من الدخول في الإسلام ، وحاولوا ردَّ المسلمين عن دينهم^(١) = « إنهم ساء ما كانوا يعملون » ، يقول جل ثناؤه : إن هؤلاء المشركين الذين وصفت صفاتهم ، ساء عملهم الذي كانوا يعملون ، من اشتراؤهم الكفرَ بالإيمان ، والفضالة بالهدى ، وصددهم عن سبيل الله من آمن بالله ورسوله ، أو من أراد أن يؤمن .^(٢)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴾ (١٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : لا يتقى هؤلاء المشركون الذين أمرناكم ، أيها المؤمنون ، بقتلهم حيث وجدتموهم ، في قتل مؤمن لو قدروا عليه = « إلا ولا ذمة » ، يقول : فلا تبقوا عليهم ، أيها المؤمنون ، كما لا يبقون عليكم لو ظهروا عليكم^(٣) = « وأولئك هم المعتدون » ، يقول : المتجاوزون فيكم إلى ما ليس لهم بالظلم والاعتداء .^(٤)

* * *

(١) انظر تفسير « الصد » فيما سلف ١٣ : ٥٨١ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « سبيل الله » فيما سلف من فهارس اللغة (سبيل) .

(٢) انظر تفسير « ساء » فيما سلف ١٣ : ٢٧٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « الإل » و « الذمة » فيما سلف قريباً ص : ١٤٥ - ١٤٩ .

(٤) انظر تفسير « الاعتداء » فيما سلف ١٣ : ١٨٢ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

القول في تأويل قوله ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (١١)

قال أبو جعفر: يقول جل ثناؤه : فإن رجع هؤلاء المشركون الذين أمرتكم ، أيها المؤمنون ، بقتلهم عن كفرهم وشركهم بالله ، إلى الإيمان به وبرسوله ، وأنابوا إلى طاعته = « وأقاموا الصلاة » ، المكتوبة ، فأدّوها بحدودها = « وآتوا الزكاة » ، المفروضة أهلها^(١) = « وإخوانكم في الدين » ، يقول : فهم إخوانكم في الدين الذي أمركم الله به ، وهو الإسلام = « ونفصل الآيات » ، يقول : ونبين حجج الله وأدلته على خلقه^(٢) = « لقوم يعلمون » ، ما بيّن لهم ، فنشرحها لهم مفصلة ، دون الجهال الذين لا يعقلون عن الله بيانه ومحكم آياته .

* * *

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٥١٦ - حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ،

عن قتادة قوله : « فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ » ،

يقول : إن تركوا اللات والعزى ، وشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله =

« وإخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون » .

١٦٥١٧ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا حفص بن غياث ، عن ليث ،

(١) انظر تفسير « التوبة » و « إقامة الصلاة » و « إيتاء الزكاة » في فهارس اللغة

(توب) ، (قوم) ، (أتى) .

(٢) انظر تفسير « التفصيل » فيما سلف ١٣ : ٢٥٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

= وتفسير « الآيات » فيما سلف من فهارس اللغة (أى) .

عن رجل ، عن ابن عباس : « فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة » ، قال : حرمت هذه الآية دماء أهل القبيلة .

١٦٥١٨ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد : افترضت الصلاة والزكاة جميعاً لم يفرق بينهما . وقرأ : « فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين » ، وأبى أن يقبل الصلاة إلا بالزكاة . وقال : رحم الله أبا بكر ، ما كان أفقهه !

١٦٥١٩ - حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا شريك ، عن أبي إسحق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله قال : أمرتم بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، ومن لم يرك فلا صلاة له .

* * *

وقيل : « فإخوانكم » ، فرفع بضمير : « فهم إخوانكم » ، إذ كان قد جرى ذكرهم قبل ، كما قال : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ﴾ ، [سورة الأحزاب : ٥] ، بمعنى : فهم إخوانكم في الدين .^(١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَتَلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴾ (١٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فإن نقض هؤلاء المشركون الذين عاهدتموهم من قريش ، عهودهم من بعد ما عاهدوكم أن لا يقاتلوكم ولا يظاهروا عليكم أحداً من أعدائكم^(٢) « وطعنوا في دينكم » ، يقول : وقد حوا في دينكم الإسلام ،

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٤٢٥ .

(٢) انظر تفسير « نكث » فيما سلف ١٣ : ٧٣ .

فثلبوه وعابوه^(١) = « فقاتلوا أئمة الكفر » ، يقول : فقاتلوا رؤساء الكفر بالله^(٢) =
« إنهم لا إيمان لهم » ، يقول : إن رؤساء الكفر لا عهد لهم^(٣) = « لعلهم ينتهون » ،
لكي ينتهوا عن الطعن في دينكم والمظاهرة عليكم^(٤) .

* * *

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ، على اختلاف بينهم في المعنيين بأئمة الكفر .
فقال بعضهم : هم أبو جهل بن هشام ، وعتبة بن ربيعة ، وأبو سفيان بن
حرب ، ونظراؤهم . وكان حذيفة يقول : لم يأت أهلها بعد .
* ذكر من قال : هم من سميت .

١٦٥٢٠ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي
قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وإن نكثوا أيمانهم من
بعد عهدهم » ، إلى : « لعلهم ينتهون » ، يعني أهل العهد من المشركين ، سماهم « أئمة
الكفر » ، وهم كذلك . يقول الله لنبيه : وإن نكثوا العهد الذي بينك وبينهم ،
فقاتلهم ، أئمة الكفر لا إيمان لهم^(٥) = « لعلهم ينتهون » .

١٦٥٢١ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة :
« وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم » إلى : « ينتهون » ، فكان من أئمة الكفر :
أبو جهل بن هشام ، وأمّية بن خلف ، وعتبة بن ربيعة ، وأبو سفيان ، وسهيل
ابن عمرو ، وهم الذين هموا بإخراجه .

١٦٥٢٢ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ،

(١) في المطبوعة : « فثلموه » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « الإمام » فيما سلف ٣ : ١٨ .

(٣) انظر تفسير « اليمين » فيما سلف ٨ : ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٨١ .

(٤) انظر تفسير « الانتهاء » فيما سلف ١٣ : ٥٤٣ ، تعليق ٣ : ، والمراجع هناك .

(٥) أثبت ما في المخطوطة ، وهو صواب محض ، وصححها في المطبوعة هكذا ، كما ظن :

« فقاتل أئمة الكفر لأنهم لا إيمان لهم » ، فزاد وغير !

عن قتادة : « أئمة الكفر » ، أبو سفيان ، وأبو جهل ، وأمّية بن خلف ، وسهيل ابن عمرو ، وعتبة بن ربيعة .

١٦٥٢٣ - حدثنا ابن وكيع وابن بشار = قال ، ابن وكيع ، حدثنا غندر = وقال ابن بشار ، حدثنا محمد بن جعفر = ، عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن مجاهد : « فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم » ، قال : أبو سفيان منهم .

١٦٥٢٤ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « وإن نكثوا أيمانهم » ، إلى : « ينهون » ، هؤلاء قریش . يقول : إن نكثوا عهدهم الذي عاهدوا على الإسلام ، وطعنوا فيه ، فقاتلهم . (١)
١٦٥٢٥ - حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد قال ، سمعت الضحاک يقول في قوله : « فقاتلوا أئمة الكفر » ، يعني رؤوس المشركين ، أهل مكة .

١٦٥٢٦ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر عن قتادة في قوله : « فقاتلوا أئمة الكفر » ، أبو سفيان بن حرب ، وأمّية ابن خلف ، وعتبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وسهيل بن عمرو ، وهم الذين نكثوا عهد الله ، وهمّوا بإخراج الرسول . وليس والله كما تأوّل أهل الشبهات والبدع والفرى على الله وعلى كتابه . (٢)

٦٣/١٠

* * *

* ذكر الرواية عن حذيفة بالذى ذكرنا عنه :

١٦٥٢٧ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن زيد بن وهب ، عن حذيفة : « فقاتلوا أئمة الكفر » ، قال : ما قوتل أهل هذه الآية بعد . (٣)

(١) في المطبوعة : « فقاتلهم » ، وأثبت ما في المخطوطة .
(٢) « الفرى » (بكسر ففتح) جمع « فرية » ، وهى الكذب . ويعنى بذلك الخوارج ، فهم يستدلون بهذه الآية على قتال من خالفهم من أهل القبلة ، ويستحلون بها دماءهم وأموالهم .
(٣) الأثر : ١٦٥٢٧ - « زيد بن وهب الهمداني الجهنى » ، تابعى مخضرم ، سمع عمر ،

١٦٥٢٨ - حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا حبيب بن حسان ، عن زيد بن وهب قال : كنت عند حذيفة فقرأ هذه الآية : « فقاتلوا أئمة الكفر » ، فقال : ما قوتل أهل هذه الآية بعد^(١) .

١٦٥٢٩ - حدثني أبو السائب قال ، حدثنا الأعمش ، عن زيد بن وهب قال : قرأ حذيفة : « فقاتلوا أئمة الكفر » ، قال : ما قوتل أهل هذه الآية بعد^(٢) .

١٦٥٣٠ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، وإسرائيل ،

عن أبي إسحق ، عن صلة بن زفر : « إنهم لا أيمان لهم » ، لا عهد لهم^(٣) .

١٦٥٣١ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « وإن نكثوا أيمانهم » ، قال : عهدهم .

١٦٥٣٢ - حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « وإن نكثوا أيمانهم » ، عهدهم الذي عاهدوا على الإسلام .

١٦٥٣٣ - حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي إسحق ، عن صلة ، عن عمار بن ياسر في قوله : « لا أيمان لهم » ، قال : لا عهد لهم^(٤) .

وعبد الله ، وحذيفة ، وأبا الدرداء . روى له الجماعة . مضى برقم : ٤٢٢٢ .

وهذا الخبر رواه البخاري مطولاً (الفتح ٨ : ٢٤٣) ، بغير هذا اللفظ ، من طريق محمد ابن المنني ، عن يحيى بن سعيد ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن زيد بن وهب قال ، كنا عند حذيفة . . . وانظر الأثر التالي ، والذي بعده .

(١) الأثر : ١٦٥٢٨ - مكرر الأثر السالف ، وانظر تخريجه هناك .

و « حبيب بن حسان » ، هو « حبيب بن أبي الأشرس » ، وهو « حبيب بن أبي هلال » ، منكر الحديث ، متروك قال ابن حبان : « منكر الحديث جداً ، وكان قد عشق نصرانية ، فقيل إنه تنصر وتزوج بها . فأما اختلافه إلى البيعة من أجلها فصحيح » . وقال يحيى بن معين : « كانت له جارتان نصرانيتان ، فكان يذهب معهما إلى البيعة » .

مترجم في الكبير ٣١١/٢/١ ، وميزان الاعتدال ١ : ٢٠٩ ، ٢١١ ، ولسان الميزان ٢ : ١٦٧ ، ١٧٠ .

(٢) الأثر : ١٦٥٢٨ - مكرر الأثرين السالفين .

(٣) الأثر : ١٦٥٣٠ - « صلة بن زفر العبسي » تابعي ثقة . روى له الجماعة ، مترجم في التهذيب ، والكبير ٣٢٢/٢/٢ ، وابن أبي حاتم ٤٤٦/١/٢ .

وانظر رقم : ١٦٥٣٣ ، مرفوعاً إلى عمار بن ياسر . ورقم : ١٦٥٣٤ ، مرفوعاً إلى حذيفة .

(٤) الأثر : ١٦٥٣٣ - مكرر الأثر رقم ١٦٥٣٠ ، مرفوعاً إلى عمار بن ياسر .

١٦٥٣٤ - حدثني محمد بن عبيد المحاربي قال ، حدثنا أبو الأحوص ، عن أبي إسحق ، عن صلة بن زفر ، عن حذيفة في قوله : « فقاتلوا أئمة الكفر لانهم لا أيمان لهم » ، قال : لا عهد لهم . (١)

* * *

وأما « النكث » فإن أصله النقص ، يقال منه : « نكث فلان قُوَى جبهه » ، إذا نقضها . (٢)

* * *

و « الأيمان » جمع « اليمين » . (٣)

* * *

واختلفت القراءة في قراءة قوله : « لانهم لا أيمان لهم » .
فقرأه قراءة الحجاز والعراق وغيرهم : « لَانَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ » ، بفتح الألف من « أيمان » بمعنى : لا عهود لهم ، على ما قد ذكرنا من قول أهل التأويل فيه .

* * *

وذكر عن الحسن البصري أنه كان يقرأ ذلك : « لَانَّهُمْ لَا إِيْمَانَ لَهُمْ » ، بكسر الألف ، بمعنى : لا إسلام لهم .

* * *

وقد يتوجه لقراءته كذلك وجه غير هذا . وذلك أن يكون أراد بقراءته ذلك كذلك : أنهم لا أمان لهم = أى : لا تؤمنوهم ، ولكن اقتلوهم حيث وجدتموهم = كأنه أراد المصدر من قول القائل : « آمنتته فأنا أومنته إيماناً » . (٤)

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة في ذلك ، الذى لا أستجيز القراءة بغيره ، قراءة من قرأ بفتح « الألف » ، دون كسرهما ، لإجماع الحجة من القراءة على

و « صلة » ، هو « صلة بن زفر العيسى » كما سلف .

(١) الأثر : ١٦٥٣٤ - مكرر الأثرين السالفين ، مرفوعاً إلى حذيفة .

(٢) انظر تفسير « النكث » فيما سلف ص : ١٥٣ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « اليمين » فيما سلف ص : ١٥٤ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٤٢٥ .

القراءة به ، ورفض خلافه ، وإجماع أهل التأويل على ما ذكرت من أن تأويله :
لا عهد لهم = و « الأيمان » التي هي بمعنى العهد ، لا تكون إلا بفتح « الألف » ،
لأنها جمع « يمين » كانت على عقدٍ كان بين المتوادعين .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا
أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ
فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله ورسوله ، حاضاً لهم على جهاد
أعدائهم من المشركين : « ألا تقاتلون » ، أيها المؤمنون ، هؤلاء المشركين الذين نقضوا
العهد الذي بينكم وبينهم ، وطعنوا في دينكم ، وظاهروا عليكم أعداءكم ، (١)
= « وهموا بإخراج الرسول » ، من بين أظهرهم فأخرجوه (٢) = « وهم بدأوكم أول
مرة » ، بالقتال ، يعني فعلهم ذلك يوم بدر ، وقيل : قاتلهم حلفاء رسول الله صلى
الله عليه وسلم من خزاعة = « أتخشونهم » ، يقول : أتخافونهم على أنفسكم فتركوا
قتالهم خوفاً على أنفسهم منهم (٣) = « فالله أحق أن تخشوه » ، يقول : فالله أولى بكم
أن تخافوا عقوبته بترككم جهادهم ، وتحذروا سخطه عليكم ، من هؤلاء المشركين
الذين لا يملكون لكم ضرراً ولا نفعاً إلا بإذن الله = « إن كنتم مؤمنين » ، يقول :
إن كنتم مقرين أن خشية الله لكم أولى من خشية هؤلاء المشركين على أنفسكم .

* * *

(١) انظر تفسير « النكت » ، ص : ١٥٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الهم » فيما سلف ٩ : ١٠٠/١٩٩ : ١٠٠ .

(٣) انظر تفسير « الخشية » فيما سلف ١٠ ، ٣٤٤ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٥٣٥ - حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا

أسباط ، عن السدي قوله : « ألا تقتاتلون قوماً نكثوا أيمانهم » ، من بعد عهدهم = « وهموا بإخراج الرسول » ، يقول : هموا بإخراجه فأخرجوه = « وهم بدأوكم أول مرة » ، بالقتال . ٦٤/١٠

١٦٥٣٦ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا

عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وهم بدأوكم أول مرة » ، قال : قتال قريش حلفاء محمد صلى الله عليه وسلم .

١٦٥٣٧ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن

ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

١٦٥٣٨ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن

أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٦٥٣٩ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال :

أمر الله رسوله بجهاد أهل الشرك ممن نقض من أهل العهد الخاص ، ^(١) ومن كان من أهل العهد العام ، بعد الأربعة الأشهر التي ضرب لهم أجلاً ، إلا أن يعدّوا فيها عادٍ منهم ، فيقتل بعدائه ، ^(٢) فقال : « ألا تقتاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول » إلى قوله : « والله خبير بما تعملون » . ^(٣)

* * *

(١) في المطبوعة والمخطوطة أسقط « الخاص » ، وأثبتها من ابن هشام .

(٢) في المطبوعة : « إلا أن يعدّوا فيها على دينهم فيقبل بعد ثم قال » ، وهو كلام لا معنى له البتة . وفي المخطوطة : « إلا أن يعدّوا فيها على دينهم فيقتل بعدائه » ، فقال ، « وقد دخلها تحريف شديد ، فقوله : « يعدّوا » ، هو تحريف : « يعملوا » و « على دينهم » ، صوابها « عاد منهم » ، فأساء كتابتها ، والصواب من سيرة ابن هشام .

(٣) الأثر : ١٦٥٣٩ - سيرة ابن هشام ٤ : ١٩١ ، وهو تابع الأثر السالف قديماً

القول في تأويل قوله ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ
وَيُخْزِيهِمْ وَيُنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ (١٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قاتلوا ، أيها المؤمنون بالله ورسوله ، هؤلاء
المشركين الذين نكثوا أيمانهم ، ونقضوا عهودهم بينكم وبينهم ، وأخرجوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم = « يعذبهم الله بأيديكم » ، يقول : يقتلهم
الله بأيديكم = « ويخزيهم » ، يقول : ويذلهم بالأسر والقهر ^(١) = « وينصركم عليهم » ،
فيعطيكهم الظفر عليهم والغلبة = « ويشف صدور قوم مؤمنين » ، يقول : ويرى
داء صدور قوم مؤمنين بالله ورسوله ، بقتل هؤلاء المشركين بأيديكم ، وإذلالكم
وقهركم إياهم . وذلك الداء ، هو ما كان في قلوبهم عليهم من الموجدة بما كانوا
ينالونهم به من الأذى والمكروه .

* * *

وقيل : إن الله عني بقوله : « ويشف صدور قوم مؤمنين » ، صدور خزاعة
حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذلك أن قريشاً نقضوا العهد بينهم وبين رسول
الله صلى الله عليه وسلم بمعونتهم بكراً عليهم .
* ذكر من قال ذلك :

١٦٥٤٠ - حدثنا محمد بن المثني وابن وكيع قالوا ، حدثنا محمد بن جعفر
قال ، حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد في هذه الآية : « ويشف صدور
قوم مؤمنين » ، قال : خزاعة .

١٦٥٤١ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عمرو بن محمد العنقزي ، عن
أسباط ، عن السدي : « ويشف صدور قوم مؤمنين » ، قال : خزاعة ، يشف
صدورهم من بني بكر .

(١) انظر تفسير « الإخزاء » فيما سلف ص : ١١٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

١٦٥٤٢ - حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي ، مثله .

١٦٥٤٣ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ويشف صدور قوم مؤمنين » ، خزاعة ، حلفاء محمد صلى الله عليه .

١٦٥٤٤ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عبد الله بن رجاء ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد : « ويشف صدور قوم مؤمنين » ، قال : حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من خزاعة .

١٦٥٤٥ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١٥)

قال أبو جعفر : يقول الله تعالى ذكره : ويذهب وجَدَ قلوب هؤلاء القوم المؤمنين من خزاعة ، (١) على هؤلاء القوم الذين نكتوا أيمانهم من المشركين ، وغمَّها وكرَبَها بما فيها من الوجد عليهم ، بمعونتهم بكرأ عليهم ، (٢) كما : -

١٦٥٤٦ - حدثني ابن وكيع قال ، حدثنا عمرو بن محمد العنقري ، عن أسباط ، عن السدي : « ويذهب غيظ قلوبهم » ، حين قتلهم بنو بكر ، وأعانهم قریش .

(١) انظر تفسير « الإذهاب » فيما سلف ١٢ : ١٢٦ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الغيظ » فيما سلف ٧ : ٢١٥ .

١٦٥٤٧ - حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ،
حدثنا أسباط ، عن السدي ، مثله = إلا أنه قال : وأعانتهم عليهم قريش . (١)

* * *

وأما قوله : « ويتوب الله على من يشاء » ، فإنه خبر مبتدأ ، ولذلك رفع ،
وجُزِمَ الأحرفُ الثلاثة قبل ذلك على وجه المجازاة ، كأنه قال : قاتلوهم ، فإنكم
٦٥/١٠ إن قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ، ويخزهم ، وينصرهم عليهم = ثم ابتدأ فقال : « ويتوب
الله على من يشاء » ، لأن القتال غير موجب لهم التوبة من الله ، وهو موجب لهم
العذاب من الله ، والخزى ، وشفاء صدور المؤمنين ، وذهاب غيظ قلوبهم ، فعجزم
ذلك شرطاً وجزاءً على القتال ، ولم يكن موجباً للقتال التوبة ، فابتدئ الخبر به
ورُفِعَ . (٢)

* * *

ومعنى الكلام : ويمنّ الله على من يشاء من عباده الكافرين ، فيقبل به إلى
التوبة بتوقيفه إياه = « والله عليم » ، بسرائر عباده ، ومنّ هو للتوبة أهل ، فيتوب
عليه ، ومنّ منهم غير أهل لها فيخذه = « حكيم » ، في تصريف عباده من حال
كفر إلى حال إيمان بتوقيفه من وفقه لذلك (٣) = ومن حال إيمان إلى كفر ، بخذلانه
من خذل منهم عن طاعته وتوحيده ، (٤) وغير ذلك من أمرهم . (٥)

* * *

(١) في المطبوعة : « وأعانتهم » ، وفي المخطوطة : « وأعلمهم » ، وصواب قراءتها ما أثبت .

(٢) في المطبوعة : « فابتدأ الحكم به » ، والصواب ما أثبت من المخطوطة .

(٣) في المطبوعة : « بتوقيف » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٤) السياق : « في تصريف عباده من حال كفر . . . ومن حال إيمان » .

(٥) انظر تفسير « تاب » ، و « عليم » ، و « حكيم » فيما سلف من فهارس اللغة (توب) ،

(علم) ، (حكم) .

القول في تأويل قوله ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ
 اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ
 وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ ۚ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين الذين أمرهم بقتال هؤلاء المشركين ،
 الذين نقضوا عهدهم الذي بينهم وبينه بقوله : « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم » ،
 الآية ، حاضراً على جهادهم : « أَمْ حَسِبْتُمْ » ، أيها المؤمنون (١) = أن يترككم الله
 بغير محنة يمتحنكم بها ، وبغير اختبار يخبركم به ، فيعرف الصادقَ منكم في دينه
 من الكاذب فيه = « ولما يعلم الله الذين جاهدوا » ، يقول : أحسبتم أن تتركوا
 بغير اختبار يعرف به أهل ولايته المجاهدين منكم في سبيله ، من المضيعين أمر الله
 في ذلك المفرطين (٢) = « ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله » ، يقول : « ولما يعلم
 الله الذين جاهدوا منكم » ، والذين لم يتخذوا من دون الله ولا من دون رسوله ولا من
 دون المؤمنين = « وليجة » .

* * *

= هو الشيء يدخل في آخر غيره ، يقال منه : « ولج فلان في كذا يلجيه » ،
 فهو وليجة » (٣) .

* * *

ولما عني بها في هذا الموضع : البطانة من المشركين . نهي الله المؤمنين أن
 يتخذوا من عدوهم من المشركين أولياء ، يفشون إليهم أسرارهم = « والله خبير
 بما تعملون » ، يقول : والله ذو خبرة بما تعملون ، (٤) من اتخاذكم من دون الله

(١) انظر تفسير « حسب » فيما سلف ١٢ : ٣٨٨ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الجهاد » فيما سلف ص : ٧٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) في المخطوطة : « ولج في فلان كذا » ، والذي في المطبوعة أجود .

(٤) انظر تفسير « خير » فيما سلف من فهارس اللغة (خير) .

ودون رسوله والمؤمنين به أولياء وبطانة ، بعد ما قد نهاكم عنه ، لا يخفى ذلك عليه ، ولا غيره من أعمالكم ، والله مجازيكم على ذلك ، إن خيراً فخييراً ، وإن شراً فشرّاً .

* * *

وبنحو الذى قلت فى معنى « الوليجة » ، قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٥٤٨ - حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ،

حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولا المؤمنين وليجة » ، يتولجها ، من الولاية للمشركين .

١٦٥٤٩ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن أبى جعفر ، عن

الربيع ، « وليجة » ، قال : دَخَلَا .

١٦٥٥٠ - حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى

قوله : « أم حسبم أن تركوا » ، إلى قوله : « وليجة » ، قال : أبى أن يدعهم دون التخصيص . وقرأ : « أم حسبم أن تركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم » ، وقرأ :

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ ﴾ ، [سورة آل عمران : ١٤٢] ، ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ

الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ الآيات كلها ، ^(١) [سورة البقرة : ٢١٤] ، أخبرهم أن لا يتركهم حتى يمحصهم ويختبرهم . وقرأ : ﴿ أَلَمْ أَحَسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا

وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ ، لا يختبرون ، ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ ، [سورة النكبت : ١ - ٣] ، أبى الله إلا أن يمحص .

١٦٥٥١ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن

معمر ، عن الحسن : « وليجة » ، قال : هو الكفر والنفاق = أو قال أحدهما .

* * *

(١) صدر هذه الآية ، لم يكن فى المخطوطة ولا المطبوعة ، كان بدوها « ولما يأتكم . . . » .

وقيل : « أم حسبتم » ، ولم يقل : « أحسبتم » ، لأنه من الاستفهام المعترض في وسط الكلام ، فأدخلت فيه « أم » ، ليفرق بينه وبين الاستفهام المبتدأ . وقد بينت نظائر ذلك في غير موضع من الكتاب .^(١)

٦٦/١٠

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ (١٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ما ينبغي للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله وهم شاهدون على أنفسهم بالكفر . يقول : إن المساجد إنما تعمر لعبادة الله فيها ، لا للكفر به . فمن كان بالله كافراً ، فليس من شأنه أن يعمرَ مساجد الله .

* * *

وأما شهادتهم على أنفسهم بالكفر ، فإنها كما : —

١٦٥٥٢ — حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي قوله : « ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر » ، يقول : ما ينبغي لهم أن يعمروها . وأما « شاهدين على أنفسهم بالكفر » ، فإن النصراني يسأل : ما أنت ؟ فيقول : نصراني = يهودي ، فيقول : يهودي = الصابئ ، فيقول : صابئ = والمشرِك يقول إذا سأله : ما دينك ؟ فيقول : مشرك ! لم يكن ليقوله أحدٌ إلا العرب .

١٦٥٥٣ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عمرو والعنقري ، عن أسباط ، عن

(١) انظر ما سلف في تفسير « أم » ٢ : ٤٩٢ — ٤٩٤ / ٣ : ٩٧ / ٤ : ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ثم انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٤٢٦ .

السدى : « ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله » ، قال يقول : ما كان ينبغي لهم أن يعمروها .

١٦٥٥٤ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى : « شاهدني على أنفسهم بالكفر » ، قال : النصراني يقال له : ما أنت ؟ فيقول نصراني = واليهودي يقال له : ما أنت ؟ فيقول : يهودي = والصابئي يقال له : ما أنت ؟ فيقول : صابئي .

* * *

وقوله : « أولئك حبطت أعمالهم » ، يقول : بطلت وذهبت أجورها ، لأنها لم تكن لله بل كانت للشيطان^(١) = « وفي النار هم خالدون » ، يقول : ما كثون فيها أبداً ، لا أحياء ولا أمواتاً .^(٢)

* * *

واختلفت القراءة في قراءة قوله : « ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله » . فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والكوفة : ﴿ مَسَاجِدَ اللَّهِ ﴾ ، على الجماع .^(٣)

* * *

وقرأ ذلك بعض المكيين والبصريين : ﴿ مَسْجِدَ اللَّهِ ﴾ ، على التوحيد ، بمعنى المسجد الحرام .

* * *

قال أبو جعفر : وهم جميعاً مجمعون على قراءة قوله :^(٤) ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ ﴾ على الجماع ، لأنه إذا قرئ كذلك ، احتمل معنى الواحد والجماع ، لأن العرب

(١) انظر تفسير « حبط » فيما سلف ١١٣ : ١١٦ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الخلود » فيما سلف من فهارس اللغة (خلد) .

(٣) في المطبوعة : « على الجمع » ، وأثبت ما في المخطوطة ، في هذا الموضع وما يليه جميعاً .

(٤) يعني أبو جعفر أن جميع القراء مجمعون على قراءة الآية التالية : « إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ » ، على الجماع ، بلا خلاف بينهم في ذلك ، ولذلك زدت تمام الآية ، وكان في المطبوعة والمخطوطة : « مساجد الله » ، دون : « إِنَّمَا يَعْمُرُ » .

قد تذهب بالواحد إلى الجماع ، وبالجماع إلى الواحد ، كقولهم : « عليه ثوب أخلاق » . (١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ ءَامِنٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ (١٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « إنما يعمر مساجد الله » ، المصدق بوحداية الله ، المخلص له العبادة = « واليوم الآخر » ، يقول : الذى يصدق ببعث الله الموتى أحياء من قبورهم يوم القيامة (٢) = « وأقام الصلاة » ، المكتوبة ، بحدودها = وأدّى الزكاة الواجبة عليه فى ماله إلى من أوجبها الله له (٣) = « ولم يخش إلا الله » ، يقول : ولم يرهب عقوبة شئ على معصيته إياه ، سوى الله (٤) = « فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين » ، يقول : فخليق بأولئك الذين هذه صفتهم ، أن يكونوا عند الله ممن قد هداه الله للحق وإصابة الصواب . (٥)

١٦٥٥٥ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنا معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر » ، يقول : من وحّد الله ، وآمن باليوم الآخر . يقول : أقرّ بما أنزل

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٤٢٦ ، ٤٢٧ .

(٢) انظر تفسير « اليوم الآخر » فيما سلف من فهارس اللغة (آخر) .

(٣) انظر تفسير « إقامة الصلاة » و « إيتاء الزكاة » فيما سلف من فهارس اللغة (قوم) ، (أتى) .

(٤) انظر تفسير « الخشية » فيما سلف ص : ١٥٨ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٥) انظر تفسير « عسى » فيما سلف ١٣ : ٤٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

= وتفسير « الاهتداء » فيما سلف من فهارس اللغة (هدى) .

الله = « وأقام الصلاة » ، يعنى الصلوات الخمس = « ولم يخش إلا الله » ، يقول :
ثم لم يعبد إلا الله = قال : « فعسى أولئك » ، يقول : إن أولئك هم المفلحون ، كقوله
لنبيه : ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾ ، [سورة الإسراء : ٧٩] : يقول : إن ربك
سيبعثك مقاماً محموداً ، وهى الشفاعة ، وكل « عسى » ، فى القرآن فهى واجبة .
١٦٥٥٦ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال :
ثم ذكر قول قريش : إِنَّا أَهْلُ الْحَرَمِ ، وَسُقَاةُ الْحَاجِ ، وَعُمَمَارُ هَذَا الْبَيْتِ ، وَلَا أَحَدٌ
أَفْضَلُ مِنَّا ! فقال : « إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ » ،
أى : إن عمارتكم ليست على ذلك ، « إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ » ، أى : من عمرها
بحقها = « من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله »
= فأولئك عمارها = « فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين » ، و « عسى » من
الله حق . (١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَجْمَلْتُمْ سَقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٩)

قال أبو جعفر : وهذا توبيخ من الله تعالى ذكره لقوم افتخروا بالسقاية
وسدانة البيت ، فأعلمهم جل ثناؤه أن الفخر فى الإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد
فى سبيله ، لا فى الذى افتخروا به من السدانة والسقاية . (٢)

* * *

(١) الأثر : ١٦٥٥٦ - سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٢ ، وهو تابع الأثر السالف رقم :

(٢) انظر تفسير ألفاظ هذه الآية فيما سلف من فهارس اللغة .

وبذلك جاءت الآثار وتأويل أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٥٥٧ - حدثنا أبو الوليد الدمشقي أحمد بن عبد الرحمن قال ، حدثنا الوليد بن مسلم قال ، حدثني معاوية بن سلام ، عن جده أبي سلام الأسود ، عن النعمان بن بشير الأنصاري قال : كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه ، فقال رجل منهم : ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام ، إلا أن أسقى الحاج ! وقال آخر : بل عمارة المسجد الحرام ! وقال آخر : بل الجهاد في سبيل الله خير مما قلتم ! فزجرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقال : لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم = وذلك يوم الجمعة = ولكن إذا صليت الجمعة دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفتيته فيما اختلفتم فيه . قال : ففعل ، فأنزل الله تبارك وتعالى : «أجعلتم سقاية الحاج» إلى قوله : «والله لا يهدي القوم الظالمين» . (١)

١٦٥٥٨ - حدثنا المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني

- (١) الأثر : ١٦٥٥٧ - «أحمد بن عبد الرحمن بن بكار القرشي ، الدمشقي» ، «أبو الوليد» ، شيخ الطبري ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١١٤١٦ .
و «الوليد بن مسلم القرشي الدمشقي» ، سلف مراراً ، آخرها رقم : ٩٠٧١ روى له الجماعة .
و «معاوية بن سلام بن أبي سلام مطور الحبشي» ، «أبو سلام الدمشقي» ، روى له الجماعة ، روى عن جده أبي سلام . مترجم في التهذيب ، والكبير ٣٣٥/١/٤ ، وابن أبي حاتم ٣٨٣/١/٤ .
و «أبو سلام الأسود» واسمه «مطور» ، تابعي ثقة ، مضى برقم : ١٥٦٥٤ ، ١٥٦٥٥ .
وهذا الخبر رواه مسلم في صحيحه (١٣ : ٢٥ ، ٢٦) ، من طريق أبي توبة ، عن معاوية ابن سلام ، عن زيد بن سلام ، أنه سمع أبا سلام قال : حدثني النعمان بن بشير ، ثم رواه من طريق يحيى بن حسان ، عن معاوية ، عن زيد ، بمثله .
وذكره ابن كثير في تفسيره ٤ : ١٣١ ، ونسبه لأبي داود ، ولم أستطع أن أقف عليه في السنن .
وزاد السيوطي في الدر المنثور ٣ : ٢١٨ نسبته إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن حبان ، والطبراني ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه .
وسمائي بإسناد آخر رقم : ١٦٥٦٠ ، من طريق أخرى مرسله .

معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر » ، قال العباس بن عبد المطلب حين أسر يوم بدر : لئن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد ، لقد كنا نعمار المسجد الحرام ونسقي الحاج ، ونفك العاني ! ^(١) قال الله : « أجعلتم سقاية الحاج » ، إلى قوله : « الظالمين » ، يعنى أن ذلك كان في الشرك ، ولا أقبل ما كان في الشرك .

١٦٥٥٩ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « أجعلتم سقاية الحاج » ، إلى قوله : « الظالمين » ، وذلك أن المشركين قالوا : عمارة بيت الله ، وقيام على السقاية ، خير ممن آمن وجاهد ، وكانوا يفخرون بالحرم ويستكبرون ، ^(٢) من أجل أنهم أهله وعمّاره . ^(٣) فذكر الله استكبارهم وإعراضهم ، فقال لأهل الحرم من المشركين : ﴿ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ . مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴾ [سورة المؤمنون : ٦٦ ، ٦٧] ، يعنى أنهم يستكبرون بالحرم . وقال : « به سامراً » ، لأنهم كانوا يسمرون ، ويهجون القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم . فخير الإيمان بالله والجهاد مع نبي الله صلى الله عليه وسلم ، على عمران المشركين البيت وقيامهم على السقاية . ولم يكن ينفعهم عند الله مع الشرك به ، أن كانوا يعمرن بيته ويخدمونه . قال الله : « لا يستون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين » ، يعنى : الذين زعموا أنهم أهل العمارة ، فسأهم الله « ظالمين » ، بشركهم ، فلم تغن عنهم العمارة شيئاً .

١٦٥٦٠ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر عن يحيى بن أبي كثير ، عن النعمان بن بشير ، أن رجلاً قال : ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام ، إلا أن أسقى الحاج ! وقال آخر : ما أبالي أن لا

(١) « العاني » ، الأسير .

(٢) في المطبوعة : « يستكبرون به » ، بزيادة « به » ، وليست في المخطوطة ، وفيها « يستكبرون »

وهو خطأ .

أعمل عملاً بعد الإسلام ، إلا أن أعمار المسجد الحرام ! وقال آخر : الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلم ! فجزهم عمر وقال : لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم = وذلك يوم الجمعة = ولكن إذا صلى الجمعة دخلنا عليه ! فنزلت : « أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام » إلى قوله : « لا يستون ٦٨/١٠ عند الله » .

١٦٥٦١ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن عمرو ، عن الحسن قال : نزلت في علي ، وعباس ، وعثمان ، وشيبة ، تكلموا في ذلك ، فقال العباس : ما أراي إلا تارك سقائنا ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أقيموا على سقائكم ، فإن لكم فيها خيراً .

١٦٥٦٢ - قال أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن إسماعيل ، عن الشعبي قال : نزلت في علي ، والعباس ، تكلموا في ذلك .

١٦٥٦٣ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني عن أبي صخر قال : سمعت محمد بن كعب القرظي يقول : افتخر طلحة بن شيبه من بني عبد الدار ، وعباس بن عبد المطلب ، وعلي بن أبي طالب ، فقال طلحة ، أنا صاحب البيت ، معي مفتاحه ، لو أشاء بيت فيه ! وقال عباس : أنا صاحب السقاية والقائم عليها ، ولو أشاء بيت في المسجد ! وقال علي : ما أدري ما تقولان ، لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس ، وأنا صاحب الجهاد ! فأنزل الله : « أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام » ، الآية كلها .

١٦٥٦٤ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن قال : لما نزلت : « أجعلتم سقاية الحاج » ، قال العباس :

(١) الأثر : ١٦٥٦٠ - « يحيى بن أبي كثير الطائي » ، ثقة ، روى له الجماعة ، روى عن زيد بن سلام بن أبي سلام ، وأرسل عن أبي سلام الحبشي وغيره . وهذا من مرسله عن النعمان بن بشير ، أو عن أبي سلام . وقد مضى برقم : ٩١٨٩ ، ١١٥٠٥ - ١١٥٠٧ .

ما أراى إلا تارك سقايتنا ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أقيموا على سقايتكم ، فإن لكم فيها خيراً .

١٦٥٦٥ - حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن الفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستون عند الله » ، قال : افتخر على ، وعباس ، وشيبة بن عثمان ، فقال العباس : أنا أفضلكم ، أنا أسقى حُجَّاج بيت الله ! وقال شيبة : أنا أعمرُ مسجد الله ! وقال على : أنا هاجرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأجاهد معه في سبيل الله ! فأنزل الله : « الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله » إلى « نعيم مقيم » .

١٦٥٦٦ - حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « أجعلتم سقاية الحاج » ، الآية ، أقبل المسلمون على العباس وأصحابه الذين أسروا يوم بدر يعيرونهم بالشرك ، فقال العباس : أما والله لقد كنّا نَعْمُرُ المسجد الحرام ، ونفكُّ العاني ، ونحجب البيت ، ونسقى الحاج ! فأنزل الله : « أجعلتم سقاية الحاج » ، الآية .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام إذاً : أجعلتم ، أيها القوم ، سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ، كإيمان من آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله = « لا يستون » هؤلاء ، وأولئك ، ولا تعتدل أحوالهما عند الله ومنازلهما ، لأن الله تعالى لا يقبل بغير الإيمان به وباليوم الآخر عملاً = « والله لا يهدي القوم الظالمين » ، يقول : والله لا يوفق لصالح الأعمال من كان به كافراً ، ولتوحيد جاحداً .

* * *

ووضع الاسم موضع المصدر في قوله : « كمن آمن بالله » ، إذ كان معلوماً

معناه ، كما قال الشاعر :^(١)

لَعَمْرُكَ مَا الْفِتْيَانُ أَنْ تَنْبَتَ الْحَيَّ وَلَكِنَّمَا الْفِتْيَانُ كُلُّ قَيِّ نَدَى^(٢)
فجعل خبر « الفتيان » ، « أن » ، وهو كما يقال : « إنما السخاء حاتم ،
والشعر زهير » .^(٣)

القول في تأويل قوله « الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا
فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ
هُمْ الْفَائِزُونَ »^(٤)

قال أبو جعفر : وهذا قضاء من الله بَيِّن فِرْقَ الْمُفْتَخِرِينَ الَّذِينَ افْتَخَرُوا أَحَدَهُمْ
بِالسَّقَايَةِ ، وَالْآخَرُ بِالسَّدَانَةِ . وَالْآخَرُ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ . يَقُولُ تَعَالَى
ذَكَرَهُ : « الَّذِينَ آمَنُوا » بِاللَّهِ ، وَصَدَقُوا بِتَوْحِيدِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ = « وَهَاجَرُوا »
دَوْرَ قَوْمِهِمْ^(٥) = « وَجَاهَدُوا » الْمُشْرِكِينَ فِي دِينِ اللَّهِ^(٦) = « بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ
دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ » ، وَأَرْفَعُ مَرْتَلَةً عَنْهُ ،^(٧) مِنْ سُقَاةِ الْحَاجِّ وَتُحَمَّرُ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ،
وَهُمْ بِاللَّهِ مُشْرِكُونَ = « وَأُولَئِكَ » ، يَقُولُ : وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفْنَا صِفَتَهُمْ ، أَنَّهُمْ
آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا = « هُمُ الْفَائِزُونَ » ، بِالْجَنَّةِ ، النَّاجُونَ مِنَ النَّارِ .^(٨)

(١) لم أعرف قائله .

(٢) معاني القرآن للقراء ١ : ٤٢٧ ، شرح شواهد المعنى : ٣٢٥ . و « الندى » ، السخى .

(٣) انظر معاني القرآن للقراء ١ : ٤٢٧ .

(٤) انظر تفسير « هاجر » فيما سلف ص : ٨١ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٥) انظر تفسير « جاهد » فيما سلف ص : ١٦٣ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

= وتفسير « سبيل الله » فيما سلف من فهارس اللغة (سبل) .

(٦) انظر تفسير « الدرجة » فيما سلف : ٣٨٩ : ١٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٧) انظر تفسير « الفوز » فيما سلف ١١ : ٢٨٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

القول في تأويل قوله ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾ (٢١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : يبشر هؤلاء الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله ^(١) = « ربُّهم برحمة منه » ، لهم ، أنه قد رحمهم من أن يعذبهم = وبرضوان منه لهم ، بأنه قد رضى عنهم بطاعتهم إياه ، وأدائهم ما كلفهم ^(٢) = « وجنات » ، يقول : وبساتين ^(٣) = « لهم فيها نعيم مقيم » ، لا يزول ولا يبيد ، ثابت دائم أبداً لهم . ^(٤)

١٦٥٦٧ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا أبو أحمد الزبيري قال ، حدثنا سفیان ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة ، قال الله سبحانه : أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ هَذَا ! فيقولون : ربَّنَا ، أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا ؟ قال : رِضْوَانِي . ^(٥)

* * *

-
- (١) انظر تفسير « التبشير » فيما سلف ص : ١٣١ تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .
 (٢) انظر تفسير « الرضوان » فيما سلف ١١ : ٢٤٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
 (٣) انظر تفسير « الجنات » فيما سلف من فهارس اللغة (جن) .
 (٤) انظر تفسير « النعيم » فيما سلف ١٠ : ٤٦١ ، ٤٦٢ .
 = وتفسير « مقيم » فيما سلف ١٠ : ٢٩٣ .
 (٥) الأثر : ١٦٥٦٧ — مضى هذا الخبر بإسناده ولفظه ، وسلف تصحيحه برقم : ٦٥١ (ج ٦ : ٢٦٢) . وكان في المطبوعة : « أبو أحمد الموصي » ، خطأ محض ، لم يحسن قراءة المخطوطة .

القول في تأويل قوله ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ ۥ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره « خالدين فيها » ، ما كثر فيها ، يعني في الجنات ^(١) « أبدًا » ، لا نهاية لذلك ولا حد ^(٢) « إن الله عنده أجر عظيم » ، يقول : إن الله عنده لهؤلاء المؤمنين الذين نعتهم جل ثناؤه النعت الذي ذكره في هذه الآية « أجر » ، ثواب على طاعتهم لربهم ، وأدائهم ما كلفهم من الأعمال ^(٣) « عظيم » ، وذلك النعيم الذي وعدهم أن يعطيهم في الآخرة . ^(٤)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٢٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله : لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم بطانة وأصدقاء تفشون إليهم أسراركم ، وتطلعونهم على عورة الإسلام وأهله ، وتؤثرون المكث بين أظهرهم على الهجرة إلى دار الإسلام ^(٥) « إن استحبوا الكفر على الإيمان » ، يقول : إن اختاروا الكفر بالله ، على التصديق به والإقرار

(١) انظر تفسير « الخلود » فيما سلف من فهارس اللغة (خلد) .

(٢) انظر تفسير « أبدًا » فيما سلف ١١ : ٢٤٤ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « الأجر » فيما سلف من فهارس اللغة (أجر) .

(٤) انظر تفسير « عظيم » فيما سلف من فهارس اللغة (عظم) .

(٥) انظر تفسير « ولي » فيما سلف من فهارس اللغة (ولي) .

بتوحيده = « ومن يتولم منكم » ، يقول : ومن يتخذهم منكم بطانة من دون المؤمنين ، ويؤثر المقام معهم على الهجرة إلى رسول الله ودار الإسلام ^(١) = « فأولئك هم الظالمون » ، يقول : فالذين يفعلون ذلك منكم ، هم الذين خالفوا أمر الله ، فوضعوا الولاية في غير موضعها ، وعصوا الله في أمره . ^(٢)

* * *

وقيل : إن ذلك نزل نهياً من الله المؤمنين عن موالاة أقربائهم الذين لم يهاجروا من أرض الشرك إلى دار الإسلام .
* ذكر من قال ذلك :

١٦٥٦٨ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام » ، قال : أمروا بالهجرة ، فقال العباس بن عبد المطلب : أنا أسقى الحاج ! وقال طلحة أخو بني عبد الدار : أنا صاحب الكعبة ، فلا نهجروا ! فأنزلت : « لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء » إلى قوله : « يأتي الله بأمره » ، بالفتح ، في أمره إياهم بالهجرة . هذا كله قبل فتح مكة .

* * *

(١) انظر تفسير « التولى » فيما سلف من فهارس اللغة (تولى) .

(٢) انظر تفسير « الظلم » فيما سلف من فهارس اللغة (ظلم) .

القول في تأويل قوله ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ
وِإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ
تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٢٤)

قال أبو جعفر : يقول تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « قل يا محمد ، للمتخلفين عن الهجرة إلى دار الإسلام ، المقيمين بدار الشرك : إن كان المقام مع آبائكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم = وكانت « أموال اقترفتُموها » ، يقول : اكتسبتموها ^(١) = « وتجارة تخشون كسادها » ، بفراقكم بلدكم = « ومساكن ترضونها » ، فسكنتموها = « أحب إليكم » ، من الهجرة إلى الله ورسوله ، من دار الشرك = ومن جهاد في سبيله ، يعنى : في نصره دين الله الذى ارتضاه ^(٢) = « فتربصوا » ، يقول : فتنظروا ^(٣) = « حتى يأتى الله بأمره » ، ٧٠/١٠ حتى يأتى الله بفتح مكة = « والله لا يهدى القوم الفاسقين » ، يقول : والله لا يوفق للخير الخارجين عن طاعته وفي معصيته . ^(٤)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

(١) انظر تفسير « الاعتراف » فيما سلف ١٢ : ٧٦ : ١٧٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك

(٢) انظر تفسير « الجهاد » فيما سلف من : ١٧٣ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .

= وتفسير « سبيل الله » فيما سلف من فهارس اللغة (سبل) .

(٣) انظر تفسير « التربص » فيما سلف ٩ : ٣٢٣ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « الهدى » فيما سلف من فهارس اللغة (هدى) .

= وتفسير « الفسق » فيما سلف من فهارس اللغة (فسق) .

١٦٥٦٩ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « حتى يأتي الله بأمره » ، بالفتح .

١٦٥٧٠ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « فتربصوا حتى يأتي الله بأمره » ، فتح مكة .

١٦٥٧١ - حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « وأموال اقترتموها وتجارة تخشون كسادها » ، يقول : تخشون أن تكسدفنيبعوها = « ومساكن ترضونها » ، قال : هي القصور والمنازل .

١٦٥٧٢ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وأموال اقترتموها » ، يقول : أصبتموها .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْنًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّذِرِينَ ﴾ (٢٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « لقد نصركم الله » ، أيها المؤمنون = في أماكن حرب توطئون فيها أنفسكم على لقاء عدوكم ، ومشاهد تلتقون فيها أنتم وهم كثيرة = « ويوم حنين » ، يقول : وفي يوم حنين أيضاً قد نصركم .

* * *

و« حنين » وادٍ ، فيما ذكر ، بين مكة والطائف . وأجرى ، لأنه مذكر اسم للمذكر . وقد يترك لإجراؤه ، ويراد به أن يجعل اسماً للبلدة التي هو بها ، ^(١) ومنه قول الشاعر : ^(٢)

نَصَرُوا نَبِيَّهُمْ وَشَدُّوا أَرْزَهُ
مُحَنِّينَ يَوْمَ تَوَاكَلِ الْأَبْطَالِ ^(٣)

* * *

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٤٢٩ .

(٢) هو حسان بن ثابت .

(٣) ديوانه : ٣٣٤ ، ومعاني القرآن للفراء ١ : ٤٢٩ ، واللسان (حنن) ، وسيأتي في

التفسير ١٦ : ١١١ (بولاق) ، وهو بيت مفرد .

١٦٥٧٣ - حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد قال ، حدثني أبي قال ،
حدثنا أبان العطار قال ، حدثنا هشام بن عروة ، عن عروة قال : « حُنَيْن » ،
وإلى جنب ذي المجاز .^(١)

* * *

= « إذا أعجبتمكم كثرتكم » ، وكانوا ذلك اليوم ، فيما ذكر لنا ، اثني عشر ألفاً .

* * *

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك اليوم : لن تغلب من قِلَّة .

* * *

وقيل : قال ذلك رجل من المسلمين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

وهو قول الله : « إذ أعجبتمكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً » ، يقول : فلم تغن
عنكم كثرتكم شيئاً^(٢) ، « وضاعت عليكم الأرض بما رحبت » ، يقول : وضاعت
الأرض بسعتها عليكم .

* * *

و « الباء » ههنا في معنى « في » ، ومعناه : وضاعت عليكم الأرض في رحبها ،
وبرحبها .^(٣)

* * *

يقال منه : « مكان رحيب » ، أى واسع . وإنما سميت الرحاب « رحاباً »
لسعته .

* * *

= « ثم وليتم مدبرين » ، عن عدوكم منهزمين = « مدبرين » ، يقول : وليتموهم ،
الأدبار ، وذلك الهزيمة . يخبرهم تبارك وتعالى أن النصر بيده ومن عنده ، وأنه ليس

وقوله : « تواركل الأبطال » ، من قولهم : « تواركل القوم » ، إذا اتكل بعضهم على بعض ،
ولم يعف في مأزق الحرب . وفي الحديث أنه نهى عن المواكلة ، وهو : أن يكل كل امرئ صاحبه إلى
نفسه ، فلا يعينه فيما ينوبه ، وهو مفض إلى الضعف والتشاطر وفساد الأمور ، أعاذنا الله من
كل ذلك .

(١) الأثر : ١٦٥٧٢ - هو جزء من كتاب عروة ، إلى عبد الملك بن مروان ، الذى خرجته
فيما سلف رقم : ١٦٠٨٣ ، ورواه الطبرى فى تاريخه ، فى أثناء خبر طويل ٢ : ١٢٥ .

(٢) انظر تفسير « أغنى » فيما سلف : ١٣ : ٤٤٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر معاني القرآن للقراء ١ : ٤٣٠ .

بكثرة العدد وشدة البطش ، وأنه ينصر القليل على الكثير إذا شاء ، ويخلى الكثير والقليل ، فيهزم الكثير^(١) .

* * *

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٥٧٤ - حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « لقد نصركم الله في موطن كثيرة ويوم حنين » ، حتى بلغ : « وذلك جزاء الكافرين » ، قال : « حنين » ، ما بين مكة والطائف ، قاتل عليها نبي الله هوازن وثقيف ، وعلى هوازن : مالك بن عوف أخو بني نصر ، وعلى ثقيف : عبد ياليل بن عمرو الثقفي . قال : وذكر لنا أنه خرج يومئذ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر ألفاً : عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار ، وألفان من الطلقاء . وذكر لنا أن رجلاً قال يومئذ : « لن نغلب اليوم بكثرة » ! قال : وذكر لنا أن الطلقاء انجفلوا يومئذ بالناس ،^(٢) وجلّوا عن نبي الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل عن بغلته الشهباء . وذكر لنا أن نبي الله قال : « أي رب ، آتني ما وعدتني » ! قال : والعباس أخذ بلجام بغلة رسول الله ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ناد : « يا معشر الأنصار ، ويا معشر المهاجرين ! » ، فجعل ينادي الأنصار فخذوا فخذاً ، ثم قال : « ناد بأصحاب سورة البقرة » .^(٣) قال : فجاء الناس عنقاً واحداً .^(٤) فالتفت نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وإذا عصاة من الأنصار ، فقال : هل معكم غيركم ؟ فقالوا : يا نبي الله ، والله لو عمدت إلى برك الغماد من ذى يمن

٧١/١٠

(١) في المطبوعة : « ويخلى القليل فيهزم الكثير » ؛ حذف بسوء رايه فأفسد الكلام . وإنما أراد أن الله يخلى بين الكثير والقليل فلا ينصر القليل ، فيهزم الكثير القليل ، على ما جرت به العادة من غلبة الكثير على القليل .

(٢) « انجفل القوم عن رئيسهم » ، ذعروا ، فاذتلعوا من حوله ، ففروا مسرعين .

(٣) في المطبوعة : « ثم نادى بأصحاب سورة البقرة » ، غير ما في المخطوطة عبثاً .

(٤) قوله : « عنقاً واحداً » ، أى : جملة واحدة . ويقال : « جاء القوم عنقاً عنقاً » ،

أى : طائفة طائفة . ويقال : « هم عليه عنق » ، أى : هم عليه إلب واحد .

لَكُنَّا مَعَكَ»^(١) ثم أنزل الله نصره، وهزَمَ عدوهم، وتراجع المسلمون. قال: وأخذ رسول الله كَفًّا من تراب = أو: قبضة من حَصْبَاء = فرمى بها وجهه الكفار، وقال: «شَاهَت الوجوه!»، فانهزموا. فلما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم وأتى الجعرانة، فقسم بها مغنم حنين، وتألَّف أناساً من الناس، فيهم أبو سفيان ابن حرب، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، والأقرع بن حابس، فقالت الأنصار: «أمن الرجل وآثر قومه!»^(٢) فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في قُبَّة له من أَدَم، فقال: يا معشر الأنصار، ما هذا الذي بلغني؟ ألم تكونوا ضُلَّالاً فهذاكم الله، وكنتم أذلةً فأعزكم الله، وكنتم وكنتم! قال: فقال سعد ابن عبادَةَ رحمه الله: ائذن لي فأتكلم! قال: تكلم. قال: أما قولك: «كنتم ضللاً فهذاكم الله»، فكنا كذلك = «وكنتم أذلةً فأعزكم الله»، فقد علمت العرب ما كان حتى من أحياء العرب أَمْنَع لما وراء ظهورهم منَّا! فقال عمر: يا سعد، أتدري من تُكَلِّم! فقال: نعم! أكلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده، لو سلكت الأنصارُ وادياً والناس وادياً، لسلكتُ وادى الأنصار، ولولا الهجرةُ لكنت امرأةً من الأنصار. وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «الأنصار كَرِشِي وَعِيَّيْتِي، فاقبلوا من مُحْسِنِهِمْ، وتجاوزوا عن مُسِيئِهِمْ». ^(٣) ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا معشر الأنصار، أما ترضون أن ينقلب الناس بالإبل والشاء، وتنقلبون برسول الله إلى بيوتكم! فقالت الأنصار: رضينا عن الله ورسوله، والله ما قلنا ذلك إلا حرصاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله

(١) انظر ما سلف في تفسير «برك الغناد» رقم: ١٥٧٢٠.

(٢) في المطبوعة: «حن الرجل إلى قومه»، غير ما في المخطوطة بلا وورع.

(٣) «الكرش»، وعاء الطيب، و«العيبة» وعاء من آدم يكون فيه المتاع والثياب. يقول: الأنصار خاصتي وموضع سرى، أثق بهم، وأعتمد عليهم، وهم أنفُس ما أحرص.

ورسوله يصدّقانكم ويعذرّانكم^(١).

١٦٥٧٥ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذكر لنا أن أمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أرضعته ، أو ظيهره من بنى سعد بن بكر ، أتته فسألته سبّايا يوم حنين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لا أملكهم ، وإنما لي منهم نصيب ، ولكن اثني غداً فسليني والناس عندي ، فإني إذا أعطيتك نصيب أعطاك الناس . فجاءت الغد ، فبسط لها ثوباً فقعدت عليه ، ثم سألتها ، فأعطاها نصيبه . فلما رأى ذلك الناس ، أعطوها أنصباهم .

١٦٥٧٦ - حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « لقد نصركم الله في مواطن كثيرة » ، الآية ، أن رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قال : يا رسول الله ، لن تغلب اليوم من قلة ! وأعجبته كثرة الناس ، وكانوا اثني عشر ألفاً . فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوكلوا إلى كلمة الرجل ، فانهزموا عن رسول الله ، غير العباس ، وأبي سفيان بن الحارث ، وأيمن بن أم أيمن ، قتل يومئذ بين يديه . فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين الأنصار ؟ أين الذين بايعوا تحت الشجرة ؟ فراجع الناس ، فأنزل الله الملائكة بالنصر . فهزموا المشركين يومئذ ، وذلك قوله : « ثم أنزل الله سكينة على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها » ، الآية .

١٦٥٧٧ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، عن كثير بن عباس بن عبد المطلب ، عن أبيه قال : لما كان يوم حنين ، التقى المسلمون والمشركون ، فولّى المسلمون يومئذ . قال : فلقد رأيتُ النبي صلى الله عليه وسلم وما معه أحدٌ إلا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، آخذاً بغرَزِ النبي صلى الله عليه وسلم ، لا يألو ما أسرع نحو

(١) الأثر : ١٦٥٧٤ - رواه ابن سعد مختصراً في الطبقات ١١/١/٤ ، ١٢ .

المشركين .^(١) قال : فأُتيتُ حتى أخذتُ بلجامه ، وهو على بغلة له شهباء ، فقال : يا عباس . ناد أصحابَ السمرة ! وكنت رجلاً صَيِّتاً ،^(٢) فأذَّنت بصوتى الأعلى : أين أصحاب السمرة ! فالتفتوا كأنها الإبل إذا حُسِّرت إلى أولادها ،^(٣) يقولون : « يا لبيك ، يا لبيك ، يا لبيك » ، وأقبل المشركون . فالتقوا هم والمسلمون ، وتنادت الأنصار : « يا معشر الأنصار » ، ثم قُصرت الدعوة في بني الحارث بن الخزرج ، فتنادوا : « يا بني الحارث بن الخزرج » ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمُتطاوِل ، إلى قتالهم فقال : « هذا حين حمى الوطيس » !^(٤) ثم أخذ بيده من الحصباء فرماهم بها ، ثم قال : « انهزموا ورب الكعبة ، انهزموا ورب الكعبة » ! قال : فوالله ما زال أمرهم مدبراً ، وحدُّهم كليلًا ، حتى هزمهم الله ، قال : فلما كنتى أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يركضُ خلفهم على بَغْلَتِهِ .^(٥)

(١) « الغرز » ، ركاب الدابة . و « لا يألُو » لا يقصر .

(٢) « الصيت » (على وزن : جيد) : البعيد الصوت العاليه .

(٣) في المطبوعة : « إذا حنت إلى أولادها » ، غير ما في المخطوطة ، و « الحشر » ، الجمع . وفي المراجع الأخرى : « لكان عطفهم حين سمعوا صوت عطفة البقر على أولادها » . والذي في طبقات ابن سعد ، موافق لما في المطبوعة .

(٤) « الوطيس » : حفرة تحتفر ، فتوقد فيها النار ، فإذا حميت يخبز فيها ويشوى ، ويقال لها « الإرة » وهذا من بليغ الكلام ، ولم تسمع هذه الكلمة من أحد قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٥) الأثر : ١٦٥٧٧ - « كثير بن العباس بن عبد المطلب » ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولد على عهد رسول الله ، ولم يسمع منه ، تابعى ثقة قليل الحديث . مترجم في التهذيب ، والكبير ٢٠٧/١/٤ ، وابن أبي حاتم ١٥٣/٢/٣ .

وهذا الخبر رواه أحمد في مسنده رقم : ١٧٧٥ من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري . وفصل أخى السيد أحمد تخريجه هناك ، ثم رقم : ١٧٧٦ .

ورواه مسلم في صحيحه ١٢ : ١١٣ ، من طريق يونس ، عن الزهري . ثم رواه أيضاً (١٢ : ١١٧) من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، ومن طريق سفيان بن عيينة عن الزهري .

ورواه الحاكم في المستدرك ٣ : ٣٢٧ ، من طريق يونس ، عن الزهري .

ورواه ابن سعد في الطبقات ١١٢/١/٢ = ١١/١/٤ ، الثانى طريق محمد بن عبد الله ، عن عمه ، عن ابن شهاب الزهري ، والأول من طريق محمد بن حميد العبدى ، عن معمر ، عن الزهري . ثم انظر تاريخ الطبرى ٣ : ١٢٨ ، حديث ابن إسحق ، في سيرة ابن هشام ٤ : ٨٧ ، ٨٨ ،

١٦٥٧٨ - حدثنا ابن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب : أنهم أصابوا يومئذ ستة آلاف سببي ، ثم جاء قومهم مسلمين بعد ذلك ، فقالوا : يا رسول الله : أنت خيرُ الناس وأبرُّ الناس ، وقد أخذت أبناءنا ونساءنا وأموالنا ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن عندي من ترون ، وإن خير القولِ أصدقُه ، اختاروا : إما ذراريكم ونساءكم ، وإما أموالكم . قالوا : ما كنا نعدل بالأحساب شيئاً ! فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن هؤلاء جاءوني مسلمين ، وإنا خيرناهم بين الذراري والأموال ، فلم يعدلوا بالأحساب شيئاً ، فمن كان بيده منهم شيء فطابت نفسه أن يردّه فليفعل ذلك ، ومن لا فليُعطينا ، وليكن قرضاً علينا حتى نصيب شيئاً ، فنعطيه مكانه . فقالوا : يا نبي الله ، رضيينا وسلّمنا ! فقال : إني لا أدري لعلّ منكم من لا يرضى ، فمَرُّوا عرفاءكم فايرفعوا ذلك إلينا . فرفعت إليه العرفاء أن قد رَضُوا وسلّموا .^(١)

١٦٥٧٩ - حدثنا علي بن سهل قال ، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا حماد بن سلمة قال ، حدثنا يعلى بن عطاء ، عن أبي همام ، عن أبي عبد الرحمن = يعني الفهرى = قال : كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة حنين ، فلما ركّدت الشمس ،^(٢) لبستُ لأمتي ،^(٣) وركبت فرسي ، حتى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في ظِلِّ شجرة ، فقلت : يا رسول الله ، قد حان الرّواح ! فقال : أجل ! فنادى : يا بلال ! يا بلال ! فقام بلال من تحت سمرة ، فأقبل كأن ظله ظلُّ طير . فقال : لبيك وسعديك ، ونفسي فداؤك ، يا رسول الله ! فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أسرج فرسي ! فأخرج سَرَجاً دَفَنَاهُ حَشْوَهُمَا لَيْفٌ ، ليس فيهما أَشْرٌ

(١) الأثر : ١٦٥٧٨ - رواه ابن سعد في الطبقات ١/٢/١١٢ . ٨٧ ، ٨٨ .

(٢) « ركّدت الشمس » ، ثبت ، وذلك حين يقوم قائم الظهيرة .

(٣) « اللّامة » الدرع ، وسلاح الحرب كله .

ولا بَطَرٌ^(١). قال : فركب النبي صلى الله عليه وسلم ، فصافقناهم يومنا وليلتنا ، فلما التقى الخيلان ، ولَّى المسلمون مدبرين ، كما قال الله . فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عباد الله ، يا معشر المهاجرين ! ». قال : وما ل النبي صلى الله عليه وسلم عن فرسه ، فأخذ حَقْنَةً من تراب فرى بها وجوههم ، فولوا مدبرين = قال يعلى بن عطاء : فحدثني أبناؤهم عن آبائهم أنهم قالوا : ما بقي مِنَّا أحدٌ إلا وقد امتلأت عيناه من ذلك التراب^(٢).

١٦٥٨٠ - حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحق قال : سمعت البراء وسأله رجل من قيس : فَرَرْتُم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ؟ فقال البراء : لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفرَّ ، وكانت هَوَازن يومئذ رُماةً ، وإنَّا لما حملنا عليهم انكشَفُوا ، فأكَبَبْنَا على الغنائم ، فاستقبلونا بالسَّهَام ، ولقد رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم على ٧٣/١٠ بغلته البيضاء ، وإن أبا سفيان بن الحارث آخِذٌ بلجامها وهو يقول :

(١) « الأثر » ، المرح والخيلاء . و « البطر » ، الطغيان في النعمة من قلة احتمالها .

(٢) الأثر : ١٦٥٧٩ - « يعلى بن عطاء العامري الطائفي » ، ثقة مضي برقم : ٢٨٥٨ ،

١١٥٢٧ ، ١١٥٢٩ .

و « أبو همام » هو « عبد الله بن يسار » ، روى عن عمرو بن حريث . وأبي عبد الرحمن الفهرى . ثقة ، مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٢٠٢/٢/٢ .

و « أبو عبد الرحمن الفهرى » ، صحابي مختلف في اسمه ، مترجم في الإصابة ، والتهذيب ، وأسد الغابة ٥ : ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، والاستيعاب : ٦٧٦ .

وهذا الخبر رواه أحمد في مسنده ٥ : ٢٨٦ من طريق بهز عن حماد بن سلمة ، ومن طريق عفان ، عن حماد .

ورواه ابن سعد في الطبقات ١١٢/١/٢ ، ١١٣ ، من طريق عفان ، عن حماد بن سلمة .

ورواه أبو داود في سننه ٤ : ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، برقم : ٥٢٣٣ من طريق موسى بن إسماعيل ، عن حماد مختصراً .

ورواه ابن عبد البر في الاستيعاب ٦٧٦ ، بغير إسناد .

ورواه ابن الأثير في أسد الغابة من طريق موسى بن إسماعيل ، عن حماد .

وخبره الهيثمي في مجمع الزوائد ٦ : ١٨١ ، ١٨٢ ، وقال : « رواه البخاري » ، والطبراني ، « رجالها ثقات » .

أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبُ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ^(١)

١٦٥٨١ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن البراء قال : سأله رجل : يا أبا عُمارة ، ولیم يوم حنین ؟ فقال البراء وأنا أسمع : أشهد أن رسول الله لم يول يومئذ دُبُرَه ، وأبو سفيان يقود بغلته . فلما غشيه المشركون نزل فجعل يقول :

أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبُ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ
فَمَا رُئِيَ يَوْمئذٍ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ كَانَ أَشَدَّ مِنْهُ .

١٦٥٨٢ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني جعفر بن سليمان ، عن عوف الأعرابي ، عن عبد الرحمن مولى أم برثن قال ، حدثني رجل كان من المشركين يوم حنین قال : لما التقينا نحن وأصحاب محمد عليه السلام ، لم يقفوا لنا حَلَبَ شاةٍ أَنْ كُشِفْنَاهُمْ ، فبينما نحن نسوقهم ، إذ انتهينا إلى صاحب البغلة الشهباء ، فتلقانا رجالٌ بيضٌ حسانٌ الوجوه ، فقالوا لنا : « شأهت الوجوه ، ارجعوا ! فرجعنا ، وركبنا القوم ، فكانت إياها . »^(٢)

(١) الأثران : ١٦٥٨٠ ، ١٦٥٨١ - خبر البراء بن عازب ، رواه مسلم من طرق كثيرة في صحيحه ١٢ : ١١٧ - ١٢١ ، ورواه من طريق شعبة ، عن أبي إسحق في ١٢ : ١٢١ . ورواه البخاري في صحيحه (الفتح ٨ : ٢٤) من طرق .

(٢) الأثر : ١٦٥٨٢ - « عبد الرحمن ، مولى أم برثن » ، هو « عبد الرحمن بن آدم ، صاحب السقاية » . وكانت أم برثن تعالج الطيب ، فأصابته غلاماً لقطه ، فربته حتى أدرك ، وسمته عبد الرحمن ، فكان مما يقال له « عبد الرحمن بن أم برثن » ، وإنما قيل له : « عبد الرحمن بن آدم ، نسب إلى أبي البشر جميعاً » ، « آدم » عليه السلام ، لم يكن يعرف له أب ، وهو ثقة ، مضى برقم : ٧١٤٥ .

وكان في المخطوطة : « مولى برثن » ، وهو خطأ ، وانظر الخبر التالي رقم : ١٩٥٨٧ من طريق أخرى .

وقوله : « لم يقفوا لنا حلب شاة » ، يعني : إلا قدر ما تحلب شاة ، كناية من قلة الزمن ، كما يقال : « فواق ناقة » ، و « الفواق » ما بين الحلبتين إذا قبض الجانب على الضرع ثم أرسله . قوله : « فكانت إياها » ، يعني ، فكانت الهزيمة التي تعلم . وفي حديث معاوية بن عطاء :

١٦٥٨٣ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد قال : أمدَّ الله نبيه صلى الله عليه وسلم يوم حنين بخمسة آلاف من الملائكة مسوَّمين . قال : ويومئذ سَمَّى الله الأنصار « مؤمنين » . قال : فَأَنْزَلَ الله سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِ الله وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ يَرَوْهَا .

١٦٥٨٤ - حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « ويوم حنين إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا » ، قال : كانوا اثني عشر ألفاً .

١٦٥٨٥ - حدثنا محمد بن يزيد الآدَمِيُّ قال ، حدثنا معن بن عيسى ، عن سعيد بن السائب الطائفي ، عن أبيه ، عن يزيد بن عامر ، قال : لما كانت انكشافَةُ المسلمين حين انكشفوا يوم حنين ، ضَرَبَ النبي صلى الله عليه وسلم يَدَهُ إِلَى الْأَرْضِ فَأَخَذَ مِنْهَا قَبْضَةً مِنْ تَرَابٍ ، فَأَقْبَلَ بِهَا عَلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ يَتَّبِعُونَ الْمُسْلِمِينَ ، فَحَشَّاهَا فِي وُجُوهِهِمْ وَقَالَ : « ارجعوا ، شأهت الوجوه ! » . قال : فانصرفنا ، مَا يَلْقَى أَحَدٌ أَحَدًا إِلَّا وَهُوَ يَمْسَحُ الْقَدَى عَنْ عَيْنِهِ .^(١)

« كان معاوية رضى الله عنه إذا رفع رأسه من السجدة الأخيرة كانت إياها » . قالوا : اسم « كان » ضمير « السجدة » ، و « إياها » الخبر ، أى : كانت هى هى ، أى : كان يرفع منها وينهض قائماً إلى الركعة الأخرى من غير أن يقعد قعدة الاستراحة .

(١) الأثر : ١٦٥٨٥ - « محمد بن يزيد الأدمي الخراز » ، شيخ الطبرى ، ثقة زاهد ، مضى برقم : ٤٨٩٤ .

و « معن بن عيسى الأشجعي ، القزاز » ، أحد أئمة الحديث ، روى له الجماعة . مترجم في التهذيب ، والكبير ٣٩٠/١/٤ ، وابن أبي حاتم ٢٧٧/١/٤ .

و « سعيد بن السائب الطائفي » ، ثقة ، مضى برقم : ١٥٤٠٢ .

وأبوه « السائب بن أبي حفص الطائفي » ، ثقة ، مترجم في الكبير ١٥٦/٢/٢ ، وابن أبي حاتم ٢٤٥/١/٢ .

و « يزيد بن عامر السوائي » « أبو حاجز » صحابي ، مترجم في التهذيب ، والكبير ٣١٦/٢/٤ ، وابن أبي حاتم ٢٨١/٢/٤ .

وهذا الخبر ، رواه البخارى في تاريخه ٣١٦/٢/٤ من طريق إبراهيم بن المنذر ، عن معن بن عيسى .

١٦٥٨٦ - وبه ، عن يزيد بن عامر السُّوَّائِي قال : قيل له : يا أبا حاجر ،
الرعب الذى ألقى الله فى قلوب المشركين ، ماذا وجدتم ؟ قال : وكان أبو حاجر
مع المشركين يوم حنين ، فكان يأخذ الحصاة فيرمى بها فى الطَّسْتِ فيطنُّ ، ثم
يقول : كان فى أجوافنا مثل هذا ! (١)

١٦٥٨٧ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسن بن عرفة قال ، حدثنى المعتمر
ابن سليمان : عن عوف قال ، سمعت عبد الرحمن مولى أم برثن = أو : أم برثم =
قال ، حدثنى رجل كان فى المشركين يوم حنين ، قال : لما التقينا نحن وأصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين لم يقوموا لنا حَلَبَ شاة . قال : فلما
كشفناهم جعلنا نسوقهم فى أدبارهم ، حتى انتهينا إلى صاحب البغلة البيضاء ،
فإذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فتلقانا عندَه رجالٌ بيضٌ حسانٌ
الوجوه فقالوا لنا : « شاهت الوجوه ، ارجعوا ! » ، قال : فأنهزنا ، وركبوا
أكتافنا ، فكانت إيتاهَا . (٢)

* * *

ورواه ابن الأثير فى أسد الغابة ٥ : ١١٥ ، ١١٦ .

وخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد (٦ : ١٨٢ ، ١٨٣) ، حديثان ، كما جاء هنا فى التفسير ،
وقال فى الأول والثانى « رواه الطبرانى ، رجاله ثقات » .

(١) ١٦٥٨٦ - مكرر الأثر السالف ، وتخرجه هناك .

(٢) الأثر : ١٦٥٨٧ - « عبد الرحمن ، مولى أم برثن ، أو : أم برثم » ، بإبدال النون
ميمًا ، مضى فى الأثر رقم : ١٦٥٨٢ ، وكان فى المطبوعة هنا : « أو : أم مريم » ، وهو خطأ محض ،
وتصرف فى رسم المخطوطة ، وهى غير منقوطة .

القول في تأويل قوله ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ ۖ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ (٢٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ثم من بعد ما ضاقت عليكم الأرض بما رحبت ، وتوليتكم الأعداء أديباركم ، كشف الله نازل البلاء عنكم ، بإنزاله السكينة = وهي الأمانة والطمأنينة = عليكم .

* * *

= وقد بينا أنها « فعيلة » ، من « السكون » ، فيما مضى من كتابنا هذا قبل ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع . (١)

* * *

= « وأنزل جنوداً لم تروها » ، وهي الملائكة التي ذكرت في الأخبار التي قد مضى ذكرها = « وعذب الذين كفروا » ، يقول : وعذب الله الذين جحدوا وحدانيته ورسالة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، بالقتل وسببى الأهلين والذرائع ، وسلب الأموال ، والذلة = « وذلك جزاء الكافرين » ، يقول : هذا الذى فعلنا بهم من القتل والسبى = « جزاء الكافرين » ، يقول : هو ثواب أهل جحد وحدايته ورسالة رسوله . (٢)

١٦٥٨٨ - حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وعذب الذين كفروا » ، يقول : قتلهم بالسيف . ١٦٥٨٩ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو داود الحفرى ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد : « وعذب الذين كفروا » ، قال : بالهزيمة والقتل .

١٦٥٩٠ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين » ، قال : من بقى منهم .

(١) انظر تفسير « السكينة » فيما سلف ٣ : ٦٦ ، ٥/٧٠ : ٣٢٦ - ٣٣٠ .

(٢) انظر تفسير « الجزاء » فيما سلف من فهارس اللغة (جزی) .

القول في تأويل قوله ﴿ ثُمَّ يُتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ثم يتفضل الله بتوفيقه للتوبة والإنابة إليه ، من بعد عذابه الذى به عذب من هلك منهم قتلاً بالسيف = « على من يشاء » ، أى : يتوب الله على من يشاء من الأحياء ، يُقْبِلُ به إلى طاعته = « والله غفور » ، لذنوب من أناب وتاب إليه منهم ومن غيرهم منها = « رحيم » ، بهم ، فلا يعذبهم بعد توبتهم ، ولا يؤاخذهم بها بعد إنابتهم . (١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بِعَدِّ ءَعْمِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله ، وأقرؤا بوحدايته : ما المشركون إلا نجس .

* * *

واختلف أهل التأويل فى معنى « النجس » ، وما السبب الذى من أجله سَمَّاهُم بذلك .

فقال بعضهم : سَمَّاهُم بذلك ، لأنهم ينجنون فلا يغتسلون ، فقال : هم نجس ،

(١) انظر تفسير « التوبة » ، و « غفور » و « رحيم » فيما سلف من فهارس اللغة (توب) ، (غفر) ، (رحم) .

ولا يقربوا المسجد الحرام = لأن الجنب لا ينبغي له أن يدخل المسجد .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٥٩١ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن

معمر ، في قوله : « إنما المشركون نجس » ، لا أعلم قتادة إلا قال : « النجس » ،
الجنابة .

١٦٥٩٢ - وبه ، عن معمر قال : وبلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم

لقى حذيفة ، وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيده ، فقال حذيفة : يا رسول الله ،
إني جُنُب ! فقال : إن المؤمن لا ينجس .

١٦٥٩٣ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة

في قوله : « يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس » ، أى : أَجْسَابٌ .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : ما المشركون إلا رجسٌ خنزير أو كلب .

وهذا قولٌ رُوِيَ عن ابن عباس من وجه غير حميد ، فكرهنا ذكره .

* * *

وقوله : « فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا » ، يقول للمؤمنين :

فلا تدعوه أن يقربوا المسجد الحرام بدخولهم الحرم . وإنما عني بذلك منعهم
من دخول الحرم ، لأنهم إذا دخلوا الحرم فقد قربوا المسجد الحرام .

* * *

وقد اختلف أهل التأويل في معنى ذلك .

فقال بعضهم فيه نحو الذى قلناه .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٥٩٤ - حدثنا بشر ، وابن المشي قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، أخبرنا

ابن جريج قال ، قال عطاء : الحرمُ كله قبلةٌ ومسجد . قال : « فلا يقربوا المسجد
الحرام » ، لم يعن المسجد وحده ، إنما عني مكة والحرم . قال ذلك غير مرة .

* * *

وذكر عن عمر بن عبد العزيز في ذلك ما : -

١٦٥٩٥ - حدثنا عبد الكريم بن أبي عمير قال ، حدثني الوليد بن مسلم قال ، حدثنا أبو عمرو : أن عمر بن عبد العزيز كتب : « أَنْ اَمْنَعُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنْ دُخُولِ مَسَاجِدِ الْمُسْلِمِينَ » ، وَاتَّبَعَ فِي نَهْيِهِ قَوْلَ اللَّهِ : « إِنَّمَا الْمَشْرُكُونَ نَجَسٌ » .

١٦٥٩٦ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن فضيل ، عن أشعث ، عن الحسن : « إِنَّمَا الْمَشْرُكُونَ نَجَسٌ » ، قال : لا تصافحهم ، فن صافحهم فليتوضأ . ٧٥/١٠

* * *

وأما قوله : « بعد عامهم هذا » ، فإنه يعني : بعد العام الذي نادى فيه على رحمة الله عليه ببراءة ، وذلك عام حج بالناس أبو بكر ، وهي سنة تسع من الهجرة ، كما : -

١٦٥٩٧ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا » ، وهو العام الذي حج فيه أبو بكر ، ونادى على رحمة الله عليهما بالأذان ، وذلك لتسع سنين مضين من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحج نبي الله صلى الله عليه وسلم من العام المقبل حجة الوداع ، لم يحج قبلها ولا بعدها .

* * *

وقوله : « وإن خفتم عيلة » ، يقول للمؤمنين : وإن خفتم فاقةً وفقراً ، بمنع المشركين من أن يقربوا المسجد الحرام = « فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء » .

* * *

يقال منه : « عال يَعيِلُ عَيْلَةً وَعَيْلُولًا » ، ومنه قول الشاعر : (١)

وَمَا يَذْرِى الْفَقِيرُ مَتَى غِنَاهُ وَمَا يَذْرِى الْغَنَى مَتَى يَعيِلُ (٢)

(١) هو أحيحة بن الجلاح .

(٢) سلف البيت وتخريجه وشرحه ، فيما سلف ٧ : ٤٥٩ ، وانظر مجاز القرآن ١ : ٢٥٥ .

وقد حكى عن بعضهم أن من العرب من يقولُ في الفاقة : «عال يعول» بالواو. (١)

* * *

وذكر عن عمرو بن فائد أنه كان تأوّل قوله (٢) : « وإن خفتم عيلة » ، بمعنى : وإذ خفتم . ويقول : كان القوم قد خافوا ، وذلك نحو قول القائل لأبيه : « إن كنت أبى فأكرمنى » ، بمعنى : إذ كنت أبى .

* * *

وإنما قيل ذلك لهم ، لأن المؤمنين خافوا بانقطاع المشركين عن دخول الحرم ، انقطاع تجارتهم ، ودخول ضرر عليهم بانقطاع ذلك . وأمّتهم الله من العيلة ، وعوّضهم مما كانوا يكرهون انقطاعه عنهم ، ما هو خير لهم منه ، وهو الجزية ، فقال لهم : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ إلى : ﴿ صَاغِرُونَ ﴾ .

* * *

وقال قوم : بإدرار المطر عليهم .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٥٩٨ - حدثني الثني قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثني معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا » ، قال : لما نفى الله المشركين عن المسجد الحرام ، ألقى الشيطان فى قلوب المؤمنين الحزن ، قال : من أين تأكلون ، وقد نفى المشركون وانقطعت عنهم العير ! (٣) فقال الله : « وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من

(١) انظر تفسير «عال» فيما سلف ٧ : ٥٤٨ ، ٥٤٩ .

(٢) « عمرو بن فائد » ، أبو على الأسوارى ، وردت عنه الرواية فى حروف من القرآن . مترجم فى طبقات القراء ١ : ٦٠٢ رقم : ٢٤٦٢ ، وابن أبى حاتم ٣/١/٢٥٣ ، ولسان الميزان ٤ : ٣٧٢ ، وميزان الاعتدال ٢ : ٢٩٨ ، وهو فى الحديث ليس بشئ ، بل هو منكر الحديث ، متروك .

(٣) فى المطبوعة : « وانقطعت عنكم » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب .

فضله إن شاء» ، فأمرهم بقتال أهل الكتاب ، وأغناهم من فضله .

١٦٥٩٩ - حدثنا هناد بن السرى قال ، حدثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة فى قوله : « يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا » ، قال : كان المشركون يجيئون إلى البيت ، ويجيئون معهم بالطعام ، ويتجرون فيه . فلما نهوا أن يأتوا البيت ، قال المسلمون : من أين لنا طعام ؟ فأنزل الله : « وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء » ، فأنزل عليهم المطر ، وكثر خيرهم ، حتى ذهب عنهم المشركون .

١٦٦٠٠ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن على ابن صالح ، عن سماك ، عن عكرمة : « إنما المشركون نجس » ، الآية = ثم ذكر نحو حديث هناد ، عن أبى الأحوص .

١٦٦٠١ - حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا سفيان ، عن واقد ، عن سعيد بن جبير قال : لما نزلت : « إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا » ، شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : مَنْ يأتينا بطعامنا ، ومن يأتينا بالمتاع ؟ فنزلت : « وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء » .

١٦٦٠٢ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن واقد مولى زيد بن خليفة ، عن سعيد بن جبير قال : كان المشركون يقدمون عليهم بالتجارة ، فنزلت هذه الآية : « إنما المشركون نجس » إلى قوله : « عيلة » ، قال : الفقر = « فسوف يغنيكم الله من فضله » .

٧٦/١٠

١٦٦٠٣ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن عطية العوفى قال : قال المسلمون : قد كنا نصيب من تجارتهم وبضائعهم ،

(١) الأثران : ١٦٦٠١ ، ١٦٦٠٢ - « واقد ، مولى زيد بن خليفة » ، ثقة ، سلف

فنزلت : « إنما المشركون نجس » إلى قوله : « من فضله » .

١٦٦٠٤ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس قال ، سمعت أبي =

أحسبه قال : أنبأنا أبو جعفر = عن عطية قال : لما قيل : « ولا يحج بعد العام مشرك » ، قالوا : قد كنا نصيب من بياعاتهم في الموسم ! قال : فنزلت : « يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله » ، يعنى : بما فاتهم من بياعاتهم .

١٦٦٠٥ - حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالوا ، حدثنا ابن يمان ، عن أبي

سنان ، عن ثابت ، عن الضحاك : « وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله » ، قال : الجزية .

١٦٦٠٦ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن يمان وأبو معاوية ، عن أبي

سنان ، عن ثابت ، عن الضحاك ، قال : أخرج المشركون من مكة ، فشق ذلك على المسلمين وقالوا : كنا نصيب منهم التجارة والميرة ! فأنزل الله : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر » .

١٦٦٠٧ - حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ،

حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله » ، كان ناس من المسلمين يتألفون العير ، فلما نزلت « براءة » بقتال المشركين حيثما ثقفوا ، وأن يقعدوا لهم كل مرصد ، قذف الشيطان في قلوب المؤمنين : فمن أين تعيشون وقد أمرتم بقتال أهل العير ؟ فعلم الله من ذلك ما علم ، فقال : أطيعوني ، وامضوا لأمرى ، وأطيعوا رسولى ، فإنى سوف أغنيكم من فضلى . فتوكل لهم الله بذلك .

١٦٦٠٨ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا

عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « إنما المشركون نجس » إلى قوله : « فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء » ، قال : قال المؤمنون : كنا نصيب

من متاجر المشركين ! فوعدهم الله أن يغنيهم من فضله ، عوضاً لهم بأن لا يقربوهم المسجد الحرام . فهذه الآية مع أول «براءة» ، في القراءة ، ومع آخرها في التأويل : ^(١) « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر » ، إلى قوله : « عن يد وهم صاغرون » ، حين أمر محمد وأصحابه بغزوة تبوك .

١٦٦٠٩ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

١٦٦٠٩م - حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : لما نفي الله المشركين عن المسجد الحرام ، شقَّ ذلك على المسلمين ، وكانوا يأتون ببيِّعاتٍ يتنفع بذلك المسلمون . ^(٢) فأنزل الله تعالى ذكره : « وإن خفم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله » ، فأغناهم بهذا الخراج ، الجزية الجارية عليهم ، يأخذونها شهراً شهراً ، عاماً عاماً ، فليس لأحد من المشركين أن يقرب المسجد الحرام بعد عامهم بحالٍ ، إلا صاحب الجزية ، أو عبد رجلٍ من المسلمين .

١٦٦١٠ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن جريج قال ، أخبرنا أبو الزبير : أنه سمع جابر بن عبد الله يقول في قوله : « إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا » ، إلا أن يكون عبداً ، أو أحداً من أهل الذمة .

١٦٦١١ - قال أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا » ، قال : إلا صاحب جزية ، أو عبد لرجلٍ من المسلمين .

١٦٦١٢ - حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة قال ، حدثنا حجاج ، عن

(١) في المطبوعة : « من أول براءة . . . ومن آخرها » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو صواب محض .

(٢) في المطبوعة : « ببياعات » ، وأثبت ما في المخطوطة .

عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج . قال ، أخبرني أبو الزبير : أنه سمع جابر ابن عبد الله يقول في هذه الآية : « إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام » ، إلا أن يكون عبداً ، أو أحداً من أهل الجزية .

١٦٦١٣ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله » ، قال : أغناهم الله بالجزية الجارية ، شهراً فشهراً ، وعاماً فعاماً .

٧٧/١٠

١٦٦١٤ - حدثنا أحمد بن إسحاق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا عباد بن العوام ، عن الحجاج ، عن أبي الزبير ، عن جابر : « إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا » ، قال : لا يقرب المسجد الحرام بعد عامه هذا مشرك ولا ذمي .

١٦٦١٥ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : « إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة » ، وذلك أن الناس قالوا : لتقطعنّا عنا الأسواق ، ولتهلكن التجارة ، وليذهبنّا ما كنا نصيب فيها من المرافق! ^(١) فقال الله عز وجل : « وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله » ، من وجه غير ذلك = « إن شاء » إلى قوله : « وهم صاغرون » ، ففي هذا عِوَض مما تخوّفتم من قطع تلك الأسواق ، فعوّضهم الله بما قطع عنهم من أمر الشرك ، ما أعطاهم من أعناق أهل الكتاب من الجزية . ^(٢)

* * *

وأما قوله : « إن الله عليم حكيم » ، فإن معناه : « إن الله عليم » ، بما حدثتكم به أنفسكم ، أيها المؤمنون ، من خوف العيلة عليها ، بمنع المشركين من أن يقربوا

(١) في المطبوعة : « فنزل : وإن خفتم » ، ولم تكن « فنزل » في المخطوطة ، سها الكاتب وتجاوز ما كان ينقل منه ، وأثبتته من نص ابن إسحاق في سيرة ابن هشام .

(٢) الأثر : ١٦٦١٥ - سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٢ ، ١٩٣ ، وهو تابع الأثر السالف

المسجد الحرام ، وغير ذلك من مصالح عباده = « حكيم » ، في تدبيره إياهم ،
وتدبير جميع خلقه .^(١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ
دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ
وَهُمْ صَافِرُونَ ﴾ (٢٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسوله صلى الله عليه
وسلم : « قاتلوا » ، أيها المؤمنون ، القوم = « الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر » ،
يقول : ولا يصدقون بجنة ولا نار^(٢) = « ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون
دين الحق » ، يقول : ولا يطيعون الله طاعة الحق ، يعني أنهم لا يطيعون طاعة
أهل الإسلام^(٣) = « من الذين أوتوا الكتاب » ، وهم اليهود والنصارى .

* * *

وكل مطيع ملكاً وذا سلطان ، فهو دائن له . يقال منه : « دان فلان لفلان
فهو يدين له ، ديناً » ، قال زهير :
لَنْ حَلَمْتَ بِحَوْرٍ فِي بَنِي أَسَدٍ فِي دِينِ عَمْرِو وَحَالَتْ يَبْنِنَا فَذَكَ^(٤)

* * *

- (١) انظر تفسير « علم » و « حكيم » فيما سلف من فهارس اللغة (علم) ، (حكيم) .
(٢) انظر تفسير « اليوم الآخر » فيما سلف من فهارس اللغة (آخر) .
(٣) انظر تفسير « الدين » فيما سلف ١ : ٣ / ١٥٥ : ٩ / ٥٧١ : ٥٢٢ .
(٤) ديوانه : ١٨٣ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٢٨٦ ، من قصيدة من جيد الكلام ،

وقوله : « من الذين أوتوا الكتاب » ، يعنى الذين أعطوا كتاب الله ، ^(١) وهم أهل التوراة والإنجيل = « حتى يعطوا الجزية » .

* * *

و « الجزية » ، الفِئْلَةُ من : « جَزَى فلان فلاناً ما عليه » ، إذا قضاه ، « يجزيه » ، و « الجزية » مثل « القعدة » و « الجلسة » .

* * *

ومعنى الكلام : حتى يعطوا الخراج عن رقابهم ، الذى يبذلونه للمسلمين دفعاً عنها .

* * *

وأما قوله : « عن يد » ، فإنه يعنى : من يده إلى يد من يدفعه إليه .

* * *

وكذلك تقول العرب لكل معطٍ قاهرًا له ، شيئًا طائعًا له أو كارهًا : « أعطاه عن يده » ، وعن يد . وذلك نظير قولهم : « كلمته فألفهم » ، و « لقيته كفّة »

أنذر بها الحارث بن ورقاء الصيدوى ، من بنى أسد ، وكان أغار على بنى عبد الله بن غطفان ، فغنم ، واستاق إبل زهير ، وراعيه يسارًا :

يَا حَارِ ، لَا أَرْمَيْنَ مِنْكُمْ بِدَاهِيَةٍ لَمْ يَلْقَاهَا سَوْقَةٌ قَبْلِي وَلَا مَلِكٌ
فَارْدُذُ يَسَارًا ، وَلَا تَعْنُفُ عَلَى وَلَا تَمَعَكَ بِعِرْضِكَ إِنْ الْغَادِرَ الْمَلِكُ
وَلَا تَسْكُونَنَ كَأَقْوَامٍ عَلِمْتُهُمْ يَلُؤُونَ مَا عِنْدَهُمْ حَتَّى إِذَا نُهِكُوا
طَابَتْ نُفُوسُهُمْ عَنْ حَقِّ خَصْمِهِمْ مَخَافَةَ الشَّرِّ ، فَارْتَدُّوا لِمَا تَرَكُوا
تَعْلَمَنَّ : هَا ، لَعَمْرُ اللَّهِ ذَا ، قَسَمًا فَاقْصِدْ بَذَرْعِكَ ، وَانْظُرْ أَيْنَ تَنْسَلِكُ
لَيْنَ حَلَّاتَ

لَيَاتَيْدَمَّكَ سِنِي مَنَطِقٍ قَذَعُ بَاقٍ ، كَمَا دَنَسَ الْقُبْطِيَّةَ الْوَدَكُ

« جو » اسم لمواضع كثيرة فى الجزيرة ، وهذا « الجو » هنا فى ديار بنى أسد . و « عمرو » ، هو : « عمرو بن هند بن المنذر بن ماء السماء » ، و « فذلك » قرية مشهورة بالحجاز ، لها ذكر فى السير كثير .

(١) انظر تفسير « الإيتاء » فيما سلف من فهارس اللغة (أنى) .

لَكَفَّةٍ» ، ^(١) وكذلك : « أعطيته عن يدٍ ليد » .

* * *

وأما قوله : « وهم صاغرون » ، فإن معناه : وهم أذلاء مهضومون .

* * *

يقال للدليل الحقير : « صاغر » ^(٢) .

* * *

وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمره بحرب الروم ، فغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزولها غزوة تبوك .
* ذكر من قال ذلك :

١٦٦١٦ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » ، حين أمر محمد وأصحابه بغزوة تبوك .
١٦٦١٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

* * *

واختلف أهل التأويل في معنى « الصغار » ، الذي عناه الله في هذا الموضع . فقال بعضهم : أن يعطيها وهو قائمٌ ، والآخذ جالسٌ .
* ذكر من قال ذلك :

١٦٦١٨ — حدثني عبد الرحمن بن بشر النيسابوري قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي سعد ، عن عكرمة : « حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » ، قال :

٧٨/١٠

(١) بنان : « لقيته كفة كفة » (بفتح الكاف ، وأصحب التاء) ، إذ استقبلته وواجهته ، كأن كل واحد منهما قد كفت صاحبه عن مجاوزته إلى غيره ومنعه . وأنظر تفصيل ذلك في مادته في لسان العرب (كفّته) .

(٢) أنظر تفسير « الصغار » فيما سلف ١٣ : ٢٢ ، تطبيق : ٢ ، والمراجع هناك .

أى تأخذها وأنت جالس ، وهو قائم . (١)

* * *

وقال آخرون : معنى قوله : « حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » ، عن أنفسهم ، بأيديهم يمشون بها ، وهم كارهون . وذلك قول (رؤى عن ابن عباس ، من وجه فيه نظر .

* * *

وقال آخرون : إعطاؤهم إياها ، هو الصغار .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّيرُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ إِنْى يُؤَفِّكُونَ ﴾ (٣٠)

قال أبو جعفر : واختلف أهل التأويل فى القائل : « عزير ابن الله » . فقال بعضهم : كان ذلك رجلاً واحداً ، وهو فنحاص . ذكر من قال ذلك :

١٦٦١٩ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير قوله : « وقالت اليهود عزير ابن الله » ، قال : قالها رجل واحد ، قالوا : إن اسمه فنحاص . وقالوا : هو الذى قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاهُ ﴾ ، [سورة آل عمران : ١٨١] .

* * *

(١) الأثر : ١٦٦١٨ - عبد الرحمن بن بشر بن الحكم النيسابورى ، « شيخ الطبرى ، ثقة ، من شيوخ البخارى ، مضى برقم : ١٣٨٠٥ . وفى المطبوعة : « عن ابن سعد » ، وهو خطأ ، خالف ما فى المخطوطة وانظر « أبا سعد » فى فهرس الرجال .

وقال آخرون : بل كان ذلك قول جماعة منهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٦٢٠ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثنا محمد بن إسحق قال ، حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال ، حدثني سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم سلامٌ بن مشكم ، ونعمانُ بن أوفى ، ^(١) وشأسُ بن قيس ، ومالك بن الصَّيف ، فقالوا : كيف تتبعك وقد تركت قبيلتنا ، وأنت لا تزعم أن عزيراً ابن الله؟ فأنزل الله في ذلك من قولهم : « وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله » ، إلى : « أنى يؤفكون » . ^(٢)

١٦٦٢١ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وقالت اليهود عزير ابن الله » وإنما قالوا : « هو ابن الله » ، من أجل أن عزيراً كان في أهل الكتاب ، وكانت التوراة عندهم ، فعملوا بها ما شاء الله أن يعملوا ، ^(٣) ثم أضاعوها وعملوا بغير الحق ، وكان التَّابُوتُ فيهم . فلما رأى الله أنهم قد أضاعوا التوراة وعملوا بالأهواء ، رفع الله عنهم التَّابُوتَ ، وأنساهم التوراة ، ونسخها من صدورهم ، وأرسل الله عليهم مرضاً ، فاستطلقت بطونهم حتى جعل الرجل يمشى كبده ، حتى نسوا التوراة ، ونسخت من صدورهم ، وفيهم عزير . فكثوا ما شاء الله أن يكثرُوا بعد ما نسخت التوراة من صدورهم ، وكان عزير قبلُ من علمائهم ، فدعا عزيرُ الله ، وابتهل إليه أن يرده إليه الذى نسخ من صدره من التوراة . فبينما هو يصلى مبتهلاً إلى الله ، نزل نورٌ من الله فدخل جوفه ، فعاد إليه الذى كان ذهبَ من جوفه من

(١) في سيرة ابن هشام : « ونعمان بن أوفى أبو أنس ، ومحمود بن دحية ، وشأس ... » .

(٢) الأثر : ١٦٦٢٠ - سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٩ .

(٣) في المطبوعة : « يعملون بها ما شاء الله » ، وأثبت ما في المخطوطة .

التوراة ، فأذّن في قومه فقال : يا قوم ، قد آتاني الله التوراةَ وردّها إلى ! فعلقَ بهم يعلمهم ، ^(١) فكثروا ما شاء الله وهو يعلمهم . ثم إنَّ التابوت نزل بعد ذلك وبعد ذهابه منهم ، فلما رأوا التابوت عرّضوا ما كان فيه على الذي كان عزيز يعلمهم ، فوجدوه مثله ، فقالوا : والله ما أوتى عزيز هذا إلا أنه ابن الله ! !

١٦٦٢٢ - حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « وقالت اليهود عزيز ابن الله » ، إنما قالت ذلك ، لأنهم ظهرت عليهم العمالة فقتلوه ، وأخذوا التوراة ، وذهب علماءهم الذين بقوا ، وقد دفنوا كتب التوراة في الجبال . ^(٢) وكان عزيز غلاماً يتعبّد في رؤوس الجبال ، لا ينزل إلا يوم عيد . فجعل الغلام يبكي ويقول : « ربّ تركتَ بني إسرائيل بغير عالم » ! فلم يزل يبكي حتى سقطت أشْفارُ عينيه ، فنزل مرة إلى العيد ، فلما رجع إذا هو بامرأة قد مثلت له عند قبر من تلك القبور تبكي وتقول : « يا مطعماه ، ويا كاسياه » ! فقال لها ، وبُحِكْ ، من كان يطعمك أو يكسوك أو يسقيك أو ينفكك قبل هذا الرجل ؟ ^(٣) قالت : الله ! قال : فإنَّ الله حي لم يمِت ! قالت : ^{٧٩/١٠} يا عزيز ، فمن كان يعلم العلماء قبل بني إسرائيل؟ قال : الله ! قالت : فلم تبكي عليهم ؟ فلما عرف أنه قد خُصِمَ ، ^(٤) ولّى مدبراً ، فدعته فقالت : يا عزيز ، إذا أصبحت غداً فأْت نهر كذا وكذا فاغتسل فيه ، ثم اخرج فصلّ ركعتين ،

(١) في المطبوعة : « فعلق يعلمهم » ، وفي المخطوطة « فعلق به يعلمهم » ، ورجحت صواب ما أثبت . يقال : « علقْتُ أفعل كذا » بمعنى : طفقت . من قوطم : « علق بالشيء » ، إذا لزمه ، قال يزيد بن الطثرية :

عَلِقَنَ حَوْلِي يَسْأَلُنَ الْقِرَى أَصْلًا وَلَيْسَ يَرْضَيْنَ مِنِّي بِالْمَعَاذِيرِ

بمعنى : طفقت (انظر طبقات فحول الشعراء : ٥٨٧ ، تعليق : ٤) .

(٢) في المطبوعة : « فلنفنوا » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٣) في المطبوعة ، جعلها جميعاً بالواو على العطف ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٤) « خصم » ، أى : غلب في الخصام والحجاج .

فإنه يأتيك شيخٌ ، فما أعطاك فخذْه . فلما أصبح انطلق عزيزٌ إلى ذلك النهر ، فاغتسل فيه ، ثم خرج فصلى ركعتين . فجاء الشيخُ فقال : افتح فمك ! ففتح فيه ، فألقى فيه شيئاً كهيئة الحمرة العظيمة ، مجتمع كهيئة القوارير ، ثلاث مرار .^(١) فرجع عزيز وهو من أعلم الناس بالتوراة ، فقال : يا بنى إسرائيل ، إني قد جئتكم بالتوراة ! فقالوا : يا عزيز ، ما كنت كذاباً ! فعمد فربط على كل إصبع له قلماً ، وكتب بأصابعه كلها ، فكتب التوراة كلها . فلما رجع العلماء ، أخبروا بشأن عزيز ، فاستخرج أولئك العلماء كتبهم التي كانوا دفنوها من التوراة في الجبال ، وكانت في خوابٍ مدفونة ،^(٢) فعارضوها بتوراة عزيز ، فوجدوها مثلها ، فقالوا : ما أعطاك الله هذا إلا أنك ابنه !

* * *

واختلفت القراءة في قراءة ذلك .

فقرأته عامة قُرأة أهل المدينة وبعض المكين والكوفيين : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ ﴾ ، لا ينونون « عزيزاً » .

* * *

وقرأه بعض المكين والكوفيين : ﴿ عُزَيْرُ ابْنِ اللَّهِ ﴾ ، بتنوين « عزيز » قال : هو اسم مجرّى وإن كان أعجباً ، خلفته . وهو مع ذلك غير منسوب إلى الله ، فيكون بمنزلة قول القائل : « زيدٌ ابن عبد الله » ، وأوقع « الابن » موقع الخبر . ولو كان منسوباً إلى الله لكان الوجه فيه ، إذا كان الابن خبراً ، الإجراء ، والتنوين ، فكيف وهو منسوب إلى غير أبيه ؟ وأما من ترك تنوين « عزيز » فإنه لما كانت الباء من « ابن » ، ساكنة مع التنوين الساكن ، والتقى ساكنان ، فحذف الأول منهما استقلالاً لتحريكه ، قال الراجز :^(٣)

(١) في المطبوعة : « مجتمعاً » ، وأثبت ما في المخطوطة ، والدر المنثور . وهذا الموضع من الخبر ، يحتاج إلى نظر في صحته ومعناه .

(٢) « خوابى » جمع « خابية » ، وهى الجرة الكبيرة .

(٣) لم أعرف قائله .

لَتَجِدَنَّيَ بِالْأَمِيرِ بَرًّا وَبِالْفَنَاءِ مَذْعَسًا مَكْرًا
إِذَا غُطِيفُ السَّلْمَى قَرًّا (١)

حذف النون للساكن الذى استقبلها .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك ، قراءة من قرأ : ﴿ عَزِيزٌ أَبْنُ اللَّهِ ﴾ ، بتنوين « عزيز » ، لأن العرب لاتنون الأسماء إذا كان « الابن » نعتاً للاسم ، [وتنونه إذا كان خبراً] ، كقولهم : « هذا زيد ابن عبد الله » ، فأرادوا الخبر عن « زيد » بأنه « ابن عبد الله » ، (٢) ولم يريدوا أن يجعلوا « الابن » له نعتاً و « الابن » فى هذا الموضع خبر لـ « عزيز » ، لأن الذين ذكر الله عنهم أنهم قالوا ذلك ، إنما أخبروا عن « عزيز » ، أنه كذلك ، وإن كانوا بقليلهم ذلك كانوا كاذبين على الله مفترين .

* * *

= « وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل » ، يعنى قول اليهود : « عزيز ابن الله » . يقول : يُشَبِّه قول هؤلاء فى الكذب على الله والفرية عليه ونسبتهم المسيح إلى أنه لله ابن ، كذب اليهود وفريتهم على الله فى نسبتهم عزيزاً إلى أنه لله ابن ، (٣) ولا ينبغي أن يكون لله ولد سبحانه ،

(١) نوادر أبى زيد : ٩١ ، معانى القرآن للفراء : ١ : ٤٣١ . اللسان (صهب) ، (دعص) ، (دعص) ، وغيرها ، وقبله فى النوادر :

جاءوا يجرئون الحديد جرًّا صُهِبَ السَّبَالِ يَبْتَغُونَ الشَّرًّا

وفى النوادر : « يجرئون السود » ، وهذه رواية غيره .

(٢) هذه الجملة كانت فى المخطوطة هكذا : « لأن النون العرب من الأسماء إذا كان الابن نعتاً للاسم ، كقولهم : هذا زيد بن عبد الله ، فأرادوا الخبر عن زيد بأنه ابن الله » . وهو كلام مضطرب غاية الاضطراب .

وصححها فى المطبوعة هكذا : « لأن العرب لاتنون الأسماء ، إذا كان الابن نعتاً للاسم ، كقولهم : هذا زيد بن عبد الله ، فأرادوا الخبر عن عزيز بأنه ابن الله » ، وهو أيضاً مضطرب . فأبقيت تصحيح الناشر الأول فى صدر الجملة ، ثم صححت سائر الكلام بما يوافق المخطوطة ، ثم زدت فيه ما بين القوسين ، حتى يستقيم الكلام على وجه مرضى بعض الرضى . ولا أشك أن الناسخ قد أسقط قدراً من كلام أبى جعفر .

(٣) فى المطبوعة : « نسبة قول هؤلاء ... ككذب اليهود وفريتهم » ، أخطأ فى قراءة

بل له ما فى السموات والأرض كل^١ له قانتون .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٦٢٣ - حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ،

عن على ، عن ابن عباس قوله : « يضاهئون قول الذين كفروا من قبل » ،
يقول : يُشَبِّهون .

١٦٦٢٤ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة

قوله : « يضاهئون قول الذين كفروا من قبل » ، ضاهت النصارى قول اليهود قبلهم .

١٦٦٢٥ - حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ،

حدثنا أسباط ، عن السدى : « يضاهئون قول الذين كفروا من قبل » ، النصارى
يضاهئون قول اليهود فى « عزير » .

١٦٦٢٦ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن

٨٠/١٠

جريج : « يضاهئون قول الذين كفروا من قبل » ، يقول : النصارى ، يضاهئون قول اليهود .

١٦٦٢٧ - حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى

قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « يضاهئون قول الذين
كفروا من قبل » ، يقول : قالوا مثل ما قال أهل الأوثان .

* * *

وقد قيل : إن معنى ذلك : يحكون بقولهم قول أهل الأوثان ،^(١) الذين قالوا :

« اللات ، والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى » .^(٢)

* * *

« يشبه » ، فجعلها « نسبة » ، ثم زاد فى « كذب » كافاً أخرى فى أولها ، ليستقيم الكلام ، فلم
يستقم . وقوله : « كذب » مفعول قوله : « يشبه » . وذلك معنى « المضاهاة » كما سأتى .

(١) فى المطبوعة : « أهل الأديان » ، والصواب ما أثبت من المخطوطة .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٣٣ .

واختلفت القراءة في قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة الحجاز والعراق : ﴿ يُضَاهُونَ ﴾ ، بنير همز .

* * *

وقراه عاصم : ﴿ يُضَاهُونَ ﴾ ، بالهمز ، وهي لغة لثقيف .

* * *

وهما لغتان ، يقال : « ضاهيته على كذا أضاهيه مضاهاة » ، و « ضاهاته عليه مضَاهاة » ، إذا مالته عليه وأعتته .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة في ذلك ترك الهمز ، لأنها القراءة المستفيضة في قرأة الأمصار ، واللغة الفصحى .

* * *

وأما قوله : « قاتلهم الله » ، فإن معناه ، فيما ذكر عن ابن عباس ، ما : —
١٦٦٢٨ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ،
عن علي ، عن ابن عباس قوله : « قاتلهم الله » ، يقول : لعنهم الله . وكل شيء
في القرآن « قتل » ، فهو لعن .

* * *

وقال ابن جريج في ذلك ما : —

١٦٦٢٩ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن
ابن جريج قوله : « قاتلهم الله » ، يعني النصارى ، كلمة " من كلام العرب . (١)

* * *

فأما أهل المعرفة بكلام العرب فإنهم يقولون : معناه : قتلهم الله . والعرب
تقول : « قاتلك الله » ، و « قاتعها الله » ، بمعنى : قاتلك الله . قالوا : و « قاتلك الله »
أهون من « قاتله الله » .

وقد ذكروا أنهم يقولون : « شاقاه الله ما تاقاه » ، يريدون : أشقاه الله ما أبقاه .

(١) يعني أنها كلمة تقوها العرب ، لا تريد بها معنى « القتل » ، كقولهم : « تربت يداك » ، لا يراد بها وقوع الأمر .

قالوا : ومعنى قوله : « قاتلهم الله » ، كقوله : ﴿ قَتَلَ الْغُرَّاصُونَ ﴾ ، [سورة الذاريات : ١٠] ، و ﴿ قَتَلَ أَصْحَابُ الْأَخْذُودِ ﴾ ، [سورة البروج : ٤] ، واحد* هو بمعنى التعجب .

* * *

فإن كان الذى قالوا كما قالوا ، فهو من نادر الكلام الذى جاء على غير القياس ، لأن « فاعلت » لا تكاد أن تجيء فعلاً إلا من اثنين ، كقولهم : « خاصمت فلاناً » ، و « قاتلته » ، وما أشبه ذلك . وقد زعموا أن قولهم : « عافاك الله » منه ، وأن معناه : أعفأك الله ، بمعنى الدعاء لمن دعا له بأن يعففيه من سوء . وقوله : « أنى يؤفكون » ، يقول : أى وجه يذهب بهم ، ويحيدون ؟ وكيف يصدون عن الحق ؟ وقد بينا ذلك بشواهد فيما مضى قبل .^(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٣١)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : اتخذ اليهود أحبارهم ، وهم العلماء .

* * *

وقد بينت تأويل ذلك بشواهد فيما مضى من كتابنا هذا قبل . واحدهم « حَبِيرٌ » ، و « حَبِيرٌ » بكسر الحاء منه وفتحها .^(٢) وكان يونس الجرمي ،^(٣) فيما ذكر عنه ، يزعم أنه لم يسمع ذلك إلا « حَبِيرٌ »

(١) انظر تفسير « الإفلك » فيما سلف ١٠ : ١١ / ٤٨٦ : ٥٥٤ .

(٢) انظر تفسير « الحبر » فيما سلف ٦ : ٥٤٣ ، ١٠ / ٥٤٤ : ٣٤١ ، ٤٤٨ .

(٣) « يونس الجرمي » ، انظر ما سلف ١٠ : ١٢٠ ، تعليق : ١١ / ١ : ٥٤٤ ،

تعليق : ١٣ / ٢ : ١٢٩ ، تعليق : ٣ = ١٣٨ ، تعليق : ٤

بكسر الحاء . ويحتج بقول الناس : « هذا مِدَادُ حَبِيرٍ » ، يراد به مدادُ عالم .
وذكر الفراء أنه سمعه « حَبِيرًا » ، و « حَبِيرًا » بكسر الحاء وفتحها .

* * *

= والنصارى « رهبانهم » ، ^(١) وهم أصحاب الصوامع وأهل الاجتهاد في دينهم
منهم ، ^(٢) كما : —

١٦٦٣٠ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سلمة ، عن الضحاك ،
« اتخذوا أحبارهم ورهبانهم » ، قال : قُرَاءَهُمْ وعلماءهم .

* * *

= « أرباباً من دون الله » ، يعنى : سادة لهم من دون الله ، ^(٣) يطيعونهم في
معاصى الله ، فيحلون ما أحلّوه لهم مما قد حرّمه الله عليهم ، ويحرّمون ما يحرمونه
عليهم مما قد أحلّه الله لهم ، كما : —

١٦٦٣١ — حدثني الحسين بن يزيد الطحّان قال ، حدثنا عبد السلام بن
حرب الملائى ، عن غطفان بن أعين ، عن مصعب بن سعد ، عن عدى بن حاتم
قال : انتهيتُ إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ في « سورة براءة » : « اتخذوا
أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » ، فقال : أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ، ولكن
كانوا يحلّون لهم فيحلّون . ^(٤)

(١) قوله : « والنصارى ، ورهبانهم » هذا معطوف على قوله آنفاً : « اتخذ اليهود أحبارهم » .

(٢) انظر تفسير « الرهبان » فيما سلف ١٠ : ٥٠٢ ، ٥٠٣ .

(٣) انظر تفسير « الرب » فيما سلف ١ : ١٤٢ / ١٢ : ٢٨٦ ، ٤٨٢ .

(٤) الأثر : ١٦٦٣١ — حديث « عدى بن حاتم الطائى » ، رواه أبو جعفر من ثلاث
طرق متتابعة ، كلها من طريق عبد السلام بن حرب ، عن غطفان بن أعين ، من ١٦٦٣١ — ١٦٦٣٣ .
« الحسين بن يزيد السبعمي الطحّان » ، شيخ الطبرى ، وثقه ابن حبان ، ولين حديثه أبو حاتم ،
مضى برقم : ٢٨٩٢ ، ٧٨٦٣ ، ٩١٥٣ . وكان في المطبوعة والمخطوطة : « الحسن بن يزيد » ،
وهو خطأ .

١٦٦٣٢ - حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالوا ، حدثنا مالك بن إسماعيل = وحدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد = جميعاً ، عن عبد السلام ابن حرب قال ، حدثنا غطيف بن أعين ، عن مصعب بن سعد ، عن عدى ابن حاتم قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنق صليب من ذهب ، فقال : يا عدى ، اطرح هذا الوثن من عنقك ! قال : فطرحت ، وانتهيت إليه وهو يقرأ في «سورة براءة» ، فقرأ هذه الآية : « اتخذوا أحابيرهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » ، قال قلت : يا رسول الله ، إنا لسنا نعبدُهم ! فقال : أليس يحرمون ما أحلَّ الله فتحرمونه ، ويحلبون ما حرَّم الله فتحلبونه ؟ قال قلت : بلى ! قال : فتلك عبادتهم ! = واللفظ لحديث أبي كريب . (١)

٨١/١٠

١٦٦٣٣ - حدثني سعيد بن عمرو السكوني قال : حدثنا بقية ، عن قيس

و « عبد السلام بن حرب الملائي النهدي » ، الحافظ الثقة ، مضى برقم : ١١٨٤ ، ٥٤٧١ ، ١٢٤٧٨ .

و « غطيف بن أعين الشيباني الجزري » أو : « غصيف » وثقه ابن حبان ، وقال الترمذي : « ليس بمعروف في الحديث » ، وضعفه الدارقطني ، مترجم التهذيب ، والكبير ١٠٦/١/٤ ، ولم يذكر فيه جرحاً ، وترجمه ابن أبي حاتم في « غصيف » بالضاد ، ٥٥/٢/٣ ، ولم يذكر فيه جرحاً . وسأيت « غصيف » في رقم : ١٦٦٣٣ .

و « مصعب بن سعد بن أبي وقاص » ، روى عن أبيه ، وعلى ، وعكرمة بن أبي جهل ، وعلى ابن حاتم ، وابن عمر . وغيرهم ، وروى عن غطيف بن أعين . وهو ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ٩٨٤١ ، ١١٤٥٠ .

وهذا الخبر مختصر الذي يليه ، فراجع التخريج التالي .

ورواه الترمذي من هذه الطريق نفسها عن الحسين بن يزيد الكوفي الطحان في كتاب التفسير ، وقال : « هذا حديث حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب . وغطيف بن أعين ، ليس بمعروف في الحديث » .

وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣ : ٢٣٠ ، وزاد نسبه إلى ابن سعد ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والطبراني ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقي في سننه . ولم أجده في المطبوع من طبقات ابن سعد ، وضل عني مكانه في سنن البيهقي .

(١) الأثر : ١٦٦٣٢ - رواه من طريق مالك بن إسماعيل ، عن عبد السلام بن حرب ، بلفظه ، البخاري في الكبير ١٠٦/١/٤ . وانظر التخريج السالف .

ابن الربيع ، عن عبد السلام بن حرب النهدي ، عن غضيف ، عن مصعب بن سعد ، عن عدى بن حاتم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ « سورة براءة » ، فلما قرأ : « اتخذوا أجباهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » ، قلت : يا رسول الله ، إما إنهم لم يكونوا يصلون لهم ! قال : صدقت ، ولكن كانوا يَحُلُّون ما حَرَّمَ الله فيستحلُّونه ، ويحرِّمون ما أحلَّ الله لهم فيحرِّمونه .

١٦٦٣٤ - حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ، حدثنا سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن أبي البختري ، عن حذيفة : أنه سئل عن قوله : « اتخذوا أجباهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » ، أكانوا يعبدونهم ؟ قال : لا ، كانوا إذا أحلُّوا لهم شيئاً استحلوه ، وإذا حرَّموا عليهم شيئاً حرَّموه .

١٦٦٣٥ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن حبيب ، عن أبي البختري قال : قيل لأبي حذيفة ، فذكر نحوه = غير أنه قال : ولكن كانوا يحلُّون لهم الحرام فيستحلُّونه ، ويحرِّمون عليهم الحلال فيحرِّمونه .

١٦٦٣٦ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يزيد بن هرون ، عن العوام بن حوشب ، عن حبيب عن أبي البختري قال : قيل لحذيفة : أ رأيت قول الله : « اتخذوا أجباهم » ؟ قال : أما إنهم لم يكونوا يصومون لهم ولا يصلون لهم ، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه ، وإذا حرَّموا عليهم شيئاً أحله الله لهم حرَّموه ، فتلك كانت ربوبيتهم .

١٦٦٣٧ - قال ، حدثنا جرير وابن فضيل ، عن عطاء ، عن أبي البختري : « اتخذوا أجباهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » ، قال : انطلقوا

(١) الأثر : ١٦٦٣٣ - « غضيف » ، هو « غضيف » بن أعين ، و « غطيف » ، كما مر في تخريج الأثر : ١٦٦٣١ . وكان في المخطوطة : « حصف » وجعلها في المطبوعة : « غطيف » ، والصواب ما أثبت . كما أشرت إليه في التعليق المذكور .

إلى حلال الله فجعلوه حراماً ، وانطلقوا إلى حرام الله فجعلوه حلالاً ، فأطاعوهم في ذلك . فجعل الله طاعتهم عبادتهم . واو قالوا لهم : « اعبدونا » ، لم يفعلوا .

١٦٦٣٨ — حدثني الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثوري ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن أبي البخري قال : سأل رجل حذيفة فقال : يا أبا عبد الله ، أرايت قوله : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » ، أكانوا يعبدونهم ؟ قال : لا ، كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلهوه ، وإذا حرّموا عليهم شيئاً حرّموه .
١٦٦٣٩ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن أبي عدي ، عن أشعث ، عن الحسن : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً » ، قال : في الطاعة .

١٦٦٤٠ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » ، يقول : زينوا لهم طاعتهم .

١٦٦٤١ — حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » ، قال عبد الله بن عباس : لم يأمرهم أن يسجدوا لهم ، ولكن أمرهم بمعصية الله فأطاعوهم ، فسمّاهم الله بذلك أرباباً .

١٦٦٤٢ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن نمير ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً » ، قال : قلت لأبي العالية : كيف كانت الرّبوية التي كانت في بني إسرائيل ؟ قال : [لم يسبوا أحبارنا بشيء مضي] ، « ما أمرونا به ائتمرنا ، وما نهونا عنه انتهينا لقولهم » ، وهم يجلدون في كتاب الله ما أمروا به وما نهوا عنه ، فاستنصحو الرجال ، ونبدوا كتاب الله وراء ظهورهم .

٨٢/١٠

(١) هذه الجملة التي وضعها بين القوسين من المخطوطة ، ولا أدري ما هي ، ولكني أثبتتها كما جاءت ، فلعل أحداً يجد الخبر في مكان آخر فيصححه .

١٦٦٤٣ - حدثني بشر بن سويد قال ، حدثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي البختري ، عن حذيفة : « اتخذوا أجباهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » ، قال : لم يعبدوهم ، ولكنهم أطاعوهم في المعاصي .^(١)

* * *

وأما قوله : « والمسيح ابن مريم » ، فإن معناه : اتخذوا أجباهم ورهبانهم والمسيح ابن مريم أرباباً من دون الله .

* * *

وأما قوله : « وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً » ، فإنه يعنى به : وما أمر هؤلاء اليهود والنصارى الذين اتخذوا الأجباء والرهبان والمسيح أرباباً ، إلا أن يعبدوا معبوداً واحداً ، وأن يطيعوا إلا رباً واحداً ، دون أرباب شتى ، وهو الله الذى له عبادة كل شيء ، وطاعة كل خلق ، المستحق على جميع خلقه الدينونة له بالوحدانية والربوبية = « لا إله إلا هو » ، يقول تعالى ذكره : لا تنبغى الألوهية إلا للواحد الذى أمر الخلق بعبادته ، ولزمت جميع العباد طاعته = « سبحانه عما يشركون » ، يقول : تنزيهاً وتطهيراً لله عما يشرك فى طاعته وربوبيته ، القائلون : « عزيز ابن الله » ، والقائلون : « المسيح ابن الله » ، المتخذون أجباهم أرباباً من دون الله .^(٢)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (٣٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : يريد هؤلاء المتخذون أجباهم ورهبانهم والمسيح ابن مريم أرباباً = « أن يطفئوا نور الله بأفواههم » ، يعنى : أنهم يحاولون

(١) الأثر : ١٦٦٤٣ - « بشر بن سويد » ، لم أجد من يسمى بهذا الاسم ، أخشى أن يكون : « بشر بن معاذ » شيخ الطبرى ، عن « سويد بن نصر المروزي » .
(٢) انظر تفسير « سبحانه » فيما سلف ١٣ : ١٠٢ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

بتكذيبهم بدين الله الذى ابثع به رسوله ، وصدّهم الناس عنه بالسنتهم ، أن يطلوه ، وهو النور الذى جعله الله لخلقه ضياءً ^(١) « ويأبى الله إلا أن يتم نوره » ، يعلو دينه ، وتظهر كلمته ، ويتم الحق الذى بعث به رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم « ولو كره » إتمام الله إياه = « الكافرون » ، يعنى : جاحديه المكذّبين به .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٦٤٤ - حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم » ، يقول : يريدون أن يطفئوا الإسلام بكلامهم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ ^(٣٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : الله الذى يأبى إلا إتمام دينه ولو كره ذلك جاحدوه ومنكروه = « الذى أرسل رسوله » ، محمداً صلى الله عليه وسلم = « بالهدى » ، يعنى : ببيان فرائض الله على خلقه ، وجميع اللازم لهم ^(٢) = « ودين الحق » ، وهو الإسلام = « ليظهره على الدين كله » ، يقول : ليعلى الإسلام على الملل كلها = « ولو كره المشركون » ، بالله ظهوره عليها .

* * *

وقد اختلف أهل التأويل فى معنى قوله : « ليظهره على الدين كله » .

(١) انظر تفسير « الإطفاء » فيما سلف ١٠ : ٤٥٨ .

(٢) انظر تفسير « الهدى » فيما سلف من فهارس اللغة (هدى) .

فقال بعضهم : ذلك عند خروج عيسى ، حين تضير المللُ كُلُّها واحدةً .
 * ذكر من قال ذلك :

١٦٦٤٥ - حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا يحيى بن سعيد القطان قال ،
 حدثنا شقيق قال ، حدثني ثابت الحداد أبو المقدام ، عن شيخ ، عن أبي هريرة
 في قوله : « ليظهره على الدين كله » ، قال : حين خروج عيسى بن مريم. (١)
 ١٦٦٤٦ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن
 فضيل بن مرزوق قال ، حدثني من سمع أبا جعفر : « ليظهره على الدين كله » ،
 قال : إذا خرج عيسى عليه السلام ، اتبعه أهل كل دين .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : ليعلمه شرائع الدين كلها ، فيطلمه عليها .
 * ذكر من قال ذلك :

١٦٦٤٧ - حدثني المنثي قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ،
 عن علي ، عن ابن عباس ، قوله : « ليظهره على الدين كله » ، قال : ليظهر
 الله نبيّه على أمر الدين كله ، فيعطيه إياه كله ، ولا يخفى عليه منه شيء . وكان
 المشركون واليهود يكرهون ذلك .

* * *

(١) الأثر : ١٦٦٤٥ - « ثابت الحداد » ، « أبو المقدام » هو : « ثابت بن مرزوق الكوفي » مضى برقم : ٥٩٦٩ .

القول في تأويل قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ٨٣/١٠

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله، وأقروا بوحداية ربهم، إن كثيراً من العلماء والقرّاء من بني إسرائيل من اليهود والنصارى^(١) = «ليأكلون أموال الناس بالباطل»، يقول: يأخذون الرشى في أحكامهم، ويحرفون كتاب الله، ويكتبون بأيديهم كتباً ثم يقولون: «هذه من عند الله»، يأخذون بها ثمناً قليلاً من سيفلتهم^(٢) = «ويصدّون عن سبيل الله»، يقول: ويمنعون من أراد الدخول في الإسلام الدخول فيه، بنهيهم إياهم عنه^(٣).

* * *

وينحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك:

١٦٦٤٨ - حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدي: «يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأخبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل»، أما «الأخبار»، فمن اليهود. وأما «الرهبان»، فمن النصارى. وأما «سبيل الله»، فمحمد صلى الله عليه وسلم.

* * *

(١) انظر تفسير «الأخبار»، و «الرهبان» فيما سلف ص: ٢٠٩، تعليق: ٢، و ص: ٢٠٨، تعليق: ٢، والمراجع هناك.

(٢) انظر تفسير «أكل الأموال بالباطل» فيما سلف ٩: ٣٩٢، تعليق: ١، والمراجع هناك.

(٣) انظر تفسير «الصد» فيما سلف ص: ١٥١، تعليق: ١، والمراجع هناك.

= وتفسير «سبيل الله» في فهارس اللغة (سبل).

القول في تأويل قوله ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٣٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « إن كثيراً من الأثبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل » ، ويأكلها أيضاً معهم « الذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » ، يقول : بشر الكثير من الأثبار والرهبان الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ، والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ، بعذاب أليم لهم يوم القيامة ، مَوْجَع من الله .^(١)

* * *

واختلف أهل العلم في معنى « الكثر » .

فقال بعضهم : هو كل مال وجبت فيه الزكاة ، فلم تؤدَّ زكاته . قالوا : وعنى بقوله : « ولا ينفقونها في سبيل الله » ، ولا يؤدُّون زكاتها .
* ذكر من قال ذلك :

١٦٦٤٩ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : كل مال أدَّت زكاته فليس بكثر ، وإن كان مدفوناً . وكل مال لم تؤدَّ زكاته ، فهو الكثر الذي ذكره الله في القرآن ، يكوى به صاحبه ، وإن لم يكن مدفوناً.^(٢)

١٦٦٥٠ — حدثنا الحسن بن الجنييد قال ، حدثنا سعيد بن مسلمة قال ، حدثنا إسماعيل بن أمية ، عن نافع ، عن ابن عمر : أنه قال : كل مال أدَّت منه الزكاة فليس بكثر ، وإن كان مدفوناً . وكل مال لم تؤدَّ منه الزكاة ، وإن لم

(١) انظر تفسير « أليم » فيما سلف من فهارس اللغة (ألم) .

(٢) الأثر : ١٦٦٤٩ — حديث ابن عمر في الكثر ، رواه أبو جعفر من طرق ، بألفاظ مختلفة ، موقوفاً على ابن عمر ، وهو الصواب . وإسناد هذا الخبر صحيح إلى ابن عمر .
رواه مالك بمعناه من طريق عبد الله بن دينار ، عن عبد الله بن عمر في الموطأ : ٢٥٦ .

يكن مدفوناً ، فهو كثر . (١)

١٦٦٥١ - حدثني أبو السائب قال ، حدثنا ابن فضيل ، عن يحيى بن سعيد ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : أَيْسَما مالٍ أدَّيت زكاته فليس بكثر ، وإن كان مدفوناً في الأرض . وأَيْسَما مالٍ لم تؤدَّ زكاته ، فهو كثر يكوى به صاحبه ، وإن كان على وجه الأرض . (٢)

١٦٦٥٢ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي وجريز ، عن الأعمش ، عن عطية ، عن ابن عمر قال : ما أدَّيت زكاته فليس بكثر . (٣)

١٦٦٥٣ - قال ، حدثنا أبي ، عن العمرى ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : ما أدَّيت زكاته فليس بكثر ، وإن كان تحت سبع أَرْضِينَ . وما لم تؤدَّ زكاته فهو كثر ، وإن كان ظاهراً . (٤)

١٦٦٥٤ - قال ، حدثنا جرير ، عن الشيباني ، عن عكرمة قال : ما أدَّيت زكاته فليس بكثر .

(١) الأثر : ١٦٦٥٠ - « الحسن بن الحنيد البلخي » ، شيخ الطبري ، ويقال « الحسين » ، مضى برقم : ٨٤٥٨ . وكان في المخطوطة : « الحسين » وأثبت ما في المخطوطة .

و « سعيد بن مسلمة بن هشام بن عبد الملك بن مروان » ، ضعيف الحديث ، مضى برقم : ٨٤٥٨ .

و « إسماعيل بن أمية الأموي » ، مضى برقم : ٢٦١٥ ، ٨٤٥٨ . وهذا إسناد ضعيف لضعف « سعيد بن مسلمة » .

(٢) الأثر : ١٦٦٥١ - رواه البيهقي في السنن ٤ : ٨٢ ، بنحو هذا اللفظ من طريق ابن نمير ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، وقال : « هذا هو الصحيح ، موقوف . وكذلك رواه جماعة عن نافع ، وجماعة عن عبيد الله بن عمر . وقد رواه سويد بن عبد العزيز ، وليس بالقوى ، مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

(٣) الأثر : ١٦٦٥٢ - « عطية » ، هو « عطية بن سعد العوفي » ، ضعيف الحديث ، مضى تضعيفه في رقم : ٣٠٥ .

(٤) الأثر : ١٦٦٥٣ - « العمرى » ، هو « عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب » ، سلف مراراً . وهذا الإسناد هو الذي أشار إليه البيهقي فيما سلف رقم : ١٦٥٥١ ، في التعليق .

١٦٦٥٥ - حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي قال : أما « الذين يكتزون الذهب والفضة » ، فهؤلاء أهل القبلة ، و« الكثر » ، ما لم تؤدّ زكاته وإن كان على ظهر الأرض ، وإن قلّ . وإن كان كثيراً قد أدّيت زكاته ، فليس بكثر .

١٦٦٥٦ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر قال : قلت لعامر : مالٌ على رَفٍّ بين السماء والأرض لا تؤدّي زكاته ، أكثر هو؟ قال : يُكْوَى به يوم القيامة .

* * *

وقال آخرون : كل مال زاد على أربعة آلاف درهم فهو كثرٌ ، أدّيت منه الزكاة أو لم تؤدّ .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٦٥٧ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي حصين ، عن أبي الضحى ، عن جعدة بن هيرة ، عن علي رحمة الله عليه قال : أربعة آلاف درهم فما دونها « نفقة » ، فما كان أكثر من ذلك فهو « كثر » ،^(١)

١٦٦٥٨ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي حصين ، عن أبي الضحى ، عن جعدة بن هيرة ، عن علي مثله .

١٦٦٥٩ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الشعبي قال ، أخبرني أبو حصين ، عن أبي الضحى ، عن جعدة بن هيرة ، عن علي رحمة الله عليه في قوله : « والذين يكتزون الذهب والفضة » ، قال : أربعة آلاف درهم فما دونها نفقة ، وما فوقها كثر .

* * *

(١) الأثر : ١٦٦٥٧ - « جعدة بن هيرة المخزومي » ، تابعي ولد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو ابن أم هانئ بنت أبي طالب . خاله على رضي الله عنهم . مترجم في التهذيب ، والكبير . ٢٣٨/٢/١ ، وابن أبي حاتم ٥٢٦/١/١ . وسيأتي بعد من طريقين .

وقال آخرون : « الكثر » كل ما فضل من المال عن حاجة صاحبه إليه .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٦٦٠ — حدثنا محمد بن المنثني قال ، حدثنا عبيد الله بن معاذ قال ،

حدثنا أبي قال ، حدثنا شعبة ، عن ابن عبد الواحد : أنه سمع أبا مجيب قال : كان نعل سيف أبي هريرة من فضة ، ففاه عنها أبو ذر وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من ترك صفراء أو بيضاء كُؤى بها .^(١)

١٦٦٦١ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا سفيان ،

عن منصور ، عن الأعمش وعمرو بن مرة ، عن سالم بن أبي الجعد قال : لما نزلت : « والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله » ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : تباً للذهب ! تباً للفضة ! يقولها ثلاثاً ، قال : فشق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : فأى مال نتخذ ؟ فقال عمر : أنا أعلم لكم

(١) الأثر : ١٦٦٦٠ — « ابن عبد الواحد » ، يقال : « عبد الله بن عبد الواحد الثقفي » ، ويقال : « فلان بن عبد الواحد ، رجل من ثقيف » ، ويقال : « يحيى بن عبد الواحد » ويقال : « عبد الواحد » . مجهول ، وكان في المطبوعة : « عن أنس ، عن عبد الواحد » ، غير فيها وزاد ما لم يكن في المخطوطة .
و « أبو مجيب » ، الشاشي . مجهول .

وهذا الخبر رواه أحمد في مسنده ٥ : ١٦٨ من طريق محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن رجل من ثقيف يقال له فلان بن عبد الواحد قال : سمعت أبا مجيب .

وذكره الحافظ في تعجيل المنفعة : ٥١٨ ، في ترجمة « أبو محمد » . وذكر نص حديث أحمد ثم قال : « وهذا الحديث أخرجه البخاري في كتاب الكنى ، فيما حكاه الحاكم أبو أحمد عنه ، من طريق ابن أبي عدى ، عن شعبة ، عن عبد الله بن عبد الواحد الثقفي ، عن أبي مجيب الشاشي ، فذكره . وحكى الحاكم أنه قيل في اسم هذا الثقفي : يحيى ، وقيل : عبد الواحد . وقال : الاختلاف فيه على شعبة » .

وفي رواية أحمد : « لقي أبو ذر أبا هريرة ، وجعل = أراه قال = قبعة سيفه فضة » .

و « قبعة السيف » ، هي التي تكون على رأس قائم السيف . وقيل : هي ما تحت شارب السيف ، مما يكون فوق الغمد ، فيجىء مع قائم السيف . والشاربان : أنفان طويلان أسفل القائم ، أحدهما من هذا الجانب ، والآخر من هذا الجانب .

وأما « نعل السيف » ، فهو ما يكون في أسفل جفنه من حديدة أو فضة .

ذلك ! فقال : يا رسول الله ، إن أصحابك قد شق عليهم ، وقالوا : فأى المال نتخذ ؟ فقال : لساناً ذاكرآ ، وقلباً شاكراً ، وزوجةً تُعين أحدكم على دينه .^(١)
 ١٦٦٦٢ - حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا إسرائيل ، عن منصور ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن ثوبان ، بمثله .^(٢)

١٦٦٦٣ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثوري ، عن منصور ، عن عمرو بن مرة ، عن سالم بن أبي الجعد قال : لما نزلت هذه الآية : « والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله » ، قال المهاجرون : وأى المال نتخذ ؟ فقال عمر : أسأل النبي صلى الله عليه وسلم عنه ! قال : فأدرسته على بعيرٍ فقلت : يا رسول الله ، إن المهاجرين قالوا : فأى المال نتخذه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لساناً ذاكرآ ، وقلباً

(١) الأثر : ١٦٦٦١ - خبر عمر هذا رواه أبو جعفر من طرق . أولها هذا ، ثم رقم : ١٦٦٦٢ ، ١٦٦٦٣ ، ١٦٦٦٦ .

و « سالم بن أبي الجعد الأشجعي ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى مراراً . روى عن عمر ، ولم يدركه . ومن هذا ، هذا الخبر ، ورقم : ١٦٦٦٣ .

فهذا خبر ضعيف ، لانقطاعه . وانظر تخريج الخبر التالي ، وروايته في المسند من طريق عبد الله بن عمرو بن مرة ، عن عمرو بن مرة ، عن سالم ، عن ثوبان .

(٢) الأثر : ١٦٦٦٢ - « سالم بن أبي الجعد » ، عن « ثوبان » ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اشتراه ثم أعتقه .

و « سالم بن أبي الجعد » لم يسمع من ثوبان ، قال أحمد : « لم يسمع سالم من ثوبان ، ولم يلقه . بينهما : ممدان بن أبي طلحة . وليست هذه الأحاديث بصحاح » .

وهذا الخبر رواه أحمد في المسند ٥ : ٢٧٨ من طريق إسرائيل ، عن منصور ، عن سالم . ثم رواه أيضاً ٥ : ٢٨٢ ، من طريق وكيع ، عن عبد الله بن عمرو بن مرة ، عن عمرو ابن مرة ، عن سالم ، عن ثوبان .

ورواه الترمذي في كتاب التفسير ، من طريق عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن منصور ، بنحوه ، وقال : « هذا حديث حسن . سألت محمد بن إسماعيل (البخاري) فقلت له : سالم بن أبي الجعد سمع ثوبان ؟ فقال ! لا ؛ قلت له ، ممن سمع من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : سمع من جابر بن عبد الله ، وأنس بن مالك ، وذكر غير واحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم » .

وسبق في من طريق سالم عن ثوبان برقم : ١٦٦٦٦ .

وانظر تفهيم ابن كثير ٤ : ١٥٥ .

شاكراً ، وزوجة مؤمنة ، تعين أحدهم على دينه .^(١)

١٦٦٦٤ - حدثنا الحسن قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي أمامة قال : توفي رجل من أهل الصفّة ، فوجد في مثزره دينار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كية ! ثم توفي آخر فوجد في مثزره ديناران ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : كيتان !^(٢)

١٦٦٦٥ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن شهر بن حوشب ، عن صدى بن عجلان أبي أمامة قال : مات رجل : من أهل الصفّة ، فوجد في مثزره دينار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كية ! ثم توفي آخر ، فوجد في مثزره ديناران ، فقال نبي الله : كيتان !^(٣)

١٦٦٦٦ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن سالم ، عن ثوبان قال : كنا في سفر ، ونحن نسير مع رسول الله عليه وسلم ، قال المهاجرون : لوددنا أننا علمنا أى المال خير فنتخذه ؟ إذ نزل في الذهب والفضة ما نزل ! فقال عمر : إن شئتم سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ! فقالوا : أجل !

(١) الأثر : ١٦٦٦٣ - انظر تخريج الآثار السالفة .

(٢) الأثران : ١٦٦٦٤ ، ١٦٦٦٥ - «شهر بن حوشب» ، مضى توثيقه مراراً . فهذا خبر صحيح الإسناد ، رواه أحمد في المسند ٥ : ٢٥٣ ، من طرق ، من طريق سعيد ابن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن شهر . ورواه من طريق روح ، عن معمر ، عن قتادة ، ومن طريق حسين ، عن شيبان ، عن قتادة .

ورواه أيضاً ٥ : ٢٥٢ عن حجاج قال : سمعت شعبة يحدث عن قتادة وهاشم = قال حدثني شعبة أنبأنا قتادة قال : سمعت أبا الحسن يحدث = قال هاشم في حديثه : أبو الجعد مولى لبني ضبيعة ، عن أبي أمامة .

ثم رواه أيضاً ٥ : ٢٥٣ ، من حجاج ، عن شعبة ، عن عبد الرحمن ، من أهل حمص ، من بني العداء ، من كندة ، مختصراً .

وروى أحمد نحوه في حديث علي بن أبي طالب ، بإسناد ضعيف رقم : ٧٨٨ ، ١١٥٥ ،

١١٥٦ ، ١١٥٧ .

وانظر تفسير ابن كثير ٤ : ١٥٨ ، ١٥٩ .

فانطلق ، فتبعته أوضيع على بعيرى ،^(١) فقال : يا رسول الله ، إن المهاجرين لما أنزل الله في الذهب والفضة ما أنزل قالوا: وددنا أننا علمنا أى المال خير فنتخذهُ ؟ قال : نعم ! فيتخذ أحدكم لساناً ذا كراً ، وقلباً شاكراً ، وزوجةً تعين أحدكم على إيمانه .^(٢)

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصحة ، القول الذى ذكر عن ابن عمر : من أن كل مالٍ أدّيت زكاته فليس بكتيرٍ يحرم على صاحبه اكتنازه وإن كثر = وأن كل مالٍ لم تؤد زكاته فصاحبه مُعاقب مستحقٌ وعيد الله ، إلا أن يتفضل الله عليه بعفوه وإن قل ، إذا كان مما يجب فيه الزكاة .

وذلك أن الله أوجب في خمس أواقٍ من الورق على لسان رسوله رُبْعَ عَشْرَها ،^(٣) وفي عشرين مثقالاً من الذهب مثل ذلك ، رُبْعَ عَشْرَها ، فإذا كان ذلك فرضاً الله في الذهب والفضة على لسان رسوله ، فعُلم أن الكثير من المال وإن بلغ في ٨٥/١٠ الكثرة ألوفَ ألوفٍ ، لو كان = وإن أدّيت زكاته = من الكنوز التى أوعده الله أهلها عليها العقاب ، لم يكن فيه الزكاة التى ذكرنا من رُبْعِ العَشْرِ . لأن ما كان فرضاً إخراجُ جميعه من المال ، وحرامٌ اتخاذه ، فزكاته الخروجُ من جميعه إلى أهله ، لا رُبْعَ عَشْرَها . وذلك مثلُ المالِ المَغْصُوبِ الذى هو حرامٌ على الغاصب إمساكُه ، وفرضٌ عليه إخراجُه من يده إلى يده ، التَطَهُّرُ منه : ردُّه إلى صاحبه . فلو كان ما زاد من المال على أربعة آلاف درهم ، أو ما فضل عن حاجة ربّه التى لا بد منها ، مما يستحق صاحبه باقتنائه = إذا أدّى إلى أهل السُّهُمَانِ حقوقهم منها من الصدقة = وعيد الله ، لم يكن اللازمُ ربّه فيه رُبْعَ عَشْرَها ، بل كان اللازم له الخروج من جميعه إلى أهله ، وصرفه فيما يجب عليه صرفه ، كالذى ذكرنا

(١) « أوضيع الراكب » ، أسرع بدابته إسراعاً دون العدو الشديد .

(٢) الأثر : ١٦٦٦٦ - مكرر الخبر رقم : ١٦٦٦٢ ، وانظر تخريج الأخبار السالفة .

(٣) « الورق » (بكسر الراء) ، الفضة .

من أن الواجب على غاصبٍ رجلٍ ماله ، ردّه على ربّه .

* * *

وبعد ، فإن فيما : —

١٦٦٦٧ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور قال ، قال معمر ، أخبرني سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما من رجل لا يؤدّي زكاة ماله ، إلا جعل يوم القيامة صفائح من نار يُكْوَى بها جبينه ووجهه وظهره ، ^(١) في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضى بين الناس ، ثم يرى سبيله ، وإن كانت إبلًا إلاَّ بَطِخَ لها بقاع قرقر ، ^(٢) تطؤه بأخفافها = حسبته قال : وتعصه بأفواهها = يردّ أولاهها على أخراها ، حتى يقضى بين الناس ، ثم يرى سبيله . وإن كانت غنمًا فثقل ذلك ، إلا أنها تنطحه بقرونها ، وتطؤه بأظلافها . ^(٣)

* * *

= وفي نظائر ذلك من الأخبار التي كرهنا الإطالة بذكرها ، الدلالة الواضحة على أن الوعيد إنما هو من الله على الأموال التي لم تُؤدَّ الوظائف المفروضة فيها لأهلها من الصدقة ، لا على اقتنائها واكتنازها . وفيما بيّنا من ذلك ، البيان الواضح على أن الآية لخاصة ، كما قال ابن عباس ، وذلك ما : —

١٦٦٦٨ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي

(١) في المخطوطة : « جسه » غير منقوطة ، والذي في مسلم : « جنباه وجبينه » والاختلاف في هذه الأحرف ذكرها مسلم في صحيحه ، وأثبت ما في المخطوطة لموافقتها لما في مسند أحمد رقم : ٧٧٠٦ .
(٢) « بطخ » (بالبناء للمجهول) ، أتى على وجهه . و « القاع » : الأرض المستوية الفسيحة . و « قرقر » ، هي الصحراء الباردة المساء .

(٣) الأثر : ١٦٦٦٧ — حديث صحيح . رواه مسلم مطولا في صحيحه ٧ : ٦٧ ، من طريق شيوخه بن عبد الملك الأموي ، عن عبد العزيز بن المختار ، عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبي صالح . ورواه من طرق أخرى عن أبي صالح ، ومن طرق عن أبي هريرة . ورواه أحمد في مسنده رقم : ٧٥٥٣ ، مطولا ، وقد استوفى أخى السيد أحمد تخريجه هناك . ثم رواه أيضاً رقم : ٧٧٠٦ ، من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن سهيل بن أبي صالح ، مختصراً ، وفيه : « جبينه ووجهه وظهره » ، فن أجل ذلك أثبت ما كان في المخطوطة (تعليق : ١) .

قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » ، يقول : هم أهل الكتاب . وقال : هي خاصة وعامة * .

* * *

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « هي خاصة وعامة » ، هي خاصة في المسلمين فيمن لم يؤدّ زكاة ماله منهم ، وعامة في أهل الكتاب ، لأنهم كفار لا تقبل منهم نفقاتهم إن أنفقوا . يدلُّ على صحة ما قلنا في تأويل قول ابن عباس هذا ، ما : —
١٦٦٦٩ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها » إلى قوله : « هذا ما كنتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكتزون » ، قال : هم الذين لا يؤدّون زكاة أموالهم . قال : وكل مال لا تؤدّى زكاته ، كان على ظهر الأرض أو في بطنها ، فهو كثر . وكل مال تؤدّى زكاته فليس بكثر ، كان على ظهر الأرض أو في بطنها .

١٦٦٧٠ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « والذين يكتزون الذهب والفضة » ، قال : « الكثر » ، ما كثر عن طاعة الله وفريضته ، وذلك « الكثر » . وقال : افترضت الزكاة والصلاة جميعاً لم يفرق بينهما .

* * *

قال أبو جعفر : وإنما قلنا : « ذلك على الخصوص » ، لأن « الكثر » ، في كلام العرب : كل شيء مجموع بعضه على بعض ، في بطن الأرض كان أو على ظهرها ، يدلُّ على ذلك قول الشاعر : (١)

لَا دَرَدَرِيَّ إِنِ اطْعَمْتُ نَارَهُمْ قَرَفَ الْحَيِّ وَعِنْدِي الْبُرُّ مَكْنُورٌ (٢)

(١) هو المتنخل الهذلي .

(٢) ديوان الهذليين ٢ : ٥٥ ، اللسان (كثر) ، وغيرهما كثير ، وهي أبيات جواد ، وصف فيها جوع الجائع وسقاً لا يبارى ، يقول بعده ، ووصف رجلاً ضاعفت نعمه ، وشرده البئس :

يعنى بذلك : وعندى البرُّ مجموع بعضه على بعض . وكذلك تقول العرب للبدن المجتمع : « مكترز » ، لانضمام بعضه إلى بعض .

وإذا كان ذلك معنى « الكتر » عندهم ، وكان قوله : « والذين يكتزون الذهب والفضة » ، معناه : والذين يجمعون الذهب والفضة بعضها إلى بعض ولا ينفقونها في سبيل الله ، وهو عامٌ في التلاوة ، ولم يكن في الآية بيانٌ كم ذلك القدر من الذهب والفضة الذى إذا جمع بعضه إلى بعض ، ^(١) استحقَّ العيد = ^(٢) كان معلوماً أن خصوص ذلك إنما أدرك ، لوقف الرسول عليه ، وذلك كما بيّنا من أنه المال الذى لم يؤدَّ حق الله منه من الزكاة ، دون غيره ، لما قد أوضحنا من الدلالة على صحته .

* * *

لَوْ أَنَّهُ جَاءَنِي جَوْعَانُ مُهْتَلِكٌ
أُعْيَى وَقَصَّرَ لَمَّا فَاتَهُ نَعَمٌ
حَتَّى يَجِيَّ ، وَجِنُّ اللَّيْلِ يُوْغِلُهُ
قَدْ حَالَ دُونَ دَرِيسِيهِ مُؤَوَّبَةٌ
كَأَنَّمَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَلَبَّتِيهِ
لَبَاتَ أَسْوَةٌ حَجَّاجٍ وَإِخْوَتِهِ
مِنْ بُؤْسِ النَّاسِ ، عَنْهُ الْخَيْرُ مَحْجُورُ
يُبَادِرُ اللَّيْلَ بِالْعِلْيَاءِ مَحْفُورُ
وَالشَّوْكَ فِي وَضَحِ الرَّجْلَيْنِ مَرْكُوزُ
نَسْعٌ ، لَهَا بَعْضُ الْأَرْضِ تَهْزِيرُ
مِنْ جُلْبَةِ الْجُوعِ حَيَّارٌ وَإِرْزِيرُ
فِي جَهْدِنَا ، أَوْ لَهُ شَفٌّ وَتَمْزِيرُ

« القرف » ، ما يقرف عن الشيء ، وهى قشره . و « الحى » الدوم . يقول : لا أطعمه الخسيس ، والبر عندى محزون بعضه على بعض .

ثم يقول : ضاعت إبله ، فتقاذفته البید ، فهو من قلقه يصعد على الروابي يتنور ذاراً يقصدها . ثم قال : يدفعه سواد الليل ومخاوفه ، وقد أضناه السير ، فوقع فى أرض ذات شوك ، فعلق به ، لا يكاد يذمتشه من شدة ضعفه . ثم يقول : اشتدت ريح الشمال الباردة بالليل = وهى المؤوبة ، والشمال ، هى النسع = فطيرت عنه ثوبيه الباليين ، فأخذته الجوع والبرد ، فحسب جوفه من شدة الجوع ، وذلك هو « الجيار » ، واصطكت أسنانه ، وذلك هو « الإرزير » . ثم يقول : لو جافى هذا الجائع المشرد ، لكان بين أهله ، فهو عندى بمنزلة حجاج وإخوته ، وهم أولاد المتنخل ، فى ساعة المسرة ، بل لكان له فضل عليهم = وهو « الشف » = ، ولكن له زيادة وتميز = وهو « التميز » .

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « لم يكن فى الآية » ، بنير وار ، والصواب إثباتها .

(٢) السياق : « وإذا كان ذلك معنى الكتر عندهم ... كان معلوماً ... » .

وقد كان بعض الصحابة يقول : هي عامة في كل كثر ، غير أنها خاصة في أهل الكتاب ، وإياهم عَنَى الله بها .
* ذكر من قال ذلك :

١٦٦٧١ - حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس قال ، حدثنا هشيم قال ، حدثنا حصين ، عن زيد بن وهب قال : مررت بالربذة فلقيت أبا ذرٍّ ، فقلت : يا أبا ذرٍّ ، ما أنزلك هذه البلاد ؟ قال : كنت بالشأم ، فقرأت هذه الآية : « والذين يكتزون الذهب والفضة » الآية ، فقال معاوية : ليست هذه الآية فينا ، إنما هذه الآية في أهل الكتاب ! قال : فقلت : إنها لفينا وفيهم ! قال : فارتفع في ذلك بيني وبينه القول ، فكتب إلى عثمان يشكُونِي ، فكتب إلى عثمان أن أقبل إلى ! قال : فأقبلت ، فلما قدمت المدينة ركبني الناس كأنهم لم يروني قبل يومئذ ، فشكوت ذلك إلى عثمان ، فقال لي : تَنَحَّ قَرِيباً . قلت : والله إني لن أدعَ ما كنتُ أقول !^(١)

١٦٦٧٢ - حدثنا أبو كريب وأبو السائب وابن وكيع قالوا ، حدثنا ابن إدريس قال ، حدثنا حصين ، عن زيد بن وهب قال : مررنا بالربذة ، ثم ذكر عن أبي ذر نحوه .^(٢)

(١) الأثر : ١٦٦٧١ - « أبو حصين » ، « عبد الله بن أحمد بن يونس اليربوعي » ، شيخ الطبري ، ثقة . مضى برقم : ١٢٣٣٦ .

و « حصين » ، هو « حصين بن عبد الرحمن الهذلي » ، ثقة سلف مراراً ، آخرها رقم : ١٢١٩٣ ، ١٢٣٠٤ .

و « زيد بن وهب الجهني » تابعي كبير ، هاجر إلى رسول الله ، ولم يدركه . مضى برقم : ٤٢٢٢ ، ١٦٥٢٧ ، ١٦٥٢٨ .

وهذا الخبر رواه البخاري في صحيحه (الفتح ٣ : ٢١٧ / ٨ : ٢٤٤) ، أولها من طريق هشيم ، عن حصين ، والثاني من طريق جرير ، عن حصين .

ورواه ابن سعد في الطبقات ١٦٦/١/٤ ، من طريق هشيم ، عن حصين . وسيرويه أبو جعفر من طريق هشيم أيضاً برقم : ١٦٦٧٤ .

(٢) الأثر : ١٦٦٧٢ - هذا مكرر الذي قبله .

١٦٦٧٣ - حدثني أبو السائب قال، حدثنا ابن إدريس ، عن أشعث وهشام ، عن أبي بشر قال ، قال ، قال أبو ذر : خرجت إلى الشام ، فقرأت هذه الآية : « والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله » ، فقال معاوية : إنما هي في أهل الكتاب ! قال فقلت : إنما لفينا وفيهم .^(١)

١٦٦٧٤ - حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا حصين ، عن زيد بن وهب قال : مررت بالربذة ، فإذا أنا بأبي ذر ، قال قلت له : ما أنزلك منزلك هذا ؟ قال : كنت بالشام ، فاختلفت أنا ومعاوية في هذه الآية : « والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله » ، قال : فقال : نزلت في أهل الكتاب ! فقلت : نزلت فينا وفيهم = ثم ذكر نحو حديث هشيم ، عن حصين .^(٢)

* * *

فإن قال قائل : فكيف قيل : « ولا ينفقونها في سبيل الله » ، فأخرجت « الهاء » و « الألف » مخرج الكناية عن أحد النوعين .
قيل : يحتمل ذلك وجهين :

أحدهما : أن يكون « الذهب والفضة » مراداً بها الكنوز ، كأنه قيل : والذين يكتزون الكنُوز ولا ينفقونها في سبيل الله ، لأن الذهب والفضة هي « الكنوز » ، في هذا الموضع .

والآخر : أن يكون استغنى بالخبر عن إحداهما في عائد ذكرهما ، من الخبر عن الأخرى ، للدلالة الكلام على أن الخبر عن الأخرى مثل الخبر عنها ، وذلك كثير موجود في كلام العرب وأشعارها ، ومنه قول الشاعر :^(٣)

(١) الأثر : ١٦٦٧٣ - « أبو بشر » ، هو : « جعفر بن أبي وحشية » ، مضى مراراً . وهو إسناد منقطع .

(٢) الأثر : ١٦٦٧٤ - هو مكرر الأثر السالف رقم : ١٦٦٧١ ، انظر تخريجه هناك .

(٣) هو عمرو بن أمريء القيس ، من بني الحارث بن الخزرج ، جد عبد الله بن رواحة ، جاهل قديم .

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ ، وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفٌ ^(١)
 فقال : « راضٍ » ، ولم يقل : « راضون » ، وقال الآخر : ^(٢)
 إِنَّ شَرْخَ الشَّبَابِ وَالشَّعَرَ الْأَسْوَدَ مَا لَمْ يُعَاصَ كَانَ جُنُونًا ^(٣)
 فقال : « يعاص » ، ولم يقل : « يعاصيا » في أشياء كثيرة . ومنه قول الله :
 ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا ﴾ ، [سورة الجمعة : ١١] ، ولم يقل « إليهما » .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ
 فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَا فَسِكُمْ
 فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ ^(٥٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فبشر هؤلاء الذين يكتزون الذهب
 والفضة ، ولا يخرجون حقوق الله منها ، يا محمد ، بعذاب أليم = « يوم يحمى عليها
 في نار جهنم » ، ف « اليوم » من صلة « العذاب الأليم » ، كأنه قيل : يبشرهم
 بعذاب أليم ، يعذبهم الله به في يوم يحمى عليها .

(١) جمهرة أشعار العرب : ١٢٧ ، سيبويه ١ : ٣٧ ، ٣٨ (منسوباً لقيس بن الخطيم ،
 وهو خطأ) ، ومعاني القرآن للفراء ١ : ٤٣٤ ، وبجاء القرآن لأبي عبيدة ١ : ٢٥٨ ، الخزانة ٢ :
 ١٩٠ ، وغيرها ، ومضى بيت منها ٢ : ٢١ ، وسيأتي في التفسير ٢٢ : ٢٦/٦٨ : ٩٩ (بولاق)
 من قصيدة قالها للملك بن العجلان التجارى ، في خبر طويل ، يقول له :

يَا مَالِ ، وَالسَّيِّدُ الْمُعَمَّمُ قَدْ يَطْرَأُ فِي بَعْضِ رَأْيِهِ السَّرْفُ
 خَالَفَتْ فِي الرَّأْيِ كُلِّ ذِي فَخْرٍ وَالْحَقُّ ، يَا مَالِ ، غَيْرُ مَا تَصِفُ

(٢) هو حسان بن ثابت .

(٣) ديوانه : ٤١٣ ، وبجاء القرآن لأبي عبيدة ١ : ٢٥٨ ، والكامل ٢ : ٧٩ ،
 واللسان (شرح) ، و « الشرخ » : الحد ، أى غاية ارتفاعه ، يعنى بذلك : أقصى قوته وفضارته
 وعنفوانه .

٨٧/١٠

ويعني بقوله : « يحمي عليها » ، تدخل النار فيوقد عليها ، أي : على الذهب والفضة التي كنزوها = « في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم » .

* * *

وكل شيء أدخل النار ، فقد أحمى إحماءً ، يقال منه : « أحميت الحديد في النار أحميها إحماءً » .

* * *

وقوله : « فتكوى بها جباههم » ، يعني بالذهب والفضة المكنوزة ، يحمي عليها في نار جهنم ، يكوى الله بها . يقول : يحرق الله جباهَ كائزيتها وجنوبهم وظهورهم = « هذا ما كنزتم » ، ومعناه : ويقال لهم : هذا ما كنزتم في الدنيا ، أيها الكافرون الذين منعوا كنوزهم من فرائض الله الواجبة فيها لأنفسكم = « فذوقوا ما كنتم تكثرون » ، يقول : فيقال لهم : فاطعموا عذاب الله بما كنتم تمنعون من أموالكم حقوق الله وتكثرونها مكاثرةً ومباهاةً^(١) .

وحذف من قوله : « هذا ما كنزتم » ويقال لهم ، للدلالة الكلام عليه .

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٦٧٥ - حدثني يعقوب قال ، حدثنا ابن علية قال ، أخبرنا أيوب ، عن حميد بن هلال قال : كان أبوذر يقول : بشر الكنازين بكى في الجباه ، وكى في الجنوب ، وكى في الظهور ، حتى يلتقي الحر في أجوافهم^(٢) .

(١) انظر تفسير « ذاق » فيما سلف ص : ١٥ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

(٢) الأثر : ١٦٦٧٥ - « حميد بن هلال الدبوي » ، ثقة ، متكلم فيه ، لأنه دخل في عمل السلطان . وقال البزار في مسنده : لم يسمع من أبي ذر . ومات حميد في ولاية خالد بن عبد الله القسري على العراق . مضى برقم : ١٣٧٦٨ .

١٦٦٧٦ - . . . قال ، حدثنا ابن علية ، عن الجريري ، عن أبي العلاء

ابن الشخير ، عن الأحنف بن قيس قال : قدمت المدينة ، فبينما أنا في حلقة فيها
ملاً من قریش ، إذ جاء رجل أحسن الثياب ، أحسن الجسد ، أحسن الوجه ، (١)
فقام عليهم فقال : بشر الكنازين برضف يحمى عليه في نار جهنم ، (٢) فيوضع على
حلمة تدعى أحدهم حتى يخرج من نغص كتفه ، ويوضع على نغص كتفه ، (٣)
حتى يخرج من حلمة ثدييه ، يتزلزل . (٤) قال : فوضع القوم رؤوسهم ، فما رأيت
أحداً منهم رجع إليه شيئاً . قال : وأدبر ، فاتبعته ، حتى جلس إلى سارية ،
فقلت : ما رأيت هؤلاء إلا كرهوا ما قلت ! فقال : إن هؤلاء لا يعقلون شيئاً . (٥)

١٦٦٧٧ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا الحكم قال ، حدثني عمرو بن

قيس ، عن عمرو بن مرة الجملي ، عن أبي نصر ، عن الأحنف بن قيس قال :
رأيت في مسجد المدينة رجلاً غليظ الثياب ، رثاً الهيئة ، يطوف في الحلق وهو
يقول : بشر أصحاب الكنوز بكى في جنوبهم ، وكى في جباههم ، وكى في

(١) في المطبوعة : « خشن » في المواضع الثلاث ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو المطابق
لرواية مسلم . « الخشن » و « الأخشن » ، والأثنى « خشن » و « خشنام » ، من الخشونة ، وهو
الأحرش من كل شيء . ويقال : « رجل أخشن ، خشن » .

(٢) « الرضف » (بفتح فسكون) : الحجارة المحمأة على النار ، والعرب يوغرون بها اللبن ،
ويشونون عليها اللحم .

(٣) « نغص الكتف » (بضم فسكون ، أو فتح فسكون) و « ناغص الكتف » : هو
عند أعلى الكتف ، عظم رقيق على طرفه ، يتغص إذا مشى الماشي ، أى يتحرك .

(٤) « يتزلزل » ، أى يتحرك ويضطرب ، كأنه زل مرة بعد أخرى ، يقول : يضطرب
الرضف المحمى نازلاً من نغص الكتف حتى يخرج من حلمة الثدي .

(٥) الأثر : ١٦٦٧٦ - « الجريري » ، هو « سعيد بن إياس الجريري » ، الحافظ
المشهور . روى له الجماعة ، مضى رقم : ١٩٦ ، ١٢٢٧٤ .

و « أبو الهيثم بن الشخير » ، هو « يزيد بن عبد الله بن الشخير » ، ثقة ، روى له الجماعة ،
مضى برقم : ١٥٥١٤ ، ١٥٥١٥ .

وهذا الخبر رواه البخاري بنحوه مطولاً في صحيحه (الفتح ٣ : ٢١٨) ، ورواه مسلم في
صحيحه ٧ : ٧٧ ، بلفظه من هذه الطريق ، مطولاً أيضاً .

ظهورهم ! ثم انطلق وهو يتذمر^(١) يقول^(٢) : ما عسى تصنع بي قريش !!^(٣)

١٦٦٧٨ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قال : قال أبو ذر : بشر أصحاب الكنوز بكى^٤ في الجباه ، وكى^٥ في الجنوب ، وكى^٦ في الظهر .

١٦٦٧٩ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « يوم يحمى عليها في نار جهنم » ، قال : حية تنطوى على جبينه وجهته تقول : أنا مالك الذي بخلت به !^(٣)

١٦٦٨٠ - حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن معدان بن أبي طلحة ، عن ثوبان : أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : من ترك بعده كترًا مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان ،^(٤) يتبعه ، يقول : ويلك ما أنت ؟ فيقول : أنا كترك الذي تركته بعدك ! فلا يزال يتبعه حتى يُلْقِمَه يده فيقضيمها ، ثم يتبعه سائر جسده .^(٥)

(١) « يتذمر » ، أى : يصخب من الغضب ، كأنه يعاتب نفسه .

(٢) الأثر : ١٦٦٧٧ - « عمرو بن قيس الملائي » ، ثقة ، مضى مراراً .

و « عمرو بن مرة الجملي » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى مراراً .

و « أبو نصر » ، لم أعرف من هو ؟

(٣) الأثر : ١٦٦٧٩ - « قابوس بن أبي ظبيان الجنبى » ، ضعيف ، لا يحتج به ، مضى

برقم : ٩٧٤٥ ، ١٠٦٨٣ .

وأبوه : « أبو ظبيان الجنبى » ، هو « حصين بن جندب » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى

أيضاً برقم : ٩٧٤٥ ، ١٠٦٨٣ .

وانظر ما سلف في حديث ابن مسعود رقم : ٨٢٨٥ - ٨٢٨٩ .

(٤) « الشجاع » ، ضرب من الحيات مارد خبيث . « والأقرع » ، هو الذى لا شعر له

على رأسه ، قد تمعط عليه رأسه لكثرة سمه ، وطول عمره . و « الزبيبتان » : نكتتان سوداوان تكونان

فوق عينيه ، وهو أوحش ما يكون من الحيات وأخبثه .

(٥) الأثر : ١٦٦٨٠ - « سالم بن أبي الجعد الأشجعي » ، ثقة ، روى له الجماعة ،

مضى برقم : ٤٢٤٤ ، ١١٥٤٦ ، ١٦٦٦١ - ١٦٦٦٦ .

و « معدان بن أبي طلحة الكنانى » ، تابعى ثقة ، مترجم في التهذيب ، والكبير ٣٨/٢/٤ ،

وابن أبي حاتم ٤٠٤/١/٤ .

١٦٦٨١ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه قال : بلغني أن الكنوز تتحول يوم القيامة شجاعاً يتبع صاحبه وهو يفرُّ منه ، ويقول : أنا كنتك ! لا يدرك منه شيئاً ، إلا أخذه .

١٦٦٨٢ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق ، عن عبد الله قال : والذي لا إله غيره ، لا يكوى عبد بكثرٍ فيمسُّ ديناراً ديناراً ولا درهماً ، ولكن يوسع جلده ، فيوضع كل دينار ودرهم على حِدته . (١)

١٦٦٨٣ - قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق ، عن عبد الله قال : ما من رجل يكوى بكثرٍ فيوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم ، ولكن يوسع جلده . (٢)

٨٨/١٠

* * *

وهذا الخبر ، ذكره ابن كثير في تفسيره ٤ : ١٥٧ ، وقال : « رواه ابن حبان في صحيحه من حديث يزيد بن سعيد ، به . وأصل هذا الحديث في الصحيحين ، من رواية أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه = وفي صحيح مسلم من حديث سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة » ، وذكر الخبر .

(١) الأثر : ١٦٦٨٢ - هذا الخبر ، ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ٢٩ ، ٣٠ ، وقال : « رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح » .

وذكره ابن كثير في تفسيره ٤ : ١٥٦ ، وقال : « وقد رواه ابن مردويه ، عن أبي هريرة مرفوعاً ، ولا يصح رفعه ، والله أعلم » .

وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣ : ٢٣٣ ، ونسبه إلى ابن أبي حاتم ، والطبراني ، وأبي الشيخ ، ولم يذكر ابن جرير .

(٢) الأثر : ١٦٦٨٣ - هو مكرر الأثر السالف ، بإسناد آخر ، مختصراً .

القول في تأويل قوله ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٣٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إن عدة شهور السنة عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله ، الذي كتب فيه كل ما هو كائن في قضائه الذي قضى = « يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم » ، يقول : هذه الشهور الاثنا عشر منها أربعة أشهر حرم كانت الجاهلية تعظمهن ، وتحرمهن ، وتحرم القتال فيهن ، حتى لولق الرجل منهم فيهن قاتل أبيه لم يهجه ، وهن : رجب مضر ، وثلاثة متواليات ، ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم . وبذلك تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٦٦٨٤ - حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال ، حدثنا زيد بن حباب قال ، حدثنا موسى بن عبيدة الربذي قال : حدثني صدقة بن يسار ، عن ابن عمر قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بمنى في أوسط أيام التشريق فقال : يا أيها الناس ، إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ، أولهن رجب مضر بين جمادى وشعبان ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم . (١)

(١) الأثر : ١٦٦٨٤ - « موسى بن عبد الرحمن المسروقي » ، شيخ الطبري ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ٨٩٠٦ .

و « زيد بن حباب المكي » ، مضى مراراً ، منها رقم : ١١١٣٤ .

١٦٦٨٥ - حدثنا محمد بن معمر قال ، حدثنا روح قال ، حدثنا أشعث عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ، ثلاثة متواليات ، ورجب مُضَرّ بين جمادى وشعبان . (١)

١٦٦٨٦ - حدثنا يعقوب قال ، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم قال ، حدثنا أيوب ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي بكرة : أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب في حجة الوداع فقال : ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حرم ثلاثة متواليات : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب مُضَرّ الذى بين جمادى وشعبان . (٢)

و «موسى بن عبيدة بن نسيط الربدى» ، ضعيف جداً ، منكر الحديث مضى مراراً ، منها رقم : ١١١٣٤ .

و «صدقة بن يسار الجزرى» ، مكى ثقة ، روى عن ابن عمر . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/٢٩٤ ، وابن أبى حاتم ١/٢٤٨ .

وهذا إسناد ضعيف ، لضعف موسى بن عبيدة الربدى .

(١) الأثر : ١٦٦٨٥ - محمد بن معمر بن ربيعة البحراني ، شيخ الطبري ، ثقة من شيوخ البخارى ومسلم ، مضى برقم : ٢٤١ ، ٣٠٥٦ ، ٥٣٩٣ .

و «روح» ، هو «روح بن عباد القيسى» ، ثقة ، مضى مراراً كثيرة .

و «أشعث» ، هو «أشعث بن عبد الملك الحمراوى» ، ثقة مأمون ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/٤٣١ ، وابن أبى حاتم ١/٢٧٥ .

وهذا الخبر ، نقله ابن كثير فى تفسيره ٤ : ١٦٠ ، عن هذا الموضع ، ثم قال : «ورواه البزار ، عن محمد بن معمر ، به ، ثم قال : لا يروى عن أبى هريرة إلا من هذا الوجه» .

(٢) الأثر : ١٦٦٨٦ - هذا خبر منقطع الإسناد ، لأن محمد بن سيرين لم يسمع من أبى بكرة ، ووصله البخارى فى مواضع من صحيحه ، من طريق «أيوب» ، عن محمد بن سيرين ، عن عبد الرحمن بن أبى بكرة ، عن أبى بكرة «الفتح ١ : ١٤٥ ، ١٧٧ ، ٣/١٧٨ : ٦/٤٥٩ : ٢١٠ ، ٨/٢١١ : ٨٣ ، ٢٤٤) ، مطولاً .

ووصله مسلم أيضاً فى صحيحه ١١ : ١٦٧ .

ورواه أحمد فى مسنده ٥ : ٣٧ ، منقطعاً ، كما رواه الطبري ، وقد استوفى الحافظ ابن حجر ، تفصيل القول فى ذلك فى الفتح ، فى المواضع التى ذكرتها آنفاً .
والحديث صحيح متفق عليه .

١٦٦٨٧ - حدثنا مجاهد بن موسى قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سليمان التيمي قال ، حدثني رجل بالبحرين : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته في حجة الوداع : ألا أن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً ، ثلاثة متواليات : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب الذي بين جمادى وشعبان .

١٦٦٨٨ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن ابن أبي نجيح قوله : « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم » ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ثلاثة متواليات : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب الذي بين جمادى وشعبان .

١٦٦٨٩ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يوم منى : ألا أن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ، ثلاثة متواليات : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان .

* * *

وهو قول عامة أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٦٩٠ - حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم » ، أما « أربعة حرم » ، « ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب . وأما « كتاب الله » ، فالذي عنده .

١٦٦٩١ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « إن عدة الشهور عند الله

اثنا عشر شهراً» ، قال : يعرف بها شأن النسيء ، ما نقص من السنة .

١٦٦٩٢ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد في قول الله : « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله » ، قال : يذكر بها شأن النسيء .

* * *

وأما قوله : « ذلك الدين القيم » ، فإن معناه : هذا الذي أخبركم به ، من أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله ، وأن منها أربعة حرمًا : هو الدين المستقيم ، كما : -

١٦٦٩٣ - حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط عن السدي : « ذلك الدين القيم » ، يقول : المستقيم .

١٦٦٩٤ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « ذلك الدين القيم » ، قال : الأمر القيم . يقول : قال تعالى : واعلموا أيها الناس ، أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله الذي كتب فيه كل ما هو كائن ، وأن من هذه الاثني عشر شهراً أربعة أشهر حرمًا ، ذلك دين الله المستقيم ، لا ما يفعله النسيء من تحليله ما يحلل من شهور السنة ، وتحريمه ما يحرمه منها .^(١)

وأما قوله : « فلا تظلموا فيهن أنفسكم » ، فإن معناه : فلا تعصوا الله فيها ، ولا تحلوا فيهن ما حرم الله عليكم ، فتكسبوا أنفسكم ما لا قبيل لها به من سخط الله وعقابه ، كما : -

(١) « النسيء » ، هكذا جاءت في المخطوطة أيضاً ، بمعنى « الناسي » ، وهو الذي كان يحلل لهم الشهر ويحرمه . وأخشى أن يكون وهماً من الناسخ ، فإن « النسيء » على وزن « فاعيل » ، وهو بمعنى « مفعول » ، أو مصدر « نسا الشهر » ، ولم أرهم قالوا في الرجل إلا « ناسي » ، وجمعه « نساء » ، مثل « فاسق » و « فسقة » .

وانظر ما سبق في تفسير « النسيء » ص : ٣٤٣ ، والخبر رقم : ١٦٧٠٨ ، ١٦٧٠٩ ، والتعليق هناك .

١٦٦٩٥ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « فلا تظلموا فيهن أنفسكم » ، قال : الظلم العمل بمعاصي الله ، وترك طاعته .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل في الذي عادت عليه « الهاء » ، و « النون » في قوله : « فيهن » .

فقال بعضهم : عاد ذلك على « الاثني عشر الشهر » ، ^(١) وقال : معناه : فلا تظلموا في الأشهر كلها أنفسكم .
* ذكر من قال ذلك :

١٦٦٩٦ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم » ، في كلهن . ثم خصَّ من ذلك أربعة أشهر فجعلهن حُرماً ، وعظَّم حُرُماتهن ، وجعل الذنب فيهن أعظم ، والعمل الصالح والأجر أعظم .
١٦٦٩٧ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا سويد بن عمرو ، عن حماد ابن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس : « فلا تظلموا فيهن أنفسكم » ، قال : في الشهور كلها .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فلا تظلموا في الأربعة الأشهر الحرم أنفسكم = و « الهاء والنون » عائدة على « الأشهر الأربعة » .
* ذكر من قال ذلك :

١٦٦٩٨ - حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : أما قوله : « فلا تظلموا فيهن أنفسكم » ، فإن الظلم في الأشهر الحرم

(١) في المطبوعة : « على الاثني عشر شهراً » ، وأثبت ما في المخطوطة .

أعظم خطيئةً ووزيراً ، من الظلم فيما سواها ، وإن كان الظلم على كل حال عظيماً ، ولكن الله يعظم من أمره ما شاء . وقال : إن الله اصطفى صَفَافاً من خلقه ، اصطفى من الملائكة رسلاً ، ومن الناس رسلاً ، واصطفى من الكلام ذكره ، واصطفى من الأرض المساجد ، واصطفى من الشهور رمضانَ والأشهر الحرم ، واصطفى من الأيام يوم الجمعة ، واصطفى من الليالي ليلةَ القدر ، فعظموا ما عظم الله ، فإنما تعظم الأمور بما عظمها الله عند أهل الفهم وأهل العقل .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فلا تظلموا في تصييركم حرامَ الأشهر الأربعة حلالاً ، وحلالها حراماً = أنفسكم .
* ذكر من قال ذلك :

١٦٦٩٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً » ، إلى قوله : « فلا تظلموا فيهن أنفسكم » ، أى : لا تجعلوا حرامها حلالاً ولا حلالها حراماً ، كما فعل أهل الشرك ، فإنما النسيء ، الذى كانوا يصنعون من ذلك ، « زيادة في الكفر يُضِلُّ به الذين كفروا » ، الآية . (١)
١٦٧٠٠ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا

سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن الحسن : « فلا تظلموا فيهن أنفسكم » ، قال : ٩٠/١٠ « ظلم أنفسكم » ، أن لا تحرموهن كحرمتهن .

١٦٧٠١ — حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن الحسن بن محمد بن علي : « فلا تظلموا فيهن أنفسكم » ، قال : « ظلم أنفسكم » ، أن لا تحرموهن كحرمتهن .

١٦٧٠٢ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا

(١) الأثر : ١٦٦٩٩ — سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٣ ، وهو تابع الأثر السالف رقم :

سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن الحسن بن محمد ، بنحوه .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك عندى بالصواب ، قول من قال :
فلا تظلموا في الأشهر الأربعة أنفسكم ، باستحلال حرامها ، فإن الله عظمها
وعظم حرمتها .

ولأنما قلنا : ذلك أولى بالصواب في تأويله ، لقوله : « فلا تظلموا فيها » ، فأخرج
الكناية عنه مخرج الكناية عن جمع ما بين الثلاثة إلى العشرة . وذلك أن العرب تقول
فيما بين الثلاثة إلى العشرة ، إذا كُنَتْ عنه : « فعلنا ذلك لثلاث ليال خلون ، ولأربعة
أيام بقين » ، وإذا أخبرت عما فوق العشرة إلى العشرين قالت : « فعلنا ذلك لثلاث
عشرة خلت ، ولأربع عشرة مضت » = فكان في قوله جل ثناؤه : « فلا تظلموا
فيها أنفسكم » ، وإخراجه كناية عدد الشهور التي نهى المؤمنين عن ظلم أنفسهم
فيها مخرج عدد الجمع القليل من الثلاثة إلى العشرة ، الدليل الواضح على أن
« الهاء والنون » ، من ذكر الأشهر الأربعة ، دون الاثني عشر . لأن ذلك لو
كان كناية عن « الاثني عشر شهراً » ، لكان : فلا تظلموا فيها أنفسكم .^(١)

* * *

فإن قال قائل : فما أنكرت أن يكون ذلك كناية عن « الاثني عشر » ، وإن
كان الذي ذكرت هو المعروف في كلام العرب ؟ فقد علمت أن [من] المعروف
من كلامها ،^(٢) إخراج كناية ما بين الثلاث إلى العشر ، بالهاء دون النون ، وقد
قال الشاعر :^(٣)

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٤٣٥ .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « أن المعروف من كلامها » ، والسياق يقتضي إثبات ما أثبت
بين القوسين ، لأن هذا القائل ، أقر أولاً بأن ما قاله الطبري هو « المعروف من كلامها » ، أى
المشهور المتفق عليه . فالجيد أن يعترض عليه بشيء آخر ، هو « الجائز في كلامها » ، فن أجل
هذا المعنى زدت « من » بين القوسين ، ليستقيم منطق الكلام .

(٣) هو عمر بن لُحيا التيمي .

أَصْبَحْنَ فِي قَرْحٍ وَفِي دَارَاتِهَا سَبْعَ لَيَالٍ غَيْرَ مَعْلُوفَاتِهَا^(١)

ولم يقل : « معلوفاتهن » ، وذلك كناية عن « السبع » ؟

قيل : إن ذلك وإن كان جائزاً ، فليس الأفصح الأعراف في كلامها .
وتوجيه كلام الله إلى الأفصح الأعراف ، أولى من توجيهه إلى الأنكر .

* * *

فإن قال قائل : فإن كان الأمر على ما وصفت ، فقد يجب أن يكون مباحاً
لنا ظلمنا أنفسنا في غيرهن من سائر شهور السنة ؟

قيل : ليس ذلك كذلك ، بل ذلك حرام علينا في كل وقت وزمان ، ولكن
الله عظم حرمة هؤلاء الأشهر وشرفهن على سائر شهور السنة ، فخصّ الذنب فيهن
بالتعظيم ، كما خصّهن بالتشريف ، وذلك نظير قوله : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ
وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾ ، [سورة البقرة : ٢٣٨] . ولا شك أن الله قد أمرنا بالمحافظة
على الصلوات المفروضة كلها بقوله : « حافظوا على الصلوات » ، ولم يبح ترك
المحافظة عليهن ، بأمره بالمحافظة على الصلاة الوسطى ، ولكنه تعالى ذكره زادها
تعظيماً ، وعلى المحافظة عليها تأكيداً ، وفي تضييعها تشديداً . فكذلك ذلك في
قوله : « منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم » .

* * *

وأما قوله : « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة » ، فإنه يقول جل
ثناؤه : وقاتلوا المشركين بالله ، أيها المؤمنون ، جميعاً غير مختلفين ، مؤتلفين غير
مفترقين ، كما يقاتلكم المشركون جميعاً ، مجتمعين غير متفرقين ، كما :-

١٦٧٠٣ - حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن الفضل قال ،

(١) حماسة أبي تمام ٤ : ١٥٧ ، ومعاني القرآن للقراء ١ : ٤٣٥ ، واللسان (قرح) ،
غير منسوبة ودل على أنها لعمر بن لجأ ، أبيات رواها الأصمعي في الأصمعيات ص : ٢٥ ، ٢٦ .
و « قرح » (بضم القاف وسكون الراء) ، هو سوق وادى القرى ، صلى به رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، وبنى به مسجد ، ورواية الحماسة واللسان : « حبن في قرح » .

حدثنا أسباط ، عن السدى : « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة » ، أما « كافة » ، فجميع ، وأمركم مجتمع .

١٦٧٠٤ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « وقاتلوا المشركين كافة » ، يقول : جميعاً .
١٦٧٠٥ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وقاتلوا المشركين كافة » ، أى : جميعاً .

* * *

و « الكافة » فى كل حال على صورة واحدة ، لا تذكر ولا تجمع ، لأنها وإن كانت بلفظ « فاعلة » ، فإنها فى معنى المصدر ، ك « العافية » و « العاقبة » ، ولا تدخل العرب فيها « الألف واللام » ، لكونها آخر الكلام ، مع الذى فيها من معنى المصدر ، كما لم يدخلوها إذا قاتلوا : « قاموا معاً » ، و « قاموا جميعاً » . (١)

* * *

وأما قوله : « واعلموا أن الله مع المتقين » ، فإن معناه : واعلموا ، أيها المؤمنون بالله ، أنكم إن قاتلتم المشركين كافة ، واتقيتم الله فأطعتموه فيما أمركم ونهاكم ، ولم تخالفوا أمره فتعصوه ، كان الله معكم على عدوكم وعدوه من المشركين ، ومن كان الله معه لم يغلبه شئ ، (٢) لأن الله مع من اتقاه فخافه وأطاعه فيما كلفه من أمره ونهيه .

* * *

(١) انظر تفسير « كافة » فيما سلف ٤ : ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، وانظر معاني القرآن للفراء

٤٣٦ : ١ .

(٢) انظر تفسير « مع » فيما سلف ١٣ : ٥٧٦ تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

القول في تأويل قوله ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ عَامًا وَيُخَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُؤَاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٣٧)

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ما النسِيءُ إلا زيادة في الكفر.

* * *

و«النسيء» مصطلح من قول القائل: «نسأت في أيامك، ونسأ الله في أجلك»، أي: زاد الله في أيام عمرك ومدة حياتك، حتى تبقى فيها حيًّا. وكل زيادة حدثت في شيء، فالشيء الحادث فيه تلك الزيادة بسبب ما حدث فيه: «نسيء». ولذلك قيل لابن إذا كُثِّرَ بالماء: «نسيء»، وقيل للمرأة الحبلى: «نَسُوء» و«نُسِيت المرأة»، لزيادة الولد فيها، وقيل: «نسأت الناقة وأنسأتها»، إذا زجرتها ليزداد سيرها. وقد يحتمل أن: «النسيء»، «فعل» ، «صرف إليه من «مفعول»»، كما قيل: «لعين» و«قتيل»، بمعنى: ملعون ومقتول. ويكون معناه: إنما الشهر المؤخَّر زيادة في الكفر.

وكان القول الأول أشبه بمعنى الكلام، وهو أن يكون معناه: إنما التأخير الذي يؤخِّره أهل الشرك بالله من شهور الحرم الأربعة، وتصييرهم الحرام منهم حلالاً، والحلال منهم حراماً، زيادة في كفرهم وجحودهم أحكام الله وآياته.

* * *

وقد كان بعض القراءة يقول: ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ ﴾ بترك الهمز، وترك مدّه = «يضل به الذين كفروا».

* * *

واختلفت القراءة في قراءة ذلك.

فقرأته عامة الكوفيين : ﴿يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بمعنى : يضل الله بالنسيء الذى ابتدعه وأحدثه ، الذين كفروا .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة المدينة والبصرة وبعض الكوفيين : ﴿يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بمعنى : يزول عن محجة الله التى جعلها لعباده طريقاً يسلكونه إلى مرضاته ، الذين كفروا .

* * *

وقد حكى عن الحسن البصرى : ﴿يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بمعنى : يُضِلُّ بالنسيء الذى سنه الذين كفروا ، الناس .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أن يقال : هما قراءتان مشهورتان ، قد قرأت بكل واحدة القراءة أهل العلم بالقرآن والمعرفة به ، وهما متقاربتا المعنى . لأن من أضله الله فهو « ضال » ، ومن ضلَّ فبإضلال الله إياه وخذلانه له ضلَّ . فبأيهما قرأ القارئ ، فهو للصواب فى ذلك مصيبٌ .

* * *

وأما الصواب من القراءة فى « النسيء » ، فالهمزة ، وقراءته على تقدير « فعيل » لأنها القراءة المستفيضة فى قرأة الأمصار التى لا يجوز خلافها فيما أجمعت عليه .

* * *

وأما قوله : « يحلونه عاماً » ، فإن معناه : يُحِلُّ الذين كفروا بالنسيء = و « الهاء » فى قوله : « يحلونه » ، عائدةٌ عليه .

ومعنى الكلام : يحلُّون الذى أخروا تحريمه من الأشهر الأربعة الحرام ، عاماً = « ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله » ، يقول : ليوافقوا بتحليلهم ما حلَّوا من الشهور ، وتحريمهم ما حرموا منها ، عدة ما حرم الله ^(١) = « فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم » ، يقول : حُسِّنَ لهم وحُبِّبَ إليهم سبى أعمالهم وقبيحها ،

وما خولف به أمرُ الله وطاعته^(١) = « والله لا يهدى القوم الكافرين » ، يقول :
والله لا يوفق لحاسن الأفعال وجميلها ،^(٢) وما لله فيه رضى ، القوم الجاحدين توحيدَه ،
والمنكرين نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولكنه يخذلهم عن الهدى ، كما خذّل
هؤلاء الناس عن الأشهر الحرم .^(٣)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٧٠٦ - حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني
معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « إنما النسيء زيادة فى الكفر » ، قال :
« النسيء » ، هو أن « جنادة بن عوف بن أمية الكناني » ، كان يوافق الموسم كلَّ
عام ، وكان يُكنى « أبا ثُمَامَة » ،^(٤) فينادى : « ألا إن أبا ثُمَامَة لا يُحَابُّ ولا
يُعَابُّ ،^(٥) ألا وإن صَفَرَ العامِ الأوَّلِ العامَ حلالٌ » ،^(٦) فيحمله الناس ، فيحرم ٩٢/١٠
صَفَرَ عاماً ، ويحرمُ المحرم عاماً ، فذلك قوله تعالى : « إنما النسيء زيادة فى
الكفر » إلى قوله : « الكافرين » . وقوله : « إنما النسيء زيادة فى الكفر » ،
يقول : يتركون المحرم عاماً ، وعاماً يحرمونه .

* * *

- (١) انظر تفسير « زين » فيما سلف ص : ٧ تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) فى المطبوعة : « لحاسن الأفعال وحلها » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، وصوابه ما أثبت .
(٣) انظر تفسير « هدى » فيما سلف من فهارس اللغة (هدى) .
(٤) انظر أخبار « النساء » ، وخبر « جنادة بن عوف بن أمية » فى سيرة ابن هشام
١ : ٤٤ - ٤٧ ، والمحرر : ١٥٦ ، ١٥٧ ، وغيرهما . و « جنادة بن عوف » ، هو الذى قام
عليه الإسلام من النساء .
(٥) كان فى المطبوعة : « لا يحابُّ » بالجيم ، ووردت بالجيم فى كثير من الكتب ، منها
لسان العرب (نساء) ، ولكنه ورد فى المحرر : ١٥٧ ، بالحاء المهملة ، وهو من « الحوب » ، أى :
الإثم ، أى : لا ينسب إلى الإثم . وانظر الخبر التالى رقم : ١٦٧١٠ .
(٦) فى المطبوعة : « صفر العام الأوَّل حلال » ، حذف « العام » الثانية ، وهى ثابتة
فى المخطوطة .

قال أبو جعفر : وهذا التأويلُ من تأويل ابن عباس ، يدل على صحة قراءة من قرأ ﴿النسي﴾ ، بترك الهمز وترك المدِّ ، وتوجيهه معنى الكلام إلى أنه «فَعَلَّ» ، من قول القائل : «نسيت الشيء أنساه» ، ومن قول الله ، ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ ، [سورة التوبة : ٦٧] ، بمعنى : تركوا الله فتركهم .

١٦٧٠٧ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : «إنما النسيء زيادة في الكفر» ، قال : فهو المحرم ، كان يحرم عاماً ، وصفر عاماً ، وزيد صفر آخر في الأشهر الحرم . وكانوا يحرمون صفر مرة ، ويحلونه مرة ، فعاب الله ذلك . وكانت هوازن وغطفان وبنو سائيم تفعله .

١٦٧٠٨ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن أبي وائل : «إنما النسيء زيادة في الكفر» ، قال : كان «النسيء» ، رجلاً من بني كنانة ، ^(١) وكان ذا رأى فيهم ، وكان يجعل سنة الحرم صفر ، فيغزون فيه ، فيغنمون فيه ، ويصيبون ، ويحرمه سنة .

١٦٧٠٩ — قال حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن أبي وائل : «إنما النسيء زيادة في الكفر» ، الآية ، وكان رجل من بني كنانة يُسمى «النسيء» ، فكان يجعل الحرم صفر ، ويستحل فيه الغنائم ، فتزلت هذه الآية .

١٦٧١٠ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس قال ، سمعت ليثاً ، عن مجاهد قال ، كان رجل من بني كنانة يأتي كل عام في الموسم على حمار له ، فيقول : «أيها الناس ، إني لا أعاب ولا أحاب ، ^(٢) ولا مرد لما أقول ، إننا قد

(١) قوله : «كان النسيء رجلاً» ، دال على صواب قوله هناك ص : ٢٣٧ ، تعليق ١ : على أن «النسيء» في ذلك الموضع صواب أيضاً ، وانظر الأثر التالي ، قوله : «وكان رجل من بني كنانة يسمى النسيء» ، وهذا كله لم تذكره كتب اللغة التي بين يدي .

(٢) «أحباب» مضي تفسيرها ص : ٢٤٥ ، تعليق ٥ : وكانت هنا في المطبعة أيضاً «أحباب» بالميم .

حرّمنا المحرّم وأخّرنا صفر». ثم يجيء العام المقبل بعده فيقول مثل مقالته ، ويقول : « إنا قد حرّمنا صفر وأخّرنا المحرّم » ، فهو قوله : « ليواطئوا عدة ما حرم الله » ، قال : يعنى الأربعة = « فيحلوا ما حرم الله » ، لتأخير هذا الشهر الحرام .

١٦٧١١ - حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « إنما النسيء زيادة فى الكفر » ، « النسيء » ، المحرّم ، وكان يحرم المحرّم عاماً ويحرّم صفر عاماً ، فالزيادة « صفر » ، وكانوا يؤخرون الشهور حتى يجعلون صفر المحرم ، فيحاولوا ما حرم الله . وكانت هوازن وغطفان وبنو سليم يعظمونه ، وهم الذين كانوا يفعلون ذلك فى الجاهلية .

١٦٧١٢ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « إنما النسيء زيادة فى الكفر » إلى قوله : « الكافرين » ، عبد أناس من أهل الضلالة فزادوا صفرًا فى الأشهر الحرم ، فكان يقوم قائمهم فى الموسم فيقول : « ألا إن آلهتكم قد حرمت العام المحرّم » ، فيحرمونه ذلك العام . ثم يقوم فى العام المقبل فيقول : « ألا إن آلهتكم قد حرمت صفر » ، فيحرمونه ذلك العام . وكان يقال لهما « الصفران » . قال : فكان أول من نسب النسيء : بنو مالك بن كنانة ، وكانوا ثلاثة : أبو ثمامة صفوان بن أمية أحد بنى فقيم بن الحارث ، ثم أحد بنى كنانة . (١)

(١) هكذا جاء فى المخطوطة : « وكانوا ثلاثة » ، ثم لم يذكر غير واحد . وقوله : « أبو ثمامة ، صفوان بن أمية » ، مضى قبل فى الأثر رقم : ١٦٧٠٦ أن « أبا ثمامة » هو « جنادة بن عوف بن أمية » ، أما « صفوان » هذا فقد ذكره أبو عبيد البكرى فى شرح الإسماعيل : ١٠ ، وقال : قال الليثى : كان الذى انتبى للنسيء ، القلمس ، وهو : صفوان بن محرز ، أحد بنى مالك بن كنانة ، وكان له بذلك ملكة وأكل ، وتوارثه بنوه إلى الإسلام . ولكن الذى ذكره ابن حبيب فى المحبر ، وابن هشام فى سيرته ١ : ٤٤ . قال ابن إسحاق : « وكان أول من نسب الشهور على العرب ، فأحلت ما أحل ، وحرمت منها ما حرم : القلمس ، وهو حذيفة بن عبد بن فقيم ابن عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمية . ثم قام بعده على ذلك ، ابنه :

١٦٧١٣ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « إنما النسيء زيادة في الكفر » ، قال : فرض الله الحج في ذى الحجة . قال : وكان المشركون يسمون الأشهر : ذو الحجة ، والمحرم ، وصفر ، وربيع ، وربيع ، وجمادى ، وجمادى ، ورجب ، وشعبان ، ورمضان ، وشوال ، وذو القعدة ، وذو الحجة يحجون فيه مرة ، ثم يسكنون عن المحرم فلا يذكرونه ، ثم يعودون فيسمون صفر صفر . ثم يسمون رجب جمادى الآخرة ، ثم يسمون شعبان رمضان ، ثم يسمون رمضان شوالاً ، ثم يسمون ذا القعدة شوالاً ، ثم يسمون ذا الحجة ذا القعدة ، ثم يسمون المحرم ذا الحجة ، فيحجون فيه ، واسمه عندهم ذو الحجة . ثم عادوا بمثل هذه القصة ، فكانوا يحجون في كل شهر عامين ، حتى وافق حجة أبي بكر رحمة الله عليه الآخر من العامين في ذى القعدة . ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم حجته التي حج ، فوافق ذا الحجة فذلك حين يقول النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض » .

١٦٧١٤ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن

عباد بن حذيفة . ثم قام بعد عباد : قلع بن عباد . ثم قام بعد قلع : أمية بن قلع . ثم قام بعد أمية : عوف بن أمية . ثم قام بعد عوف : أبو ثمامة جنادة بن عوف ، وكان آخرهم ، وعليه قام الإسلام . وذلك ما قاله ابن حبيب ، وما قاله ابن حزم في الجمهرة : ١٧٨ ، والمصعب الزبيري في نسب قريش : ١٢ .

ولم أجد هذا الخبر في مكان آخر ، فأعرف مقالة قتادة في أمر النسيء والنساء .

و « صفوان بن محرز » الذي ذكره البكري ، هو « صفوان بن أمية » المذكور في هذا الخبر ، وهو : « صفوان بن أمية بن محرز بن بن خمل بن شق بن رقة بن مخدج بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة » ، وكان أحد حكام العرب في الجاهلية ، وأحد من حرم الخمر على نفسه في الجاهلية (انظر الخبر : ١٣٣ ، ٢٣٧ / أنالي القالي ١ : ٢٤٠ وذكر شعره في تحريم الخمر) . وبين من هذا كله أن « صفوان بن أمية » ، ليس من « بني فقيم بن الحارث بن مالك » . بل من بني « مخدج ابن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك » .

ثم انظر ص : ٢٥٠ ، تعليق : ١ ، وذكر « القلمس » للناسي في شعر عبد الرحمن بن الحكم ، وأمه هي : « آمنة بنت علقمة بن صفوان بن أمية بن محرز » .

معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « إنما النسيء زيادة في الكفر » ، قال : حجوا في ذى الحجة عامين ، ثم حجوا في المحرم عامين ، ثم حجوا في صفر عامين . فكانوا يحججون في كل سنة في كل شهر عامين ، حتى وافقت حجة أبي بكر الآخر من العامين في ذى القعدة ، قبل حجة النبي صلى الله عليه وسلم بسنة . ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم من قابل في ذى الحجة ، فذلك حين يقول النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض » .

١٦٧١٥ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عمران بن عيينة ، عن حصين ، عن أبي مالك : « إنما النسيء زيادة في الكفر » ، قال : كانوا يجعلون السنة ثلاثة شهوراً ، فيجعلون المحرم صفرًا ، فيستحلون فيه الحرمات ، فأنزله الله : « إنما النسيء زيادة في الكفر » .

١٦٧١٦ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا » الآية ، قال : هذا رجل من بني كنانة يقال له : « القلمس » ، كان في الجاهلية . وكانوا في الجاهلية لا يغير بعضهم على بعض في الشهر الحرام ، يلقي الرجل قاتل أبيه فلا يمد إليه يده . فلما كان هو ، قال : « اخرجوا بنا » ، قالوا له : « هذا المحرم » ! فقال : « ننسئه العام ، هما العام صفران ، فإذا كان عام قابل قضينا ، فجعلناهما محرمين » . قال : ففعل ذلك . فلما كان عام قابل قال : « لا تغزوا في صفر ، حرّموه مع المحرم ، هما محرمان ، المحرم أنسأناه عاماً أوّل ونفضيه . ذلك « الإنساء » ، وقال منافرهم : (١)

(١) في المطبوعة : « وقال شاعرهم » ، وأثبت ما في المخطوطة . و « المنافر » ، هو المنافر في المنافرة . قال ابن سيده : « وكأنما جاءت المنافرة ، في أول ما استعملت ، أنهم كانوا يسألون الحاكم : أينما أعز نفرا ؟ » . و « المنافرة » : هي أن يفتخر الرجلان كل واحد منهما على صاحبه ، ثم يحكما بينهما رجلا .

« وَمِمَّا مُنِنَی الشُّهُورَ الْقَلَمْسُ » ^(١)

وأُنزل الله : « إنما النسيء زيادة في الكفر » ، إلى آخر الآية .

* * *

وأما قوله : « زيادة في الكفر » ، فإن معناه زيادة كُفْر بالنسيء ، إلى كفرهم بالله قبل ابتداعهم النسيء ، ^(٢) كما : —

١٦٧١٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « إنما النسيء زيادة في الكفر » ، يقول : ازدادوا به كفرًا إلى كفرهم .

* * *

وأما قوله : « ليواطئوا » ، فإنه من قول القائل : « واطأت فلاناً على كذا أوطئه موطأة » ، إذا وافقته عليه ، معيناً له ، غير مخالف عليه .

* * *

وروى عن ابن عباس في ذلك ما : —

١٦٧١٨ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « ليواطئوا عدة ما حرم الله » ، يقول : يشبهون .

* * *

(١) هكذا جاء في المخطوطة مضطرب الميزان ، وذكره القرطبي في تفسيره ٨ : ١٣٨ .

« وَمِمَّا نَأَسَى الشَّهْرَ الْقَلَمْسُ » ^(١)

وهو أيضاً غير مستقيم ، والنسيء جدته ، هو ما قاله عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص ابن أمية ، قال :

نَمَانِي أَبُو الْعَاصِي الْأَمِينُ وَهَاشِمٌ وَعُثْمَانُ ، وَالنَّاسِي الشُّهُورَ الْقَلَمْسُ

وأم عبد الرحمن بن الحكم ، ومروان بن الحكم ، هي : « آمنة بنت علقمة بن صفوان بن أمية بن نحرث بن خل بن شق » ، و « صفوان » هذا هو الذي جاء ذكره في الخبر رقم : ١٦٧١٢ ، وأنه كان من « النساء » ، وكل ناسي كان يقال له : « القلمس » ، فهذا البيت يؤيد ما قاله قتادة بعض التأييد . وانظر البيت الذي ذكرته في نسب قريش للمصعب الزبيري ص : ٩٨ .
(٢) في المطبوعة : « وقيل : ابتداعهم النسيء » ، غير ما في المخطوطة ، فأفسد الكلام كله .

قال أبو جعفر : وذلك قريب المعنى مما بيَّنا ، وذلك أن ما شابه الشيء ، فقد وافقه من الوجه الذى شابهه .

ولما معنى الكلام : أنهم يوافقون بعدة الشهور التى يحرمونها ، عدة الأشهر الأربعة التى حرمها الله ، لا يزيدون عليها ولا ينقصون منها ، وإن قدّموا وأخّروا . فذلك مواطأة عدّتهم عدّة ما حرّم الله .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ ائْتِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (٣٨)

قال أبو جعفر : وهذه الآية حثٌّ من الله جل ثناؤه المؤمنين به من أصحاب رسوله ، على غزو الروم ، وذلك غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك .
بقول جل ثناؤه : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله = « ما لكم » ، أى شئ .
أمركم = « إذا قيل لكم ائفروا فى سبيل الله » ، يقول : إذا قال لكم رسول الله محمدٌ = « ائفروا » ، أى : اخرجوا من منازلكم إلى مغزاكم .

* * *

وأصل « النفرة » ، مفارقة مكان إلى مكان لأمرٍ هاجه على ذلك . ومنه : « نفورا الدابة » . غير أنه يقال : من النفرة إلى الغزو : « نفّر فلان إلى نجر كذا يشفّر نفراً » ٩٤/١٠
وتفسيراً ، وأحسب أن هذا من الفروق التى يفرّقون بها بين اختلاف الخبر عنه ، (١)

(١) يعنى أبو جعفر ، أنهم لم يقولوا فى النفرة إلى الغزو « نفوراً » فى مصدره ، وقد أثبتت كتب اللغة أنه يقال فى مصدره « نفر إلى الغزو نفوراً » .

وإن اتفقت معاني الخبر .^(١)

* * *

فمعنى الكلام : ما لكم أيها المؤمنون ، إذا قيل لكم : اخرجوا غزاة = « في سبيل الله » ، أى : في جهاد أعداء الله^(٢) = « اثأقلتم إلى الأرض » ، يقول : ثناقلتم إلى لزوم أرضكم ومساكنكم والجلوس فيها .

* * *

وقيل : « اثأقلتم » لإدغام « الثاء » في « التاء » فأحدث لها ألف ،^(٣) ليَتَوَصَّل إلى الكلام بها ، لأن « التاء » مدغمة في « الثاء » . واو أسقطت الألف ، وابتدئ بها ، لم تكن إلا متحركة ، فأحدثت الألف لتقع الحركة بها ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ حَتَّى إِذَا أَدَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا ﴾ ، [سورة الأعراف : ٣٨] ، وكما قال الشاعر :^(٤)
تُولِي الضَّجِيعَ إِذَا مَا اسْتَأْفَهَا خَصِيراً عَذَّبَ لِلذَّاقِ إِذَا مَا اتَّابَعَ الْقُبْلَ^(٥)
[فهو من « الثقل » ، ومجازه مجاز « افعلتم »] ، من « التثاقل » .^(٦)

* * *

وقوله : « أرضيتُم بالحياة الدنيا من الآخرة » ، يقول جل ثناؤه : أرضيتُم بحظ الدنيا والدعة فيها ، عوضاً من نعيم الآخرة ، وما عند الله للمتقين في جناته = « فما

(١) انظر « النفر » فيما سلف ٨ : ٥٣٦ ، ولم يفسره هناك .

(٢) انظر تفسير « سبيل الله » فيما سلف من فهارس اللغة (سبل) .

(٣) في المطبوعة : « لأنه أدغم التاء في الثاء فأحدث لها ألف » ، وكان في المخطوطة : « لأنه غام » ، فلم يحسن قراءتها ، فغير الكلام ، فأثبتته على الصواب من المخطوطة . وانظر ما سلف في الإدغام ٢ : ٢٢٤ .

(٤) لم أعرف قائله .

(٥) مضى شرحه وتفسيره آنفاً ٢ : ٢٢٤ ، ومعاني القرآن للفراء ١ : ٤٣٨ .

(٦) مكان هذه الجملة في المطبوعة : « فهو بنى الفعل انتعلتم من التثاقل » ، وهو كلام غث سبكاً . وفي المخطوطة : « فهو بنى الفعل افعلتم من التثاقل » ، غير منقوط ، وصححت هذه العبارة اجتهداً ، مؤتسماً بما قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن ١ : ٢٦٠ ، قال : « ومجاز : اثأقلتم ، مجاز : افعلتم ، من التثاقل ، فأدغمت التاء في الثاء ، فشقلت وشددت » . يعنى أبو عبيدة : أنك لو بنيت « افعلتم » من « الثقل » ، كان واجباً إدغام التاء في الثاء . وانظر أيضاً معاني القرآن للفراء ١ : ٤٣٧ ، ٤٣٨ .

متاع الحياة الدنيا في الآخرة» ، يقول : فما الذي يستمتع به المتمتعون في الدنيا من عيشها ولدائها في نعيم الآخرة والكرامة التي أعدّها الله لأوليائه وأهل طاعته^(١) «إلا قليل» ، يسير . يقول لهم : فاطلبوا ، أيها المؤمنون ، نعيم الآخرة ، وشرف الكرامة التي عند الله لأوليائه،^(٢) بطاعته والمصارعة إلى الإجابة إلى أمره في النفير لجهاد عدوه .

* * *

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٧١٩ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اناقلتم إلى الأرض » ، أمروا بغزوة تبوك بعد الفتح ، وبعد الطائف ، وبعد حنين . أمروا بالنفير في الصيف ، حين خُرِفَت النخل ،^(٣) وطابت الثمار ، واشتهوا الظلال ، وشقّ عليهم المخرج .

١٦٧٢٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اناقلتم إلى الأرض » الآية ، قال : هذا حين أمروا بغزوة تبوك بعد الفتح وحنين وبعد الطائف . أمرهم بالنفير في الصيف ، حين اختُرِفَت النخل ، وطابت الثمار ، راشتهوا الظلال ، وشقّ عليهم المخرج . قال : فقالوا : « الثقل » ، ذو الحاجة ، والضيعة والشغل ،^(٤) والمتشّرُّ به أمره في ذلك كله ، فأنزل الله : ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ ، [سورة التوبة : ٤١] .

* * *

(١) انظر تفسير «متاع» فيما سلف من فهارس اللغة (متع) .

(٢) في المطبوعة : « ورف الكرامة » ، والصواب ما في المخطوطة .

(٣) « خرف النخل يخرفه خرفاً ، واخترفه اختراً » ، صرم ثمره واجتناه بعد أن يطيب .

(٤) في المطبوعة : « فقالوا : منا الثقل وذو الحاجة والضيعة . . . » ، غير ما في

المخطوطة ، وكان في المخطوطة ما أثبت . وهو مقبول ، مع شك في أن يكون سقط من الكلام شيء .

القول في تأويل قوله ﴿ إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبَكُمُ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسوله ، متوعدّهم على ترك النّفَر إلى عدوّهم من الروم : إن لم تنفروا ، أيها المؤمنون ، إلى من استنفركم رسولُ الله ، يعذبكم الله عاجلاً في الدنيا ، بترككم النّفَر إليهم ، عذاباً مُوجعاً ^(١) = «ويستبدل قوماً غيركم» ، يقول : يستبدل الله بكم نبيّه قوماً غيركم ، ينفرون إذا استنفروا ، ويحييونه إذا دعوا ، ويطيعون الله ورسوله ^(٢) = «ولا تضرّوه شيئاً» ، يقول : ولا تضرّوا الله ، بترككم النّفَر ومعصيتكم إياه ، شيئاً ، لأنه لا حاجة به إليكم ، بل أنتم أهل الحاجة إليه ، وهو الغني عنكم وأنتم الفقراء = «والله على كل شيء قدير» ، يقول جل ثناؤه : والله على إهلاككم واستبدال قوم غيركم بكم ، وعلى كل ما يشاء من الأشياء ، قدير . ^(٣)

وقد ذكر أن «العذاب الأليم» في هذا الموضع ، كان احتباس التّطرّف عنهم .
* ذكر من قال ذلك :

١٦٧٢١ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا زيد بن الحباب قال ، حدثني عبد المؤمن بن خالد الحنفي قال ، حدثني نجدة الخراساني قال : سمعت ابن عباس ، وسئل عن قوله : «إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً» ، قال : إن رسول الله

وقوله : «الثقيل» : ذو الحاجة والضيعة هو تفسير قوله تعالى : «انفروا خفاً وثقالاً» ، جمع «ثقل» ، كما سترى في تفسير الآية ص : ٢٦٢ وما بعدها .

(١) انظر تفسير «النفر» فيما سلف قريباً ص : ٢٥١ .

(٢) انظر تفسير «الاستبدال» فيما سلف ٨ : ١٢٣ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير «قدير» فيما سلف من فهارس اللغة (قدر) .

صلى الله عليه وسلم استنفر حياً من أحياء العرب فثاقلوا عنه ، فأمسك عنهم المطر ، ٩٥/١٠ فكان ذلك عذابهم ، فذلك قوله : « إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً » .^(١)

١٦٧٢٢ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا عبد المؤمن ، عن نجدة قال : سألت ابن عباس ، فذكر نحوه = إلا أنه قال : فكان عذابهم أنْ أَمْسَكَ عَنْهُمْ الْمَطَرُ .^(٢)

١٦٧٢٣ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً » ، استنفر الله المؤمنين في لَهَبَانَ الْحَرِّ في غزوة تبوك قَبْلَ الشَّامِ ،^(٣) على ما يعلم الله من الجَهْدِ .

* * *

وقد زعم بعضهم أن هذه الآية منسوخة .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٧٢٤ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح ، عن الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة والحسن البصري قالا : قال : « إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً » ، وقال : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا

(١) الأثر : ١٦٧٢١ - « زيد بن الحباب العكلي » ، سلف مراراً ، آخرها رقم :

١٦٦٨٤ .

و « عبد المؤمن بن خالد الحنفى » ، ثقة ، مضى برقم ١١٩١٤ .

و « نجدة الخراسانى » هو : « نجدة بن نفع الحنفى » ، ثقة ، مضى أيضاً برقم : ١١٩١٤ . وهذا الخبر ، رواه الطبرى فيما يلى برقم : ١٦٧٢٢ ، من طريق يحيى بن واضح ، عن عبد المؤمن . ورواه أبو داود في سننه ٣ : ١٦ ، رقم : ٢٥٠٦ ، من طريق زيد بن الحباب ، مختصراً ، ورواه البيهقى في السنن ٩ : ٤٨ ، بنحوه . وخرجه السيوطى في الدر المنثور ٣ : ٢٣٩ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر ، وأبى الشيخ ، وابن مردويه ، والحاكم ، وصححه الحاكم .

(٢) الأثر : ١٦٧٢٢ - هو مكرر الأثر السالف ، وهذا أيضاً لفظ أبى داود والبيهقى : « المطر » ، من طريق زيد بن الحباب السالف .

(٣) « لَهَبَانِ الْحَرِّ » ، (بفتح اللام والهاء) ، شدته في الرمضاء . ويقال : « يوم لَهَبَانِ » ، صفة ، أى شديد الحر . و « الهَبَانِ » مصدر مثل : اللهب ، واللَّهيب ، والهَابِ (بضم اللام) ، وهو اشتعال النار إذا غلظت من الدخان .

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ﴿إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ، فنسختها الآية التي تلتها: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ ، [سورة التوبة : ١٢٠ - ١٢٢] .

* * *

قال أبو جعفر : ولا خبر بالذي قال عكرمة والحسن ، من نسخ حكم هذه الآية التي ذكروا ، ^(١) يجب التسليم له ، ولا حجة نافٍ لصحة ذلك . ^(٢) وقد رأى ثبوت الحكم بذلك عدد من الصحابة والتابعين سند كرم بعد ، وجائز أن يكون قوله : « إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً » ، الخاص من الناس ، ويكون المراد به من استنفره رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفر ، على ما ذكرنا من الرواية عن ابن عباس .

وإذا كان ذلك كذلك ، كان قوله : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة » ، نهياً من الله المؤمنين عن إخلاء بلاد الإسلام بغير مؤمنٍ مقيم فيها ، وإعلاماً من الله لهم أن الواجب التفرُّ على بعضهم دون بعض ، وذلك على من استنفر منهم دون من لم يُستنفر . وإذا كان ذلك كذلك ، لم يكن في إحدى الآيتين نسخ للأخرى ، وكان حكم كل واحدة منهما ماضياً فيما عُنِيَتْ به .

* * *

(١) في المطبوعة : « التي ذكروا » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) في المطبوعة : « ولا حجة تأتى بصحة ذلك » وفي المخطوطة : « ولا حجة بات بصحة ذلك » ، غير منقوطة ، وصواب قراءتها ما أثبت .

القول في تأويل قوله ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾

قال أبو جعفر: وهذا إعلام من الله أصحاب رسوله صلى الله عليه وسلم أنه المتوكل بنصر رسوله على أعداء دينه وإظهاره عليهم دولتهم، أعانوه أو لم يعينوه ، = وتذكير منه لهم فعل ذلك به ، وهو من العدد في قلة ، والعدو في كثرة ، فكيف به وهو من العدد في كثرة ، والعدو في قلة ؟

يقول لهم جل ثناؤه : لا تنفروا ، أيها المؤمنون ، مع رسولي إذا استنفركم فتنصروه ، قاله ناصره ومعينه على عدوه ، ومغنيه عنكم وعن معونتكم ونصرتكم ، كما نصره = « إذ أخرجه الذين كفروا » ، بالله من قريش من وطنه وداره = « ثاني اثنين » ، يقول : أخرجه وهو أحد الاثنين ، أي : واحد من الاثنين .

* * *

وكذلك تقول العرب : « هو ثاني اثنين » ، يعني : أحد الاثنين ، و « ثالث ثلاثة » ، ورابع أربعة » ، يعني : أحد الثلاثة ، وأحد الأربعة . وذلك خلاف قولهم : « هو أخوستة » ، و « غلام سبعة » ، لأن « الأخ » ، و « الغلام » غير الستة والسبعة ، « وثالث الثلاثة » ، أحد الثلاثة .

* * *

ولما عني جل ثناؤه بقوله : « ثاني اثنين » ، رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضي الله عنه ، لأنهما كانا اللذين خرجا هاربين من قريش إذ هموا بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واختفيا في الغار .

* * *

وقوله : « إذ هما في الغار » ، يقول : إذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر

رحمة الله عليه ، في الغار .

* * *

و « الغار » ، النقب العظيم يكون في الجبل .

* * *

= « إذ يقول لصاحبه » ، يقول : إذ يقول رسول الله لصاحبه أبي بكر ،
 ٩٦/١٠ « لا تحزن » ، وذلك أنه خاف من الطلب أن يعلموا بمكانهما ، فجزع من ذلك ،
 فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تحزن » ، لأن الله معنا والله ناصرنا ،^(١)
 فلن يعلم المشركون بنا ولن يصلوا إلينا .

يقول جل ثناؤه : فقد نصره الله على عدوه وهو بهذه الحال من الخوف وقلة
 العدد ، فكيف يخذله ويخوجه إليكم ، وقد كثر الله أنصاره وعدد جنوده ؟

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٧٢٥ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا
 عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « إلا تنصروه » ، ذكر ما كان في
 أول شأنه حين بعثه . يقول الله : فأنا فاعل ذلك به وناصره ، كما نصرته إذ ذاك
 وهو ثاني اثنين .

١٦٧٢٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن
 ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « إلا تنصروه فقد نصره الله » ، قال : ذكر ما
 كان في أول شأنه حين بُعث ، فالله فاعل به كذلك ، ناصره كما نصره إذ ذاك ،
 « ثاني اثنين إذ هما في الغار » .

١٦٧٢٧ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة
 قوله : « إلا تنصروه فقد نصره الله » الآية ، قال : فكان صاحبه أبو بكر ، وأما

(٦) انظر تفسير « مع » فيما سلف ص : ٢٤٢ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

« الغار » ، فجبل بمكة يقال له : « ثور » .

١٦٧٢٨ — حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد قال ، حدثني أبي قال ، حدثنا أبان العطار قال ، حدثنا هشام بن عروة ، عن عروة قال : لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه ، وكان لأبي بكر منيحة من غنم تروح على أهله ، ^(١) فأرسل أبو بكر عامر بن فهيرة في الغنم إلى ثور . وكان عامر بن فهيرة يروح بتلك الغنم على النبي صلى الله عليه وسلم بالغار في ثور ، وهو « الغار » الذي ساء الله في القرآن . ^(٢)

١٦٧٢٩ — حدثني يعقوب بن إبراهيم بن جبير الواسطي قال ، حدثنا عفان وحَبَّان قالَا ، حدثنا همام ، عن ثابت ، عن أنس ، أن أبا بكر رضى الله عنه حدثهم قال : بينا أنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار وأقدامُ المشركين فوق رؤوسنا ، فقلت : يا رسول الله ، لو أن أحدهم رفع قدمه أبصرنا ! فقال : يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ ^(٣)

(١) « المنيحة » ، شاة أو ناقة يعيرها الرجل أخاه ، يحتلها وينتفع بلبنها سعة ، ثم يردّها إليه .
(٢) الأثر : ١٦٧٢٨ — هذا جزء من كتاب عروة بن الزبير إلى عبد الملك بن مروان ، والذي خرجته فيما سلف برقم : ١٦٠٨٣ ، ومواضع أخرى كثيرة . وهذا الجزء من الكتاب ، في تاريخ الطبري ٢ : ٢٤٦ .

(٣) الأثر : ١٦٧٢٩ — « يعقوب بن إبراهيم بن جبير الواسطي » ، شيخ الطبري ، لم أجد له ترجمة في غير الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢٠٢/٢/٤ .
و « عفان » هو « عفان بن مسلم بن عبد الله الصفار » ، ثقة ، من شيوخ أحمد والبخاري ، مضى برقم : ٥٣٩٢ .

و « حبان » ، هو « حبان بن هلال الباهل » ، ثقة ، روى له الجماعة . مضى برقم : ٥٤٧٢ .
« حبان » بفتح الحاء لا بكسرهما .

و « همام » هو « همام بن يحيى بن دينار الأزدي » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى مراراً ، آخرها : ١٦٣٠٦ .

و « ثابت » ، هو « ثابت بن أسلم البناني » ، ثقة روى له الجماعة ، مضى برقم : ٢٩٤٢ ، ٧٠٣٠ .

وهذا الخبر رواه من طريق عفان بن مسلم ، ابن سعد في الطبقات ١٢٣/١/٣ ، وأحمد في مسنده رقم : ١١ ، والترمذي في تفسير الآية .

١٦٧٣٠ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن شريك، عن إبراهيم ابن مهاجر، عن مجاهد قال : مكث أبو بكر مع النبي صلى الله عليه وسلم في الغار ثلاثاً.

١٦٧٣١ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الزهري : « إذ هما في الغار »، قال : في الجبل الذي يسمى ثوراً، مكث فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ثلاث ليالٍ.

١٦٧٣٢ - حدثنا يونس قال، أخبرنا بن وهب قال، أخبرني عمرو بن الحارث، عن أبيه : أن أبا بكر الصديق رحمة الله تعالى عليه حين خطب قال : أيُّكم يقرأ « سورة التوبة » ؟ ^(١) قال رجل : أنا . قال : اقرأ . فلما بلغ : « إذ يقول لصاحبه لا تحزن » ، بكى أبو بكر وقال : أنا والله صاحبه ^(٢).

ورواه من طريق حبان بن هلال ، البخارى في صحيحه (الفتح ٨ : ٢٤٥) ، ومسلم في صحيحه ١٥ : ١٤٩ .

ورواه البخارى من طريق محمد بن سنان ، عن هلال في صحيحه (الفتح ٧ : ٩) . وقال الترمذى : « هذا حديث صحيح غريب ، إنما يروى من حديث هام . وقد روى هذا الحديث حبان بن هلال ، وغير واحد ، عن هام ، نحو هذا » .
 وخرجه السيوطى في الدر ٣ : ٢٤٢ ، وزاد نسبه إلى ابن أبي شيبه ، وأبى عوانة ، وابن حبان ، وابن المنذر ، وابن مردويه .

(١) في المخطوطة : « سورة البقرة » ، وهو خطأ أبين من أن يدل على تصحيحه .
 (٢) الأثر : ١٦٧٣٢ - « عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصارى المصرى » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ٥٩٧٣ .

وأبوه « الحارث بن يعقوب بن ثعلبة ، أو : ابن عبد الله ، الأنصارى المصرى » . ثقة . مترجم في التهذيب ، والكبير ٢٨٢/٢/١ ، وابن أبى حاتم ٩٣/٢/١ .

القول في تأويل قوله ﴿ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٤٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فَأَنْزَلَ اللَّهُ طمأنينته وسكونه على رسوله (١) = وقد قيل : على أبي بكر = « وأيده بجنود لم تروها » ، يقول : وقوّاه بجنود من عنده من الملائكة ، لم تروها أنتم (٢) = « وجعل كلمة الذين كفروا » ، وهى كلمة الشرك = « السفلى » ، لأنها قهّيرت وأذِلّت ، وأبطلها الله تعالى ، وبحق أهلها ، وكل مهوور ومغلوب فهو أسفل من الغالب ، والغالب هو الأعلى = « وكلمة الله هى العليا » ، يقول : ودين الله وتوحيده وقول لا إله إلا الله ، وهى كلمته = « العليا » ، على الشرك وأهله ، الغالبة (٣) ، كما : —

١٦٧٣٣ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية عن على ، عن ابن عباس قوله : « وجعل كلمة الذين كفروا السفلى » ، وهى الشرك بالله = « وكلمة الله هى العليا » ، وهى : لا إله إلا الله .

* * *

وقوله : « وكلمة الله هى العليا » ، خبر مبتدأ ، غير مردود على قوله : « وجعل كلمة الذين كفروا السفلى » ، لأن ذلك لو كان معطوفاً على « الكلمة » الأولى ، لكان نصباً . (٤)

* * *

-
- (١) انظر تفسير « السكينة » فيما سلف ص : ١٨٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
 (٢) انظر تفسير « التأييد » فيما سلف ص : ٤٤ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
 (٣) انظر تفسير « الأعلى » فيما سلف ص : ٢٣٤ .
 (٤) انظر تفصيل ذلك فى معانى القرآن للقراء ١ : ٤٣٨ ، وهو فصل جيد واضح .

وأما قوله : « والله عزيز حكيم » ، فإنه يعنى : « والله عزيز » ، فى انتقامه
 ٩٧/١٠ من أهل الكفر به ، لا يقهره قاهر ، ولا يغلبه غالب ، ولا ينصر من عاقبه
 ناصر = « حكيم » ، فى تدبيره خلقه ، وتصريفه إياهم فى مشيئته .^(١)

• • •

القول فى تأويل قوله ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى معنى « الخفة » و « الثقل » ، اللذين
 أمر الله من كان به أحدهما بالنفر معه .
 فقال بعضهم : معنى « الخفة » ، التى عنها الله فى هذا الموضع ، الشباب
 = ومعنى « الثقل » ، الشيخوخة .
 • ذكر من قال ذلك :

١٦٧٣٤ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن رجل ،
 عن الحسن فى قوله : « انفروا خفافاً وثقالاً » ، قال : شيباً وشباناً .
 ١٦٧٣٥ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا حفص ، عن عمرو ، عن الحسن
 قال : شيوخاً وشباناً .

١٦٧٣٦ - قال ، حدثنا ابن عيينة ، عن على بن زيد ، عن أنس ،
 عن أبى طلحة : « انفروا خفافاً وثقالاً » ، قال : كهولاً وشباناً ، ما أسمع الله
 عَذَرَ واحداً !!^(٢) فخرج إلى الشام ، فجاهد حتى مات .^(٣)

(١) انظر تفسير « عزيز » و « حكيم » ، فيما سلف من فهارس اللغة (عزز) ، (حكّم) .

(٢) فى المطبوعة : « عذر أحداً » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) الأثر : ١٦٧٣٦ - على بن زيد بن عبد الله بن أبى مليكة ، مضى مراراً ، وثقة
 أخى السيد أحمد فيما سلف رقم : ٤٨٩٧ ، وقد تكلم فيه أحمد وغيره قال : « ضعيف الحديث » .
 و « أنس » هو « أنس بن مالك » خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٦٧٣٧ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن المغيرة ابن النعمان قال : كان رجل من النخع ، وكان شيخاً بادناً ، فأراد الغزو ، فنهه سعد بن أبي وقاص فقال : إن الله يقول : « انفروا خفافاً وثقالاً » ! فأذن له سعد . فقتل الشيخ ، فسأل عنه بعدُ عُمَرُ ، فقال : ما فعل الشيخ الذي كأنه من بني هاشم ؟^(١) فقالوا : قتل يا أمير المؤمنين !^(٢)

١٦٧٣٨ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يزيد بن هرون ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح قال : الشاب والشيخ .

١٦٧٣٩ - قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن مالك بن مغول ، عن إسماعيل ، عن عكرمة قال : الشاب والشيخ .

١٦٧٤٠ - قال ، حدثنا المحاربي ، عن جوير ، عن الضحاك : كهولاً وشباناً .

١٦٧٤١ - قال ، حدثنا جبويه ، أبو يزيد ، عن يعقوب القمي ، عن جعفر بن حميد ، عن بشر بن عطية : كهولاً وشباناً^(٣) .

و « أبو طلحة » هو « زيد بن سهل الأنصاري » ، صاحب رسول الله ، شهد العقبة ، وبدرًا ، المشاهد كلها .

وهذا الخبر ، رواه ابن سعد في الطبقات ٦٦/٢/٣ من طريق عفان بن مسلم ، عن حماد ابن سامة ، عن ثابت ، وعلى بن زيد ، عن أنس ، مطولاً ، بغير هذا اللفظ . ورواه الحاكم في المستدرک ٣ : ٣٥٣ ، من هذه الطريق نفسها وقال : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخبرناه » .

وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣ : ٢٤٦ ، وزاد نسبه إلى ابن أبي عمر العدني في مسنده ، وعبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائد الزهد ، وأبي يعلى ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن حبان ، وابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه .

وخرجه ألبنيس في مجمع الزوائد ٩ : ٣١٢ ، بغير هذا اللفظ ، وقال : « رواه أبو يعلى ، ورجاله رجال الصحيح » .

(١) في المطبوعة : « كان من بني هاشم » ، وهو خطأ لاشك فيه ، فإن الرجل « من النخع » ، كما ذكر قبل ، والصواب ما في المخطوطة .

(٢) الأثر : ١٦٧٣٧ - « المغيرة بن النعمان النخعي » ، ثقة ، مضى برقم : ١٣٦٢٢ .

(٣) الأثر : ١٦٧٤١ - « جبويه ، أبو يزيد » ، هو « إسحق بن إسماعيل الرازي » ،

١٦٧٤٢ - حدثنا الوليد قال ، حدثنا علي بن سهل قال ، حدثنا الوليد بن مسلم ، عن بكير بن معروف ، عن مقاتل بن حيان ، في قوله : « انفروا خفافاً وثقالاً » ، قال : شباناً وكهولاً .

١٦٧٤٣ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « انفروا خفافاً وثقالاً » ، قال : شباباً وشيوخاً ، وأغنياء ومساكين .

١٦٧٤٤ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال ، قال الحسن : شيوخاً وشباناً .

١٦٧٤٥ - حدثني سعيد بن عمرو قال ، حدثنا بقية قال ، حدثنا حريز قال ، حدثني حبان بن زيد الشرعي قال : نفرنا مع صفوان بن عمرو ، وكان والياً على حمص قبل الأفسوس ، إلى الحرّاجمة ،^(١) فلقيت شيخاً كبيراً هماً ،^(٢) قد سقط حاجباه على عينيه ، من أهل دمشق ، على راحلته ، فيمن أغار .^(٣) فأقبلت عليه فقلت : يا عم ، لقد أعذر الله إليك ! فرفع حاجبيه ، فقال : يا ابن

مضى مراراً ، منها رقم : ١٥٩٩٣ ، وكتب في المطبوعة : « حيوة » ، وغير ما في المخطوطة ، وهو خطأ محض .

وأما « جعفر بن حميد » ، فلم أجد له ذكراً في شيء من مراجعي ، والذي يروى عنه يعقوب ابن عبد الله القمي ، هو : « جعفر بن أبي المنيرة الخزاعي القمي » ، والذي نقله ابن حجر في التهذيب في ترجمته عن أبي نعيم أن اسم « أبي المنيرة » هو : « دينار » لا « حميد » .
وأما « بشر بن عطية » ، فلم أجد من يسمي بهذا إلا « بشر بن عطية » ، رجل روى عنه مكحول ، يقال هو صحابي ، ويقال هو : « بشر بن عصمة المزني » ، انظر لسان الميزان ٢ : ٢٦ ، ٢٧ ، في الترجمتين ، والإصابة في ترجمة الاسمين . وهذا كله مضطرب .

(١) « الأفسوس » ، بلد بثغور طرسوس ، و « طرسوس » مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم .

و « الحرّاجمة » ، نبط الشام ، ويقال : هم قوم من العجم بالجزيرة .
وكان في المخطوطة : « قبل الأمسون إلى الحرّاصه » ، والصواب ما في المطبوعة وهو مطابق لما في تفسير ابن كثير ٤ : ١٧٦ ، نقلاً عن هذا الموضع من الطبري .

(٢) « الهم » (بكسر الهاء) : الشيخ الكبير الغافى البالي .

(٣) في المخطوطة : « أعات » ، والصواب ما في المطبوعة ، وهو موافق لما في ابن كثير .

أخى ، استغفرنا الله خفافاً وثقالاً ، من يجه الله يبتله ، ثم يعيده فيستليه ، (١) إنما يتلى الله من عباده من شكر وصبر وذكر ولم يعبد إلا الله . (٢)

١٦٧٤٦ - حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسماعيل ، عن أبي صالح : « انفروا خفافاً وثقالاً » ، قال : كل شيخ وشاب .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : مشاغيل وغير مشاغيل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٧٤٧ - حدثنا ابن بشار وابن وكيع قالا ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن الحكم في قوله : « انفروا خفافاً وثقالاً » ، قال : مشاغيل وغير مشاغيل .

* * *

وقال آخرون : معناه : انفروا أغنياء وفقراء .

* ذكر من قال ذلك :

(١) في المطبوعة : « من يجه الله يبتله » ، ثم يعيده فيبقيه » ، وأثبت ما في المخطوطة ، فهو الصواب وحده .

(٢) الأثر : ١٦٧٤٥ - « بقية » هو « بقية بن الوليد » ، سلف مراراً كثيرة .
و « حرير » هو « حرير بن عثمان بن جبر الرجي » ، ثقة مأمون ، ثبت في الحديث ، وإنما وضع منه من وضع ، لأنه كان ينال من على رضى الله عنه ، ثم ترك ذلك . و « حرير » (بفتح الحاء ، وكسر الراء) . وقال أبو داود : « شيوخ حرير » ، كلهم ثقات . مترجم في التهذيب ، والكبير ٩٦/١/٢ ، وابن أبي حاتم ٢٨٩/٢/١ .

وكان في المطبوعة : « جرير » ، وهو في المخطوطة غير منقوط .
و « حبان بن زيد الشرعي » (بكسر الحاء من : حبان) ، أبو خدش الحمصي ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وسلف قبل أن أبا داود ، وثق جميع شيوخ حرير بن عثمان . مترجم في التهذيب ، والكبير ٧٨/١/٢ ، وابن أبي حاتم ٢٦٩/٢/١ .

و « صفوان بن عمرو » ، كأنه هو « صفوان بن عمرو بن هرم السكسكي » ، ثقة . والذي حملني على هذا الظن ، أني رأيت في ترجمته في التهذيب عن أبي إيمان ، عن صفوان : « أدركت من خلافة عبد الملك ، وخرجنا في بئس سنة ٩٤ » ، ولكني لم أجده ذكرًا لولايته على حمص .
وقد سلف « صفوان بن عمرو السكسكي » مراراً ، منها رقم : ٧٠٠٩ ، ١٢٨٠٧ ، ١٣١٠٨ .

١٦٧٤٨ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ذكره ،
عن أنى صالح : « انفروا خفافاً ، وثقالاً » ، قال : أغنياء وفقراء .

* * *

وقال آخرون : معناه : نشاطاً وغير نشاط .
* ذكر من قال ذلك :

١٦٧٤٩ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي
٩٨/١٠ قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « انفروا خفافاً وثقالاً » ،
يقول : انفروا نشاطاً وغير نشاط .

١٦٧٥٠ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن
معمر عن قتادة : « خفافاً وثقالاً » ، قال : نشاطاً وغير نشاط .

* * *

وقال آخرون : معناه : ركبناً ومشاة .
* ذكر من قال ذلك :

١٦٧٥١ - حدثنا علي بن سهل قال ، حدثنا الوليد قال ، قال أبو عمرو :
إذا كان النفر إلى دروب الشام ، نفر الناس إليها « خفافاً » ، ركبناً . وإذا كان النفر
إلى هذه السواحل ، نفرُوا إليها « خفافاً وثقالاً » ، ركبناً ومشاة .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : ذا ضيعة وغير ذي ضيعة .
* ذكر من قال ذلك :

١٦٧٥٢ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في
قوله : « انفروا خفافاً وثقالاً » ، قال : « الثقل » ، الذي له الضيعة ، فهو ثقل
بكره أن يضيع ضيعته ويخرج = و « الخفيف » الذي لا ضيعة له ، فقال الله :
« انفروا خفافاً وثقالاً » .

١٦٧٥٣ - حدثنا ابن عبد الأعلى قال ، حدثنا المعتمر ، عن أبيه قال :

زعم حضرمي أنه ذكر له أن ناساً كانوا عسى أن يكون أحدهم عليلاً أو كبيراً فيقول : إن أجنبته إباءاً ، فإني آثم !^(١) فأنزل الله : « انفروا خفافاً وثقالاً » .

١٦٧٥٤ - حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علي قال ، حدثنا أيوب ، عن محمد قال : شهد أيوب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرًا ، ثم لم يتخلف عن غزاة للمسلمين إلا وهو في أخرى ،^(٢) إلا عاماً واحداً . وكان أيوب يقول : « انفروا خفافاً وثقالاً » ، فلا أجدني إلا خفيفاً أو ثقيلاً .^(٣)

١٦٧٥٥ - حدثنا علي بن سهل قال ، حدثنا الوليد بن مسلم قال ، حدثنا حرير بن عثمان ، عن راشد بن سعد ، عن رأي المقداد بن الأسود فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم على تابوت من توابيت الصيافة بحمص ، وقد فضّل عنه من عظمته ، فقلت له : لقد أعذر الله إليك ! فقال : أبت علينا «سورة البعوث» ،^(٤) « انفروا خفافاً وثقالاً » .^(٥)

(١) في المطبوعة مكان : « إن أجنبته إباءاً ، فإني آثم » ما نصه : « فيقول : إني أحسبه قال : (أنا لا آثم) » ، وهو مضطرب جداً ، وفي تفسير ابن كثير ٤ : ١٧٤ ، ١٧٥ ، اختصر الكلام وكتب : « فيقول : إني لا آثم » ، وفي الدر المنثور ٣ : ٢٤٦ ، مثله مختصراً . وأما المخطوطة فكان رسمها هكذا : « فيقول : إن أحسبه أباً قال آثم » ، فأثرت قراءتها كما أثبتنا ، ومعناه : إن أجنبته نفر إباءاً للغزو ، فإني آثم ، ولكن علي أو كبري عذر يدفع عني إثم التخلف . هذا ما رجحته ، والله أعلم .

(٢) في المطبوعة : « إلا وهو في أخرى » ، وفي المخطوطة : « في آخرين » ، وحذف هذه العبارة ابن كثير في تفسيره ، والسيوطي في الدر المنثور . وهي صحيحة المعنى ، رواها ابن سعد « في أخرى » كما في المطبوعة : ورواها الحاكم : « إلا هو فيها » .

(٣) الأثر : ١٦٧٥٤ - رواه ابن سعد في الطبقات ٢/٣ : ٤٩ من طريق إسماعيل ابن إبراهيم الأسدي ، وهو « ابن علي » ، مطولاً مفصلاً .

ورواه الحاكم في المستدرک ٣ : ٤٥٨ ، من هذه الطريق نفسها ، مطولاً .
(٤) هكذا جاء هنا في المخطوطة : « البعوث » ، وأنا في شك منه شديد ، لأنني لم أجد من سمى «سورة التوبة» ، «سورة البعوث» ، بل أجمعوا على تسميتها «سورة البحوث» ، كما سأفسره بعد ص : ٢٦٨ ، تعليق : ٢ . ثم انظر آخر التعليق على الخبر رقم : ١٦٧٥٦ .

(٥) الأثر : ١٦٧٥٥ . « حرير بن عثمان بن جبر الرحبي » ، مضى آنفاً برقم ١٦٧٤٥ . وكان في المطبوعة : « جرير » ، وهو خطأ ، وفي المخطوطة غير منقوط .
و « راشد بن سعد المقرئ الجبلي الحمصي » ، ثقة ، لا بأس به إذا لم يحدث عنه متروك ،

١٦٧٥٦ — حدثنا سعيد بن عمرو السكوني قال ، حدثنا بقية بن الوليد قال :
حدثنا حريز قال ، حدثني عبد الرحمن بن ميسرة قال ، حدثني أبو راشد الخبراني
قال : وافيت المقداد بن الأسود فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً على
تابوت من تواييت الصيارفة بمحصر ، قد فَضِّلَ عنها من عِظَمِهِ ، ^(١) يريد الغزو ،
فقلت له : لقد أعذر الله إليك ! فقال ، أَبَتْ علينا « سورة البُحُوث » : ^(٢)
« انفروا خفافاً وثقالاً » . ^(٣)

* * *

وشيوخ « حريز بن عثمان » ثقات جميعاً ، كما أسلفت في رقم : ١٦٧٤٥ ، و « حريز » ثقة في نفسه .
وهذا الخبر سيأتي بعد هذا ، ليس فيه مجهول .
(١) في المطبوعة : « فضل عنه » ، وأثبت ما في المخطوطة ، لأنه صواب محض ، فالتابوت ،
يذكر ، وقد يؤنث .

(٢) في المطبوعة : « البحوث » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو الموافق لرواية هذا الأثر في
المراجع التي سأذكرها . و « البحوث » : منهم من يقولها بضم الباء ، جمع « بحث » ، سميت بذلك
لأنها بحثت عن المنافقين وأسرارهم ، أى : استشارتها وفشت عنها .

وقد قال ابن الأثير إنه رأى في « الفائق » للزمخشري « البحوث » بفتح الباء ، ومطبوعة الفائق ،
لا ضبط فيها . ثم قال ابن الأثير : « فإن صحت ، فهي فعول ، من أبنية المبالغة ، ويقع على الذكر
والأنثى ، كأمارة صبور ، ويكون من باب إضافة الموصوف إلى الصفة » . أما الزمخشري فقال :
« سورة البحوث : هي سورة التوبة ، لما فيها من البحث عن المنافقين وكشف أسرارهم ، وتسمى
الممثلة » .

وهذا كله يؤيد ما ذهب إليه في ص ٢٦٧ ، التعليق رقم : ٤ .

(٣) الأثر : ١٦٧٥٦ — انظر التعليق على الأثر السالف رقم : ١٦٧٥٥ .

« سعيد بن عمرو السكوني » ، شيخ الطبري ، ثقة ، مضى برقم : ٥٥٦٣ ، ٦٥٢١ ،
وغيرهما .

و « بقية بن الوليد » ، مضى توثيقه ، ومن تكلم فيه قريباً رقم : ١٦٧٤٥ .

و « حريز » هو « حريز بن عثمان » ، سلف في الأثر السالف ، ومراجعته هناك ، وكان في
المطبوعة هنا « جرير » أيضاً ، والمخطوطة غير منقوطة .

و « عبد الرحمن بن ميسرة الحضرمي » ، أبو سلمة الحمصي ، ثقة ، لأن أبا داود قال :

« شيوخ حريز كلهم ثقات » . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٢٨٥/٢/٢ .

و « أبو راشد الخبراني الحميري الحمصي » ، تابعي ثقة . لم يرو عنه غير « حريز » . مترجم في
التهذيب ، والكنى للبخاري : ٣٠ .

وهذا الخبر رواه ابن سعد في الطبقات ١١٥/١/٣ ، من طريق يزيد بن هارون ، عن

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره أمر المؤمنين بالنفّر للجهاد أعدائه في سبيله ، خفافاً وثقالاً . وقد يدخل في « الخفاف » كل من كان سهلاً عليه النفّر لقوة بدنه على ذلك ، وصحة جسمه وشبابه ، ومن كان ذا يُسْرٍ بمالٍ وفراغٍ من الاشتغال ، ^(١) وقادراً على الظهر والركاب . ويدخل في « الثقال » ، كل من كان بخلاف ذلك ، من ضعيف الجسم وعليه وسقيمه ، ومن مُعْسِرٍ من المال ، ومشتغل بضبيعة ومعاش ، ومن كان لا ظهر له ولا ركاب ، والشيخ ذو السن والعيال .

فإذ كان قد يدخل في « الخفاف » و « الثقال » من وصفنا من أهل الصفات التي ذكرنا ، ولم يكن الله جل ثناؤه خصّ من ذلك صنفاً دون صنف في الكتاب ، ولا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا نَصَبَ على خصوصه دليلاً ، وجب أن يقال : إن الله جل ثناؤه أمر المؤمنين من أصحاب رسوله بالنفّر للجهاد في سبيله خفافاً وثقالاً مع رسوله صلى الله عليه وسلم ، على كل حال من أحوال الخفة والثقل .

* * *

١٦٧٥٧ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا

إسرائيل ، عن سعيد بن مسروق ، عن مسلم بن صبيح قال : أول ما نزل من « براءة » : « انفروا خفافاً وثقالاً » .

حرير بن عثمان (وفى الطبقات : جرير ، وهو خطأ كما بينت) .

ورواه الحاكم في المستدرک من طريق : بقیة بن الولید ، عن حریر بن عثمان (وفیه : جریر ، وهو خطأ) .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ٣٠ ، وقال : « رواه الطبراني ، وفيه بقیة بن الولید ، وفيه ضعف ، وقد وثق . وبقية رجاله ثقات » .

قلت : قد تبين من التخریج أنه رواه عن « حریر » ، « یزید بن هارون » ، وهو ثقة روى له الجماعة ، كما سلف مراراً .

هذا ، وقد جاء في مجمع الزوائد « سورة البعوث » ، وانظر ما كتبه آنفأ في ص : ٢٦٧ ، تعليق : ٤ ، و ص : ٢٦٨ ، تعليق : ٢ .

(١) في المطبوعة : « ذا تيسر » ، والذي في المخطوطة محض الصواب .

١٦٧٥٨ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبي الضحى ، مثله .

١٦٧٥٩ - حدثنا الحارث قال ، حدثنا القاسم قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال : إن أول ما نزل من « براءة » : « لقد نصركم الله في مواطن كثيرة » ، قال : يعرفهم نصره ، ويوطئهم لغزوة تبوك .

• • •

القول في تأويل قوله ﴿ وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٤١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : «جاهدوا» أيها المؤمنون ، الكفار «بأموالكم» ، فأنفقوها في مجاهدتهم على دين الله الذي شرعه لكم ، حتى ينقادوا لكم ، فيدخلوا فيه طوعاً أو كرهاً ، أو يعطوكم الجزية عن يدٍ صغاراً ، إن كانوا أهل كتاب ، أو تقتلوهم ^(١) «وأنفسكم» ، يقول : وبأنفسكم ، فقاتلوهم بأيديكم ، يجزهم الله وينصركم عليهم = «ذلكم خير لكم» ، يقول : هذا الذي أمركم به من النفر في سبيل الله تعالى خفافاً وثقلاً ، وجهاد أعدائه بأموالكم وأنفسكم ، خير لكم من التثاقل إلى الأرض إذا استغفرتهم ، والخلود إليها ، والرضى بالقليل من متاع الحياة الدنيا عوضاً من الآخرة = إن كنتم من أهل العلم بحقيقة ما بين لكم من فضل الجهاد في سبيل الله على القعود عنه .

• • •

(١) انظر تفسير «الجهاد» فيما سلف من : ١٧٣ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .

= وتفسير «سبيل الله» فيما سلف من فهارس اللغة (سبل) .

القول في تأويل قوله ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا
لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ أَلْسِنَتُهُمْ أَلُشَّةٌ وَسِخْلَفُونَ بِاللَّهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا
لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (٤٢)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه للنبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت جماعة
من أصحابه قد استأذنوه في التخلّف عنه حين خرج إلى تبوك ، فأذن لهم : لو كان
ما تدعوا إليه المتخلفين عنك ، والمستأذنيك في ترك الخروج معك إلى مغراك الذي
استنفرتهم إليه = « عرضاً قريباً » ، يقول : غنيمة حاضرة (١) = « وسفراً قاصداً » ،
يقول : وموضعاً قريباً سهلاً = « لاتبعوك » ، ونفروا معك إليهما ، ولكنك استنفرتهم
إلى موضع بعيد ، وكلفتهم سفراً شاقاً عليهم ، لأنك استنفضتهم في وقت الحرّ ،
وزمان التقيّظ ، وحين الحاجة إلى الكين = « وسيخلفون بالله لو استطعنا لخرجنا
معكم » ، يقول تعالى ذكره : وسيخلف لك ، يا محمد ، هؤلاء المستأذنوك في ترك
الخروج معك ، اعتذاراً منهم إليك بالباطل ، لتقبل منهم عذرهم ، وتأذن لهم في
التخلّف عنك ، بالله كاذبين = « لو استطعنا لخرجنا معكم » ، يقول : لو أطلقنا
الخروج معكم ، بوجود السّعة والمراكب والظهور وما لا بُدّ للمسافر والغازي منه ،
وصحة البدن والقوى ، لخرجنا معكم إلى عدوّكم = « يهلكون أنفسهم » ، يقول : يوجبون
لأنفسهم ، بحلفهم بالله كاذبين ، الهلاك والعطب ، (٢) لأنهم يورثونها سخط الله ،
ويكسبونها أليم عقابه = « والله يعلم إنهم لكاذبون » ، في حلفهم بالله : « لو استطعنا
لخرجنا معكم » ، لأنهم كانوا للخروج مطيقين ، بوجود السبيل إلى ذلك بالذي
كان عندهم من الأموال ، مما يحتاج إليه الغازي في غزوه ، والمسافر في سفره ،

(١) انظر تفسير « العرض » فيما سلف ص : ٥٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الهلاك » فيما سلف ١٣ : ١٥٠ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

وصحة الأبدان وقوى الأجسام .

* * *
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٧٦٠ - حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ،

عن قتادة قوله : « لو كان عرضاً قريباً » ، إلى قوله : « لكاذبون » ، إنهم يستطيعون الخروج ، ولكن كان تبطئة من عند أنفسهم والشيطان ، وزهادة فى الخير .

١٦٧٦١ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن

معمر ، عن قتادة : « لو كان عرضاً قريباً » ، قال : هى غزوة تبوك .

١٦٧٦٢ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « والله

يعلم إنهم لكاذبون » ، أى : إنهم يستطيعون .^(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ

حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَذِبِينَ ﴾ (٤٣)

قال أبو جعفر : وهذا عتاب من الله تعالى ذكره ، عاتب به نبيه صلى الله

عليه وسلم فى إذنه لمن أذن له فى التخلف عنه ، حين شخص إلى تبوك لغزو الروم ، من المنافقين .

يقول جل ثناؤه : « عفا الله عنك » ، يا محمد ، ما كان منك فى إذذك

لهؤلاء المنافقين الذين استأذنوك فى ترك الخروج معك ، وفى التخلف عنك ، من

١٠٠/١٠ قبل أن تعلم صدقه من كذبه^(٢) = « لم أذنت لهم » ، لأى شيء أذنت لهم ؟ =

(١) الأثر : ١٦٧٦٢ - سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٤ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٦٩٩ .

(٢) انظر تفسير « العفو » : فيما سلف من فهارس اللغة (عفا) .

« حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ » ، يقول : ما كان ينبغي لك أن تأذن لهم في التخلف عنك إذ قالوا لك : « لو استطعنا لخرجنا معك » ، حتى تعرف مَنْ له العذر منهم في تخلفه ، ومن لا عذر له منهم ، فيكون إذنك لمن أذنت له منهم على علم منك بعذره ، وتعلم مَنْ الكاذبُ منهم المتخلفُ نفاقاً وشكاً في دين الله .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٧٦٣ - حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « عفا الله عنك لم أذنت لهم » ، قال : ناسٌ قالوا : استأذِنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن أذن لكم فاقعدوا ، وإن لم يأذن لكم فاقعدوا .

١٦٧٦٤ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا » الآية ، عاتبه كما تسمعون ، ثم أنزل الله التى فى « سورة النور » ، فرخص له فى أن يأذن لهم إن شاء ، فقال : ﴿ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُواكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ ﴾ ، [سورة النور : ٦٢] ، فجعله الله رخصةً فى ذلك من ذلك .

١٦٧٦٥ - حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفیان ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عمرو بن ميمون الأودى قال : اثنتان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يؤمر فيهما بشئ : إذنه للمنافقين ، وأخذه من الأسارى ، فأَنْزَلَ الله : « عفا الله عنك لم أذنت لهم » ، الآية .

١٦٧٦٦ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، قرأت على سعيد بن أبي عروبة ، قال : هكذا سمعته من قتادة ، قوله : « عفا الله عنك لم أذنت لهم » ، ج (١٨) ١٤٤

أُذِنَتْ لَهُمْ « الآيَةُ » ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي « سُورَةِ النُّورِ » : ﴿ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ ﴾ الآيَةُ .

١٦٧٦٧ — حَدَّثَنَا صَالِحُ بْنُ مَسْمَارٍ قَالَ ، حَدَّثَنَا النَّضْرُ بْنُ شَمِيلٍ قَالَ ، أَخْبَرَنَا مُوسَى بْنُ سَرْوَانَ ، قَالَ : سَأَلْتُ مُورِقًا عَنْ قَوْلِهِ : « عَفَا اللَّهُ عَنْكَ » ، قَالَ : عَاتَبَهُ رَبُّهُ . (١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ (٤٤)

قال أبو جعفر : وهذا إعلامٌ من الله نبيه صلى الله عليه وسلم سيمًا المنافقين : أن من علاماتهم التي يُعرفون بها ، تخلفهم عن الجهاد في سبيل الله ، باستئذانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في تركهم الخروج معه إذا استنفروا بالمعاذير الكاذبة . يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، لا تأذن في التخلف عنك إذا خرجت لغزو عدوك ، لمن استأذنتك في التخلف من غير عذر ، فإنه لا يستأذنتك في ذلك إلا منافق لا يؤمن بالله واليوم الآخر . فأما الذي يصدق بالله ، ويقرُّ بوحْدانيته وبالبعث والدار الآخرة والثواب والعقاب ، فإنه لا يستأذنتك في

(١) الأثر : ١٦٧٦٧ — « صالح بن مسمار المروزي السلمي » ، شيخ الطبري ، مضى برقم :

و « النضر بن شميل المازني » الإمام النحوي ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ١١٥١٢ و « موسى بن سروان العجلي » ، ويقال : « ثروان » و « فروان » مضى برقم : ١١٤١١ ، وكان في المطبوعة هنا « موسى بن مروان » ، وهو خطأ ، وأثبت ما في المخطوطة و « مورق » ، هو « مورق بن مشمرج العجلي » ، ثقة عابده من العباد الحسن مترجم في التهذيب ، والكبير ٥١/٢/٤ ، وابن أبي حاتم ٤٠٣/١/٤

ترك الغزو وجهاد أعداء الله بماله ونفسه ^(١) = « والله عليم بالمتقين » ، يقول : والله ذو علم بمن خافه ، فاتقاه بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه ، والمسايرة إلى طاعته في غزو وعدوه وجهادهم بماله ونفسه ، وغير ذلك من أمره ونهيه . ^(٢)

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٧٦٨ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله » ، فهذا تعبير للمنافقين حين استأذنوا في القعود عن الجهاد من غير عذر ، وعذر الله المؤمنين فقال : ﴿ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾ ، [سورة النور : ٦٢] .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ (٤٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبى صلى الله عليه وسلم : إنما يستأذنك ، يا محمد ، في التخلف خِلافك وترك الجهاد معك ، من غير عذر بين ، الذين لا يصدقون بالله ولا يقرّون بتوحيده = « وارتابت قلوبهم » ، يقول : وشكت قلوبهم في حقيقة وحدانية الله ، وفي ثواب أهل طاعته ، وعقابه أهل معاصيه ^(٣) = « فهم ١٠١/١٠ في ريبهم يترددون » ، يقول : في شكهم متحيرون ، وفي ظلمة الحيرة مترددون ، لا يعرفون حقاً من باطل ، فيعملون على بصيرة . وهذه صفة المنافقين .

* * *

(١) انظر تفسير « جاهه » فيما سلف ص : ٢٧٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « التقوى » فيما سلف من فهارس اللغة (وق) .

(٣) انظر تفسير « الارتياب » و « الريب » فيما سلف ١١ . ١٧٢ ، تعليق : ٣ ، والمراجع

هناك = ثم ١١ : ٢٨٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

وكان جماعة من أهل العلم يرون أن هاتين الآيتين منسوختان بالآية التي ذكرت في « سورة النور » .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٧٦٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح ، عن الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة والحسن البصري قالا : قوله : « لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله » إلى قوله : « فهم في ريبهم يترددون » ، نسختها الآية التي في « النور » : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ إِلَى ﴾ [سورة النور : ٦٢] .

* * *

وقد بينّا « الناسخ والمنسوخ » ، بما أغنى عن إعادته ههنا .^(١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ (٤٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولو أراد هؤلاء المستأذنوك ، يا محمد ، في ترك الخروج معك لجهاد عدوك ، الخروج معك = « لأعدوا له عدة » ، يقول : لأعدوا للخروج عدة ، ولتأهبوا للسفر والعدو أهبتهم^(٢) = « ولكن كره الله انبعاثهم » ، يعني خروجهم لذلك^(٣) = « فثبطهم » ، يقول : فثقل عليهم الخروج حتى استخفوا القعود في منازلهم خلافاً ، واستثقلوا السفر والخروج معك ، فتركوا

(١) انظر مقاله في « الناسخ والمنسوخ » فيما سلف ص ٤٢ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك . وانظر الفهارس العامة ، وفهارس النحو والعربية وغيرها .

(٢) انظر تفسير « أعد » ، فيما سلف ص : ٣١ .

(٣) انظر تفسير « الكره » فيما سلف ٨ : ١٠٤ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

— وتفسير « البعث » فيما سلف ١١ : ٤٠٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

لذلك الخروج = « وقيل اقعّدوا مع القاعدين » ، يعنى : اقعّدوا مع المرضى والضعفاء الذين لا يجدون ما ينفعون ، ومع النساء والصبيان ، واتركوا الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجاهدين فى سبيل الله .^(١)

* * *

وكان تثبيط الله إياهم عن الخروج مع رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به ، لعلمه بنفاقهم وغشهم للإسلام وأهله ، وأنهم لو خرجوا معهم ضرّوهم ولم ينفعوا . وذكر أن الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القعود كانوا : « عبد الله ابن أبي ابن سلول » ، و « الجعد بن قيس » ، ومن كان على مثل الذى كانا عليه . كذلك : — ١٦٧٧٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : كان الذين استأذنوه فيما بلغنى ، من ذوى الشرف ، منهم : عبد الله بن أبي ابن سلول ، والجعد بن قيس ، وكانوا أشرافاً فى قومهم ، فثبطهم الله ، لعلمه بهم ، أن يخرجوا معهم ،^(٢) فيفسدوا عليه جنده .^(٣)

* * *

(١) انظر تفسير « القعود » فيما سلف ٩ : ٨٥ .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « يخرجوا معهم » وفى سيرة ابن هشام : « معه » .

(٣) الأثر : ١٦٧٧٠ — سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٤ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٧٦٢ . وكان فى المخطوطة : « فيفسدوا عليه حبه » غير منقوطة ، فاسدة الكتابة . والذى فى المطبوعة مطابق لما فى سيرة ابن هشام ، وهو الصواب .

القول في تأويل قوله ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا خِلَالَكُمْ يَنْفَعُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمْعُونَ لَهُمُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (٤٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : لو خرج ، أيها المؤمنون ، فيكم هؤلاء المنافقون = « ما زادوكم إلا خبالاً » ، يقول : لم يزيدوكم بخروجهم فيكم إلا فساداً وضراً ، ولذلك ثَبَّطْتُهُمْ عن الخروج معكم .

* * *

وقد بينا معنى « الخبال » ، بشواهد فيما مضى قبل .^(١)

* * *

= « وَلَا أُضْعِفُوا خِلَالَكُمْ » ، يقول : وَلَا سَرَعُوا بِرُكَاثِهِمُ السَّيْرَ بَيْنَكُمْ .

* * *

وأصله من « إِيضَاعُ الْخَيْلِ وَالرَّكَابِ » ، وهو الإسراع بها في السير . يقال للناقة إذا أسرعَت السير : « وَضَعَتِ النَّاقَةُ تَضَعُ وَضْعًا وَمَوْضُوعًا » ، و « أَوْضَعَهَا صَاحِبُهَا » ، إذا جَدَّ بها وأسرع ، « يَوْضَعُهَا إِيضَاعًا » ، ومنه قول الراجز :^(٢)

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعٌ أَحَبُّ فِيهَا وَأَضَعٌ^(٣)

* * *

(١) انظر تفسير « الخبال » فيما سلف ٧ : ١٣٩ ، ١٤٠ .

(٢) هو دريد بن الصمة .

(٣) سيرة ابن هشام ٤ : ٨٢ ، واللسان (وضع) ، وغيرهما ، وهذا رجز قاله دريد في يوم غزوة حنين ، وكان خرج مع هوازن ، عليهم مالك بن عوف النضري ، ودريد بن الصمة يومئذ شيخ كبير ، ليس فيه شيء إلا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب ، وكان شيخاً مجرباً . وكان مالك بن عوف كره أن يكون لدريد بن الصمة رأى في حربهم هذه أو ذكر ، فقال دريد : « هذا يوم لم أشهده ولم يفتني » .

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعٌ أَحَبُّ فِيهَا وَأَضَعٌ
أَقْوَدُ وَطَفَاءُ الزَّمْعِ كَأَنَّهَا شَاةٌ صَدَعُ

و « الجذع » ، الصغير الشاب . و « الخبب » ، ضرب من السير كالوضع . ثم وصف فرسه

وأما أصل « الخلال » ، فهو من « الحَلَل » ، وهى الفُرَج تكون بين القوم ، فى الصفوف وغيرها . ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم : « تَرَأَوْا فى الصُّفُوفِ لَا يَتَخَلَّلُكُمْ [الشَّيَاطِينُ ، كأنها] أَوْلَادُ الْحَذَفِ » .^(١)

* * *

وأما قوله : « يَبْغُونَكُمْ الفتنه » ، فإن معنى : « يَبْغُونَكُمْ الفتنه » ، يطلبون لكم ما تفتنون به ، عن مخرجكم فى مغزاكم ، بتشيطهم إياكم عنه .^(٢)

* * *

يقال منه : « بَغَيْتُهُ الشر » ، « وَبَغَيْتُهُ الخير » « أَبْغَيْه بُغَاءً » ، إذا التمسته له ، بمعنى : « بَغَيْتَ لَهُ » . وكذلك « عَكَمْتُكَ » ، و « حَلَبْتُكَ » ، بمعنى : « حَلَبْتُ لَكَ » ، و « عَكَمْتُ لَكَ » ،^(٣) وإذا أرادوا : أَعْتَنَّا عَلَى التَّمَاثُلِ وَطَلَبِهِ ، قالوا : « أَبْغَيْتُكَ كَذَا » ، و « أَحَلَبْتُكَ » ، و « أَعَكَمْتُكَ » ، أى : أَعْتَنَّا عَلَيْهِ .^(٤)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٢/١٠

١٦٧٧١ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن

فيما تسمى . « وطفاء » ، طويلة الشعر ، و « الزمعة » الهنة الزائدة الناتئة فوق ظلف الشاة . و « الشاة » هنا : الوعل وهو شاة الجبل . و « صدع » الفتى القوى من الأوعال .

(١) لم يذكر إسناده ، وهو حديث مشهور ، رواه أبو داود فى سننه ١ : ٢٥٢ ، رقم : ٦٦٧ ، بغير هذا اللفظ ، والنسائى فى السنن ٢ : ٩٢ . والذى وضعته بين القوسين من الحديث فيما رواه صاحب اللسان ، لأنه فى السنن : « كأنها الحذف » ، وفى اللسان أيضاً « كأنها بنات حذف » . أما المطبوعة فقد ضم الكلام بعضه إلى بعض ، مع أنه كان فى المخطوطة ، بياض بين « لا يتخللکم » ، وبين « أولاد الحذف » ، وفى الهامش حرف (ط) دلالة على الخطأ .

و « الحذف » ضأن سود جرد صغار ، ليس لها أذان ولا أذنان ، يجاء بها إلى الحجاز من جرش اليمن ، واحدها « حذفة » (بفتح الحاء) ، شبه الشياطين بها .

(٢) انظر تفسير « الفتنه » فيما سلف ص : ٨٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) « عكمه » و « عكم له » ، هو أن يسوى له الأعدال على الدابة ويشدها .

(٤) انظر تفسير « بغى » فيما سلف ١٣ : ٨٤ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

ثم انظر مثل هذا التفصيل فيما سلف ٧ : ٥٣ .

معمر ، عن قتادة : « ولأوضعوا خلالكم » ، بينكم = « ييغونكم الفتنة » ، بذلك .
 ١٦٧٧٢ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ،
 عن قتادة قوله : « ولأوضعوا خلالكم » ، يقول : [ولأوضعوا بينكم] ، خلالكم ، بالفتنة . (١)
 ١٦٧٧٣ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا
 عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ولأوضعوا خلالكم ييغونكم الفتنة » ،
 يبطئونكم قال : رفاعه بن تابوت ، وعبد الله بن أبي ابن سلول ، وأوس بن قيطي .
 ١٦٧٧٤ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن
 ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « ولأوضعوا خلالكم » ، قال : لأسرعوا الأزقة (٢)
 = « خلالكم ييغونكم الفتنة » ، يبطئونكم = عبد الله بن نبتل ، ورفاعة بن تابوت ،
 وعبد الله بن أبي ابن سلول .

١٦٧٧٥ — قال حدثنا الحسين قال ، حدثني أبو سفيان ، عن
 معمر ، عن قتادة : « ولأوضعوا خلالكم » ، قال : لأسرعوا خلالكم ييغونكم
 الفتنة بذلك .

١٦٧٧٦ — حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله :
 « لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً » ، قال : هؤلاء المنافقون في غزوة تبوك .
 يسألني الله عنه نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فقال : وما يُحزنكم ؟ لو خرجوا فيكم
 ما زادوكم إلا خبالاً ! يقولون : « قد جُمع لكم ، وفُعِل وفُعِل ، يخذلونكم » = « ولأوضعوا
 خلالكم ييغونكم الفتنة » ، الكفر .

* * *

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « ولأضعوا أسلحتهم خلالكم بالفتنة » ، وهو لا يفيد معنى ،
 وظنى أن « أسلحتهم » هي « بينكم » ، وهو تفسير « خلالكم » كما مر في أثر قتادة السالف ، ولكنه
 آخر اللفظ الذي فسرهُ وهو « خلالكم » .

(٢) هكذا في المطبوعة والمخطوطة : « الأزقة » ، وهو جمع « زقاق » بضم الزاي ، وهو الطريق
 الضيق ، دون السكة ، وجعل « الأزقة » مفعولاً لقوله : « أسرعوا » ، غريب ، وأخشى أن يكون في
 الكلام خلل أو تصحيف .

وأما قوله : « وفيكم سمّاعون لهم » ، فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله .
فقال بعضهم : معنى ذلك : وفيكم سماعون لحديثكم لهم ، يؤدّونه إليهم ،
عون لهم عليكم .
* ذكر من قال ذلك :

١٦٧٧٧ — حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا
عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وفيكم سماعون لهم » ، يحدثون أحاديثكم ،
عيون غير منافقين .

١٦٧٧٨ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن
ابن جريج ، عن مجاهد : « وفيكم سماعون لهم » ، قال : يحدثون ، عيون ، غير
المنافقين .^(١)

١٦٧٧٩ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في
قوله : « وفيكم سماعون لهم » ، يسمعون ما يؤدّونه لعدوّكم .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وفيكم من يسمع كلامهم ويطيع لهم .
* ذكر من قال ذلك :

١٦٧٨٠ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة :
« وفيكم سماعون لهم » ، وفيكم من يسمع كلامهم .

١٦٧٨١ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال :
كان الذين استأذنوا ، فيما بلغني ، من ذوى الشرف ، منهم عبد الله بن أبي ابن
سلول ، والحدّ بن قيس ، وكانوا أشرافاً في قومهم ، فنبطهم الله ، لعلمه بهم : أن
يخرجوا معهم ، فيفسدوا عليه جنده . وكان في جنده قوم أهل محبة لهم وطاعة فيما
يدعونهم إليه ، لشرفهم فيهم ، فقال : « وفيكم سمّاعون لهم » .^(٢)

(١) في المطبوعة : « غير منافقين » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) الأثر : ١٦٧٨١ — صدر هذا الخبر مضى برقم : ١٦٧٧٠ ، وساقه هنا فيما بعد ، وهو

في سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٤ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٧٦٢ .

قال أبو جعفر : فعلى هذا التأويل : وفيكم أهلٌ سمع وطاعة منكم ، لو
صحبوكم أفسدوهم عليكم ، بتبسيطهم إياهم عن السير معكم .
وأما على التأويل الأول ، فإن معناه : وفيكم منهم سمّاعون يسمعون حديثكم
لهم ، فيبلغونهم ويؤدونه إليهم ، عيون لهم عليكم .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين عندى فى ذلك بالصواب ، تأويلٌ من قال :
معناه : « وفيكم سمّاعون لحديثكم لهم ، يبلغونه عنكم ، عيون لهم » ، لأن الأغلب
من كلام العرب فى قولهم : « سمّاع » ، وصف من وصف به أنه سمّاع للكلام ، كما
قال الله جل ثناؤه فى غير موضع من كتابه : ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ ﴾ [سورة المائدة
٤١] ، واصفاً بذلك قوماً بسماع الكذب من الحديث . وأما إذا وصفوا الرجل
بسماع كلام الرجل وأمره ونهيه وقبوله منه وانتهائه إليه ، فإنما تصفه بأنه : « له سامع
مطيع » ، ولا تكاد تقول : « هو سماع مطيع » .^(١)

* * *

وأما قوله : « والله عليم بالظالمين » ، فإن معناه : والله ذو علم بمن يوجّه أفعاله
إلى غير وجوهها ، ويضعها فى غير مواضعها ، ومن يستأذن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لعذر ، ومن يستأذنه شكاً فى الإسلام ونفاقاً ، ومن يسمع حديث
المؤمنين ليخبر به المنافقين ، ومن يسمعه ليسراً بما سرّ به المؤمنون ،^(٢) ويساء
بما ساءهم ، لا يخفى عليه شىء من سرائر خلقه وعلايتهم .^(٣)

* * *

وقد بينا معنى « الظلم » فى غير موضع من كتابنا هذا ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .^(٤)

* * *

(١) انظر تفسير « سماع » فيما سلف ١٠ : ٣٠٩ .

(٢) فى المطبوعة : « بما سر المؤمنين » ، وفى المخطوطة : « بما سر المؤمنون » ، وصوابها ما أثبت .

(٣) انظر تفسير « عليم » فيما سلف من فهارس اللغة (علم) .

(٤) انظر تفسير « الظلم » فيما سلف من فهارس اللغة (ظلم) .

القول في تأويل قوله ﴿ لَقَدْ ابْتَغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ
وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ (٤٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : لقد التمس هؤلاء المنافقون الفتنة لأصحابك ، يا محمد ، التمسوا صدهم عن دينهم^(١) ، وحرصوا على ردّهم إلى الكفر بالتخذيل عنه ،^(٢) كفعل عبد الله بن أبي بك وبأصحابك يوم أحد ، حين انصرف عنك بمن تبعه من قومه . وذلك كان ابتغاءهم ما كانوا ابتغوا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفتنة من قبل . ويعنى بقوله : « من قبل » ، من قبل هذا = « وقلبوا لك الأمور » ، يقول : وأجالوا فيك وفي إبطال الدين الذي بعثك به الله الرأى بالتخذيل عنك ،^(٣) وإنكار ما تأتئهم به ، وردّه عليك = « حتى جاء الحق » ، يقول : حتى جاء نصر الله = « وظهر أمر الله » ، يقول : وظهر دين الله الذي أمر به وافترضه على خلقه ، وهو الإسلام^(٤) = « وهم كارهون » ، يقول : والمنافقون بظهور أمر الله ونصره إياك كارهون .^(٥) وكذلك الآن ، يظهر الله ويظهر دينه على الذين كفروا من الروم وغيرهم من أهل الكفر به ، وهم كارهون .

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك .

١٦٧٨٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وقلبوا

(١) انظر تفسير « ابتغى » فيما سلف قريبا ص : ٢٧٩ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الفتنة » فيما سلف ص : ٢٧٩ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « التخليب » فيما سلف ١٢ : ٤٤ ، ٤٥ ، ومادة (قلب) في فهارس اللغة .

(٤) انظر تفسير « الظهور » فيما سلف ص : ٢١٤ ، ٢١٥ .

(٥) انظر تفسير « الكره » فيما سلف ص : ٢٧٦ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

لك الأمور» ، أى : ليخذوا عنك أصحابك ، ويردوا عليك أمرك = « حتى جاء الحق وظهر أمر الله » . (١)

* * *

وذكر أن هذه الآية نزلت في نفرٍ مسمَّين بأعيانهم .

١٦٧٨٣ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن عمرو ، عن الحسن قوله : « وقلبوا لك الأمور » ، قال : منهم عبد الله بن أبي ابن سلول ، وعبد الله بن نبتل أخو بني عمرو بن عوف ، ورفاعة بن رافع ، وزيد ابن ثابت القينقاعي . (٢)

* * *

وكان تخذيل عبد الله بن أبي أصحابه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الغزاة ، كالذى : -

١٦٧٨٤ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن الزهرى ، ويزيد بن رومان ، وعبد الله بن أبي بكر ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وغيرهم ، كلٌّ قد حدث في غزوة تبوك ما بلغه عنها ، وبعض القوم يحدث ما لم يحدث بعضٌ ، وكلٌّ قد اجتمع حديثه في هذا الحديث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم ، وذلك في زمان عُسرةٍ من الناس ، (٣) وشدة من الحرِّ ، وجَدَبٍ من البلاد ، وحين طاب الثمار ، وأحبَّتِ الظلال ، (٤) فالناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشخوص عنها ، على الحال من الزمان الذى هم عليه . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلماً يخرج في غزوةٍ

(١) الأثر : ١٦٧٨٢ - سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٤ ، وهوتابع الأثر السالف رقم : ١٦٧٨١ .

(٢) الأثر : ١٦٧٨٢ - لم أجده في سيرة ابن هشام . ولكنه في تاريخ الطبرى ٣ : ١٤٣ ،

بمثله .

(٣) في السيرة : « في زمان من عسرة الناس » .

(٤) « وأحبَّتِ الظلال » ليس في سيرة ابن هشام ، وهوثابت في رواية أبي جعفر في التاريخ

٣ : ١٤٢ . وكذلك في المطبوعة : « والناس يحبون » وأثبت ما في المخطوطة ، فهو مطلب السياق .

إِلَّا كُنْتِي عَنْهَا، وأخبر أنه يريد غير الذي يَصْمِدُ له،^(١) إلا ما كان من غزوة تبوك، فإنه بيننا للناس، لبعث الشقّة، وشدة الزمان، وكثرة العدو الذي صمّد له، ليتأهّب الناس لذلك أهْبَتَه. فأمر الناس بالجهاد، وأخبرهم أنه يريد الروم. فتجهّز الناس على ما في أنفسهم من الكره لذلك الوجه، لما فيه، مع ما عظموا من ذكر الروم وغزوهم.^(٢)

= ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جدّ في سفره، فأمر الناس بالجهاد والانكماش،^(٣) وحضّ أهل الغنى على النفقة والحُمْلان في سبيل الله.^(٤)

= فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، ضرب عسكره على ثنية الوداع،^(٥) وضرب عبد الله بن أبي ابن سلول عسكره على حِدّةٍ أسفل منه بجذاء «ذُبَاب»^(٦)

= جبل بالجبانة أسفل من ثنية الوداع = وكان فيما يزعمون، ليس بأقل العسكرين. ١٠٤/١٠
فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم، تخلف عنه عبد الله بن أبي فيمن تخلف

(١) « صمد للأمر يصمد » ، قصده قصداً .

(٢) هذه الجملة الأخيرة من أول قوله : « فتجهّز الناس » ، لم أجدها في هذا الموضع من سيرة ابن هشام ٤ : ١٥٩ ، وسأذكر موضع ما يليه في التخريج ، فإنه قد أسقط ما بعد ذلك ، حتى بلغ ما بعده .

(٣) « الانكماش » الإسراع والجد في العمل والطلب .

(٤) « الحُمْلان » (يضم فسكون) مصدر مثل « الحمل » ، يريد : حمل . من لا دابة له على دابة يركبها في وجهه هذا .

وهذه الجملة من أول قوله : « ثم إن رسول الله » ، إلى هذا الموضع ، في سيرة ابن هشام ٤ : ١٦١ ، والذي يليه من موضع آخر سأبينه .

(٥) وهذه الجملة مفردة في سيرة ابن هشام ٤ : ١٦٢ ، بعدها كلام حذفه أبو جعفر ، ووصله بما بعده .

(٦) في المطبوعة والمخطوطة : « على ذى حدة » ، وكان في المخطوطة كتب قبل « ذى » « دين » ثم ضرب عليها . ولم أجدهم قالوا : « على ذى حدة » ، يؤيد صواب ذلك أن ابن هشام قال : « على حدة » ، وذكر أبو جعفر هذا الخبر في تاريخه ٣ : ١٤٣ ، فيه أيضاً « على حدة » ، فن أجل ذلك أغفلت ما كان في المطبوعة والمخطوطة = وكان في المطبوعة ، وفي سيرة ابن هشام « نحو ذباب » ، وفي المخطوطة : « محوا » ، والألف مطبوعة قصيرة ، والذي في التاريخ ما أثبتته « بجذاء » ، وهو الصواب الذي لا شك فيه . وبيان موضع الجبل ، ليس مذكوراً في السيرة ، وهو مذكور في التاريخ .

من المنافقين وأهل الريب . وكان عبد الله بن أبي ، أخا بى عوف بن الخزرج ،
وعبد الله بن نبتل ، أخا بنى عمرو بن عوف ، ورفاعة بن زيد بن التابوت ،^(١)
أخا بنى قينقاع ، وكانوا من عظماء المنافقين ، وكانوا ممن يكيد للإسلام وأهله .
= قال : وفيهم ، فيما حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن
إسحق ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن البصرى ، أنزل الله : « لقد ابتغوا
الفتنة من قبل » ، الآية .^(٢)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ أُذْنِي لِي وَلَا
تَفْتِنَنِي إِلَّا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾^(٣)

قال أبو جعفر : وذكر أن هذه الآية نزلت فى الجحد بن قيس .

* * *

ويعنى جل ثناؤه بقوله : « ومنهم » ، ومن المنافقين = « من يقول ائذن لى » ،
أقم فلا أشخصُ معك = « ولا تفتنى » ، يقول : ولا تبتلنى برؤية نساء بنى الأصفر
وبنائهم ، فإننى بالنساء مغرمٌ ، فأخرج وأنتم بذلك .^(٣)

* * *

وبذلك من التأويل تظاهرت الأخبار عن أهل التأويل .

* ذكر الرواية بذلك عن قاله :

١٦٧٨٥ - حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا

(١) فى المطبوعة : « رفاعة بن يزيد » ، وهو خطأ ، صوابه من المخطوطة ، والتاريخ .

(٢) الأثر : ١٦٧٨٤ - هذا خبر مفرق ، ذكرت مواضعه فيما سلف ، وهو فى سيرة ابن هشام
٤ : ١٥٩ / ثم ٤ : ١٦١ / ثم ٤ : ١٦١ / ثم ٤ : ١٦٢ ، وهو بتمامه فى تاريخ الطبرى ٣ : ١٤٢ ،
١٤٣ . والجزء الأخير من هذا الخبر ، مضى برقم ١٦٨٧٣

(٣) انظر تفسير « الفتنة » فيما سلف ص ٢٨٣ ، تعليق ٢ ، والمراجع هناك

عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « ائذن لي ولا تفتني » ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اغزوا تبوك ، تغنموا بنات الأصفر ونساء الروم ! فقال الجدد : ائذن لنا ، ولا تفتننا بالنساء .

١٦٧٨٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قالوا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اغزوا تغنموا بنات الأصفر = يعني نساء الروم ، ثم ذكر مثله .

١٦٧٨٧ — قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس قوله : « ائذن لي ولا تفتني » ، قال : هو الجدد بن قيس ، قال : قد علمت الأنصار أني إذا رأيت النساء لم أصبر حتى أفتن ، ولكن أعينك بمالي .

١٦٧٨٨ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن الزهري ، ويزيد بن رومان ، وعبد الله بن أبي بكر ، وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو في جهازه ، للجد ابن قيس أخى بنى سلمة : هل لك يا جدُّ العام في جلاد بنى الأصفر ؟ فقال : يا رسول الله ، أو تأذن لي ولا تفتني ، فوالله لقد عرف قومي ما رجل أشدَّ عُجباً بالنساء مني ، وإنني أخشى إن رأيت نساء بنى الأصفر أن لا أصبر عنهن ! فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : قد أذنت لك ! ففي الجدد بن قيس نزلت هذه الآية : « ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني » الآية ، أي : إن كان إنما يخشى الفتنة من نساء بنى الأصفر وليس ذلك به ، فما سقط فيه من الفتنة بتخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والرغبة بنفسه عن نفسه ، أعظم .^(١)

١٦٧٨٩ — حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في

(١) الأثر : ١٦٧٨٨ — سيرة ابن هشام ٤ : ١٥٩ ، ١٦٠ ، وهو تابع صدر الأثر السالف رقم : ١٦٧٨٤ ، بعمه قوله هناك : « وأخبرهم أنه يريد الروم » ، وبين الذي رواه أبو جعفر ، وما في السيرة خلاف يسير في ختام الخبر .

قوله : « ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى » ، قال : هو رجل من المنافقين يقال له جَدُّ بن قيس ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : العام نغزو بنى الأصفر ونتخذ منهم سرارى ووصفاء^(١) = فقال : أى رسول الله ، ائذن لى ولا تفتنى ، إن لم تأذن لى افتتنت وقعدت !^(٢) وغضب [رسول الله صلى الله عليه وسلم] ،^(٣) فقال الله : « ألا فى الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين » . وكان من بنى سلمة ، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : من سيدكم يا بنى سلمة ؟ فقالوا : جدُّ بن قيس ، غير أنه بخيلٌ جبان ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : وأى داءٍ أدوى من البخل ، ولكن سيدكم الفتى الأبيض ، الجعدُ : بشر بن البراء بن معرور .^(٤)

١٦٧٩٠ - حدثني المثنى قال : حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية عن علي ، عن ابن عباس قوله : « ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى » ، يقول : ائذن لى ولا تحرجنى = « ألا فى الفتنة سقطوا » ، يعنى : فى الحرج سقطوا .

١٦٧٩١ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى » ، ولا تؤمننى ، ألا فى الإثم سقطوا .

* * *

(١) فى المطبوعة : « سرارى ووصفاناً » ، والصواب من المخطوطة . و « الوصفاء » جمع « وصيف » ، والأثنى « وصيفة » ، وجمعها « وصائف » ، وهو الخادم الغلام الشاب ، ومثله الخادمة .

(٢) فى المطبوعة : « وقعت » ، مكان « وقعدت » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وأراد القمود عن الخروج إلى الغزوة خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) فى المطبوعة : « فغضب » ، وفى المخطوطة : « وغضب » ، وظاهر أنه سقط من الخبر ما أثبتته بين القوسين .

(٤) فى المطبوعة : « الجعد الشعر البراء بن معرور » ، غير ما كان فى المخطوطة ، وهو الصواب المحض ، فإن الخبر هو خبر « بشر بن البراء بن معرور » فى تسويده على بنى سلمة . وأما أبوه « البراء بن معرور » ، فهو من أول من بايع بيعة العقبة الأولى ، وأول من استقبل القبلة ، وأول من أوصى بثلاث ماله ، وهو أحد الثقباء ، ومات قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قبل مقدم رسول الله المدينة بشهر ، ولما دفنوه ، وجهوا قبره إلى القبلة .

ويقال : « رجل جعد » ، يراد به أنه مدمج الخلق ، معصوب الجوارح ، شديد الأسر ، غير مسترخ ولا مضطرب ، وهو من حلية الكرم . ويراد به أيضاً : جمودة الشعر ، وهو مبدج العرب ، لأن سهولة الشعر إنما هى فى الروم وفى الفرس . وإنما أراد فى الخبر المعنى الأول .

وقوله : « وإن جهنم لمحيطة بالكافرين » ، يقول : وإن النار لمحيطة بمن كفر بالله وحده آياته وكذب رسله ، محذقة بهم ، جامعة لهم جميعاً يوم القيامة . (١)
يقول : فكفى للجدّ بن قيس وأشكاله من المنافقين بصليتها خزيًا .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَيتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴾ (٥٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، إن يصيبك سرورٌ بفتح الله عليك أرض الروم في غزاتك هذه ، (٢) يسؤ الجدّ ابن قيس ونظراءه وأشياعهم من المنافقين ، وإن تصيبك مصيبة بفلول جيشك فيها ، (٣) يقول الجد ونظراؤه : « قد أخذنا أمرنا من قبل » ، أى : قد أخذنا حذرنا بتخلفنا عن محمد ، وترك أتباعه إلى عدوه = « من قبل » ، يقول : من قبل أن تصيبه هذه المصيبة = « ويتولوا وهم فرحون » ، يقول : ويرتدوا عن محمد وهم فرحون بما أصاب محمداً وأصحابه من المصيبة ، (٤) بفلول أصحابه وانهزامهم عنه ، (٣) وقتل من قُتل منهم .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

- (١) انظر تفسير « الإحاطة » فيما سلف ١٣ : ٥٨١ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الإصابة » فيما سلف ١٣ : ٤٧٣ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « الحسنه » فيما سلف من فهارس اللغة (حسن) .
(٣) الفلول ، مصدر « فل » ، لازماً ، بمعنى : انهزم . وقد مرّ آنفاً فى كلام الطبرى أيضاً ، ولم أجد له ذكراً فى كتب اللغة . انظر ما سلف ٧ : ٣١٣ ، تعليق : ٣ ، وما قلته فى تصحيح ذلك استظهاراً من قولهم : « من فل ذل » ، أى : من انهزم وفر عن عدوه ، ذل .
(٤) انظر تفسير « التولى » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .

* ذكر من قال ذلك :

- ١٦٧٩٢ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « إن تصبك حسنة تسؤهم » ، يقول : إن تصبك في سفرك هذه الغزوة تبوك = « حسنة تسؤهم » ، قال : الجدة وأصحابه .
- ١٦٧٩٣ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « قد أخذنا أمرنا من قبل » ، حدثنا .
- ١٦٧٩٤ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « قد أخذنا أمرنا من قبل » ، قال : حدثنا .
- ١٦٧٩٥ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إن تصبك حسنة تسؤهم » ، إن كان فتح للمسلمين ، كبر ذلك عليهم وساء لهم .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ قُلْ لَّنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٥١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره ، مؤدباً نبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « قل » ، يا محمد ، لهؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عنك ، لن يصيبنا ، أيها المرتابون في دينهم = « إلا ما كتب الله لنا » ، في اللوح المحفوظ ، وقضاه علينا ^(١) = « هو مولانا » ، يقول : هو ناصرنا على أعدائه ^(٢) = « وعلى الله فليتوكل المؤمنون » ،

(١) انظر تفسير « كتب » فيما سلف من فهارس اللغة (كتب) .

(٢) انظر تفسير « المولى » فيما سلف من فهارس اللغة (ولي) .

يقول : وعلى الله فليتوكل المؤمنون ، فإنهم إن يتوكلوا عليه ، ولم يرجئوا النصر من عند غيره ، ولم يخافوا شيئاً غيره ، يكفهم أمورهم ، وينصرهم على من بغاهم وكادهم (١).

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِمَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴾ (٥٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « قل » ، يا محمد ، لهؤلاء المنافقين الذين وصفت لك صفتهم وبينت لك أمرهم : هل تنتظرون بنا إلا إحدى الحسنتين اللتين هما أحسن من غيرهما ، (٢) : إما ظفراً بالعدو وفتحاً لنا بغلبتناهم ، ففيها الأجر والغنيمة والسلامة = وإما قتلاً من عدونا لنا ، ففيه الشهادة ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار . وكلتاها مما نحب ولا نكره = « ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده » ، يقول : ونحن ننتظر بكم أن يصيبكم الله بعقوبة من عنده عاجلة ، تهلككم = « أو بأيدينا » ، فنقتلكم = « فتربصوا إنا معكم متربصون » ، يقول : فانتظروا إنا معكم منتظرون ما الله فاعل بنا ، وما إليه صائر أمر كل فريق منا ومنكم .

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

(١) انظر تفسير « التوكل » فيما سلف ص : ٤٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « التربص » فيما سلف ص : ١٧٧ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

= وتفسير « الحسنى » فيما سلف ٩ : ٩٦ ، ٩٧ .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٧٩٦ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين » ، يقول : فتح أو شهادة = وقال مرة أخرى : يقول : القتل ، فهي الشهادة والحياة والرزق . وإما يخزيكم بأيدينا .

١٦٧٩٧ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين » ، يقول : قتل فيه الحياة والرزق ، وإما أن يغلب فيؤتيه الله أجراً عظيماً ، وهو مثل قوله : ﴿ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ، إلى ﴿ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [سورة المائدة : ٧٤] .

١٦٧٩٨ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : « إلا إحدى الحسنيين » ، قال : القتل في سبيل الله ، والظهور على أعدائه .

١٦٧٩٩ - قال ، حدثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج قال : بلغني عن مجاهد قال : القتل في سبيل الله ، والظهور .

١٦٨٠٠ - حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « إحدى الحسنيين » ، القتل في سبيل الله ، والظهور على أعداء الله .

١٦٨٠١ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه = قال ابن جريج ، قال ابن عباس : « بعدا من عنده » ، بالموت = « أو بأيدينا » ، قال : القتل .

١٦٨٠٢ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين » ، إلا فتحاً ، أو قتلاً في سبيل

الله = « ونحن نرَبِّص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا » ، أى : قتل .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ (٥٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : « قل » ، يا محمد ، لهؤلاء المنافقين : أنفقوا كيف شئتم أموالكم فى سفركم هذا وغيره ، وعلى أى حال شئتم ، من حال الطوع والكراهة ، (١) فإنكم إن تنفقوها لن يتقبل الله منكم نفقاتكم ، وأنتم فى شك من دينكم ، وجهل منكم بنبوة نبيكم ، وسوء معرفة منكم بثواب الله وعقابه = « إنكم كنتم قوماً فاسقين » ، يقول : خارجين عن الإيمان بربكم . (٢)

* * *

وخرج قوله : « أنفقوا طوعاً أو كرهاً » ، مخرج الأمر ، ومعناه الجزاء ، (٣) والعرب تفعل ذلك فى الأماكن التى يحسن فيها « إن » ، التى تأتى بمعنى الجزاء ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ [سورة التوبة : ٨٠] ، فهو فى لفظ الأمر ، ومعناه الجزاء ، (٣) ومنه قول الشاعر : (٤)

أَسِيْبِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي ، لَا مَلُومَةٌ لَدَيْنَا ، وَلَا مَقْلِيَّةٌ إِنْ تَقَلَّتْ (٥)

(١) انظر تفسير « الطوع » فيما سلف ٦ : ٥٦٤ ، ٥٦٥ .

= وتفسير « الكراهة » فيما سلف ص : ٢٨٣ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الفسق » فيما سلف ١٣ : ١١٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) فى المطبوعة فى الموضعين : « ومعناه الخبر » ، وهو خطأ ، والصواب من المخطوطة ، وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٤١ .

(٤) هو كثير عزة .

(٥) سلف تخريجه وبيانه فى التنسير ٢ : ٢٩٤ ، ولم أشر هناك إلى هذا الموضع ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ٤٤١ .

فكذلك قوله : « أنفقوا طوعاً أو كرهاً ، إنما معناه : إن تنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبل منكم .

* * *

وقيل : إن هذه الآية نزلت في الجعد بن قيس ، حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم ، لما عرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم الخروج معه لغزو الروم : « هذا ما لي أعينك به » .

١٦٨٠٣ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : قال ، الجعد بن قيس : إني إذا رأيت النساء لم أصبر حتى أفتنن ، ولكن أعينك بمالي ! قال : ففيه نزلت : « أنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبل منكم » ، قال : لقوله « أعينك بمالي » .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ (٥٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وما منع هؤلاء المنافقين ، يا محمد ، أن تقبل منهم نفقاتهم التي ينفقونها في سفرهم معك ، وفي غير ذلك من السبل ، إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله .

= ف « أن » الأولى في موضع نصب ، والثانية في موضع رفع ، (١) لأن معنى الكلام : مامنع قبول نفقاتهم إلا كفرهم بالله = « ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى » ،

(١) (١) يعنى بالثانية « أن » المشددة فى « أنهم » ، وأما الأولى فهى « أن » الخفيفة

يقول : لا يأتونها إلا متحافلين بها . (١) إلا أنهم لا يرجون بأدائها ثواباً ، ولا يخافون بتركها عقاباً ، وإنما يقيمونها مخافةً على أنفسهم بتركها من المؤمنين ، فإذا أمنوهم لم يقيموها = «ولا ينفقون» ، يقول : ولا ينفقون من أموالهم شيئاً = «إلا وهم كارهون» ، أن ينفقوه في الوجه الذي ينفقونه فيه ، مما فيه تقوية للإسلام وأهله . (٢)

• • •

القول في تأويل قوله ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (٥٥)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك . فقال بعضهم : معناه : فلا تعجبك ، يا محمد ، أموال هؤلاء المنافقين ولا أولادهم في الحياة الدنيا ، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة . وقال : معنى ذلك التقديم ، وهو مؤخر .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٨٠٤ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم » ، قال : هذه من تقاديم الكلام ، (٣)

(١) انظر تفسير « كسالى » فيما سلف ٩ : ٣٣٠ ، ٣٣١ .

(٢) انظر تفسير « الكره » فيما سلف ص : ٢٩٣ ، تعليق : ١ والمراجع هناك .

(٣) هذه أول مرة أجد استعمال « تقاديم » جمعاً في هذا التفسير . وهى جمع « تقديم » كأمثاله من قولهم « التكاذيب » ، « والتكالييف » ، و « التحاسين » ، و « التقاصيب » ، وما أشبهها . وكان في المخطوطة : « هذه من تقاديم الله ، ليعذبهم بها في الآخرة » ، ولكن ناشر المطبوعة نقل هذا النص الثابت في المطبوعة ، من الدر المنثور ٣ : ٢٤٩ ، وكأنه الصواب ، إن شاء الله ، ولذلك تركته على حاله .

يقول : لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا ، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة .

١٦٨٠٥ - حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا ، بما ألزمهم فيها من فرائضه .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٨٠٦ - حدثت عن المسيب بن شريك ، عن سلمان الأصبهاني ، عن الحسن : « إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا » ، قال : بأخذ الزكاة ، والنفقة في سبيل الله .^(١)

١٦٨٠٧ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا » ، بالمصائب فيها ، هي لهم عذاب ، وهي للمؤمنين أجر .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بالصواب في ذلك عندنا ، التأويل الذي ذكرنا عن الحسن . لأن ذلك هو الظاهر من التنزيل ، فصرف تأويله إلى ما دل عليه ظاهره ، أولى من صرفه إلى باطن لا دلالة على صحته .

وإنما وجه من وجه ذلك إلى التقديم وهو مؤخر ، لأنه لم يعرف لتعذيب الله المنافقين بأموالهم وأولادهم في الحياة الدنيا ، وجهاً يوجهه إليه ، وقال : كيف يعذبهم

(١) الأثر : ١٦٨٠٦ - « المسيب بن شريك التميمي ، أبو سعيد » ، ترك الناس حديثه ، وقال البخاري : « سكتوا عنه » . مترجم في الكبير ٤/١٠٨ ، وابن أبي حاتم ٤/١٠٤ ، وميزان الاعتدال ٣ : ١٧١ ، ولسان الميزان ٦ : ٣٨ .
و « سلمان الأصبهاني » ، هكذا في المخطوطة ، وهو في المطبوعة « الأصبهاني » ، ولم أستطع أن أعرف شيئاً عن هذا الاسم

بذلك في الدنيا وهي لهم فيها سرور ؟ وذهب عنه توجيهه إلى أنه من عظيم العذاب عليه ، إلزامه ما أوجب الله عليه فيها من حقوقه وفرائضه ، إذ كان يلزمه ويؤخذ منه وهو غير طيب النفس ، ولا راجٍ من الله جزاءً ، ولا من الأخذ منه حمداً ولا شكراً ، على ضجرٍ منه وكُرهٍ .

* * *

وأما قوله : « وتزهق أنفسهم وهم كافرون » ، فإنه يعنى ونخرج أنفسهم ، فيموتوا على كفرهم بالله ، وجحودهم نبوة نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم .

* * *

يقال منه : « زَهَقَتْ نفس فلان ، وزَهَقَتْ » ، فمن قال : « زَهَقَتْ » قال : « تَزَهَقَ » ، ومن قال : « زَهَقَتْ » ، قال : « تَزَهَقُ » ، « زَهُوقاً » ، ومنه قيل : « زَهَقَ فلان بين أيدي القوم يَزْهَقُ زُهُوقاً » إذا سبقهم فتقدمهم . ويقال : « زهق الباطل » ، إذا ذهب ودرس .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَيَخْلَفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنَكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴾ (٥٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ويخلف بالله لكم ، أيها المؤمنون ، هؤلاء المنافقون ، كذباً وباطلاً ، خوفاً منكم : « إنهم لمنكم » في الدين والملة . يقول الله تعالى ، مكذباً لهم : « وما هم منكم » ، أى : ليسوا من أهل دينكم وملتكم ، بل هم أهل

(١) لا أدري ما هذا ، فإن أصحاب اللغة لم يذكروا في مضارع اللتين إلا « تزهق » بفتح الهاء ، أما الأخرى فلا أدري ما تكون ، ولا أجد لها عندى وجهاً ، فتركتها على حالها لم أضبطلها .

شك ونفاق = « ولكنهم قوم يفرقون » ، يقول : ولكنهم قوم يخافونكم ، فهم خوفاً منكم يقولون بالسنتهم : « إنا منكم » ، ليأمنوا فيكم فلا يقتلوا .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغْرَاتٍ أَوْ مَدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴾ (٥٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : لو يجد هؤلاء المنافقون « ملجأ » ، يقول : عَصْرًا يعتصرون به من حصن ، ومعقلاً يعتقلون فيه منكم = « أو مغارات » ،

* * *

= وهي الغيران في الجبال ، واحداً منها : « مَغَارَةٌ » ، وهي « مفعلة » ، من : « غار الرجل في الشيء » ، يغور فيه ، إذا دخل ، ومنه قيل ، « غارت العين » ، إذا دخلت في الحديقة .

* * *

= « أو مدخلاً » يقول : سرّياً في الأرض يدخلون فيه .

* * *

وقال ، « أو مدخلاً » ، لأنه من « ادَّخَلَ يَدْخُلُ » . (١)

* * *

وقوله : « لَوَلَّوْا إِلَيْهِ » يقول : لأدبروا إليه ، هرباً منكم (٢) = « وهم يجمحون » . يقول : وهم يسرعون في مشيهم .

* * *

وقيل : إن « الجمحاح » مشى بين المشيين ، (٣) ومنه قول مهلهل :

(١) في المطبوعة : « أو مدخلا الآية » ، لأنه ، وهو خطأ في الطباعة فيما أرجح ، زاد « الآية » لشبهه بقوله : « لأنه » بعده ، وخالف الطابع المصحح ، فأثبت له ما صححه !!
(٢) انظر تفسير « التولي » فيما سلف من فهارس اللغة (تولي) .
(٣) هذا نص نادر لا تجده في كتب اللغة ، فليقيد فيها هو وشاهده .

لَقَدْ جَمَعْتُ جَاهَا فِي دِمَائِهِمْ حَتَّى رَأَيْتُ ذَوِي أَحْسَابِهِمْ يَتَخَدُّونَ^(١)

* * *

١٠٨/١٠ وإنما وصفهم الله بما وصفهم به من هذه الصفة، لأنهم إنما قاموا بين أظهر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على كفرهم ونفاقهم وعداوتهم لهم ولما هم عليه من الإيمان بالله وبرسوله، لأنهم كانوا في قومهم وعشيرتهم وفي دورهم وأموالهم، فلم يقدروا على ترك ذلك وفراقه، فصانعوا القوم بالنفاق، ودافعوا عن أنفسهم وأموالهم وأولادهم بالكفر ودعوى الإيمان، وفي أنفسهم ما فيها من بغض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل الإيمان به والعداوة لهم. فقال الله، واصفهم بما في ضمائرهم: «لو يجدون ملجأ أو مغارات»، الآية.

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك :

١٦٨٠٨ - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثني معاوية عن علي، عن ابن عباس قوله: «لو يجدون ملجأ»، «الملجأ»، الحرز في الجبال، «والمغارات»، الغيران في الجبال. وقوله: «أو مدخلًا»، و«المدخل»، السرب.

١٦٨٠٩ - حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: «لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلًا» لولوا إليه وهم يجمعون، «ملجأ»، يقول: حرزًا = «أو مغارات»، يعني الغيران = «أو مدخلًا»، يقول: ذهابًا في الأرض، وهو النفق في الأرض، وهو السرب.

١٦٨١٠ - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا

(١) لم أجد هذا البيت فيما وقفت عليه من شعر مهلهل. وقوله: «خدا»، أي: سكنوا فانتوا، كما تنطق الجمرة.

عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلًا » ، قال : حرزاً لهم يفرُّون إليه منكم .

١٦٨١١ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلًا » ، قال : محرزاً لهم ، لفرُّوا إليه منكم = وقال ابن عباس : قوله : « لو يجدون ملجأ » ، حرزاً = « أو مغارات » ، قال : الغيران = « أو مدخلًا » ، قال : نفقاً في الأرض .
١٦٨١٢ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة : « لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلًا » ، يقول : « لو يجدون ملجأ » ، حصوناً = « أو مغارات » ، غير أننا = « أو مدخلًا » ، أسراباً = « لولوا إليه وهم يجمعون » .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَّمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ ﴾ (٥٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ومن المنافقين الذين وصفت لك ، يا محمد ، صفتهم في هذه الآيات = « من يلمزك في الصدقات » ، يقول : يعيبك في أمرها ، ويبطئن عليك فيها .

* * *

يقال منه : « لمز فلان فلاناً يَلْمِزُهُ ، وَيَلْمِزُهُ » إذا عابه وقرصه ، وكذلك « همزه » ، ومنه قيل : « فلان هُمَزَةٌ لُّمَزَةٌ » ، ومنه قول رؤبة :

قَارَبْتُ بَيْنَ عَنَقِي وَجَزِي فِي ظِلِّ عَصْرِي بَاطِلِي وَلَمَزِي (١)

(١) ديوانه : ٦٤ ، من رجزه في أبان بن الوليد البجل ، ثم ذكر فيها نفسه ، فقال :

ومنه قول الآخر : (١)

إِذَا لَقِيتُكَ تُبْدِي لِي مُكَاشَرَةً وَإِنْ أُغِيبَ، فَأَنْتَ الْعَائِبُ الْمَزَّةُ (٢)

* * *

= « فَإِنْ أَعْطَوْا مِنْهَا رَضُوا » ، يقول : ليس بهم في عيبي إياك فيها ، وطعنهم عليك بسببها ، الدين ، ولكن الغضب لأنفسهم ، فَإِنْ أَنْتَ أَعْطَيْتَهُمْ مِنْهَا مَا يَرْضِيهِمْ رَضُوا عَنْكَ ، وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَعْطِهِمْ مِنْهَا سَخَطُوا عَلَيْكَ وَعَابُوكَ .

* * *

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

فَإِنْ تَرَبَّنِي الْيَوْمَ أُمٌّ حَزْرٍ قَارَبْتُ بَيْنَ عَنَقِي وَجَمْرِي
مِنْ بَعْدِ تَقْمَاصِ الشَّبَابِ الْأَبْزِ فِي ظِلِّ عَصْرِي بَاطِلِي وَلَمْزِي
فَكُلُّ بَدْءٍ صَالِحٍ أَوْ نَقَرٍ لَاقِي حِمَامِ الْأَجَلِ الْمُجْتَزِ

« أم حمز » ، يعنى « أم حمزة » . و « العنق » ضرب من العدو ، و « الحمز » فوق العنق ، ودون الحضر ، وهو العدو الشديد . يعنى ما تقارب من جريه لما كبر . و « تقمص الشبَاب » ، من « القمص » ، « قمص الفرس » ، إذا نفر واستن ، وهو أن يرفع يديه ويطرهما معاً ، ويمجن برجليه . و « التقمص » مصدر لم تذكره كتب اللغة . و « الأبز » : الشديد الوثب ، المتطلق في عدوه ، يقال : « طوى أبوز ، وأباز » ، ولم يذكرها في الصفات « الأبز » ، وهو هنا صفة بالمصدر . و « البدء » : السيد الشاب المقدم المستجد الرأى . و « النقز » (بكسر النون) : الخسيس الرذال من الناس . (١) هو زياد الأعجم .

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٢٦٣ ، إصلاح المنطق : ٤٧٥ ، والجمهرة لابن دريد ٣ : ١٨ ، والمقاييس ٦ : ٦٦ ، واللسان (همز) ، وسيأتي في التفسير ٣٠ : ١٨٨ (بولاق) بغير هذه الرواية ، وهى :

تُدْلِي بِوُدِّ إِذَا لَا قِيَتْنِي كَذِبًا وَإِنْ أُغِيبَ فَأَنْتَ الْهَامِزُ الْمَزَّةُ

وهى رواية ابن السكيت ، وابن فارس ، والطبري بعد ، ورواية ابن دريد ، وصاحب اللسان ، وابن دريد .

* إِذَا لَقِيتُكَ عَنْ شَحْطِ تُكَاشِرُنِي *

، قوله : « وَإِنْ أُغِيبَ » بالبناء للمجهول ، لا كما ضبط في مجاز القرآن .

١٦٨١٧ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : « ومنهم من يلمزك في الصدقات » ، قال : يروذك . (١)

١٦٨١٨ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « ومنهم من يلمزك في الصدقات » ، يروذك ويسألك ، (١) قال ابن جريج : وأخبرني داود بن أبي عاصم قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم بصدقة فقسمها ههنا وههنا حتى ذهبت . قال : ورآه رجل من الأنصار فقال : ما هذا بالعدل ؟ فنزلت هذه الآية .

١٦٨١٩ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ١٠٩/١٠ قوله : « ومنهم من يلمزك في الصدقات » ، يقول : ومنهم من يطعنُ عليك في الصدقات . وذكر لنا أن رجلاً من أهل البادية حديث عهد بأعرابية ، أتى نبي الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم ذهباً وفضة ، فقال : يا محمد ، والله لئن كان الله أمرك أن تعدل ، ما عدلت ! فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم : ويلك ! فن ذابعدل عليك بعدى ! ثم قال نبي الله صلى الله عليه وسلم : احذروا هذا وأشباهه فإن في أمتي أشباه هذا ، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، فإذا خرجوا فاقتلوهم ، ثم إذا خرجوا فاقتلوهم ، ثم إذا خرجوا فاقتلوهم . وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم ، كان يقول : والذي نفسي بيده ، ما أعطيك شيئاً ولا أمنعكموه ، إنما أنا خازن .

١٦٨١٦ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « ومنهم من يلمزك في الصدقات » ، قال : يطعن .

١٦٨١٧ — قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ،

(١) « رازة يروزة روزاً » ، اختبره وامتنعته ، وقد ذكر هذا الخبر في المعاجم من كلام مجاهد ، وفسروه فقالوا : « يقال : رزت ما عند فلان ، إذا اختبرته وامتنعته والمعنى : يمتحنك ويفتق أمرك ، هل تخاف لامتته أم لا »

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي سعيد قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم قسمًا ، إذ جاءه ابن ذى الحويرة التيمي ، ^(١) فقال : اعدل ، يا رسول الله ! فقال : ويلك ، ومن يعدل إن لم أعدل ! فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، إئذن لي فأضرب عنقه ! قال : دعه ، فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، ^(٢) وصيامه مع صيامهم ، يمرقون من الدين كما يمرق الهم من الرمية ، ^(٣) فينظر في قُذَذه فلا ينظر شيئاً ، ^(٤) ثم ينظر في نصّله ، فلا يجد شيئاً ، ثم ينظر في رصافه فلا يجد شيئاً ، ^(٥) قد سبق الفَرث والدم ، ^(٦) آيتهم رجل أسود ، ^(٧) إحدى يده = أو قال : يديه = مثل ثدى المرأة ، أو مثل البضعة تدرّدر ، ^(٨) يخرجون على حين فترة من الناس . قال : فتزلت : « ومنهم من يلزمك في الصدقات » = قال أبو سعيد : أشهد أنى سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشهد أن علياً رحمة الله عليه حين قتلهم ، جىء بالرجل على النعت الذى نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم . ^(٩)

١٦٨١٧م - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في

- (١) في مسلم والبخارى « ذو الحويرة » ، ليس فيها « ابن » ، وهذا هو المعروف المشهور .
 (٢) في المطبوعة : « يحقر » ، وهى كذلك في رواية الخبر في الصحيحين ، ولكن هكذا جاءت في المخطوطة .
 (٣) « مرق السهم من الرمية » ، خرج من الجانب الآخر خروجاً سريعاً . و « الرمية » ، الرمية ، يعنى الصيد المرى بالسهم ونحوه .
 (٤) « القذ » جمع « قذة » (بضم القاف) ، وهى ريش السهم .
 (٥) « الرصاف » جمع « رصفة » (بفتحات) ، وهى العقبة التى تلوى على موضع الفوق من السهم .

(٦) « الفرث » ، سرجين الدابة ، ما دام فى كرشها .

(٧) « الآية » ، العلامة .

(٨) « البضعة » القطعة من اللحم . « تدردر » ، « تدردر » ، أى : تضطرب .

(٩) الأثر : ١٦٨١٧ - هذا حديث صحيح الإسناد ، رواه البخارى فى صحيحه (الفتح

٦ : ٤٥٥) ومسلم فى صحيحه ٧ : ١٦٥ ، من طريق الزهري ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن . وجاء الخبر من طرق صحاح كثيرة ، انظر شرح البخارى ، وصحيح مسلم .

قوله : « ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون » ، قال : هؤلاء المنافقون ، قالوا : والله ما يعطيها محمد إلا من أحب ، ولا يؤثر بها إلا هواه ! فأخبر الله نبيه ، وأخبرهم أنه إنما جاءت من الله ، وإن هذا أمر من الله ليس من محمد : « إنما الصدقات للفقراء » ، الآية .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾ (٥٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولو أن هؤلاء الذين يلمزونك ، يا محمد ، في الصدقات ، رضوا ما أعطاهم الله ورسوله من عطاء ، وقسم لهم من قسم = « وقالوا حسبنا الله » ، يقول : وقالوا : كافينا الله ، ^(١) = « سيؤتينا الله من فضله ورسوله » ، يقول : سيعطينا الله من فضل خزائنه ، ورسوله من الصدقة وغيرها ^(٢) = « إنا إلى الله راغبون » ، يقول : وقالوا : إنا إلى الله نرغب في أن يوسع علينا من فضله ، فيغنيننا عن الصدقة وغيرها من صلوات الناس والحاجة إليهم .

* * *

(١) انظر تفسير « حسب » فيما سلف ص : ٤٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « آتى » و « فضل » في فهارس اللغة (آتى) ، (فضل) .

القول في تأويل قوله ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهِمَ وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ما الصدقات إلا للفقراء والمساكين ، ^(١) ومن سباهم الله جل ثناؤه .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل في صفة « الفقير » و « المسكين » .

فقال بعضهم : « الفقير » ، المحتاج المتعفف عن المسألة ، و « المسكين » ، المحتاج السائل . ^(٢)

* ذكر من قال ذلك :

١٦٨١٨ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، عن أشعث ، عن الحسن : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين » ، قال : « الفقير » ، الجالس في بيته = و « المسكين » ، الذي يسعى .

١٦٨١٩ - حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين » ، = قال : « المساكين » ، الطوافون ، و « الفقراء » ، فقراء المسلمين .

١٦٨٢٠ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن جرير بن حازم ١١٠/١٠ قال ، حدثني رجل ، عن جابر بن زيد : أنه سئل عن « الفقراء » ، قال : « الفقراء » ، المتعففون ، و « المساكين » ، الذين يسألون .

(١) في المطبوعة : « لا ينال الصدقات » ، وهو كلام غير مستقيم ، والصواب ما كان في المخطوطة ، ولكنه لم يحسن قراءته .

(٢) انظر تفسير « المسكين » فيما سلف ١٣ : ٥٦٠ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

١٦٨٢١ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا معقل بن عبيد الله الجزري قال : سألت الزهري عن قوله : « إنما الصدقات للفقراء » ، قال : الذين في بيوتهم لا يسألون ، و « المساكين » ، الذين يخرجون فيسألون .^(١)

١٦٨٢٢ — حدثنا الحارث قال ، حدثنا القاسم قال ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن عبد الوارث بن سعيد ، عن ابن أبي نجيع ، عن مجاهد قال : « الفقير » ، الذي لا يسأل ، و « المسكين » ، الذي يسأل .

١٦٨٢٣ — حدثنا يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين » ، قال : « الفقراء » ، الذين لا يسألون الناس ، أهل حاجة^(٢) = و « المساكين » ، الذين يسألون الناس .

١٦٨٢٤ — حدثنا الحارث قال ، حدثني عبد العزيز قال ، حدثنا عبد الوارث ، عن ابن أبي نجيع ، عن مجاهد قال : « الفقراء » ، الذين لا يسألون ، و « المساكين » الذين يسألون .

* * *

وقال آخرون : « الفقير » ، هو ذو الزمانة من أهل الحاجة ، و « المسكين » ، هو الصحيح الجسم منهم .^(٣)

* ذكر من قال ذلك :

١٦٨٢٥ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين » ، قال : « الفقير » ، من به زمانة = و « المسكين » ، الصحيح المحتاج .

(١) الأثر : ١٦٨٢١ — « معقل بن عبيد الله الجزري العيسى ، الحراني » ، ثقة ، ليس به بأس . مترجم في التهذيب ، والكبير ٣٩٣/١/٤ ، وابن أبي حاتم ٢٨٦/١/٤ .
وكان في المطبوعة : « الحراني » ، مكان « الجزري » ، وهو صواب ، ولكني أثبت ما كان في المخطوطة .

(٢) في المطبوعة : « وهم أهل حاجة » ، زاد ما ليس في المخطوطة .

(٣) في المطبوعة ، أسقط « منهم » .

١٦٨٢٦ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين » ، أما « الفقير » ، فالزَّمِنُ الذي به زَمَانَةٌ ، وأما « المسكين » ، فهو الذي ليست به زمانة .

* * *

وقال آخرون : « الفقراء » ، فقراء المهاجرين ، و « المساكين » ، من لم يهاجر من المسلمين ، وهو محتاج .
* ذكر من قال ذلك :

١٦٨٢٧ - حدثنا الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا جرير بن حازم ، عن علي بن الحكم ، عن الضحاك بن مزاحم : « إنما الصدقات للفقراء » ، قال : فقراء المهاجرين = و « المساكين » ، الذين لم يهاجروا .^(١)

١٦٨٢٨ - قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم : « إنما الصدقات للفقراء المهاجرين » ، قال سفيان : يعنى : ولا يعطى الأعراب منها شيئاً .

١٦٨٢٩ - حدثنا ابن وكيع قال : حدثني أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم قال : كان يقال : إنما الصدقة لفقراء المهاجرين .

١٦٨٣٠ - قال ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم قال : كانت تجعل الصدقة في فقراء المهاجرين ، وفي سبيل الله .

١٦٨٣١ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ابن جبير ، وسعيد بن عبد الرحمن بن أبزى قالوا :^(٢) كان ناس من المهاجرين لأحدهم الدار ، والزوجة ، والعبد ، والناقة يحج عليها ويغزو ، فنسبهم الله إلى أنهم فقراء ، وجعل لهم سهماً في الزكاة .

١٦٨٣٢ - حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا

(١) الأثر : ١٦٨٢٧ - « على بن الحكم البزاني » ، ثقة ، له أحاديث . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ١٨١/١/٣ .

(٢) في المطبوعة : « قال » ، والصواب من المخطوطة .

سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم قال : كان يقال : إنما الصدقات في فقراء المهاجرين ، وفي سبيل الله .

* * *

وقال آخرون : « المسكين » ، الضعيف الكسب . (١)

* ذكر من قال ذلك :

١٦٨٣٣ - حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية قال ، أخبرنا ابن عون ، عن محمد قال : قال عمر : ليس الفقير بالذى لا مال له ، ولكن الفقير الأخلق الكسب = قال يعقوب : قال ابن علية : « الأخلق » ، المحارف ، عندنا . (٢)
١٦٨٣٤ - حدثنا ابن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أيوب ، عن ابن سيرين : أن عمر بن الخطاب رحمه الله قال : ليس المسكين بالذى لا مال له ، ولكن المسكين الأخلق الكسب .

* * *

وقال بعضهم : « الفقير » ، من المسلمين ، و « المسكين » من أهل الكتاب .
* ذكر من قال ذلك :

١٦٨٣٥ - حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا عمر بن نافع قال : سمعت عكرمة في قوله : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين » ، قال : لا تقولوا لفقراء المسلمين « مساكين » ، إنما « المساكين » ، مساكين أهل الكتاب .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال عندى بالصواب ، قول من قال : « الفقير » ،

١١١/٦٠

(١) في المطبوعة : « الضعيف البئيس » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، وكان فيها : « النسب » ، وهو تحريف ، دل على صوابه الآثار التالية .

(٢) أراد عمر : أن الفقير ، هو الذى لم يقدم لآخرته شيئاً يشاب عليه ، وأن الفقر الأكبر إنما هو فقر الآخرة ، وأن فقر الدنيا أهون الفقرين . و « الأخلق » من قولهم : « هضبة خلقاء » ، ملساء لا نبات بها . وللجبل المصمت الذى لا يؤثر فيه شيء « أخلق » . وفي حديث فاطمة بنت قيس : « أما معاوية ، فرجل أخلق من المال » ، أى : خلو عار منه .

وأما « المحارف » ، كما فسر ابن علية ، فهو المنقوص الحظ ، فهو محدود محروم ، إذا طلب الرزق لم يرزق ، ضد « المبارك » .

هو ذو الفقر والحاجة ، ومع حاجته يتعفف عن مسألة الناس والتذلل لهم ، في هذا الموضوع = « المسكين » هو المحتاج المتذلل للناس بمسألتهم .
وإنما قلنا إن ذلك كذلك ، وإن كان الفريقان لم يُعْطِيا إلا بالفقر والحاجة ، دون الذلة والمسألة ، ^(١) لإجماع الجميع من أهل العلم أن « المسكين » ، إنما يعطى من الصدقة المفروضة بالفقر ، وأن معنى « المسكنة » ، عند العرب ، الذلة ، كما قال الله جل ثناؤه : ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ ﴾ [سورة البقرة : ٦١] ، يعنى بذلك : الهون والذلة ، لا الفقر . فإذا كان الله جل ثناؤه قد صنّف من قسم له من الصدقة المفروضة قسماً بالفقر ، فجعلهم صنفين ، كان معلوماً أن كل صنف منهم غير الآخر . وإذا كان ذلك كذلك ، كان لا شك أن المقسوم له باسم « الفقير » ، غير المقسوم له باسم الفقر و« المسكنة » ، والفقير المعطى ذلك باسم الفقير المطلق ، هو الذى لا مسكنة فيه ، والمعطى باسم المسكنة والفقر ، هو الجامع إلى فقره المسكنة ، وهى الذلّ بالطلب والمسألة .

* * *

= فتأويل الكلام ، إذ كان ذلك معناه : إنما الصدقات للفقراء : المتعفف منهم الذى لا يسأل ، والمتذلل منهم الذى يسأل .

* * *

وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو الذى قلنا فى ذلك خبرٌ .
١٦٨٣٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا إسماعيل بن جعفر ، عن شريك بن أبى نمر ، عن عطاء بن يسار ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس المسكين بالذى تردّه اللقمة واللقمتان ، والتمرة والتمرتان ، إنما المسكين المتعفف ! اقرأوا إن شئتم : ﴿ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْافًا ﴾ ^(٢) [سورة البقرة : ٢٧٣] .

(١) فى المطبوعة : « الذلة والمسكنة » ، والصواب ما فى المخطوطة ، ولم يحسن قراءتها .

(٢) الأثر : ١٦٨٣٦ — إسماعيل بن جعفر بن أبى كثير الأنصارى ، روى له الجماعة ،

ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم : « إنما المسكين المتعفف » ، على نحو ما قد جرى به استعمال الناس من تسميتهم أهل الفقر « مساكين » ، لا على تفصيل المسكين من الفقير .

ومما ينبىء عن أن ذلك كذلك ، انتزاعه صلى الله عليه وسلم بقول الله : ^(١) « اقْرَأُوا إِن شِئْتُمْ : » لا يسألون الناس إلحافاً » ، وذلك فى صفة من ابتدأ ذكره ووصفه بالفقر فقال : « لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا » ، [سورة البقرة : ٢٧٣] .

* * *

وقوله : « والعاملين عليها » ، وهم السعاة فى قبضها من أهلها ، ووضعها فى مستحقّيها ، يعطون ذلك بالسعاية ، أغنياء كانوا أو فقراء .

* * *

وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٨٣٧ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا

معقل بن عبيد الله قال : سألت الزهري عن « العاملين عليها » ، فقال : السعاة .

١٦٨٣٨ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة :

« والعاملين عليها » ، قال : جباة ، الذين يجمعونها ويسعون فيها .

١٦٨٣٩ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد :

و « شريك بن أبي نمر » ، هو « شريك بن عبد الله بن أبي نمر القرشي » ثقة ، روى له البخارى ومسلم ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢٣٧/٢/٢ ، وابن أبي حاتم ٣٦٣/١/٢ . وهذا الخبر رواه البخارى من طريق محمد بن جعفر ، عن شريك بن أبي نمر (الفتح ٨ : ١٥٢) ، ورواه مسلم فى الصحيح من طريق إسماعيل بن جعفر ، عن شريك ، ومن طريق محمد بن جعفر ، عن شريك ، عن عطاء بن يسار ، وعبد الرحمن بن أبي عمرة ، عن أبي هريرة (٧ : ١٢٩) . (١) فى المطبوعة : « انتزاعاً لقول الله » ، وهو خطأ ، صوابه فى المخطوطة . يقال : « انتزع بالآية ، وبالشعر » ، إذا تمثل به .

« والعاملين عليها » ، الذى يعمل عليها .

* * *

ثُمَّ اختلف أهل التأويل فى قدر ما يعطى العامل من ذلك .

فقال بعضهم : يعطى منه الثُّمْنُ .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٨٤٠ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن

حسن بن صالح ، عن جوير ، عن الضحاك قال : للعاملين عليها الثمن من الصدقة .

١٦٨٤١ - حدثت عن مسلم بن خالد ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى

قوله : « والعاملين عليها » ، قال : يأكل العمال من السهم الثامن .

* * *

وقال آخرون : بل يعطى على قدر عُمالته .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٨٤٢ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا عبد الوهاب

ابن عطاء ، عن الأنخضر بن عجلان قال ، حدثنا عطاء بن زهير العامرى ، عن

أبيه : أنه لقي عبد الله بن عمرو بن العاص فسأله عن الصدقة : أى مال هي ؟

فقال : مالُ العُرُجَان والعُورَان والعُمَيَان ، وكل مُنْقَطَع به .^(١) فقال له : إن للعاملين

حقاً والمجاهدين ! قال : إن المجاهدين قوم أحل لهم ، والعاملين عليها على قدر عُمالتهم .^(٢)

ثم قال : لا تحل الصدقة لغنى ، ولا لذى مِرَّةٍ سوى^(٣) .

١١٢/١٠

(١) « منقطع به » (بالبناء للمجهول) ، هو الرجل إذا عجز عن سفره من نفقة ذهب ، أو قامت عليه راحلته ، أو أتاه أمر لا يقدر على أن يتحرك معه . يقال : « قطع به » ، و « انقطع به » .

(٢) فى المطبوعة : « وللعاملين » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) الأثر : ١٦٨٤٢ - « عبد الوهاب بن عطاء الخفاف » ، ثقة ، مضى برقم : ٥٤٢٩ ،

٥٤٣٢ ، ١٠٥٢٢ .

و « الأنخضر بن عجلان الشيباني » ، ثقة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٦٧/٢/١ .

١٦٨٤٣ - حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد :
يكون للعامل عليها إن عمل بالحق ، ولم يكن عمر رحمة الله عليه ولا أولئك يعطون
العامل الثمن ، إنما يفرضون بقدر أعمالته .

١٦٨٤٤ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، عن أشعث ، عن الحسن :
« والعاملين عليها » ، قال : كان يعطى العاملون .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، قول من قال : يعطى
العامل عليها على قدر أعمالته وأجر مثله .

وإنما قلنا : ذلك أولى بالصواب ، لأن الله جل ثناؤه لم يقسم صدقة الأموال
بين الأصناف الثمانية على ثمانية أسهم ، وإنما عرّف خلقه أن الصدقات لن تتجاوز
هؤلاء الأصناف الثمانية إلى غيرهم . وإذا كان كذلك ، بما سنوضح بعد ، وبما قد
أوضحناه في موضع آخر ، كان معلوماً أن من أعطى منها حقاً ، فإنما يعطى
على قدر اجتهاد المعطى فيه . وإذا كان ذلك كذلك ، وكان العامل عليها إنما
يعطى على عمله ، لا على الحاجة التي تزول بالعطية ، كان معلوماً أن الذي أعطاه
من ذلك إنما هو عِوَض من سعيه وعمله ، وأن ذلك إنما هو قدر ما يستحقه عوضاً
من عمله الذي لا يزول بالعطية ، وإنما يزول بالعزل .

* * *

وأما « المؤلفه قلوبهم » ، فإنهم قوم كانوا يُتَأَلَّقُونَ على الإسلام ، ممن لم تصح
نصرتهم ، استصلاحاً به نفسه وعشيرته ، كأبي سفيان بن حرب ، وعيينة بن بدر ،

و « عطاء بن زهير بن الأصبح العامري » ، روى عن أبيه ، روى عنه شميظ ، والأخضر
بن عجلان ، هكذا ذكره ابن أبي حاتم ٣/١/٣٣٢ ، ولم أجد له ترجمة في غيره .
وأبوه : « زهير بن الأصبح العامري » ، روى عن عبد الله بن عمرو ، روى عنه ابنه عطاء .
مترجم في الكبير ٢/١/٣٩٢ ، وابن حاتم ١/٢/٥٨٧ ، ولم يذكر في جرحاً .
وهذا الخبر ، خرج السيوطي في الدر المنثور ٣ : ٢٥٢ ، ولم ينسب إلا إلى أبي الشيخ ،
وفيه « عبد الله بن عمر » ، وهو خطأ .

والأقرع بن حابس ، ونظرائهم من رؤساء القبائل .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٨٤٥ - حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى

قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « والمؤلفة قلوبهم » ، وهم قوم كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أسلموا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرضخ لهم من الصدقات ، ^(١) فإذا أعطاهم من الصدقات فأصابوا منها خيراً قالوا : هذا دين صالح ! وإن كان غير ذلك ، عابوه وتركوه .

١٦٨٤٦ - حدثنا ابن عبد الأعلى قال ، ^(٢) حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ،

عن يحيى بن أبى كثير : إن المؤلفة قلوبهم من بنى أمية : أبو سفيان بن حرب = ومن بنى مخزوم : الحارث بن هشام ، وعبد الرحمن بن يربوع = ومن بنى جُمَح : صفوان بن أمية = ومن بنى عامر بن لؤى : سهيل بن عمرو ، وحويطب ابن عبد العزى = ومن بنى أسد بن عبد العزى : حكيم بن حزام = ومن بنى هاشم : سفيان بن الحارث بن عبد المطلب = ومن بنى فزارة : عيينة بن حصن بن بلر = ومن بنى تميم : الأقرع بن حابس = ومن بنى نصر : مالك بن عوف = ومن بنى سليم : العباس بن مرداس = ومن ثقيف : العلاء بن حارثة = أعطى النبي صلى الله عليه وسلم كل رجل منهم مئة ناقة ، إلا عبد الرحمن بن يربوع ، وحويطب بن عبد العزى ، فإنه أعطى كل رجل منهم خمسين .

١٦٨٤٧ - حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا

(١) « رضح له من ماله رضيخة » ، أعطاه عطية مقاربة ، ليست بالكثيرة ، وأصله من « الرضخ » ، وهو كسر النوى وغيره ، كأنه كسر له من ماله شيئاً .

(٢) فى المطبوعة : « حدثنا عبد الأعلى » ، وهو خطأ ، صوابه من المخطوطة ، وهذا إسناده دائر فى التفسير وشيخ الطبرى « محمد بن عبد الأعلى » .

عيسى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري قال : قال صفوان ابن أمية : لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنه لأبغض الناس إلى ، فإبرح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلى . (١)

١٦٨٤٨ - حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : ناس كان يتألفهم بالعطية ، عيينة بن بلدر ومن كان معه .

١٦٨٤٩ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، عن حماد بن سلمة ، عن يونس ، عن الحسن : « والمؤلفة قلوبهم » ، الذين يؤلفون على الإسلام .

١٦٨٥٠ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : وأما « المؤلفة قلوبهم » ، فأناس من الأعراب ومن غيرهم ، كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يتألفهم بالعطية كما يؤمنوا .

١٦٨٥١ - حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا معقل بن عبيد الله قال ، سألت الزهري عن قوله : « والمؤلفة قلوبهم » ، فقال : من أسلم من يهودى أو نصرانى . قلت : وإن كان غنياً ؟ قال : وإن كان غنياً . ١١٣/١٠

١٦٨٥٢ - حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا معقل ابن عبيد الله الجزري ، عن الزهري : « والمؤلفة قلوبهم » ، قال : من هو يهودى أو نصرانى . (٢)

* * *

(١) الأثر : ١٦٨٤٧ - رواه مسلم في صحيحه ١٥ : ٧٢ ، ٧٣ ، مطولاً من طريق عبد الله بن وهب ، عن يونس ، عن ابن شهاب الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن صفوان بن أمية . ورواه أحمد في مسنده ٣ : ٤٠١ من طريق زكريا بن عدى ، عن سعيد بن المسيب ، عن صفوان ، (هكذا جاء هنا في المسند) ، والصواب ما سيأتى في المسند ٦ : ٤٦٥ ، من طريق زكريا بن عدى ، عن ابن المبارك ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب .

(٢) الأثر : ١٦٨٥٢ - « معقل بن عبيد الله الجزري » ، مضى قريباً برقم : ١٦٨٢١ ، وكان في المطبوعة هنا أيضاً « الحرافى » ، مكان « الجزري » ، وهو صواب ، ولكنى أثبت ما في المخطوطة .

ثم اختلف أهل العلم في وجود المؤلفة اليوم وعدمها ، وهل يعطى اليوم أحدٌ على التألف على الإسلام من الصدقة ؟

فقال بعضهم : قد بطلت المؤلفة قلوبهم اليوم ، ولا سهم لأحد في الصدقة المفروضة إلا لذي حاجة إليها ، وفي سبيل الله ، أو لعامل عليها .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٨٥٣ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، عن أشعث ، عن الحسن : « والمؤلفة قلوبهم » ، قال : أما « المؤلفة قلوبهم » ، فليس اليوم .

١٦٨٥٤ - حدثنا أحمد قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل عن جابر ، عن عامر قال : لم يبق في الناس اليوم من المؤلفة قلوبهم ، إنما كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٦٨٥٥ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشيم قال ، حدثنا عبد الرحمن بن يحيى ، عن حبان بن أبي جبلة قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : وأتاه عيينة بن حصن : ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ ، [سورة الكهف : ٢٩] ، أى : ليس اليوم مؤلفة .

١٦٨٥٦ - حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا مبارك ، عن الحسن قال : ليس اليوم مؤلفة .

١٦٨٥٧ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر قال : إنما كانت المؤلفة قلوبهم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما ولي أبو بكر رحمة الله عليه ، انقطعت الرشى .

* * *

وقال آخرون : « المؤلفة قلوبهم » ، في كل زمان ، وحققهم في الصدقات .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٨٥٨ - حدثنا أحمد بن إسحق قال حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا

إسرائيل ، عن جابر ، عن أبي جعفر قال : في الناس اليوم ، المؤلفة قلوبهم .
١٦٨٥٩ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ،
عن أبي جعفر ، مثله .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندى : أن الله جعل الصدقة
في معنيين أحدهما : سدُّ خَلَّةِ المسلمين ، والآخر : معونة الإسلام وتقويته . فما كان
في معونة الإسلام وتقوية أسبابه ، فإنه يُعطاه الغنى والفقير ، لأنه لا يعطاه من يعطاه
بالحاجة منه إليه ، وإنما يعطاه معونةً للدين . وذلك كما يعطى الذى يُعطاه بالجهاد
في سبيل الله ، فإنه يعطى ذلك غنيًّا كان أو فقيرًا ، للغزو ، لا لسدِّ خلته .
وكذلك المؤلفة قلوبهم ، يعطون ذلك وإن كانوا أغنياء ، استصلاحاً بإعطائهموه
أمر الإسلام وطلب تقويته وتأبيده . وقد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم من أعطى
من المؤلفة قلوبهم ، بعد أن فتح الله عليه الفتوح ، وفشا الإسلام وعز أهله . فلا
حجة لاحتجّ بأن يقول : « لا يتألف اليوم على الإسلام أحد ، لامتناع أهله بكثرة
العدد ممن أرادهم » ، وقد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم من أعطى منهم في الحال
التي وصفت .

* * *

وأما قوله : « وفي الرقاب » ، فإن أهل التأويل اختلفوا في معناه
فقال بعضهم ، وهم الجمهور الأعظم : هم المكاتبون ، يعطون منها في فك
رقابهم .^(١)
* ذكر من قال ذلك :

١٦٨٦٠ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن
الحسن بن دينار ، عن الحسين : أن مكاتباً قام إلى أبي موسى الأشعري رحمه الله
وهو يخطب الناس يوم الجمعة ، فقال : أيها الأمير ، حُتَّ الناس على ! فحثَّ

(١) انظر تفسير « الرقاب » فيما سلف ٣ : ٩ / ٣٤٧ : ٣٥ ، ٣٦ / ١٠ : ٥٥٢ - ٥٥٧ .

عليه أبو موسى ، فألقى الناسُ عليه عمامة وملاءة وخاتماً ، حتى ألقوا سواداً كثيراً ، فلما رأى أبو موسى ما ألقى عليه قال : اجمعوه ! فجمع ، ثم أمر به فبيع . فأعطى المكاتب مكاتبته ، ثم أعطى الفضل في الرقاب ، ولم يردّه على الناس ، وقال : إنما أعطى الناسُ في الرقاب .

١٦٨٦١ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا معقل بن عبيد الله قال ، سألت الزهري عن قوله : « وفي الرقاب » ، قال : ١١٤/١٠ المكاتبون .

١٦٨٦٢ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وفي الرقاب » ، قال : المكاتب

١٦٨٦٣ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا سهل بن يوسف ، عن عمرو ، عن الحسن : « وفي الرقاب » ، قال : هم المكاتبون .

* * *

وروى عن ابن عباس أنه قال : لا بأس أن تُعتَقَ الرقبة من الزكاة .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندى ، قولُ من قال : « غنى بالرقاب ، في هذا الموضع ، المكاتبون » ، لإجماع الحجة على ذلك ، فإن الله جعل الزكاة حقاً واجباً على من أوجبها عليه في ماله ، يخرجها منه ، لا يرجع إليه منها نفعٌ من عرض الدنيا ، ولا عِوَض . والمعنى رقبةٌ منها ، راجع إليه ولاء من أعنته ، وذلك نفع يعود إليه منها .

* * *

وأما « الغارمون » ، الذين استدانوا في غير معصية الله ، ثم لم يجدوا قضاء في عين ولا عَرَض .

* * *

وبالذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٨٦٤ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد قال : « الغارمون » ، من احترق بيته ، أو يصيبه السيل فيذهب متاعه ، ويدَّانُ على عياله ، فهذا من الغارمين .

١٦٨٦٥ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثوري ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد في قوله : « والغارمين » ، قال : من احترق بيته ، وذهب السيل بماله ، وادَّان على عياله .

١٦٨٦٦ — حدثنا أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن أبي جعفر قال : « الغارمين » ، المستدين في غير سرف ، ينبغي للإمام أن يقضى عنهم من بيت المال .
١٦٨٦٧ — قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا معقل بن عبيد الله قال : سألتنا الزهري عن « الغارمين » ، قال : أصحاب الدين .

١٦٨٦٨ — قال ، حدثنا معقل ، عن عبد الكريم قال ، حدثني خادم لعمر بن عبد العزيز خدمه عشرين سنة قال : كتب عمر بن عبد العزيز : أن يُعطى الغارمون = قال أحمد : أكثر ظني : من الصدقات .

١٦٨٦٩ — قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن جابر ، عن أبي جعفر قال : « الغارمون » ، المستدين في غير سرف .

١٦٨٧٠ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : أما « الغارمون » ، فقوم غرقهم الديون في غير إملاق ، ^(١) ولا تبذير ولا فساد .
١٦٨٧١ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « الغارم » ، الذي يدخل عليه الغُرم .

١٦٨٧٢ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يحيى بن يمان ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد : « والغارمين » ، قال : هو الذي يذهب السيل والحريق بماله ، ويدَّان على عياله .

(١) « الإملاق » هنا هو : إنفاق المال وتبذيره حتى يورث حاجة ، و « الإملاق » أيضاً : الإفساد . وانظر ما سلف في الخبر رقم : ٦٢٣٣ ، ج ٥ : ٦٠٢ ، تعليق : ٢ .

١٦٨٧٣ - قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن جابر ، عن أبي جعفر قال : المستدين في غير فساد .

١٦٨٧٤ - قال ، حدثني أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن أبي جعفر ، قال : « الغارمون » ، الذين يستدينون في غير فساد ، ينبغي للإمام أن يقضى عنهم .

١٦٨٧٥ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن عثمان ابن الأسود ، عن مجاهد : هم قوم ركبهم الديون في غير فساد ولا تبذير ، فجعل الله لهم في هذه الآية سهماً .

* * *

وأما قوله : « وفي سبيل الله » ، فإنه يعنى : وفي النفقة في نصرة دين الله وطريقه وشريعته التي شرعها لعباده ، بقتال أعدائه ، وذلك هو غزو الكفار . (١)

* * *

وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٨٧٦ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وفي سبيل الله » ، قال : الغازي في سبيل الله .

١٦٨٧٧ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة : رجل عمل عليها ، أو رجل اشتراها بماله ، أو في سبيل الله ، أو ابن السبيل ، أو رجل كان له جار تصدق عليه فأهداها له . (٢)

(١) انظر تفسير « سبيل الله » فيما سلف من فهارس اللغة (سبل) .

(٢) الأثر : ١٦٨٧٧ - رواه أبو داود في سننه ٢ : ١٥٨ ، رقم : ١٦٣٥ من طريق مالك ، عن زيد بن أسلم ، موقوفاً ، ثم رواه بقرم : ١٦٣٦ ، من طريق معمر ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعاً .
ورواه ابن ماجه في سننه : ٥٨٩ ، رقم : ١٨٤١ ، مرفوعاً ، بنحوه .

١٦٨٧٨ — قال ، حدثنا أبي ، عن ابن أبي ليلى ، عن عطية ، عن
أبي سعيد الخدري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا تحل الصدقة لغني ،
١١٥/١٠ إلا لثلاثة : في سبيل الله ، أو ابن السبيل ، أو رجل كان له جار فتصدق عليه ،
فأهداها له .^(١)

* * *

وأما قوله : « وابن السبيل » ، فالمسافر الذي يجتاز من بلد إلى بلد .

* * *

و«السبيل» ، الطريق ،^(٢) وقيل للضارب فيه : « ابن السبيل » ، للزومه
إياه ، كما قال الشاعر :^(٣)

أَنَا ابْنُ الْحَرْبِ رَبَّنِي وَلِيداً إِلَى أَنْ شَبْتُ وَكُتِّهْتُ لِدَائِي
وكذلك تفعل العرب ، تسمى اللازم لشيء يعرف به : « ابنه » .^(٤)

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .
* ذكر من قال ذلك .

١٦٨٧٩ — حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان ،
عن جابر ، عن أبي جعفر قال : « ابن السبيل » ، المجتاز من أرض إلى أرض .
١٦٨٨٠ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا

(١) الأثر : ١٦٨٧٨ — « عطية » هو « عطية بن سعد بن جنادة العوفي » ، ضعيف ،
مضى مراراً .

وهذا الخبر رواه أبو داود في سننه ٢ : ١٦٠ ، رقم : ١٦٣٧ ، من طريق سفيان ، عن
عمران البارق ، عن عطية ، بنحوه ، ثم قال أبو داود : « ورواه فراس ، وابن أبي ليلى ، عن عطية ،
عن أبي سعيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مثله » .
وهو حديث ضعيف لضعف « عطية العوفي » .

(٢) انظر تفسير « السبيل » فيما سلف من فهارس اللغة (سبل) .

= وتفسير « ابن السبيل » فيما سلف ٣ : ٤/٣٤٥ : ٨/٢٩٥ : ٣٤٦ - ٣٤٧ .

(٣) لم أعرف قائله .

(٤) في المطبوعة والمخطوطة : « يعرف بابنه » ، وهو لا يستقيم ، صوابه ما أثبت .

مندل ، عن ليث ، عن مجاهد : « وابن السبيل » ، قال : لابن السبيل حق من الزكاة وإن كان غنياً ، إذا كان مُنْقَطِعاً به .

١٦٨٨١ - حدثنا أحمد قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا معقل بن

عبيد الله قال : سألت الزهري عن « ابن السبيل » ، قال : يأتي على ابن السبيل وهو محتاج . قلت : فإن كان غنياً ؟ قال : وإن كان غنياً .

١٦٨٨٢ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة :

« وابن السبيل » ، الضيف ، جعل له فيها حق .

١٦٨٨٣ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال [ابن زيد] : « ابن

السبيل » ، المسافر من كان ، غنياً أو فقيراً ، إذا أصيبت نفقته أو فقدت ، أو أصابها شيء ، أو لم يكن معه شيء ، فحقه واجب .^(١)

١٦٨٨٤ - حدثنا أحمد قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا هشيم ، عن

جوهر ، عن الضحاك ، أنه قال : في الغني إذا سافر فاحتاج في سفره ، قال : يأخذ من الزكاة .

١٦٨٨٥ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن جابر ،

عن أبي جعفر قال : « ابن السبيل » ، المحتاج من الأرض إلى الأرض .

* * *

وقوله : « فريضة من الله » ، يقول جل ثناؤه : قَسَمَ قَسَمَهُ اللَّهُ لَهُمْ ، فَأَوْجِبَهُ

فِي أَمْوَالِ أَهْلِ الْأَمْوَالِ لَهُمْ^(٢) = « والله عليم » ، بمصالح خلقه فيما فرض لهم ، وفي

غير ذلك ، لا يخفى عليه شيء . فعلى علم منه فرض ما فرض من الصدقة ، وبما

فيها من المصلحة = « حكيم » ، في تدبيره خلقه ، لا يدخل في تدبيره خلل .^(٣)

* * *

(١) الأثر : ١٦٨٨٣ - في المطبوعة والمخطوطة : « قال قال ابن السبيل . . . » ، والزيادة

بين القوسين من إسناده قبل ، وهو إسناده دائر في التفسير ، أقربه رقم : ١٦٨٧٦ .

(٢) انظر تفسير « الفريضة » فيما سلف ٩ : ٢١٢ ، تعليق : ١ ، والمرجع هناك .

(٣) انظر تفسير « عليم » و « حكيم » فيما سلف من فهارس اللغة (علم) ، (حكم) .

واختلف أهل العلم في كيفية قسم الصدقات التي ذكرها الله في هذه الآية ، وهل يجب لكل صنف من الأصناف الثمانية فيها حق ، أو ذلك إلى رب المال ؟ ومن يتولى قسمها ، في أن له أن يعطى جميع ذلك من شاء من الأصناف الثمانية . فقال عامة أهل العلم : للمتولى قسمها ووضعها في أى الأصناف الثمانية شاء . وإنما سَمَّى الله الأصناف الثمانية في الآية ، إعلاماً منه خلقه أن الصدقة لا تخرج من هذه الأصناف الثمانية إلى غيرها ، لا إيجاباً لقسمها بين الأصناف الثمانية الذين ذكرهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٨٨٦ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا هرون ، عن الحجاج بن أرطاة ، عن المنهال بن عمرو ، عن زُرَّ بن حبيش ، عن حذيفة في قوله : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها » ، قال : إن شئت جعلته في صنف واحد ، أو صنفين ، أو ثلاثة .

١٦٨٨٧ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن الحجاج ، عن المنهال ، عن زر ، عن حذيفة قال : إذا وضعتها في صنف واحد أجزأك .

١٦٨٨٨ - قال ، حدثنا جرير ، عن ليث ، عن عطاء ، عن عمر : « إنما الصدقات للفقراء » ، قال : أيما صنف أعطيته من هذا أجزأك .

١٦٨٨٩ - قال حدثنا ابن نمير ، عن عبد المطلب ، عن عطاء : « إنما الصدقات للفقراء » ، الآية ، قال : لو وضعتها في صنف واحد من هذه الأصناف أجزأك . ولو نظرت إلى أهل بيت من المسلمين فقراء متعففين فجبرتهم بها ، كان أحبَّ إلىَّ .

١٦٨٩٠ - قال أخبرنا جرير ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين وابن السبيل » ، فأى صنف أعطيته من هذه الأصناف أجزأك .

١٦٨٩١ - قال ، حدثنا عمران بن عيينة ، عن عطاء ، عن سعيد

ابن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .

١٦٨٩٢ - قال ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم : « إنما

الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها » ، قال : إنما هذا شيء أعلمه ، فأى صنف من هذه الأصناف أعطيته أجراً عنك .

١٦٨٩٣ - قال ، حدثنا أبي ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن إبراهيم :

« إنما الصدقات للفقراء » ، قال : في أى هذه الأصناف وضعتها أجراًك .

١٦٨٩٤ - قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ،

عن سعيد بن جبير قال : إذا وضعتها في صنف واحد مما سَمَّى الله أجراًك .

١٦٨٩٥ - قال ، حدثنا أبي ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع

ابن أنس ، عن أبي العالية قال : إذا وضعتها في صنف واحد مما سَمَّى الله أجراًك .

١٦٨٩٦ - قال ، حدثنا خالد بن حيان أبو يزيد ، عن جعفر بن

يرقان ، عن ميمون بن مهران : « إنما الصدقات للفقراء » ، قال : إذا جعلتها في صنف واحد من هؤلاء أجراً عنك .^(١)

١٦٨٩٧ - قال ، حدثنا محمد بن بشر ، عن مسعود ، عن عطاء ،

عن سعيد بن جبير : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين » ، الآية ، قال : أعلم أهلها مَنْ هم .

١٦٨٩٨ - قال ، حدثنا حفص ، عن ليث ، عن عطاء ، عن

عمر : أنه كان يأخذ الفرض في الصدقة ، ويجعلها في صنف واحد .

* * *

وكان بعض المتأخرين يقول : إذا تولى رب المال قَسَمَها ، كان عليه وضعها

في ستة أصناف ، وذلك أن المؤلفلة قلوبهم عنده قد ذهبوا ، وأن سهم العاملين

(١) الأثر : ١٦٨٩٦ - « خاله بن حيان الرق » ، أبو يزيد الكندي الخراز ، ثقة ،

متكلم فيه ، مترجم في التهذيب ، والكبير ١٣٣/١/٢ ، وابن أبي حاتم ٣٢٦/٢/١ .

يُطْلَقُ بِقِسْمِهِ إِيَّاهَا . وَيُزْعَمُ أَنَّهُ لَا يُجْزِيهِ أَنْ يُعْطَى مِنْ كُلِّ صَنْفٍ أَقْلٌ مِنْ ثَلَاثَةِ أَنْفُسٍ . وَكَانَ يَقُولُ : إِنْ تَوَلَّى قَسْمُهَا الْإِمَامُ ، كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَقْسِمَهَا عَلَى سَبْعَةِ أَصْنَافٍ ، لَا يُجْزِي عَنْهُ غَيْرَ ذَلِكَ .

* * *

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ ﴿ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ : وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ جَمَاعَةٌ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَعِيبُونَهُ ^(١) = « وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ » ، سَامِعَةٌ ، يَسْمَعُ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ مَا يَقُولُ ، فَيَقْبَلُهُ وَيَصْدَقُّهُ .

* * *

وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ : « رَجُلٌ أُذُنَةٌ » ، مِثْلُ « فِعْلَةٌ » ، ^(٢) إِذَا كَانَ يَسْرَعُ الْإِسْمَاعُ وَالْقَبُولُ ، كَمَا يُقَالُ : « هُوَ يَقْنُ ، وَيَقْنِ » إِذَا كَانَ ذَا يَقْنٍ بِكُلِّ مَا حُدِّثَ . وَأَصْلُهُ مِنْ « أُذِنَ لَهُ يَأْذَنُ » ، إِذَا اسْتَمَعَ لَهُ . وَمِنَهُ الْحَبِيرُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا أُذِنَ لِلَّهِ لَشَيْءٍ كَأَذْنِهِ لِنَبِيِّ يَتَغْنَى بِالْقُرْآنِ » ، ^(٣) وَمِنَهُ قَوْلُ عَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ :

(١) انظر تفسير « الأذى » فيما سلف ٨ : ٨٤ - ٨٦ ، وص : ٨٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) هكذا جاء في المطبوعة والمخطوطة : « رَجُلٌ أُذُنَةٌ مِثْلُ فِعْلَةٍ » ، وهذا شيء لم أعرف ضبطه ، ولم أجد له ما يؤيده في مراجع اللغة ، والذي فيها أنه يقال : « رَجُلٌ أُذُنٌ » (بضم فسكون) و « أُذِنَ » (بضمين) ، ولا أدري أهذه على وزن « فِعْلَةٌ » (بضم ففتح) : « هَمْزَةٌ » و « لَمْزَةٌ » ، أم على نحو وزن غيره . وأنا في ارتياب شديد من صواب ما ذكره هنا ، وأخشى أن يكون سقط من النسخ شيء ، أو أن يكون حرف الكلام .

(٣) هذا الحديث ، استدلل به بغير إسناد ، وهو حديث صحيح ، رواه مسلم في صحيحه (٦ : ٧٨ ، ٧٩) من حديث أبي هريرة .

أَيُّهَا الْقَلْبُ تَعَلَّلْ بِدَدَنْ إِنَّ هُمَّى فِي سَمَاعٍ وَأَذَنْ^(١)

* * *

وذكر أن هذه الآية نزلت في نبتل بن الحارث^(٢).

١٦٨٩٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال ،
ذكر الله غشهم^(٣) = يعنى : المنافقين = وأذاهم للنبي صلى الله عليه وسلم فقال :
« ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن » ، الآية . وكان الذى يقول تلك المقالة ،
فيما بلغنى ، نبتل بن الحارث ، أخو بنى عمرو بن عوف ، وفيه نزلت هذه الآية ،
وذلك أنه قال : « إنما محمد أذن ! من حدثه شيئاً صدقه ! » ، يقول الله :
« قل أذن خير لكم » ، أى : يسمع الخير ويصدق به .^(٤)

* * *

واختلفت القراءة في قراءة قوله : « قل أذن خير لكم » .
فقرأ ذلك عامة قراءة الأمصار : ﴿ قُلْ أَذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ ، بإضافة « الأذن »
إلى « الخير » ، يعنى : قل لهم ، يا محمد : هو أذن خير ، لا أذن شر .

* * *

وذكر عن الحسن البصرى أنه قرأ ذلك : ﴿ قُلْ أَذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ ، بتنوين
« أذن » ، ويصير « خير » خبراً له ، بمعنى : قل : من يسمع منكم ، أيها المنافقون ،
ما تقولون ويصدقكم ، إن كان محمد كما وصفتموه ، من أنكم إذا أتيتموه ،
فأنكرتم ما ذكر له عنكم من أذاكم إياه وعيبكم له ، سمع منكم وصدقكم = خير

(١) أمالى الشريف المرتضى ١ : ٣٣ ، واللسان (أذن) و (دَدَنْ) ، و « الدد » (بفتح الدال) و « الددن » ، اللهو . و « السماع » ، الغناء ، والمغنية يقال لها « المسمعة » .
(٢) في المخطوطة والمطبوعة : « في ربيع بن الحارث » ، وهو خطأ محض ، لاشك فيه .
(٣) في المطبوعة : « ذكر الله عيهم » ، خطأ ، والصواب ما في المخطوطة ، وسيرة ابن هشام .
(٤) الأثر : ١٦٨٩٩ — سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٥ ، وهو تابع الأثر السالف رقم :
١٦٧٨٢ ، وانظر خبر نبتل بن الحارث أيضاً في سيرة ابن هشام ٢ : ١٦٨ .
(٥) في المطبوعة : « إذا أدبتموه فأنكرتم » ، وهو كلام لا معنى له ، لم يحسن قراءة المخطوطة ،
والصواب ما أثبت .

لكم من أن يكذبكم ولا يقبل منكم ما تقولون . ثم كذبهم فقال : بل لا يقبل إلا من المؤمنين = « يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين » .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة عندى فى ذلك ، قراءة من قرأ : ١١٧/١٠ ﴿ قُلْ أَذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ ، بإضافة « الأذن » إلى « الخير » ، وخفض « الخير » ، يعنى : قل هو أذن خير لكم ، لا أذن شر .^(١)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٠٠ - حدثنى المثنى قال ، حدثنى عبد الله بن صالح قال ، حدثنى

معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن » ، يسمع من كل أحد .

١٦٩٠١ - حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ،

عن قتادة قوله : « ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن » ، قال : كانوا يقولون : « إنما محمد أذن ، لا يحدث عنا شيئاً ، إلا هو أذن يسمع ما يقال له » .

١٦٩٠٢ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن

أبى نجیح ، عن مجاهد : « ويقولون هو أذن » ، نقول ما شئنا ونحلف ، فيصدقنا .

١٦٩٠٣ - حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا

عيسى ، عن ابن أبى نجیح ، عن مجاهد فى قوله : « هو أذن » ، قال : يقولون : « نقول ما شئنا ، ثم نحلف له فيصدقنا » .

١٦٩٠٤ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن

ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

* * *

وأما قوله : « يؤمن بالله » ، فإنه يقول : يصدق بالله وحده لا شريك له .
وقوله : « يؤمن للمؤمنين » ، يقول : ويصدق المؤمنين ، لا الكافرين ولا
المنافقين .

وهذا تكذيب من الله للمنافقين الذين قالوا : « محمد أذن ! » ، يقول جل
ثناؤه : إنما محمد صلى الله عليه وسلم مستمعٌ خيرٍ ، يصدق بالله وبما جاء من
عنده ، ويصدق المؤمنين ، لا أهل النفاق والكفر بالله .

* * *

وقيل : « يؤمن للمؤمنين » ، معناه : ويؤمن المؤمنون ، لأن العرب تقول
فما ذكر لنا عنها : « آمنتُ له » ، وآمنتُهُ ، بمعنى : صدقته ، كما قيل :
﴿ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ ، [سورة النمل : ٧٢] ، ومعناه : ردفكم = وكما
قال : ﴿ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٥٤] ، ومعناه : للذين هم
ربَّهم يرهَبون . (١)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٠٥ — حدثني المثنى قال ، حدثني عبد الله قال ، حدثني معاوية ،
عن علي ، عن ابن عباس : « يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين » ، يعنى : يؤمن بالله ،
ويصدق المؤمنين .

* * *

وأما قوله : « ورحمة للذين آمنوا منكم » ، فإن القراءة اختلفت فى قراءته :
فقرأ ذلك عامة قراءة الأمصار : ﴿ وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ، بمعنى : قل هو

أذن خير لكم ، وهو رحمة للذين آمنوا منكم = فرغ « الرحمة » ، عطفاً بها على « الأذن » .

* * *

وقرأه بعض الكوفيين : ﴿ وَرَحْمَةً ﴾ ، عطفاً بها على « الخير » ، بتأويل : قل أذن خير لكم ، وأذن رحمة . (١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندي ، قراءة من قرأه : ﴿ وَرَحْمَةً ﴾ ، بالرفع ، عطفاً بها على « الأذن » ، بمعنى : وهو رحمة للذين آمنوا منكم . وجعله الله رحمة لمن اتبعه واهتدى بهداه ، وصدق بما جاء به من عند ربه ، لأن الله استنقذهم به من الضلالة ، وأورثهم باتباعه جناته .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ

عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : هؤلاء المنافقين الذين يعيبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون : « هو أذن » ، وأمثالهم من مكذّبيه ، والقائلين فيه الهُجْرَ والباطل ، (٢) عذاب من الله موجع لهم في نار جهنم . (٣)

* * *

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٤٤٤ .

(٢) انظر تفسير « الأذى » فيما سلف ص : ٣٢٤ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « أليم » فيما سلف من فهارس اللغة (ألم) .

القول في تأويل قوله ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ
وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٦٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله صلى الله عليه وسلم :
يخلف لكم ، أيها المؤمنون ، هؤلاء المنافقون بالله ، ليرضوكم فيما بلغكم عنهم من
أذاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكرهم إياه بالطعن عليه والعيب له ،
ومطابقتهم سرّاً أهل الكفر عليكم = بالله والأيمان الفاجرة : أنهم ما فعلوا ذلك ،
وإنهم لعل دينكم ، ومعكم على من خالفكم ، يبتغون بذلك رضاكم . يقول الله
جل ثناؤه : « والله ورسوله أحق أن يرضوه » ، بالتوبة والإنابة مما قالوا ونطقوا =
« إن كانوا مؤمنين » ، يقول : إن كانوا مصدّقين بتوحيد الله ، مقرّين بوعد
ووعيده .

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٠٦ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ١١٨/١٠

قوله : « يخلفون بالله لكم ليرضوكم » ، الآية ، ذكر لنا أن رجلاً من المنافقين قال :
والله إن هؤلاء لخيارنا وأشرافنا ، وإن كان ما يقول محمد حقاً ، لهم شرٌّ من الحمير !
قال : فسمعها رجل من المسلمين فقال : والله إن ما يقول محمد حق ، ولأنت شر
من الحمير ! فسعى بها الرجل إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إلى الرجل
فدعاه فقال له : ما حملك على الذي قلت ؟ فجعل يلتعن ، ويخلف بالله ما
قال ذلك .^(١) قال : وجعل الرجل المسلم يقول : اللهم صدّق الصادق ، وكذب

(١) « التمن الرجل » ، إذا أنصف في الداء على نفسه ، أو لمن نفسه .

الكاذب ! فأنزل الله في ذلك : «يحلِفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين» .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾ (١٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ألم يعلم هؤلاء المنافقون الذين يحلفون بالله كذباً للمؤمنين ليرضوهم ، وهم مقيمون على النفاق ، أنه من يحارب الله ورسوله ، ويخالفهما فيناوئهما بالخلاف عليهما = «فأن له نار جهنم» ، في الآخرة = «خالداً فيها» ، يقول : لابتناً فيها مقيماً إلى غير نهاية؟ ^(١) «ذلك الخزي العظيم» ، يقول : فلبسُهُ في نار جهنم وخلوده فيها ، هو الهوان والذلُّ العظيم . ^(٢)

* * *

وقرأت القراءة : ﴿ فَأَنَّ ﴾ ، بفتح الألف من «أن» ، بمعنى : ألم يعلموا أن لمن حادَّ الله ورسوله نارُ جهنم = وإعمال «يعلموا» فيها ، كأنهم جعلوا «أن» الثانية مكررة على الأولى ، واعتمدوا عليها ، إذ كان الخبر معها دون الأولى .

* * *

وقد كان بعض نحوي البصرة يختار الكسر في ذلك ، على الابتداء ، بسبب دخول «الفاء» فيها ، وأن دخولها فيها عنده دليلٌ على أنها جواب الجزاء ، وأنها إذا كانت للجزاء جواباً ، ^(٣) كان الاختيار فيها الابتداء .

* * *

(١) انظر تفسير «الخلود» فيما سلف من فهارس اللغة (خلد) .

(٢) انظر تفسير «الخزي» فيما سلف ص: ١٦٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) في المطبوعة : «إذا كانت جواب الجزاء» ، وفي المخطوطة : «إذا كانت للجواب جزاء» ، والصواب ما أثبت ، إنما أخطأ الناسخ .

قال أبو جعفر : والقراءة التي لا أستجيز غيرها ، فتح الألف في كلا الحرفين أعني « أن » الأولى والثانية ، لأن ذلك قراءة الأمصار ، وللعلة التي ذكرت من جهة العربية .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزَّؤْا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾ (٦٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : يخشى المنافقون أن تنزل فيهم (١) « سورة تنبئهم بما في قلوبهم » ، يقول : تظهر المؤمنين على ما في قلوبهم . (٢)

* * *

وقيل : إن الله أنزل هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن المنافقين كانوا إذا عابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكروا شيئاً من أمره وأمر المسلمين ، قالوا : « لعل الله لا يفشى سِرِّنا ! » ، فقال الله لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهم : « استهزؤا » ، مهتداً لهم متوعداً : « إن الله يخرج ما تحذرون » .

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٠٧ — حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة » ، قال : يقولون القول بينهم ، ثم يقولون : « عسى الله أن لا يفشى سرنا علينا ! » .

١٦٩٠٨ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ،

(١) انظر تفسير « الحذر » فيما سلف ١٠ : ٥٧٥ .

(٢) انظر تفسير « النبأ » فيما سلف ١٣ : ٢٥٢ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

عن ابن جريج ، عن مجاهد مثله = إلا أنه قال : سِرْنَا هذا .

* * *

وأما قوله : « إن الله مخرج ما تحذرون » ، فإنه يعنى به : إن الله مظهر عليكم ، أيها المنافقون ، ما كنتم تحذرون أن تظهروه ، فأظهر الله ذلك عليهم وفضحهم ، ^(١) فكانت هذه السورة تدعى : ﴿ الفَاضِحَة ﴾ .

١٦٩٠٩ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة

قال : كانت تسمى هذه السورة : ﴿ الفَاضِحَة ﴾ ، فاضحة المنافقين .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا

نَخْوَضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ ^(١٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولئن سألت ، يا محمد ، هؤلاء المنافقين عما قالوا من الباطل والكذب ، ليقولن لك : إنما قلنا ذلك لعباً ، وكنا نخوض فى حديثٍ لعباً وهزواً ^(٢) يقول الله لمحمد صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد ، أبالله وآيات كتابه ورسوله كنتم تستهزون ؟ ١١٩/١٠

* * *

وكان ابن اسحق يقول : الذى قال هذه المقالة : كما : —

١٦٩١٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال :

كان الذى قال هذه المقالة فيما بلغنى ، ودیعة بن ثابت ، أخو بنى أمية بن زيد ، من بنى عمرو بن عوف . ^(٣)

(١) انظر تفسير « الإخراج » فيما سلف ٢ : ١٢/٢٢٨ : ٢١١ .

(٢) انظر تفسير « الخوض » فيما سلف ١١ : ٥٢٩ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

= وتفسير « اللعب » فيما سلف ١١ : ٥٢٩ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

= وتفسير « الاستهزاء » فيما سلف ١١ : ٢٦٢ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٣) الأثر : ١٦٩١٠ — سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٥ ، وهو تابع الأثر السالف رقم :

١٦٩١١ - حدثنا علي بن داود قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنا الليث قال ، حدثني هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم : أن رجلاً من المنافقين قال لعوف بن مالك في غزوة تبوك : ما لقُرْأنا هؤلاء ، أرغبنا بطوناً وأكذبنا ألسنةً ، وأجبننا عند اللقاء ! فقال له عوف : كذبت ، ولكنك منافق ! لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فذهب عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره ، فوجد القرآن قد سبقه = قال زيد^(١) : قال عبد الله بن عمر : فنظرت إليه متعلقاً بحَقَبِ ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكِبُهُ الحجارة ،^(٢) يقول : « إنما كنا نخوض ونلعب » ! فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم : « أبا الله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ؟ » ما يزيده . (٣)

١٦٩١٢ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثني هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن عبد الله بن عمر قال : قال رجل في غزوة تبوك في مجلس : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء ، أرغبَ بطوناً ، ولا أكذبَ ألسناً ، ولا أجبنَ عند اللقاء ! فقال رجل في المجلس : كذبت ، ولكنك منافق ! لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن . قال عبد الله بن عمر : فأنا رأيته متعلقاً بحَقَبِ ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « فقال زيد » ، بالفاء ، والسياق يقتضى إسقاطها .

(٢) « الحَقَب » (بفتح الحاء) : جبل يشد به الرحل في بطن البعير مما يلي ثيله ، لئلا يؤذي التصدير ، أو يجتذبه التصدير فيقده . و « نكِبَتِ الحجارة » ، نمت الحجارة رجله وظفره ، أى نالته وأذته وأصابته .

(٣) الأثر : ١٦٩١١ - « هشام بن سعد المدني » ، ثقة ، متكلم فيه ، مضى برقم : ٥٤٩٠ ، ١١٧٠٤ ، ١٢٨٢١ .

« زيد بن أسلم العدوي » الفقيه ، روى عن عبد الله بن عمر ، روى له الجماعة . مضى مراراً كثيرة . وسيأتى الخبر الذي يليه ، من طريق ابن وهب ، عنه . وهذا إسناد صحيح .

تَنَكُّبُهُ الحِجَارَةَ ، وهو يقول : « يا رسول الله ، إنما كنا نخوض ونلعب ! » ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أبا الله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون * لا تعتذروا قد قد كفرتم بعد إيمانكم » .^(١)

١٦٩١٣ - حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علي قال ، أخبرنا أيوب ، عن عكرمة في قوله : « ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب » إلى قوله : « بأنهم كانوا مجرمين » ، قال : فكان رجل ممن إن شاء الله عفا عنه يقول : « اللهم إني أسمع آية أنا أعصني بها ، تقشعُرُ منها الجلود ، وتَجِبُ منها القلوب ،^(٢) اللهم فاجعل وفائي قتلاً في سبيلك ، لا يقول أحدٌ : أنا غسَلْتُ ، أنا كَفَنْتُ ، أنا دفنت » ، قال : فأصيب يوم البمامة ، فما أحدٌ من المسلمين إلا وُجد غيره .

١٦٩١٤ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب » ، الآية ، قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوته إلى تبوك ، وبين يديه ناس من المنافقين ، فقالوا : « يرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها ! هيهات هيهات ! » فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك ، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم : اجبسوا على الرِّكَبِ !^(٣) فأتاهم فقال : قلم كذا ، قلم كذا . قالوا : « يا نبي الله : إنما كنا نخوض ونلعب » ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم ما تسمعون .

١٦٩١٥ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب » ، قال : بينا النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، وركب من المنافقين يسرون بين يديه ، فقالوا : يظن هذا أن يفتح قصور الروم وحصونها ! فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم

(١) الأثر : ١٦٩١٢ - مكرر الأثر السالف ، وهو صحيح الإسناد .

(٢) « وجب قلبه يجب وجيباً » ، خفق واضطرب . وكان في المطبوعة : « وتجل » باللام ، كأنه يعني من « الوجل » ، ولكنه لم يحسن قراءة المخطوطة ، لأنها غير منقوطة .

(٣) في المطبوعة : « على هؤلاء الركب » ، زاد « هؤلاء » لغير طائل

وسلم على ما قالوا ، فقال : على جهؤلاء النفر ! فدعاهم فقال : قاتم كذا وكذا !
فحلفوا : ما كنا إلا نخوض ونلعب !

١٦٩١٦ - حدثنا الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو معشر ،
عن محمد بن كعب وغيره قالوا : قال رجل من المنافقين : ما أرى قرأنا هؤلاء
إلا أرغبنا بطوناً ، وأكذبنا ألسنة ، وأجبنا عند اللقاء ! فرُفع ذلك إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب
ناقته ، فقال : يا رسول الله ، إنما كنا نخوض ونلعب ! فقال : « أبالله وآياته
ورسوله كنتم تستهزئون » ، إلى قوله : « مجرمين » ، وإن رجله لتسيفان الحجارة ، (١)
وما يلتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو متعلق بنسعة رسول الله صلى
الله عليه وسلم . (٢)

١٦٩١٧ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا
عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « إنما كنا نخوض ونلعب » ، قال :
قال رجل من المنافقين : « يحدثنا محمد أن ناقة فلان بوادي كذا وكذا ، في يوم
كذا وكذا ! وما يدريه ما الغيب ؟ » .

١٦٩١٨ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ،
عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

* * *

(١) في المطبوعة : « ليسفان بالحجارة » ، غير ما كان في المخطوطة مسيئاً في فعله ، والصواب
ما في المخطوطة . « نسفت الناقة الحجارة والتراب في عدوها تنسفه نفسها » ، إذا أطارته ، وكذلك يقال
في الإنسان إذا اشتد عدوه .

(٢) « النسعة » (بكسر فسكون) : سير مضفور يحمل زماماً للبعير ، وقد تنسج عريضة
تجعل على صدر البعير . ويقال للبطان والحقب : « النسعان » .

القول في تأويل قوله ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾
 إِنْ نَعَفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً ۚ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء
 الذين وصفت لك صفتهم : « لا تعتذروا » ، بالباطل فتقولوا : « كنا نخوض
 ونلعب » = « قد كفرتم » ، يقول : قد جحدتم الحق بقولكم ما قلتم في رسول الله
 صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به ^(١) = « بعد أيمانكم » ، يقول : بعد تصديقكم به
 وإقراركم به = « إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة » . ^(٢)

* * *

وذكر أنه عُفِيَ : بـ « الطائفة » ، في هذا الموضع ، رجل واحد . ^(٣)

وكان ابن إسحق يقول فيما : —

١٦٩١٩ — حدثنا به ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال :
 كان الذي عُفِيَ عنه ، فما بلغني مَخْشِيَّ بن حُمَيْرٍ الأشجعي ، ^(٤) حليف بني
 سلمة ، وذلك أنه أنكر منهم بعض ما سمع . ^(٥)

١٦٩٢٠ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا زيد بن حبان ، عن موسى بن
 عبيدة ، عن محمد بن كعب : « إن نعف عن طائفة منكم » ، قال : « طائفة » ،
 رجل .

* * *

(١) في المخطوطة : « يقول : لحم الحق » ، وهي لا تقرأ ، والذي في المطبوعة مقارب للصواب ،
 فتركته على حاله .

(٢) انظر تفسير « العمو » فيما سلف من فهارس اللغة (عفا) .

(٣) انظر تفسير « الطائفة » فيما سلف ١٣ : ٣٩٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٤) في سيرة ابن هشام في هذا الموضع « مخشن بن حمير » ، وقد أشار ابن هشام إلى هذا
 الاختلاف فيما سلف من سيرته ، ابن هشام ٤ : ١٦٨ . ولكني أثبت ما في المخطوطة .

(٥) الأثر : ١٦٩١٩ — سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٥ ، وهو تابع الأثر السالف رقم :

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك .

فقال بعضهم : معناه : « إن نفع عن طائفة منكم » ، بإنكار ما أنكر عليكم من قبل الكفر = « نعذب طائفة » ، بكفره واستهزائه بآيات الله ورسوله .
* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٢٢ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر قال ، قال بعضهم : كان رجل منهم لم يمالئهم في الحديث ، يسير مجانباً لهم ، ^(١) فنزلت : « إن نفع عن طائفة منكم نعذب طائفة » ، فسُمِّيَ « طائفة » وهو واحد .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إن تب طائفة منكم فيعفو الله عنه ، يعذب الله طائفة منكم بترك التوبة .

* * *

وأما قوله : « إنهم كانوا مجرمين » ، فإن معناه : نعذب طائفة منهم باكتسابهم الجرم ، وهو الكفر بالله ، وطعنهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم . ^(٢)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٦٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « المنافقون والمنافقات » ، وهم الذين يظهرون للمؤمنين الإيمان بألسنتهم ، ويُسِرُّون الكفر بالله ورسوله ^(٣) = بعضهم

(١) في المطبوعة : « فيسير » ، بالفاء ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « الإجماع » فيما سلف ١٣ : ٤٠٨ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « النفاق » فيما سلف ١ : ٢٣٤ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣ ، ٢٢٤ - ٣٢٧ ، ٣٦٣ - ٣٤٦ ، ٤٠٩ ، ٤٠٨ ، ٤١٤ : ٤ ، ٢٣٢ ، ٨ / ٢٣٣ ، ٩ / ٥١٣ : ٧ .

من بعض » ، يقول : هم صنف واحد ، وأمرهم واحد ، في إعلانهم الإيمان ، واستبطنهم الكفر = « يأمرن » من قبل منهم = « بالمنكر » ، وهو الكفر بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به وتكذيبه ^(١) = « وينهون عن المعروف » ، يقول : وينهونهم عن الإيمان بالله ورسوله ، وبما جاءهم به من عند الله ^(٢) .

* * *

وقوله : « ويقبضون أيديهم » ، يقول : ويمسكون أيديهم عن النفقة في سبيل الله ، ويكفونها عن الصدقة ، فيمنعون الذين فرض الله لهم في أموالهم ما فرض من الزكاة حقوقهم ، كما : —

١٦٩٢٣ — حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « ويقبضون أيديهم » ، قال : لا ييسطونها بنفقة في حق .

١٦٩٢٤ — حدثنا المثني قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٦٩٢٥ — حدثني المثني قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٦٩٢٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

١٢١/١٠ ١٦٩٢٧ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ويقبضون أيديهم » ، لا ييسطونها بخير .

١٦٩٢٨ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « ويقبضون أيديهم » ، قال : يقبضون أيديهم عن كل خير .

* * *

(١) انظر تفسير « المنكر » فيما سلف ١٣: ١٦٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « المعروف » فيما سلف ١٣: ١٦٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

وأما قوله : « نسوا الله فنسيهم » ، فإن معناه : تركوا الله أن يطيعوه ويتبعوا أمره ، فتركهم الله من توفيقه وهدايته ورحمته .

* * *

وقد دللنا فيما مضى على أن معنى « النسيان » ، الترك ، بشواهد ، فأغنى ذلك عن إعادته هنا . (١)

* * *

وكان قتادة يقول في ذلك ما : —

١٦٩٢٩ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، قتادة قوله : « نسوا الله فنسيهم » ، نُسُوا من الخير ، ولم ينسوا من الشر .

* * *

قوله : « إن المنافقين هم الفاسقون » ، يقول : إن الذين يخادعون المؤمنين بإظهارهم لهم بالسنتهم الإيمان بالله ، وهم لا كافر مستبطنون ، (٢) هم المفارقون طاعة الله ، الخارجون عن الإيمان به وبرسوله . (٣)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ الْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ (٦٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار بالله = « نار جهنم » ، أن يصلبهموها جميعاً = « خالدين فيها » ، يقول : ما كثر فيها أبداً ، لا يحيون فيها ولا يموتون (٤) = « هي حسبهم » ، يقول : هي

(١) انظر تفسير « النسيان » فيما سلف ١٢ : ٤٧٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « النفاق » فيما سلف قريباً ص : ٣٣٧ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « الفسق » فيما سلف ص : ٢٩٣ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « الخلود » فيما سلف من فهارس اللغة (خلد) .

كافيتهم عقاباً وثواباً على كفرهم بالله ^(١) = « ولعنهم الله » ، يقول : وأبعدهم الله وأسحقهم من رحمته = « ولهم عذاب مقيم » ، يقول : وللفريقين جميعاً : يعنى من أهل النفاق والكفر ، عند الله = « عذاب مقيم » ، دائم لا يزول ولا يبيد. ^(٢)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٦٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد ، لهؤلاء المنافقين الذين قالوا : « إنما كنا نخوض ونلعب » : أبالله وآيات كتابه ورسوله كنتم تستهزئون ؟ = « كالذين من قبلكم » ، من الأمم الذين فعلوا فعلكم ، فأهلكهم الله ، وعجل لهم فى الدنيا الخزى ، مع ما أعد لهم من العقوبة والنكال فى الآخرة . يقول لهم جل ثناؤه : واحذروا أن يحل بكم من عقوبة الله مثل الذى حل بهم ، فإنهم كانوا أشد منكم قوةً وبطشاً ، وأكثر منكم أموالاً وأولاداً = « فاستمتعوا بخلاقهم » ، يقول : فتمتعوا بنصيبهم وحظهم من دنياهم ودينهم ، ^(٣) ورضوا بذلك من نصيبهم فى الدنيا عوضاً من نصيبهم فى الآخرة ، ^(٤)

(١) انظر تفسير « حسب » فيما سلف ص : ٣٠٤ ، تعليق ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « مقيم » فيما سلف ١٠ ٢٩٣ ، ٢٩٤ / ١٤ / ١٧٢ .

(٣) انظر تفسير « الاستمتاع » فيما سلف ١٢ : ١١٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « الخلاق » فيما سلف ٢ : ٤٥٢ - ٤٥٤ / ٤ : ٢٠١ - ٢٠٣ / ٦ :

وقد سلكتم، أيها المنافقون، سبيلهم في الاستمتاع بخلافتكم . يقول : فعلتم بدينكم ودنياكم ، كما استمتع الأمم الذين كانوا من قبلكم ، الذين أهلكتهم بخلافهم أمرى = « بخلافهم » ، يقول : كما فعل الذين من قبلكم بنصيبهم من دنياهم ودينهم = « وخضتم » ، في الكذب والباطل على الله = « كالذى خاضوا » ، يقول : وخضتم أنتم أيضاً، أيها المنافقون ، كخوض تلك الأمم قبلكم .^(١)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٣٠ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني أبو معشر ، عن سعيد بن أبي سعيد المقبرى ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : قال : لتأخذُنَّ كما أخذ الأمم من قبلكم ، ذراعاً بذراع ، وشبراً بشبر ، وباعاً ببيع ، حتى لو أن أحداً من أولئك دخل جُحر ضبٍّ لدخلتموه ! = قال أبو هريرة : اقرأوا إن شئتم القرآن : « كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بخلافهم فاستمتعتم بخلافكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلافهم وخضتم كالذى خاضوا » = قالوا : يا رسول الله ، كما صنعت فارس والروم ؟ قال : فهل الناس إلا هم ؟^(٢)

١٦٩٣١ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حمجاج ،

(١) انظر تفسير « الخوض » فيما سلف ص : ٣٣٢ ؛ تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) الأثر : ١٦٩٣٠ - إسناده ضعيف .

« أبو معشر » ، هو : « نجيج بن عبد الرحمن السندى » ، منكر الحديث ، مضى برقم :

١٢٧٥ .

ولكن هذا الخبر له أصل في الصحيح ، فقد رواه البخارى في صحيحه من طريق أحمد بن يونس ، عن ابن أبي ذئب ، عن سعيد بن أبي سعيد المقبرى ، عن أبي هريرة (الفتح ١٣ : ٢٥٤) ، بغير هذا اللفظ .

يقال : « أخذ إخذ فلان » ، إذا سار بسيرته .

١٢٢/١٠ عن ابن جريج ، عن عمر بن عطاء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قوله :

« كالذين من قبلكم » ، الآية قال ، قال ابن عباس : ما أشبه الليلة بالبارحة !

« كالذين من قبلكم » ، هؤلاء بنو إسرائيل ، شهبنا بهم ، لا أعلم إلا أنه قال :

والذى نفسى بيده ، لتتبعنهم حتى لو دخل الرجل منهم جحر ضب لدخلتموه . (١)

١٦٩٣٢ = قال ابن جريج : وأخبرني زياد بن سعد ، عن محمد بن

زيد ابن مهاجر ، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أبي هريرة قال : قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفسى بيده ، لتتبعن سنن الذين من قبلكم ،

شبراً بشبراً ، وذراعاً بذراع ، وباعاً بباع ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه !

قالوا : ومن هم ، يا رسول الله ؟ أهل الكتاب ! قال : فممه ! (٢)

(١) الأثر : ١٦٩٣١ - « عمر بن عطاء » ، هذا الراوى عن عكرمة هو : « عمر بن عطاء

ابن وراز » ، وهو ضعيف ، ليس بشيء . قال أحمد : « كل شيء روى ابن جريج ، عن عمر

ابن عطاء ، عن عكرمة ، فهو : ابن وراز . وكل شيء روى ابن جريج ، عن عمر بن عطاء ،

عن ابن عباس ، فهو ابن أبي الخوار » ، فهما رجلا . وهو مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم

١٢٦/١٣ ، وميزان الاعتدال ٢ : ٢٦٥ .

فهذا إسناد ضعيف أيضاً ، ولكن له أصل في الصحيح ، كما سلف قبل .

(٢) الأثر : ١٦٩٣٢ - هذا إسناد تابع للإسناد السالف ، ولكنى فصلته عنه ، لأن

الإسناد الأول قد تم برواية ابن جريج حديث ابن عباس ، ثم انتقل إلى إسناد آخر إلى أبي هريرة .

و « زياد بن سعد بن عبد الرحمن الخراساني » ، وكان شريك ابن جريج ، وهو ثقة ، روى له

الجماعة . مترجم في التهذيب ، والكبير ١/٢/٣٢٧ ، وابن أبي حاتم ١/٢/٥٣٣ .

و « محمد بن زيد بن مهاجر بن قنفذ التيمي القرشي » ، ثقة ، مضى برقم : ١٠٥٢١ .

فهذا خبر صحيح الإسناد .

* * *

وأما قوله : « فمه » ، فقد كتبها المطبوعة : « فن » ، وهى في المخطوطة بالهاء واضحة عليها

سكون ، ويدل على صواب ذلك ، اقتصار ابن جريج في الخبر التالى على ذكر « فن » ، دون

ذكر الخبر ، فهذا دال على أن الأولى مخالفة للثانية ، لا مطابقة لها .

واستعمال « مه » بمعنى الاستفهام ، قد ذكر له صاحب اللسان في مادة « ما » ، شهاداً ،

ولكنه أساء في نقله عن ابن جنى بعده ، فلم يتيقن ما أراد قبله . قال : « ما : حرف نفى ، وتكون

بمعنى الذى ... وتكون موضوعة موضع من ، وتكون بمعنى الاستفهام وتبدل من الألف الهاء ، فيقال :

مه ، قال الراجز :

١٦٩٣٣ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال أبو سعيد الخدري أنه قال : فن . (١)

١٦٩٣٤ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن : « فاستمتعوا بخلاقهم » ، قال : بدينهم .

١٦٩٣٥ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حَدَّثَكُمْ أَنْ تَحْدُثُوا فِي الْإِسْلَامِ حَدَّثًا ، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ سَيَفْعَلُ ذَلِكَ أَقْوَامٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، (٢) فَقَالَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ : « فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا » ، وإنما حسبوا أن لا يقع بهم من الفتنة ما وقع ببني إسرائيل قبلهم ، وإن الفتنة عائدة كما بدأت .

* * *

قَدْ وَرَدَتْ مِنْ أَمْكِنَهُ وَمِنْ هَهُنَا وَمِنْ هُنَا
إِنْ لَمْ أَرَوْهَا فَمَهْ

قال ابن جني : يحتمل ، مه ، هنا وجهين : أحدهما أن تكون : فه ، زجرًا منه ، أي : فاكفف عني . ولست أهلا للعتاب = أو : فه يا إنسان ، يخاطب نفسه ويذجرها . قلت : وهذا تحكم من أبي الفتح بن جني ، فإن سياق الرجز يوجب أن يكون معناه : إن لم أروا هذا الإبل ، فن يروها ؟ وهو صريح معنى الاستدلال الذي ساقه صاحب اللسان ، ولكنه أساء في البيان وقصر ، وأساء في إردافه الكلام ما أردفه من كلام أبي الفتح . وهذا الخبر الذي رواه ابن جريج ، عن أبي هريرة ، دليل آخر ، وشاهد قوي على استعمالهم « مه » ، بمعنى الاستفهام .

(١) الأثر : ١٦٩٣٣ - حديث أبي سعيد الخدري ، في معنى الأخبار السالفة رواه البخاري في صحيحه (الفتح ١٣ : ٢٥٥) ، وسلم في صحيحه ١٦ : ٢١٩ ، من طريق زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري .

وهذا الخبر رواه ابن جريج مختصراً على كلمة واحدة ، وهي « فن » ، ليبين معنى رواية أبي هريرة قبل : « فه » ، أنها بمعنى « فن » ، استفهاماً ، كما سلف في التعليق قبله .

(٢) جاء هكذا في المخطوطة : « حدثكم أن تحدثوا في الإسلام حدثاً ، وقد علمتم أنه . . . » ، وهو غير مقروء ، ولا مستقيم ، والذي في المطبوعة ، كأنه منقول من الدر المنثور ٣ : ٢٥٥ ، وقد نسبته إلى أبي الشيخ ، ولم ينسبه إلى ابن جرير ، وهو فضلاً عن ذلك ، مختصر في الدر المنثور .

وأما قوله : « أولئك حبطت أعمالهم » ، فإن معناه : هؤلاء الذين قالوا :
« إنما كنا نخوض ونلعب » ، وفعلوا في ذلك فعل الهالكين من الأمم قبلهم =
« حبطت أعمالهم » ، يقول : ذهبت أعمالهم باطلاً ، فلا ثواب لها إلا النار ، لأنها
كانت فيما يسخط الله ويكرهه ^(١) = « وأولئك هم الخاسرون » ، يقول : وأولئك
هم المغبونون صفقتهم ، بيعهم نعيم الآخرة بخلافهم من الدنيا اليسير الزهيد ^(٢) .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ
نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ
أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا
أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (٧٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ألم يأت هؤلاء المنافقين الذين يُسِرُّون
الكفر بالله ، ويهنون عن الإيمان به وبرسوله = « نبا الذين من قبلهم » ، يقول :
خبر الأمم الذين كانوا من قبلهم ، ^(٣) حين عصوا رسلنا وخالفوا أمرنا ، ماذا حل
بهم من عقوبتنا ؟

* * *

ثم بين جل ثناؤه من أولئك الأمم التي قال هؤلاء المنافقين ألم يأتهم نباهم ،
فقال : « قوم نوح » ، ولذلك خفض « القوم » ، لأنه ترجم بهم عن « الذين » ،
و « الذين » في موضع خفض .

* * *

(١) انظر تفسير « حبط » فيما سلف ص: ١٦٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الخسران » فيما سلف ١٣ : ٥٣٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « النبا » فيما سلف ص: ٣٣١ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

ومعنى الكلام : ألم يأت هؤلاء المنافقين خبر قوم نوح وصنيعي بهم ، إذ كذبوا رسول نوحاً ، وخالفوا أمرى ؟ ألم أغرقهم بالطوفان ؟

= « وعاد » ، يقول : وخبر عاد ، إذ عصوا رسول هوداً ، ألم أهلكهم بريح صرصر عاتية ؟ = وخبر ثمود ، إذ عصوا رسول صالحاً ، ألم أهلكهم بالرجفة ، فأتركهم بأفنيهم خموداً ؟ = وخبر قوم إبراهيم ، إذ عصوه وردوا عليه ما جاءهم به من عند الله من الحق ، ألم أسلبهم النعمة ، وأهلك ملكهم نمرود ؟ = وخبر أصحاب مدّين بن إبراهيم ، ألم أهلكهم بعذاب يوم الظلة إذ كذبوا رسول شعبياً ؟ = وخبر المنقلبة بهم أرضهم ، فصار أعلاها أسفلها ، إذ عصوا رسول لوطاً ، ^(١) وكذبوا ما جاءهم به من عندى من الحق ؟ يقول تعالى ذكره : أفأمن هؤلاء المنافقون الذين يستهزئون بالله وبآياته ورسوله ، أن يُسلك بهم فى الانتقام منهم ، وتعجيل الحزى والنكال لهم فى الدنيا ، سبيل أسلافهم من الأمم ، ويحلّ بهم بتكذيبهم رسول محمد صلى الله عليه وسلم ما حلّ بهم فى تكذيبهم رسلنا ، إذ أتتهم بالبينات .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٣٦ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « والمؤتفكات » ، قال : قوم لوط ، انقلبت بهم أرضهم ، فجعل عاليها سافلها .

١٦٩٣٧ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « والمؤتفكات » ، قال : هم قوم لوط .

* * *

(١) انظر تفسير « الائتفاك » فيما سلف ص : ٢٠٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « البينة » فيما سلف من فهارس اللغة (بين) .

فإن قال قائل : فإن كان غنى بـ « المؤتفكات » قوم لوط ، فكيف قيل : « المؤتفكات » ، فجمعت ولم توحّد ؟

قيل : إنها كانت قريبات ثلاثاً ، فجمعت لذلك ، ولذلك جمعت بالتاء ، على قول الله : ﴿ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى ﴾ ، [سورة النجم : ٥٣] .^(١)

فإن قال : وكيف قيل : أتتهم رسلهم بالبينات ، وإنما كان المرسل إليهم واحداً ؟

قيل : معنى ذلك : أتى كل قرية من المؤتفكات رسولٌ يدعوهم إلى الله ، فتكون رُسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين بعثهم إليهم للدعاء إلى الله عن رسالته ، رسلاً إليهم ، كما قالت العرب لقوم نسبوا إلى أبي فديك الخارجي : « الفُديكَات » ، و « أبو فديك » ، واحدٌ ، ولكن أصحابه لما نسبوا إليه وهو رئيسهم ، دعوا بذلك ، ونسبوا إلى رئيسهم . فكَذلك قوله : « أتتهم رسلهم بالبينات » .

* * *

وقد يحتمل أن يقال معنى ذلك : أتت قوم نوح وعاد وثمود وسائر الأمم الذين ذكرهم الله في هذه الآية ، رسلهم من الله بالبينات .

* * *

وقوله : « فما كان الله ليظلمهم » ، يقول جل ثناؤه : فما أهلك الله هذه الأمم التي ذكر أنه أهلكها إلاّ بإجرامها وظلمها أنفسها ، واستحقاقها من الله عظيم العقاب ، لا ظملاً من الله لهم ، ولا وضعاً منه جل ثناؤه عقوبةً في غير من هو لها أهلٌ ، لأن الله حكيم لا خلل في تدبيره ، ولا خطأ في تقديره ، ولكن القوم الذين أهلكهم ظلموا أنفسهم بمعصية الله وتكذيبهم رسله ، حتى أسخطوا عليهم ربهم ، فحقبت عليهم كلمة العذاب فعذبوا .

* * *

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٤٤٦ .

القول في تأويل قوله ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٧١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وأما «المؤمنون والمؤمنات» ، وهم المصدقون بالله ورسوله وآيات كتابه ، فإن صفتهم : أن بعضهم أنصارُ بعض وأعاونهم^(١) = «يأمرون بالمعروف» ، يقول : يأمرون الناس بالإيمان بالله ورسوله ، وبما جاء به من عند الله ،^(٢) [«وينهون عن المنكر» . . .]^(٣) = «ويقيمون الصلاة» ، يقول : ويؤدُّون الصلاة المفروضة^(٤) = «ويؤتون الزكاة» ، يقول : ويعطون الزكاة المفروضة أهلها^(٥) = «ويطيعون الله ورسوله» ، فيأتمرون لأمر الله ورسوله ، وينهون عما نهاهم عنه = «أولئك سيرحمهم الله» ، يقول : هؤلاء الذين هذه صفتهم ، الذين سيرحمهم الله ، فينقلدهم من عذابه ، ويدخلهم جنته ، لأهل النفاق والتكذيب بالله ورسوله ، الناهون عن المعروف ، الآمرون بالمنكر ، القابضون أيديهم عن أداء حق الله من أموالهم = «إن الله عزيز حكيم» ، يقول : إن الله ذو عزة في انتقامه ممن انتقم من خلقه على معصيته وكفره به ، لا يمنعه من الانتقام منه مانع ، ولا ينصره منه ناصر = «حكيم» ، في انتقامه منهم ، وفي جميع أفعاله .^(٦)

* * *

- (١) انظر تفسير «الأولياء» فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .
- (٢) انظر تفسير «المعروف» فيما سلف ص : ٣٣٨ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
- (٣) ما بين القوسين زدته استظهاراً ، وهو تمام الآية ، أدخل به الناسخ ، وأسقط تفسيره ، كما هو بين من سياق أبي جعفر في تفسيره .
- انظر تفسير «المنكر» فيما سلف ص : ٣٣٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
- (٤) انظر تفسير «إقامة الصلاة» فيما سلف من فهارس اللغة (قوم) .
- (٥) انظر تفسير «إيتاء الزكاة» فيما سلف من فهارس اللغة (أق) .
- (٦) انظر تفسير «عزيز» ، و «حكيم» ، فيما سلف من فهارس اللغة (عزز) ، (حك) .

وينحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٣٨ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية قال : كل ما ذكره الله فى القرآن من « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » ، ف « الأمر بالمعروف » ، دعاء من الشرك إلى الإسلام = و « النهي عن المنكر » ، النهي عن عبادة الأوثان والشياطين .
١٦٩٣٩ - قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « يقيمون الصلاة » ، قال : الصلوات الخمس .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٧٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وعد الله الذين صدقوا الله ورسوله ، وأقروا به وبما جاء به من عند الله ، من الرجال والنساء = « جنات تجرى من تحتها الأنهار » ، يقول : بساتين تجرى تحت أشجارها الأنهار ^(١) = « خالدين فيها » ، يقول : لابتين فيها أبداً ، مقيمين لا يزول عنهم نعيمها ولا يبید ^(٢) = « ومسكن طيبة » ، يقول : ومنازل يسكنونها طيبة ^(٣) .

* * *

(١) انظر تفسير «جنة» فيما سلف من فهارس اللغة (جنن) .

(٢) انظر تفسير «الخلود» فيما سلف من فهارس اللغة (خلد) .

(٣) انظر تفسير «طيبة» فيما سلف من فهارس اللغة (طيب) .

و « طيبها » أنها ، فيما ذكر لنا ، كما :-

١٦٩٤٠ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا إسحق بن سليمان ، عن جسر ، عن الحسن قال : سألت عمران بن حصين وأبا هريرة عن آية في كتاب الله تبارك وتعالى : « ومساكن طيبة في جنات عدن » ، فقالا : على الخير سقطت ! سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : قصر في الجنة من لؤلؤ ، فيه سبعون داراً من ياقوتة حمراء ، في كل دار سبعون بيتاً من زمردة خضراء ، في كل بيت سبعون سريراً . (١)

١٦٩٤١ - حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري قال ، حدثنا قرة بن حبيب ، عن جسر بن فرقد ، عن الحسن ، عن عمران بن حصين وأبي هريرة قالا : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية : « ومساكن طيبة في جنات عدن » ، قل : قصر من لؤلؤة ، في ذلك القصر سبعون داراً من ياقوتة حمراء ، في كل دار سبعون بيتاً من زبرجدة خضراء ، في كل بيت سبعون سريراً ، على كل سرير سبعون فراشاً من كل لون ، على كل فراش زوجة من الخور العين ، في كل بيت سبعون مائدة ،

(١) الأثر : ١٦٩٤٠ - « إسحق بن سليمان الرازي » ، شيخ أبي كريب ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٣٢٢٤ .

و « جسر » هو : « جسر بن فرقد » ، أبو جعفر القصاب ، روى عنه إسحق بن سليمان ، وروى هو عن الحسن وغيره ، وكان رجلاً صالحاً ، ولكنه في الحديث ليس بشيء . مترجم في الكبير ٢٤٥/٢/١ ، وقال : « ليس بذلك » ، وفي ابن أبي حاتم ٣٨٨/١/١ ، وميزان الاعتدال ١ : ١٨٤ ، ولسان الميزان ٢ : ١٠٤ .

وكان في المطبوعة : « إسحق بن سليمان ، عن الحسن قال سألت » ، وأسقط اسم « جسر » ، لأنه كان في المخطوطة قد كتب : « عن الحسن ، عن الحسن » ، ثم ضرب الناسخ على « الألف واللام » من « الحسن » الأولى ، فظنه قد ضرب عليه كله ، والصواب ما أثبت ، وسيأتي في الإسناد التالي . وهذا الخبر ، ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ٣٠ ، ٣١ ، وقال : « رواه البزار والطبراني في الأوسط . وفيه جسر بن فرقد ، وهو ضعيف ، وقد وثقه سعيد بن عامر ، وبقيّة رجال الطبراني ثقات » .

ثم خرج في مجمع الزوائد ١٠ : ٤٢٠ وقال : « رواه الطبراني ، وفيه : جسر بن فرقد ، وهو ضعيف » ، فاختصر ما سلف .

وهو إسناد ضعيف كما قال ، فقد ضعف جسر بن فرقد ، البخاري وغيره من الأئمة .

على كل مائدة سبعون لوناً من طعام، في كل بيت سبعون وصيفة ، ويعطى المؤمن من القوة في غداة واحدة ما يأتي على ذلك كله أجمع .^(١)

* * *

وأما قوله : « في جنات عدن » ، فإنه يعنى : وهذه المساكن الطيبة التى وصفها جل ثناؤه ، « في جنات عدن » .

* * *

و « في » من صلة « مساكن » .

* * *

وقيل : « جنات عدن » ، لأنها بساكن خلد وإقامة ، لا يظعن منها أحد .

* * *

وقيل : إنما قيل لها « جنات عدن » ، لأنها دار الله التى استخلصها لنفسه ، ولمن شاء من خلقه = من قول العرب : « عدن فلان بأرض كذا » ، إذا أقام بها وخلد بها ، ومنه « المعدن » ، ويقال : « هو فى معدن صدق » ، يعنى به : أنه فى أصل ثابت . وقد أنشد بعض الرواة بيت الأعشى :

وَإِنْ يَسْتَظِيفُوا إِلَى حِلْمِهِ يُضَافُوا إِلَى رَاجِحٍ قَدْ عَدَنَ^(٢)

(١) : ١٦٩٤١ - «قرة بن حبيب بن يزيد بن شهرزاد القنوى الرماح» ، ثقة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١٨٣/١/٤ ، وابن أبى حاتم ١٣٢/٢/٣ .
و «جسر بن فرقد» سلف فى الإسناد وقبله . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : «حسن بن فرقد» ، وصوابه ما أثبت .
وهو إسناد ضعيف أيضاً .

(٢) ديوانه : ١٧ ، ومخطوطه ديوانه القصيدة رقم : ١٥ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٦٤ ، واللسان «وزن» ، وهى من كلمته الأولى التى أقبل بها على قيس بن معد يكرب الكندى ، ورواية الديوان «إلى حكمه» ، ولكنها فى المخطوطة ومجاز القرآن كما أثبتنا ، ولكن المطبوعة كتب «حكمه» .
يقول قبله :

وَلَكِنْ رَبِّى كَفَى غُرْبِى
أَخَا ثِقَةٍ عَالِيَا كَعُمْبَةٍ
بِحَمْدِ الْإِلَهِ ، فَقَدْ بَلَّغَن
جَزِيلَ الْعَطَاءِ كَرِيمِ الْمِنَّةِ

وينشد : « قد وَرَنَ » . (١)

* * *

وكالذى قلنا فى ذلك كان ابن عباس وجماعة معه ، فيما ذكر ، يتأولونه .

١٦٩٤٢ - حدثني إسحق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال ، حدثنا

عتاب بن بشير ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « جنات عدن » ، قال : « معدن الرجل » ، الذى يكون فيه .

١٦٩٤٣ - حدثنا محمد بن سهل بن عسكر قال ، حدثنا ابن أبى مریم

قال ، حدثنا الليث بن سعد ، عن زيادة بن محمد ، عن محمد بن كعب القرظى ، عن فضالة بن عبيد ، عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إن الله يفتح الذكر فى ثلاث ساعات يبقين من الليل ، فى الساعة الأولى منهن ينظر فى الكتاب الذى لا ينظر فيه أحد غيره ، فيمحو ما يشاء ويثبت . ثم ينزل

فى الساعة الثانية إلى جنة عدن ، وهى فى داره التى لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر ، وهى مسكنه ، ولا يسكن معه من بنى آدم غير ثلاثة : النبيين ، والصديقين ،

والشهداء ، ثم يقول : طوبى لمن دخلك ، وذكر فى الساعة الثالثة . (٢)

كَرِيْمًا شَمَانُهُ ، مِنْ بَنِي مُعَاوِيَةَ الْأَكْرَمِينَ السَّنَنِ
فَإِنْ يَتَّبِعُوا أَمْرَهُ يَرْشُدُوا وَإِنْ يَسْأَلُوا مَالَهُ لَا يَضِنُّ

و « استضاف إليه » ، لجأ إليه عند الحاجة .

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « قد وزن » ، بالواو ورواية الديوان : « قد رزن » بالراء ، وكله صحيح المعنى . وهذه التى ذكرها الطبرى ، هى الرواية التى فسرهما صاحب اللسان فى « وزن » . يقال : « وزن الشيء » ، أى : رجع ، و « وزن الرجل وزانة » ، إذا كان مشتبهاً ، و « رجل وزين الرأى » ، أصيله . و « رزن » بالراء مثله فى المعنى ، يقال : « رجل رزين » ، أى : وقور .

(٢) الآثاران : ١٦٩٤٣ ، ١٦٩٤٤ - « زيادة بن محمد الأنصارى » ، منكر الحديث ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/٢/٤٠٧ ، وذكر إسناد هذا الخبر ، وابن أبى حاتم ١/٢١٩/٦١٩ ، وميزان الاعتدال ١ : ٣٦١ ، وساق هذا الحديث بطوله ، وفيه ذكر الساعة الثالثة ، ثم قال : « وهذه ألفاظ منكورة ، لم يأت بها غير زيادة » .

وخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٠ : ٤١٢ وقال : « رواه البزار ، وفيه زيادة بن محمد ، وهو ضعيف » .

١٦٩٤٤ - حدثني موسى بن سهل قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا الليث ابن سعد قال ، حدثنا زيادة بن محمد ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن فضالة ابن عبيد ، عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عدن داره = يعنى : دار الله = التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر ، وهى مسكنه ، ولا يسكنها معه من بنى آدم غير ثلاثة : النبيين ، والصديقين ، والشهداء . يقول الله تبارك وتعالى : طوبى لمن دخلك . (١)

* * *

وقال آخرون : معنى « جنات عدن » ، جنات أعتاب وكروم .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٥/١٠ - ١٦٩٤٥ - حدثني أحمد بن أبي سريج الرازي قال ، حدثنا زكريا بن عدى قال ، حدثنا عبيد الله بن عمرو ، عن زيد بن أبي أنيسة ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث : أن ابن عباس سأل كعباً عن جنات عدن ، فقال : هى الكروم والأعتاب ، بالسريانية . (٢)

* * *

وقال آخرون : هى اسم لبُطْنان الجنة ووَسَطها .

* ذكر من قال ذلك :

وكان فى المطبوعة فى الخبر الأول : « الكندى سعد ، عن زيادة بن محمد » ، وصوابه « الليث ابن سعد » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، لأنه وصل الحروف بعضها ببعض .
(١) الأثر : ١٦٩٤٤ - انظر التعليق السالف . و « آدم » ، هو « آدم بن أبي إياس » .
(٢) الأثر : ١٦٩٤٥ - « أحمد بن أبي سريج الرازي » ، هو « أحمد بن الصباح النهشل الرازي » ، شيخ أبي جعفر . روى عنه البخارى ، وأبوداود ، والنسائى . ثقة . مترجم فى التهذيب ، وابن أبي حاتم ٥٦/١/١ .

و « زكريا بن عدى بن زريق التميمي » ، ثقة ، مضى برقم : ١٥٤٤٦ .
و « عبيد الله بن عمرو الرقي » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى مراراً ، منها رقم : ٧١٨٧ .
و « زيد بن أبي أنيسة الجزري » ، ثقة ، مضى مراراً آخرها : ١٣٨٥٥ .
و « يزيد بن أبي زياد القرشي » ، مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، ثقة ، يضعف حديثه . مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٣٣٠٨ .
و « عبد الله بن الحارث بن نوفل الهاشمي » ، روى له الجماعة ، مضى أيضاً ، برقم : ١٣٣٠٨ .

١٦٩٤٦ - حدثنا حميد بن مسعدة قال ، حدثنا بشر بن المفضل قال ،
حدثنا شعبة ، عن سليمان الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق ، عن
عبد الله قال : « عدن » ، بَطْنَان الجنة .

١٦٩٤٧ - حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا ، حدثنا يحيى بن
سعيد ، عن سفيان وشعبة ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق ،
عن عبد الله في قوله : « جنات عدن » ، قال : بَطْنَان الجنة = قال ابن بشار في
حديثه ، فقلت : ما بطنانها ؟ وقال ابن المثنى في حديثه ، فقلت للأعمش :
ما بطنان الجنة ؟ قال : وَسَطُهَا .

١٦٩٤٨ - حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ،
عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، وأبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله :
« جنات عدن » ، قال : بطنان الجنة .

١٦٩٤٩ - قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا شعبة ، عن
الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله . بمثله .

١٦٩٥٠ - حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ،
عن سليمان ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق . عن عبد الله . مثله .

١٦٩٥١ - حدثنا أحمد بن أبي سريج قال ، حدثنا أبو أحمد الزبير قال ،
حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، وعبد الله بن مرة ، عنهما جميعاً ،
أو عن أحدهما ، عن مسروق ، عن عبد الله : « جنات عدن » . قال : بطنان
الجنة .

١٦٩٥٢ - حدثنا بن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن أبي
الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله بن مسعود في قول الله : « جنات عدن » ،
قال : بَطْنَان الجنة .

وقال آخرون : « عدن » ، اسم لقصر .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٥٣ - حدثني علي بن سعيد الكندي قال ، حدثنا عبدة أبو غسان ، عن عون بن موسى الكناني ، عن الحسن قال : « جنات عدن » ، وما أدراك ما جنات عدن؟ قصرٌ من ذهب ، لا يدخله إلا نبي ، أو صدّيق ، أو شهيد ، أو حكم عدل ، ورفع به صوته .^(١)

١٦٩٥٤ - حدثنا أحمد بن أبي سريج قال ، حدثنا عبد الله بن عاصم قال ، حدثنا عون بن موسى قال : سمعت الحسن بن أبي الحسن يقول : جنات عدن ، وما أدراك ما جنات عدن؟ قصر من ذهب ، لا يدخله إلا نبي ، أو صدّيق ، أو شهيد ، أو حكم عدل = رفع الحسن به صوته .^(٢)

١٦٩٥٥ - حدثنا أحمد قال ، حدثنا يزيد قال أخبرنا حماد بن سلمة ، عن يعلى بن عطاء ، عن نافع بن عاصم ، عن عبد الله بن عمرو قال : إن في الجنة قصرًا يقال له « عدن » ، حوله البروج والروح ، له خمسون ألف باب ، على كل باب حيرة ،^(٣) لا يدخله إلا نبي أو صدّيق .

١٦٩٥٦ - حدثنا الحسن بن ناصح قال ، حدثنا أبو داود قال ، حدثنا شعبة ، عن يعلى بن عطاء قال : سمعت يعقوب بن عاصم يحدث ، عن عبد الله بن عمرو :

(١) الأثر : ١٦٩٥٣ - « عبدة ، أبو غسان » ، لم أعرف من يكون ؟ و « عون بن موسى الكناني الليثي » ، أبو روح ، ثقة سمع الحسن . مترجم في الكبير ١٧/١/٤ ، وابن أبي حاتم ٣٨٦/١/٣ .

(٢) الأثر : ١٦٩٥٤ - « أحمد بن أبي سريج » ، مضى برقم : ١٦٩٤٥ « عبد الله بن عاصم الحناني » ، صدوق ، روى عنه أبو حاتم ، وأبو زرعة . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ١٣٤/٢/٢ .

« عون بن موسى الكناني » ، مضى قبله .

(٣) « الحيرة » (بكسر الحاء وفتح الباء) : ضرب من برود اليمن منمر . وقالوا : « ليس : حبرة ، موضعاً أو شيئاً معلوماً ، إنما هو شيء » . وكأنه هو المراد في مثل هذا الخبر ، أي : ستور موشية .

إن في الجنة قصرًا يقال له «عدن»، له خمسة آلاف باب، على كل باب خمسة آلاف حِبرَة ، لا يدخله إلا نبي أو صدّيق أو شهيد .^(١)

* * *

وقيل : هي مدينة الجنة .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٥٧ - حدثت عن عبد الرحمن المحاربى ، عن جوير ، عن الضحاك :

في «جنات عدن»، قال : هي مدينة الجنة ، فيها الرُّسل والأنبياء والشهداء ، وأئمة الهدى ، والناس حولهم بعدُ ، والجنات حولها .

* * *

وقيل : إنه اسم نهر .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٥٨ - حدثت عن المحاربى ، عن واصل بن السائب الرقاشى ، عن

عطاء قال : «عدن»، نهر في الجنة ، جنّاته على حافته .

* * *

وأما قوله : «ورضوان من الله أكبر» ، فإن معناه : ورضى الله عنهم أكبر

من ذلك كله ،^(٢) بذلك جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) الأثر : ١٦٩٥٦ - «الحسن بن ناصح» ، هو «الحسن بن ناصح البصرى السراج» ، قال ابن أبي حاتم : «روى عن عثمان بن عثمان اللطفاقي ، ومعتز بن سليمان ، ومعاذ بن معاذ ، ويحيى بن راشد ، سمع منه أبى في الرحلة الثانية» ، الجرح والتعديل ٣٩/٢/١ ، تاريخ بغداد ٤٣٥ : ٧ .

وهناك أيضاً : «الحسن بن ناصح الخلال الحزرى» ، روى عن إسحق بن منصور ، وغيره قال ابن أبي حاتم : «أدركته . ولم أكتب عنه ، وكان صدوقاً» ، وكان هذا هو شيخ الطبرى . مترجم في ابن أبي حاتم ٣٩/٢/١ ، وتاريخ بغداد ٤٣٥ : ٧ .

وكان في المطبوعة : «الحسن بن ناصح» ، وهو مخالفة لما في المخطوطة .

و «يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفى» ، ذكره ابن حبان في الثقات ، مترجم في التهذيب ، والكبير ٣٨٨/٢/٤ ، وابن أبي حاتم ٢١١/٢/٤ .

(٢) انظر تفسير «الرضوان» فيما سلف ص ١٧٤ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

١٦٩٥٩ - حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد قال : أخبرنا بن المبارك .
 عن مالك بن أنس ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد
 الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله يقول لأهل الجنة :
 يا أهل الجنة ! فيقولون : لبّيك ربّنا وسّعديك ! فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون :
 ما لنا لا نرضى ، وقد أعطيتنا ما لم تُعْطِ أحداً من خلقك ؟ فيقول : أنا أعطيتكم
 أفضلَ من ذلك . قالوا : يا ربّ ، وأيّ شيء أفضل من ذلك ! قال : أحلّ
 عليكم رضواني ، فلا أسخط عليكم بعده أبداً . (١)

١٦٩٦٠ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثني يعقوب ، عن حفص ، عن
 شمر قال : يجيء القرآن يوم القيامة في صورة الرجل الشاحب ، إلى الرجل حين
 يشقُّ عنه قبره ، فيقول : أبشر بكرامة الله ! أبشر برضوان الله ! فيقول : مثلك
 من يبشّر بالخير ؟ ومن أنت ؟ فيقول : أنا القرآن الذي كُنْتُ أسهر ليلك ، وأُظْمِئُ
 نهارك ! فيحمله على رقبته حتى يُوافي به ربّه ، فيمُثِّلُ بين يديه فيقول : يا رب ،
 عبدك هذا ، اجزه عني خيراً ، فقد كنت أسهر ليله ، وأُظْمِئُ نهاره ، وأمره فيطيعني ،
 وأنهاره فيطيعني . فيقول الرب تبارك وتعالى : فله حُلَّةُ الكرامة . فيقول : أي ربّ ،
 زدّه ، فإنه أهل ذلك ! فيقول : فله رضواني = قال : « ورضوانٌ من الله أكبر » . (٢)

* * *

(١) الأثر : ١٦٩٥٩ - هذا حديث صحيح رواه البخاري بهذا الإسناد نفسه ،
 وبلفظه في صحيحه (الفتح ١١ : ٣٦٣ ، ٣٦٤) ، واستوفى الكلام عليه الحافظ ابن حجر في
 شرحه . ورواه مسلم في صحيحه ١٧ : ١٦٨ ،

وانظر ما سلف رقم : ٦٧٥١ ، ١٦٥٦٧ ، من حديث جابر بن عبد الله ، غير مرفوع ،
 وما علقت به عليه هناك . وذكره ابن كثير في تفسيره في هذا الموضع ٤ : ٢٠٢ وقال : « رواه
 البزار في مسنده ، من حديث الثوري . وقال الحافظ الضياء المقدسي في كتابه صفة الجنة . هذا
 عندي على شرط الصحيح » .

(٢) الأثر : ١٦٩٦٠ - « يعقوب » ، هو : « يعقوب بن عبد الله القمي » ، ثقة ،
 مضى مراراً ، منها : ١٣٠٤٥ .
 و « حفص » هو « حفص بن حميد القمي » ، ثقة ، مضى برقم : ٨٥١٨ .

وابتدئ الخبر عن « رضوان الله » للمؤمنين والمؤمنات أنه أكبر من كل ما ذكر
جل ثناؤه ، فرفع ، وإن كان « الرضوان » فيما قد وعدهم . ولم يعطف به في
الإعراب على « الجنات » و « المساكن الطيبة » ، ليعلم بذلك تفضيل الله رضوانه
عن المؤمنين ، على سائر ما قسم لهم من فضله ، وأعطاهم من كرامته ، نظير قول
القائل في الكلام لآخر : « أعطيتك ووصلتك بكذا ، وأكرمتك ، ورضى بعد
عنك أفضل لك » . (١)

* * *

= « ذلك هو الفوز العظيم » ، هذه الأشياء التي وعدت المؤمنين والمؤمنات = « هو
الفوز العظيم » ، يقول : هو الظفر العظيم ، والنجاء الحسيم ، لأنهم ظفروا بكرامة
الأبد ، ونَجَوْا من الهوان في سَقَر ، (٢) فهو الفوز العظيم الذي لا شيء أعظم منه . (٤)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ
وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (٧٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « يا أيها النبي جاهد الكفار ، بالسيف
والسلاح » = « والمنافقين » .

* * *

و « شمر » هو « شمر بن عطية الأسدي الكاهل » ، ثقة ، مضى برقم : ١١٥٤٥ .
وانظر شواهد لبعض ألفاظ هذا الخبر فيما رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ١٥٩ - ١٦٥ .
ولم أجد هذا الخبر مستنداً بلفظه هذا .

(١) في المطبوعة ، جعل الكلام هكذا : « أفضل ذلك » ، هذه الأشياء التي وعدت المؤمنين
والمؤمنات . . . ، وهو غير مستقيم ، والذي أثبتته هو الذي في المخطوطة ، ولكن ظاهر أنه قد سقط
من الناسخ بعض كلام أبي جعفر . فاستظهرت أن السياق هو ذكر لفظ الآية ، ثم تفسير « ذلك »
بقوله : « هذه الأشياء . . . » ، فأثبتها كذلك ، وفصلت بين الكلامين فصلاً تاماً .

وانظر معاني القرآن للقراء ١ : ٤٤٦ .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « الهوان في السفر » ، وهو لا معنى له ، والصواب ما أثبت .

(٣) انظر تفسير « الفوز » فيما سلف ، ١١ : ٢٨٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

واختلف أهل التأويل في صفة «الجهاد» الذي أمر الله نبيه به في المنافقين .^(١)
فقال بعضهم : أمره بجهادهم باليد واللسان ، وبكل ما أطاق جهادهم به .
* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٦١ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا حميد بن عبد الرحمن ، ويحيى
ابن آدم ، عن حسن بن صالح ، عن علي بن الأقرم ، عن عمرو بن أبي جندب ،
عن ابن مسعود في قوله : «جاهد الكفار والمنافقين» ، قال : بيده ، فإن لم يستطع
فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقليه ، فإن لم يستطع فليكهفهم في وجهه .^(٢)

* * *

وقال آخرون : بل أمره بجهادهم باللسان .
* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٦٢ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ، عن

(١) انظر تفسير «الجهاد» فيما سلف ص: ٢٥٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
= وتفسير «المنافق» فيما سلف ص: ٣٣٩ ؛ تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
(٢) الأثر : ١٦٩٦١ - «حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي» ، ثقة ، روى له الجماعة ،
مضى مراراً .

و «يحيى بن آدم» ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى مراراً .
و «حسن بن صالح بن صالح بن سفيان الثوري» ، ثقة ، مضى مراراً .
و «علي بن الأقرم الوادعي الهمداني» ، ثقة ، روى له الجماعة . مضى مراراً .
و «عمرو بن أبي جندب» أو «عمرو بن جندب» ، هو «أبو عطية الوادعي» ، يختلف في
اسمه . ترجم له في التهذيب ، في الأسماء ، وفي الكنى ، وقال : «قال البخاري في تاريخه : روى عنه
أبو إسحق ، وعلي بن الأقرم» ، ثم قال : «والصواب أنه وإن كان يكنى أبا عطية ، فإنه غير
الوادعي» . وهو ثقة ، من أصحاب عبد الله بن مسعود . ترجم له ابن أبي حاتم ٢٢٤/١/٣ باسم
«عمرو بن جندب» ، وكان في المطبوعة «عمرو بن جندب» ، ولكني أثبت ما في المخطوطة .
وهما صواب كما ترى .

وهذا الخبر ، خرج السيوطي في الدر المنثور ٣ : ٢٥٨ ، ونسبه إلى ابن أبي شيبة ، وابن
أبي الدنيا في كتاب الأمر بالمعروف ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه ،
والبهيقي في شعب الإيمان .
وقوله : «فليكهفهم في وجهه» : أي فليلقه بوجهه منقبض حابس لاطلاقه فيه ولا بشر ولا انقباض .

على ، عن ابن عباس قوله : « يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم » ، فأمره الله بجهاد الكفار بالسيف ، والمنافقين باللسان ، وأذهب الرفق عنهم .

١٦٩٦٣ - حدثنا القاسم قال ، حدثني الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن

ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « جاهد الكفار والمنافقين » ، قال : « الكفار » ، بالقتال ، و « المنافقين » ، أن يغلظ عليهم بالكلام .

١٦٩٦٤ - حدثت عن الحسين بن والفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ،

أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاک يقول في قوله : « جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم » ، يقول : جاهد الكفار بالسيف ، واغلظ على المنافقين بالكلام ، وهو مجاهدتهم .

* * *

وقال آخرون : بل أمره بإقامة الحدود عليهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٦٥ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن

معمر ، عن الحسن : « جاهد الكفار والمنافقين » ، قال : جاهد الكفار بالسيف ، والمنافقين بالحدود ، أقم عليهم حدود الله .

١٦٩٦٦ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة

قوله : « يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم » ، قال : أمر الله نبيّه صلى الله عليه وسلم أن يجاهد الكفار بالسيف ، ويغلظ على المنافقين في الحدود .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في تأويل ذلك عندى بالصواب ، ما قال ابن

مسعود : من أن الله أمر نبيّه صلى الله عليه وسلم من جهاد المنافقين بنحو الذى أمره به من جهاد المشركين .

* * *

فإن قال قائل : فكيف تركهم صلى الله عليه وسلم مقيمين بين أظهر أصحابه ،

مع علمه بهم ؟

قيل : إن الله تعالى ذكره إنما أمر بقتال من أظهر منهم كلمة الكفر، ثم أقام على إظهاره ما أظهر من ذلك. وأما مَنْ إذا اطلع عليه منهم أنه تكلم بكلمة الكفر وأخذ بها ، أنكرها ورجع عنها وقال : «إني مسلم» ، فإن حكم الله في كل من أظهر الإسلام بلسانه ، أن يحقنَ بذلك له دمه وماله ، وإن كان معتقداً غير ذلك ، وتوكل هو جلّ ثناؤه بسرائرهم ، ولم يجعل للخلق البحث عن السرائر. فلذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم ، مع علمه بهم وإطلاع الله إياه على ضمائرهم واعتقاد صدورهم ، كان يُقِرّهم بين أظهر الصحابة ، ولا يسلك بجهادهم مسلك جهاد من قد ناصبه الحرب على الشرك بالله، لأن أحدهم كان إذا اطلع عليه أنه قد قال قولاً كفر فيه بالله ، ثم أخذ به أنكره وأظهر الإسلام بلسانه . فلم يكن صلى الله عليه وسلم يأخذه إلا بما أظهر له من قوله ، عند حضوره إياه وعزمه على إمضاء الحكم فيه ، دون ما سلف من قولٍ كان نطق به قبل ذلك ، ودون اعتقاد ضميره الذي لم يُسبح الله لأحدٍ الأخذ به في الحكم ، وتوَلَّى الأخذ به هو دون خلقه .

* * *

وقوله : « وَاغْلَظْ عَلَيْهِمْ » ، ^(١) يقول تعالى ذكره : واشدد عليهم بالجهاد والقتال والإرهاب . ^(٢)

* * *

وقوله : « وَأَوَاهُمْ جَهَنَّمَ » ، يقول : ومساكنهم جهنم ، وهي مثواهم ومأواهم ^(٣)
 = « وبئس المصير » ، يقول : وبئس المكان الذي يُصَار إليه جهنم . ^(٤)

* * *

(١) انظر تفسير « الغلظة » فيما سلف ٧ : ٣٤١ .

(٢) في المطبوعة : « والإرعاب » بالعين ، خالف ما هو الصواب في العربية ، وفي المخطوطة . إنما يقال : « رعبه يرعبه رعباً » فهو مرعوب ورعيب و« رعبه » رعبياً ، ونصوا فقالوا : « ولا تقل : أربعه » .

(٣) انظر تفسير « المأوى » فيما سلف ص : ٧٧ ، تعليق : والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « المصير » فيما سلف ١٣ ٤٤١ تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

القول في تأويل قوله ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا
كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا
وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا
يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُمَذِّبْهُمْ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (٧٤)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في الذي نزلت فيه هذه الآية ، والقول
الذي كان قاله ، الذي أخبر الله عنه أنه يحلف بالله ما قاله .
فقال بعضهم : الذي نزلت فيه هذه الآية : « الجلاس بن سويد بن الصامت » .

* * *

وكان القول الذي قاله ، ما : —

١٦٩٦٧ — حدثنا به ابن وكيع قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن هشام بن
عروة ، عن أبيه : « يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر » ، قال : نزلت في
الجلاس بن سويد بن الصامت ، قال : « إن كان ما جاء به محمد حقاً ، لنحن
أشرُّ من الحمُر ! » ، ^(١) فقال له ابن امرأته : والله ، يا عدو الله ، لأخبرن رسول الله
صلى الله عليه وسلم بما قلت ، فإني إن لا أفعل أخاف أن تصيبني قارعة ، وأؤخذ
بخطيئتك ! فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الجلاس ، فقال : يا جلاس ، أقلت
كذا وكذا ؟ فحلف ما قال ، فأنزل الله تبارك وتعالى : « يحلفون بالله ما قالوا ولقد
قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ
الله ورسوله من فضله » .

(١) انظر استعمال « أشر » ، فيما سلف في الأثرين رقم : ٥٠٨٠ ، ١١٧٢٣ .
وكان في المطبوعة : « الحمير » ، وأثبت ما في المخطوطة .

١٦٩٦٨ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو معاوية الضرير ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : نزلت هذه الآية : « يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم » ، في الجلاس بن سويد بن الصامت ، أقبل هو وابن امرأته مُصْعَب من قُباء ، فقال الجلاس : إن كان ما جاء به محمد حقاً لنحن أشرُّ من حُمُرنا هذه التي نحن عليها! ^(١) فقال مصعب : أما والله ، يا عدو الله ، لأخبرنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت ! فأُتيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، وخشيت أن ينزل في القرآن ، أو تصيبنى قارعة ، أو أن أُخْلَطَ [بخطيئته] ، ^(٢) قلت : يا رسول الله ، ^(٣) أقبلت أنا والجلاس من قُباء ، فقال كذا وكذا ، ولولا مخافة أن أُخْلَطَ بخطيئته ، ^(٤) أو تصيبنى قارعة ، ما أخبرتك . قال : فدعا الجلاس فقال له : يا جلاس ، أقلت الذي قال مصعب ؟ قال : فحلف ، فأنزل الله تبارك وتعالى : « يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم » ، الآية .

١٦٩٦٩ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : كان الذي قال تلك المقالة ، فيما بلغني ، الجلاس بن سويد بن الصامت ، فرقعها عنه رجلٌ كان في حجره ، يقال له : « عمير بن سعيد » ، ^(٥) فأنكرها ، ^(٦) فحلف

-
- (١) في المطبوعة : « حميرنا » بالإنفراد ، وأثبت ما في المخطوطة .
 (٢) في المطبوعة والمخطوطة : « أخلط » ، ليس فيها ذكر الخطيئة واستظهرتها من باقي الخبر ، ومن تفسير ابن كثير .
 (٣) في المطبوعة : « يا رسول أقبلت » ، وهو من الطباعة .
 (٤) في المطبوعة : « أن أؤاخذ بخطيئته » ، غير ما في المخطوطة ، وأثبت ما في المخطوطة ، فهو الصواب ، وهو موافق لما في تفسير ابن كثير ٤ : ٢٠٤ ، ٢٠٥ .
 (٥) في المخطوطة والمطبوعة : « سعيد » ، والذي في سيرة ابن هشام ، « سعد » ، ولكنني تركت ما في المخطوطة ، لأنني وجدت الحفاظ ابن حجر في الإصابة ، ذكر هذا الاختلاف ، فأعشى أن تكون هذه رواية أبي جعفر في سيرة ابن إسحاق .
 (٦) في المطبوعة : « فأنكر » ، أثبت ما في المخطوطة ، موافقاً لابن هشام .

بالله ما قالها . فلما نزل فيه القرآن ، تاب ونزع وحسنت توبته ، فيما بلغني .^(١)

١٦٩٧٠ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا

عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « كلمة الكفر » ، قال أحدهم :
« لئن كان ما يقول محمد حقاً لنحن شر من الحمير » ! فقال له رجل من المؤمنين :
إن ما قال لحق ، ولأنت شر من حمار ! قال : فهم المنافقون بقتله ، فذلك قوله :
« وهموا بما لم ينالوا » .

١٦٩٧١ - حدثني المنفي قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن

ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

١٦٩٧٢ - . . . قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ،

عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

١٦٩٧٣ - حدثني أيوب بن إسحق بن إبراهيم قال ، حدثنا عبد الله بن رجاء

قال ، حدثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال :
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً في ظل شجرة ، فقال : إنه سيأتيكم
إنسان فينظر إليكم بعيني شيطان ، فإذا جاء فلا تكلموه . فلم يلبث أن طلع رجل
أزرق ،^(٢) فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : علام تشتمني أنت
وأصحابك ؟ فانطلق الرجل فجاء بأصحابه ، فحلفوا بالله ما قالوا وما فعلوا ، حتى
تجاوز عنهم ، فأنزل الله : « محلفون بالله ما قالوا » ، ثم نعمتهم جميعاً إلى آخر الآية .^(٣)

* * *

(١) الأثر : ١٦٩٦٩ - سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٦ ، وهو تابع الأثر السالف رقم :

١٦٩١٩ .

(٢) إذا قيل : « رجل أزرق » ، فإنما يعنون زرقة العين ، وقد عدد الجاحظ في الحيوان

٥ : ٣٣٠ ، « الأزرق من العرب » ، وكانت العرب تتشامم بالأزرق ، وتعمده لثيماً . وانظر طبقات
فحول الشعراء : ١١١ ، في قول مزرد ، في قاتل عمر رضي الله عنه :

وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ وَفَاتُهُ بِكَفِّي سَبَلَتِي أَرْزَقِ الْعَيْنِ مُطْرِقِ

(٣) الأثر : ١٦٩٧٣ - « أيوب بن إسحق بن إبراهيم بن سافري » ، أبو أيوب البغدادي ، =

وقال آخرون : بل نزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول : قالوا : والكلمة التي

قالها ما : —

١٦٩٧٤ — حدثنا به بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يحلفون بالله ما قالوا » إلى قوله : « من وليّ ولا نصير » ، قال : ذكر لنا أن رجلين اقتتلا ، أحدهما من جهينة ، والآخر من غيفار ، وكانت جهينة حلفاء ، الأنصار ، وظهر الغفاريّ على الجهنيّ ، فقال عبد الله بن أبيّ للأوس : انصروا أخاكم ، فوالله ما مثلنا ومثّل محمد إلا كما قال القائل : « سمن كلبك يأكلك » ، وقال : ﴿ إِنَّا رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَ الْأَعْرَضَ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﴾ [سورة المنافقون: ٨] ، فسعى بها رجل من المسلمين إلى نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إليه فسأله ، فجعل يحلف بالله ما قاله ، فأنزل الله تبارك وتعالى : « يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر » .

١٦٩٧٥ — حدثني محمد بن عبد الأعلى قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر » ، قال : نزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال : إن الله تعالى أخبر عن المنافقين أنهم يحلفون بالله كذباً على كلمة كُفّر تكلموا بها ، أنهم لم يقولوها . وجائز أن يكون ذلك القول ما روي عن عروة : أن الجلاس قاله = وجائز أن يكون قائله عبد الله بن أبي ابن سلول ، والقول ما ذكر قتادة عنه أنه قال .

شيخ الطبري . قال ابن أبي حاتم : « كتبنا عنه بالرملة ، وذكرته لأبي فعفره ، وقال : كان صدوقاً » . مترجم في ابن أبي حاتم ٢٤١/١/١ ، وتاريخ بغداد ٧ : ٩ ، ١٠ .
و « عبد الله بن رجاء بن عمرو » ، أبو عمرو الداني . كان حسن الحديث عن إسرائيل . وهو ثقة . مترجم في التهذيب .
وهذا إسناد صحيح . ونخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣ : ٢٥٨ ، وزاد نسبه إلى الطبراني ، وأبى الشيخ ، وابن مردويه .

ولا علم لنا بأى ذلك من أى^(١) ، إذ كان لا خبر بأحدهما يوجب الحجّة ، ويُتوصّل به إلى يقين العلم به ، وليس مما يدرك علمه بفطرة العقل ، فالصواب أن يقال فيه كما قال الله جل ثناؤه : « يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم » .

* * *

وأما قوله : « وهموا بما لم ينالوا » ، فإن أهل التأويل اختلفوا في الذى كان همّ بذلك ، وما الشئ الذى كان هم به .
[فقال بعضهم : هو رجل من المنافقين ، وكان الذى همّ به] ، قتل ابن امرأته الذى سمع منه ما قال ،^(٢) وخشى أن يفشيّه عليه .
* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٧٦ — حدثني المنفى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : همّ المنافق بقتله = يعنى قتل المؤمن الذى قال له : « أنت شر من الحمار » ! فذلك قوله : « وهموا بما لم ينالوا » .

١٢٩/١٠

١٦٩٧٧ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .^(٣)

* * *

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « بأن ذلك منى » ، وهو لا معنى له ، وصوابه ما أثبت ، كما نهت عليه مراراً انظر ما سلف : ١٣ : ٢٦٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) كان في المخطوطة : « . . . وما الشئ الذى كان هم به قيل ابن امرأته » ، وجعلها في المطبوعة : « . . . هم به أقتل ابن امرأته » ، وعلق عليه فقال : « في العبارة سقط ، ولعل الأصل : فقال بعضهم : كان الذى هم الجلّاس بن سرويد ، والشئ الذى كان هم به قتل ابن امرأته إلخ » ، تأمل .

والصواب ، إن شاء الله ، ما أثبت بين القوسين ، لأن الخبر التالي من خبر مجاهد ، ولم يبين فيه اسم المنافق ، كما لم يبينه في رقم : ١٦٩٧٠ ، وما بعده ، فالصواب الجيد ، أن يكون اسم المنافق مبهماً في ترجمة سياق الأخبار ، كدأب أبي جعفر في تراجم فصول تفسيره .
(٣) في المطبوعة : « عن مجاهد ، به » ، وفي المخطوطة ، قطع فلم يذكر شيئاً ، فأقررت ما درج على مثله أبو جعفر .

وقال آخرون : كان الذى همّ ، رجلاً من قريش = والذى همّ به ، قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٧٨ - حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا شبيل ، عن جابر ، عن مجاهد فى قوله : « وهموا بما لم ينالوا » ، قال : رجل من قريش ، همّ بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقال له : « الأسود » .

* * *

وقال آخرون : الذى همّ ، عبد الله بن أبى ابن سلول ، وكان همّ الذى لم ينله ، قوله : ﴿ لَيْتَنَّا رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﴾ ، [سورة المنافقون : ٨] ، من قول قتادة ، وقد ذكرناه .^(١)

* * *

وقوله : « وما نقوموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله » ، ذكر لنا أن المنافق الذى ذكر الله عنه أنه قال كلمة الكفر ، كان فقيراً فأغناه الله بأن قُتِلَ له مولى ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم دينته . فلما قال ما قال ، قال الله تعالى : « وما نقوموا » ، يقول : ما أنكروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً .^(٣) = « إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله » .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٧٩ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه : « وما نقوموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله » ، وكان الجلاس قُتِلَ له مولى ، فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بدينته ، فاستغنى ، فذلك قوله : « وما نقوموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله » .

١٦٩٨٠ - قال ، حدثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة قال :

(١) انظر ما سلف رقم : ١٦٩٧٤ .

(٢) انظر تفسير « نقم » فيما سلف ١٠ : ١٣/٤٣٣ : ٣٥ .

قضى النبي صلى الله عليه وسلم بالدية اثني عشر ألفاً في مولى لبني عدى بن كعب ، وفيه أنزلت هذه الآية : « وما نقيموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله » .

١٦٩٨١ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة :

« وما نقيموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله » ، قال : كانت لعبد الله بن أبي دية ، فأخرجها رسول الله صلى الله عليه وسلم له .

١٦٩٨٢ - حدثني المنفى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن

الزبير ، عن سفيان قال ، حدثنا عمرو قال : سمعت عكرمة : أن مولى لبني عدى ابن كعب قتل رجلاً من الأنصار ، فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدية اثني عشر ألفاً ، وفيه أنزلت : « وما نقيموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله » = قال عمرو : لم أسمع هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا من عكرمة = يعنى : الدية اثني عشر ألفاً .

١٦٩٨٣ - حدثنا صالح بن مسمار قال ، حدثنا محمد بن سنان العوفي قال ،

حدثنا محمد بن مسلم الطائفي ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، عن ابن عباس : أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل الدية اثني عشر ألفاً . فذلك قوله : « وما نقيموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله » ، قال : بأخذ الدية . (١)

* * *

وأما قوله : « فإن يتوبوا بك خيراً لهم » ، يقول تعالى ذكره : فإن يتوب هؤلاء القائلون كلمة الكفر من قيلهم الذي قالوه فرجعوا عنه ، بك رجوعهم وتوبتهم من

(١) الأثر : ١٦٩٨٣ - « صالح بن مسمار السلمي المروزي » ، شيخ الطبري ، مضى

برقم : ٢٢٤ .

و « محمد بن سنان الباهلي العوفي » ، أبو بكر البصري ، ثقة ، مترجم في التهذيب ، والكبير ١٠٩/١/١ ، وابن أبي حاتم ٢٧٩/٢/٣ .

و « محمد بن مسلم الطائفي » ، ثقة ، يضعف ، مضى برقم : ٤٤٧ ، ٣٤٧٣ ، ٤٤٩١ . وهذا الخبر ، لم يذكره أبو جعفر في باب الديات من تفسيره ، انظر ما سلف رقم ١٠١٤٣ ،

في ج ٩ : ٥٥ .

ذلك ، خيراً لهم من النفاق ^(١) = « وإن يتولوا » ، يقول : وإن يدبروا عن التوبة ، فيأتوها ويصبروا على كفرهم ، ^(٢) = « يعذبهم الله عذاباً أليماً » ، يقول : يعذبهم عذاباً موجعاً في الدنيا ، إما بالقتل ، وإما بعاجل خزي لهم فيها ، ويعذبهم في الآخرة بالنار . ^(٣)

* * *

وقوله : « وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير » ، يقول : وما لهؤلاء المنافقين إن عذبهم الله عاجل الدنيا = « من ولي » ، يواليه على منعه من عقاب الله ^(٤) = « ولا نصير » ينصره من الله فينقذه من عقابه . ^(٥) وقد كانوا أهل عز ومنعة بعشائريهم وقومهم ، يمتنعون بهم ممن أرادهم بسوء ، فأخبر جل ثناؤه أن الذين كانوا يمتنعونهم ممن أرادهم بسوء من عشائريهم وحلفائهم ، لا يمتنعونهم من الله ولا ينصرونهم منه ، إن احتاجوا إلى نصرهم .

* * *

وذكر أن الذي نزلت فيه هذه الآية ، تاب مما كان عليه من النفاق .

• ذكر من قال ذلك :

١٦٩٨٤ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن هشام بن عروة

عن أبيه : « فإن يتوبوا بك خيراً لهم » ، قال : قال الجلاس : قد استثنى الله إلى التوبة ، فأنا أتوب . فقبل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٦٩٨٥ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو معاوية ،

عن هشام بن عروة ، عن أبيه : « فإن يتوبوا بك خيراً لهم » ، الآية ، فقال الجلاس :

(١) انظر تفسير « التوبة » فيما سلف من فهارس اللغة (توب) .

(٢) انظر تفسير « التولي » فيما سلف من فهارس اللغة (ولي) .

(٣) انظر تفسير « أليم » فيما سلف من فهارس اللغة (ألم) .

(٤) انظر تفسير « الولي » فيما سلف من فهارس اللغة (ولي) .

(٥) انظر تفسير « النصير » فيما سلف من فهارس اللغة (نصر) .

يا رسول الله ، إني أرى الله قد استثنى لى التوبة ، فأنا أتوب ! فتأب ، فقبل
رسول الله صلى الله عليه وسلم منه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ
بِجَلْوَاهِ ۖ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى
يَوْمٍ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ومن هؤلاء المنافقين الذين وصفت لك ،
يا محمد ، صفهم = « من عاهد الله » ، يقول : أعطى الله عهداً ^(١) = « لئن آتانا من
فضله » ، يقول : لئن أعطانا الله من فضله ، ورزقنا مالا ، وسع علينا من عنده ^(٢)
= « لنصدقن » ، يقول : لنخرجن الصدقة من ذلك المال الذى رزقنا ربنا ^(٣) =
« ولنكونن من الصالحين » ، يقول : ولنعملن فيها بعمَل أهل الصلاح بأموالهم ،
من صلة الرحم به ، وإنفاقه فى سبيل الله ^(٤) يقول الله تبارك وتعالى : فرزقهم الله
وآتاهم من فضله = « فلما آتاهم الله من فضله بجلوا به » ، بفضل الله الذى آتاهم ،
فلم يصدقوا منه ، ولم يصلوا منه قرابة ، ولم ينفقوا منه فى حق الله = « وتولوا » ، يقول :
وأدبروا عن عهدهم الذى عاهدوه الله ^(٥) = « وهم معرضون » ، عنه ^(٦) = « فأعقبهم »

(١) انظر تفسير « عاهد » فيما سلف : ص ١٤١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « آتى » ، و « الفضل » فيما سلف من فهارس اللغة (آتى) و (فضل) .

(٣) انظر تفسير « الصدق » فيما سلف : ٩ : ٣١ ، ٣٧ ، ٣٨ .

(٤) انظر تفسير « الصالح » فيما سلف من فهارس اللغة (صالح) .

(٥) انظر تفسير « التول » فيما سلف من فهارس اللغة (ول) .

(٦) انظر تفسير « الإعراض » فيما سلف : ١٣ : ٤٦٣ ، تعليق : ٦ ، والمراجع هناك .

الله = « نفاقاً في قلوبهم » ، بيبخلهم بحق الله الذي فرضه عليهم فيما آتاهم من فضله، وإخلافهم الوعد الذي وعدوا الله، ونقضهم عهدَه في قلوبهم^(١) = « إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه » ، من الصدقة والنفقة في سبيله = « وبما كانوا يكذبون » ، في قلوبهم ، وحرّمهم التوبة منه ، لأنه جل ثناؤه اشترط في نفاقهم أنّه أعقبهموه إلى يوم يلقونه ، وذلك يوم مماتهم وخروجهم من الدنيا .

* * *

واختلف أهل التأويل في المعنى هذه الآية .

فقال بعضهم: عني بها رجل يقال له: « ثعلبة بن حاطب » ، من الأنصار.^(٢)
 * ذكر من قال ذلك :

١٦٩٨٦ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله » ، الآية ، وذلك أن رجلاً يقال له : « ثعلبة بن حاطب » ، من الأنصار ، أتى مجلساً فأشهدهم فقال : لئن آتاني الله من فضله ، آتيت منه كل ذي حقٍّ حقّه ، وتصدّقت منه ، ووصلت منه القرابة ! فابتلاه الله فآتاه من فضله ، فأخلف الله ما وعدّه ، وأغضب الله بما أخلف ما وعدّه . فقصّ الله شأنه في القرآن : « ومنهم من عاهد الله » ، الآية إلى قوله : « يكذبون » .

١٦٩٨٧ - حدثني المثنى قال ، حدثنا هشام بن عمار قال ، حدثنا محمد ابن شعيب قال ، حدثنا معان بن رفاعة السلمى ، عن أبي عبد الملك على بن يزيد الألهاني : أنه أخبره عن القاسم بن عبد الرحمن : أنه أخبره عن أبي أمامة الباهلي ، عن ثعلبة بن حاطب الأنصاري : أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ادع

(١) انظر تفسير « النفاق » فيما سلف من : ٣٥٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) في المخطوطة ، وقف عند قوله : « يقال له » ، ولم يذكر اسم الرجل ، واستظهره الناشر الأول من الأخبار ، وأصاب فيما فعل .

الله أن يرزقني مالا! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ويحك يا ثعلبة، قليل تؤذي شكره، خير من كثير لا تطيقه! قال: ثم قال مرة أخرى، فقال: أما ترضى أن تكون مثل نبي الله، فالذي نفسى بيده، لو شئت أن تسير معي الجبال ذهباً وفضة لسارت! قال: والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله فرزقني مالا، لأعطين كل ذي حق حقه! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم ارزق ثعلبة مالا! قال: فاتخذ غنماً، فتمت كما ينمو الدود، فضاقت عليه المدينة، فتنحى عنها، فنزل وادياً من أوديتها، حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة، ويترك ما سواهما. ثم نمت وكثرت، فتنحى حتى ترك الصلوات إلا الجمعة، وهي تنمو كما ينمو الدود، حتى ترك الجمعة. فطفق يتلقى الركبان يوم الجمعة، يسألهم عن الأخبار، فقال ١٣١/١٠ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما فعل ثعلبة؟ فقالوا: يا رسول الله، اتخذ غنماً فضاقت عليه المدينة! فأخبروه بأمره، فقال: يا ويح ثعلبة، يا ويح ثعلبة، يا ويح ثعلبة! قال: وأنزل الله: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً ﴾ [سورة التوبة: ١٠٣] الآية، ونزلت عليه فرائض الصدقة، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين على الصدقة، رجلاً من جهينة، ورجلاً من سليم، وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين، وقال لهما: مرّاً بثعلبة، وبفلان، رجل من بني سليم، فخذوا صدقاتهما! فخرجا حتى أتيا ثعلبة، فسألاه الصدقة، وأقرأه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ما هذه إلا جزية! ما هذه إلا أخت الجزية! ما أدري ما هذا! انطلقا حتى تفرغاً ثم عودا إلى. فانطلقا، وسمع بهما السلمي، فنظر إلى خيار أسنان إبله، فعزها للصدقة، ثم استقبلهم بها. فلما رأوها قالوا: ما يجب عليك هذا، وما نريد أن نأخذ هذا منك. قال: بلى، فعذوه، (١) فإن نفسى بذلك طيبة، وإنما هي لي! فأخذوها منه. فلما فرغا من صدقاتهما،

(١) «بل» واستعمالها في غير جحد، قد سلف مراراً، آخرها في رقم: ١٦٣٠٥، ص: ٦٧،

تعليق: ٣، والمراجع هناك.

رجعا حتى مرّا بثعلبة ، فقال : أروني كتابكما ! فنظر فيه ، فقال : ما هذه إلا أخت الجزية ! انطلقا حتى أرى رأيي . فانطلقا حتى أتيا النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما رآهما قال : يا ويح ثعلبة ! قبل أن يكلمهما ، ودعا للسلمي بالبركة ، فأخبراه بالذي صنع ثعلبة ، والذي صنع السلمي ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيه : « ومنهم من عاهد الله اثن آثانا من فضله لنصدّقن ولنكونن من الصالحين » إلى قوله : « وبما كانوا يكذبون » ، وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة ، فسمع ذلك ، فخرج حتى أتاه ، فقال : ويحك يا ثعلبة ! قد أنزل الله فيك كذا وكذا ! فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فسأله أن يقبل منه صدقته ، فقال : إن الله منعني أن أقبل منك صدقتك ، فجعل يحثي على رأسه التراب ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا عملك ، قد أمرتك فلم تطعني ! فلما أبى أن يقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رجع إلى منزله ، وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل منه شيئا . ثم أتى أبا بكر حين استخلف ، فقال : قد علمت منزلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وموضعى من الأنصار ، فاقبل صدقتي ! فقال أبو بكر : لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقبلها ! فقبض أبو بكر ، ولم يقبضها . فلما ولي عمر ، أتاه فقال : يا أمير المؤمنين ، اقبل صدقتي ! فقال : لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ، وأنا أقبلها منك ! فقبض ولم يقبلها ، ثم ولي عثمان رحمة الله عليه ، فاتاه فسأله أن يقبل صدقته فقال : لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر رضوان الله عليهما وأنا أقبلها منك ! ^(١) فلم يقبلها منه . وهلك ثعلبة في خلافة عثمان رحمة الله عليه . ^(٢)

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « وأنا لا أقبلها » ، والجيد حذف « لا » كما سلف في مقالة أبي بكر وعمر ، وهو مطابق لما في أسد الغابة .
(٢) الأثر : ١٦٩٨٧ - « هشام بن عمار بن نصير السلمي » ، ثقة ، روى له البخاري ،

١٦٩٨٨ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله » الآية ، ذكر لنا أن رجلاً من الأنصار أتى على مجلس من الأنصار ، فقال : لئن آتاه الله مالاً ليؤدين إلى كل ذي حقٍ حقه ! فآتاه الله مالاً ، فصنع فيه ما تسمعون ، قال : « فلما آتاهم من فضله بخلوا به » إلى قوله : « وبما كانوا يكذبون » . ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدث أن موسى عليه الصلاة والسلام لما جاء بالتوراة إلى بني إسرائيل ، قالت بنو إسرائيل : إن التوراة كثيرة ، وإنا لا نفرغ لها ، فسل لنا ربك جماعة من الأمر نحافظ عليه ، ونتفرغ فيه لمعاشنا ! ^(١) قال : يا قوم ، مهلاً مهلاً !

وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجة . وتكلموا فيه قالوا : لما كبر تغير . ومضى برقم : ١١١٠٨ .
و « محمد بن شعيب بن شاذور الأموي » ، ثقة ، مضى برقم : ١٦٩٨٧ .

و « معان بن رفاعة السلمي » أو : « السلمي » وهو المشهور ، لين الحديث ، يكتب حديثه ولا يحتاج به . مترجم في التهذيب ، والكبير ٧٠/٢/٤ ، وفي إحدى نسخه « السلمي » كما جاء في الطبري ، ولذلك تركته على حاله ، وابن أبي حاتم .

و « علي بن يزيد الألهاني » ، « أبو عبد الملك » ، ضعيف بمرة ، روى من القاسم بن عبد الرحمن صاحب أبي أمامة نسخة كبيرة ، وأحاديثه هذه ضعاف كلها . مضى برقم : ١١٥٢٥ .

و « القاسم بن عبد الرحمن الشامي » ، تقدم بيان توثيقه ، وأن ما أنكر عليه إنما جاء من قبل الرواة عنه الضعفاء ، مضى برقم : ١٩٣٩ ، ١١٥٢٥ .

وأما ثعلبة بن حاطب الأنصاري ، ففي ترجمته خلط كثير . أهور رجل واحد ، أم رجلان ؟ أولهما هو الذي أخى رسول الله بينه وبين معتب بن الحمراء ، والذي شهد بدرًا وأحداً . والآخر هو صاحب هذه القصة . يقال : إن الأول قتل يوم أحد . وجعلهما بعضهم رجلاً واحداً ، ونفوا أن يكون قتل يوم أحد . انظر ترجمته في الإصابة ، والاستيعاب : ٧٨ ، وأسد الغابة ١ : ٢٣٧ . وابن سعد ٣/٢/٣٢ .

وهذا الخبر رواه بهذا الإسناد ، ابن الأثير في أسد الغابة ١ : ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، وخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ٢١ ، ٣٢ ، وقال : « رواه الطبراني ، وفيه علي بن يزيد الألهاني ، وهو متروك » .

وهو ضعيف كل الضعف ، ليس له شاهد من غيره ، وفي بعض رواته ضعف شديد .
وهذا الخبر ، خرجه السيوطي في الدر المنثور ٣ : ٢٦٠ ، ونسبه إلى الحسن بن سفيان ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ ، والمسكوي في الأمثال ، والطبراني ، وابن منده ، والبارودي ، وأبي نعيم في معرفة الصحابة ، وابن مردويه ، والبيهقي في الدلائل ، وابن عساكر .
(١) في المطبوعة : « لمعاشنا » ، وأثبت ما في المخطوطة .

هذا كتاب الله ، ونور الله ، وعِصْمَةُ الله ! قال : فأعادوا عليه ، فأعاد عليهم ، قالها ثلاثاً . قال : فأوحى الله إلى موسى : ما يقول عبادى ؟ قال : يا رب ، يقولون كيت وكيت . قال : فإنى أمرهم بثلاثٍ إن حافظوا عليهنّ دخلوا بهن الجنة ، أن ينتهوا إلى قسمة الميراث فلا يظلموا فيها ، ولا يدخلوا أبصارهم البيوت حتى يؤذن لهم ، وأن لا يطعموا طعاماً حتى يتوضأوا وضوء الصلاة . قال : فرجع بهن نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم إلى قومه ، وفرحوا ، ورأوا أنهم سيقومون بهن . قال : فوالله ما لبث القومُ إلا قليلاً حتى جَنَحُوا وانْقَطَعَ بهم . فلما حدث نبيُّ الله بهذا الحديث عن بنى إسرائيل ، قال : تكفّلوا لى بستّ ، أتكفل لكم بالجنة ! قالوا : ما هنّ ، يا رسول الله ؟ قال : إذا حدثتم فلا تكذبوا ، وإذا وعدتم فلا تخلفوا ، وإذا أوثمتهم فلا تخونوا ، وكفّفوا أبصاركم وأيديكم وفروجكم : أبصاركم عن الحيانة ، وأيديكم عن السرقة ، وفروجكم عن الزّنا .

١٣٢/١٠

١٦٩٨٩ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول : ثلاثٌ من كن فيه صار منافقاً وإن صام وصلى وزعم أنه مُسلم : إذا حدث كذب ، وإذا أوثمن خان ، وإذا وعد أخلف .

* * * وقال آخرون : بل المعنى بذلك رجلان : أحدهما ثعلبة ، والآخر معتب ابن قشير .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٩٠ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن عمرو ابن عبيد ، عن الحسن : « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله » الآية ، (١) وكان الذى عاهد الله منهم : ثعلبة بن حاطب ، ومعتب بن قشير ، وهما من بنى

(١) كان في المطبوعة : « من فضله ، إلى الآخر » ، وهو غريب جداً ، وفي المخطوطة : « من فضله الآخر » ، وصواب قراءتها ما أثبت ، وإنما سها الناسخ كعادته .

عمرو بن عوف . (١)

١٦٩٩١ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله » ، قال رجلان خرجا على ملأٍ قعودٍ ، فقالا : والله لئن رزقنا الله لنصدقن ! فلما رزقهم الله بخلوا به .

١٦٩٩٢ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله » ، رجلان خرجا على ملأٍ قعودٍ فقالا : والله لئن رزقنا الله لنصدقن ! فلما رزقهم بخلوا به ، = « فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم بما أخلفوا الله ما وعدوه » ، حين قالوا : « لنصدقن » ، فلم يفعلوا .

١٦٩٩٣ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

١٦٩٩٤ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن » الآية ، قال : هؤلاء صنف من المنافقين ، فلما آتاهم ذلك بخلوا به ، فلما بخلوا بذلك أعقبهم بذلك نفاقاً إلى يوم يلقونه ، ليس لهم منه توبة ولا مغفرة ولا عفو ، كما أصاب إبليس حين منعه التوبة .

* * *

قال أبو جعفر : في هذه الآية ، الإبانة من الله جل ثناؤه عن علامة أهل النفاق ، أعنى في قوله : « فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون » .

* * *

(١) الأثر : ١٦٩٩٠ - سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٦ ، وهو تابع الأثر السالف رقم :

وبنحو هذا القول كان يقول جماعة من الصحابة والتابعين، ورُوِيَ به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١).
* ذكر بعض من قال ذلك :

١٦٩٩٥ - حدثنا أبو السائب قال، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عمارة، عن عبد الرحمن بن يزيد قال، قال عبد الله: اعتبروا المنافق بثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وأنزل الله تصديق ذلك في كتابه: « ومنهم عاهد الله لئن آتانا من فضله » إلى قوله: « يكذبون »^(٢).

١٦٩٩٦ - حدثني محمد بن المثني قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة، عن سماك، عن صبيح بن عبد الله بن عميرة، عن عبد الله بن عمرو قال: ثلاث من كن فيه كان منافقاً: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان. قال: وتلا هذه الآية: « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين »، إلى آخر الآية^(٣).

(١) في المطبوعة: « ووردت به »، وأثبت ما في المخطوطة.

(٢) الأثر: ١٦٩٩٥ - « عمارة »، هو « عمارة بن عمير التيمي »، ثقة، روى له الجماعة، مضى برقم: ٣٢٩٤، ٥٧٨٩، ١٥٣٥٩.
و « عبد الرحمن بن يزيد النخعي »، تابعي ثقة، روى له الجماعة. مضى برقم: ٣٢٩٤، ٣٢٩٥.

و « عبد الله »، إنما يعني « عبد الله بن مسعود ». وهذا خبر صحيح الإسناد، موقوف على ابن مسعود، ولم أجده مرفوعاً عنه. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١: ١٠٨، بلفظه هذا، وقال: « رواه الطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح ». وذكر قبله حديثاً نحوه، ليس فيه الآية: « عن عبد الله، يعني ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم »، ثم قال: « رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح ».

(٣) الأثر: ١٦٩٩٦ - هذا الخبر، يأتي بإسناد آخر بعده.
و « صبيح بن عبد الله بن عميرة » و « صبيح بن عبد الله العبي »، في الذي يليه. وقد سلف برقم: ١٢٧٤١، ١٢٧٤٢، وسلف أن البخاري ترجم له في الكبير ٣١٩/٢/٢، باسم « صبيح بن عبد الله »، زاد في الإسناد « العبي »، وعلق المعلق هناك أنه في ابن ماكولا: « صبيح ابن عبد الله بن عمير التيمي » والذي قاله الطبري هنا « عميرة »، ولم أجده ما أرجح به، وترجم له ابن أبي حاتم ٤٤٩/١/٢، ولم يذكروا له رواية عن « عبد الله بن عمرو »، وكان في المطبوعة

١٦٩٩٧ - حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا أبو داود قال ، حدثنا شعبة ، عن سماك ، قال : سمعت صبيح بن عبد الله العبسي يقول : سألت عبد الله بن عمرو عن المنافق ، فذكر نحوه .^(١)

١٣٣/١٠

١٦٩٩٨ - حدثني محمد بن معمر قال ، حدثنا أبو هشام المخزومي قال ، حدثنا عبد الواحد بن زياد قال ، حدثنا عثمان بن حكيم قال ، سمعت محمد بن كعب القرظي يقول : كنت أسمع أن المنافق يعرف بثلاث : بالكذب ، والإخلاف ، والخيانة ، فالتستُّها في كتاب الله زماناً لا أجدها ، ثم وجدتُها في اثنتين من كتاب الله ،^(٢) قوله : « ومنهم من عاهد الله حتى بلغ » وبما كانوا يكذبون » ، وقوله : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [سورة الأحزاب : ٧٢] ، هذه الآية .

١٦٩٩٩ - حدثني القاسم بن بشر بن معروف قال ، حدثنا شبابة قال ، حدثنا محمد المحرم قال : سمعت الحسن يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

هنا « عبد الله بن عمر » ، وأظنه خطأ ، يدل عليه ما في الخبر بعده . (وانظر ما يلي) .
وهذا الخبر بهذا الإسناد نقله أخى السيد أحمد في شرحه على المسند ، في مسند « عبد الله ابن عمرو بن العاص » رقم : ٦٨٧٩ ، ثم قال : « ورواه الحافظ أبو بكر الفريابي في كتاب صفة النفاق (ص : ٥٠ - ٥١) ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن غندر ، عن شعبة ، عن سماك ابن حرب ، عن صبيح بن عبد الله ، عن عبد الله بن عمرو » ، ثم ساق الخبر ، بنحوه ، ثم قال : « وهذا موقوف ، وإسناده صحيح ، وهو شاهد جيد لهذا الحديث ، لأنه مثله مرفوع حكاً . وصبيح ابن عبد الله ، بضم الصاد ، تابعي كبير ، أدرك عثمان وعلياً . وترجمه البخاري في الكبير ٣١٩/٢/٢ ، ولم يذكر فيه جرحاً » .

وحديث المسند ، حديث مرفوع .

وحديث آية المنافق ، رواه البخاري في صحيحه (الفتح ١ : ٨٣ ، ٨٤) من حديث أبي هريرة ، وعبد الله بن عمرو . ورواه مسلم في صحيحه (٢ : ٤٦ - ٤٨) ، من حديث عبد الله بن عمرو ، وأبي هريرة .

(١) الأثر : ١٦٩٩٧ - « صبيح بن عبد الله العبسي » ، انظر ما سلف رقم : ١٦٩٩٦ ، وكان في المطبوعة والمخطوطة « القيسي » بالقاف والياء ، وصحته من المراجع ، وما سلف رقم : ١٢٧٤١ ، ١٢٧٤٢ .

(٢) في المطبوعة : « في آيتين » ، وأثبت ما في المخطوطة ، والذي رجح ذلك عندي ، أن الذي ذكره بعد هذا ، ثلاث آيات من سورة التوبة ، وآية من سورة الأحزاب ، فهذه أربعة . ولكنه أراد في سورتين من القرآن ، أو نحو ذلك .

ثلاث من كن فيه فهو منافق ، وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان. فقلت للحسن : يا أبا سعيد ، لئن كان لرجل على دين فلقيني فتقاضاني ، وليس عندي ، وخفت أن يحبسني ويهلكني ، فوعده أن أقضيه رأس الهلال ، فلم أفعل ، أمانق أنا ؟ قال : هكذا جاء الحديث ! ثم حدث عن عبد الله بن عمرو : أن أباه لما حضره الموت قال : زوجوا فلاناً ، فإني وعدته أن أزوجه ، لا ألتى الله بثلث النفاق ! قال قلت : يا أبا سعيد ، ويكون ثلث الرجل منافقاً ، وثلاثه مؤمن ؟ قال : هكذا جاء الحديث قال : فحججت فلقيت عطاء بن أبي رباح ، فأخبرته الحديث الذي سمعته من الحسن ، وبالذي قلت له وقال لي ، فقال لي : ^(١) أعجزت أن تقول له : أخبرني عن إخوة يوسف عليه السلام ، ألم يعدوا أباهم فأخلفوه ، وحدّثوه فكذبوه ، وأتمنهم فخانوهم ، أفنافقين كانوا ؟ ألم يكونوا أنبياء ؟ أبوهم نبي ، وجدّهم نبي ؟ قال : فقلت لعطاء : يا أبا محمد ، حدّثني بأصل النفاق ، وبأصل هذا الحديث . فقال : حدثني جابر ابن عبد الله : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما قال هذا الحديث في المنافقين خاصّة ، الذين حدّثوا النبي فكذبوه ، وأتمنهم على سرّه فخانوهم ، ووعدوه أن يخرجوا معه في الغزو فأخلفوه . قال : وخرج أبو سفيان من مكة ، فأتى جبريلُ النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن أبا سفيان في مكان كذا وكذا . فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه : إن أبا سفيان في مكان كذا وكذا ، فاخرجوا إليه ، واكتموا . قال : فكتب رجل من المنافقين إليه : « إن محمداً يريدكم ، فخذوا حذركم » . فأنزل الله : ﴿ لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ، [سورة الأنفال : ٢٧] . . وأنزل في المنافقين : « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله ، إلى : « فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون » ، فإذا لقيت الحسن فأقرئه السلام ، وأخبره بأصل هذا الحديث ، وبما قلت

(١) في المطبعة : « فقال » ، أسقط « لي » ، وأثبت ما في المخطوطة .

لك . قال : فقدمت على الحسن فقلت : يا أبا سعيد ، إن أخاك عطاءً يقرئك السلام ، فأخبرته بالحديث الذي حدث ، وما قال لي ، فأخذ الحسن بيدي فأشالها ، ^(١) وقال : يا أهل العراق ، أعجزتم أن تكونوا مثل هذا ؟ سمع مني حديثاً فلم يقبله حتى استنبط أصله ، صدق عطاء ، هكذا الحديث ، وهذا في المنافيين خاصة . ^(٢)

١٧٠٠٠ - حدثني يعقوب قال ، حدثنا ابن علي قال ، أخبرنا يعقوب ، عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثلاث من كن فيه ، وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم ، فهو منافق . فقليل له : ما هي يا رسول الله ؟ فقال النبي عليه السلام : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان .

١٧٠٠١ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين ، قال ، حدثنا مبشر ، عن الأوزاعي ، عن هرون بن رباب ، عن عبد الله بن عمرو بن وائل : أنه لما حضرته الوفاة قال : إن فلاناً خطب إلى ابنتي ، وإني كنت قلت له فيها قولاً شيباً بالعدة ، والله لا ألقى الله بثلث النفاق ، وأشهدكم أني قد زوجتته . ^(٣)

* * *

(١) في المطبوعة : « فأمالها » ، وهو لا معنى له البتة . وفي المخطوطة : « فأسالها » ، غير منقوطة ، وهذا صواب قراءتها . يقال : « شالت الناقة بذنبها وأشالته » ، رفعته . ويقال : « أشال الحجر ، وشال به ، وشاوله » ، رفعه . ويقال : « شال السائل يديه » ، إذا رفعهما يسأل بهما .

(٢) الأثر : ١٦٩٩٩ - « القاسم بن بشر بن أحمد بن معروف » ، شيخ الطبري ، مضى برقم : ١٠٥٠٩ ، ١٠٥٣١ .

و « شيابة » ، هو « شيابة بن سوار الفزاري » ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ١٢٨٥١ ، وقبله . وكان في المطبوعة : « أسامة » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، فحرفه تحريفاً منكراً .

و « محمد المحرم » ، هو « محمد بن عمر المحرم » ويقال هو : « محمد بن عبد الله بن عبيد ابن عمير الليثي » ، وهو منكر الحديث . سلف بيان حاله برقم : ١٥٩٢٢ ، تفصيلاً ، ومواضع ترجمته . وكان في المطبوعة : « محمد المخزومي » ، غير ما في المخطوطة بلا دليل ولا بيان ، وهو إساءة وخطأ . وهذا خبر منكر جداً ، أشار إليه البخاري في التاريخ الكبير ٢٤٨/١/١ في ترجمة « محمد المحرم » ، قال : « عن عطاء ، والحسن . منكر الحديث : إذا وعد أخلف ، سمع منه شيابة » ، يعني هذا الخبر .

(٣) الأثر : ١٧٠٠١ - « مبشر » ، هو « مبشر بن إسماعيل الحلبي » ، ثقة ، من شيوخ أحمد ، روى الجماعة . مترجم في التهذيب ، والكبير ١١/٢/٤ ، وابن أبي حاتم ٣٤٣/١/٤ . وكان في المطبوعة : « ميسرة » ، تصرف تصرفاً معيباً ، وفي المخطوطة : « مسر » غير منقوطة .

وقال قوم : كان العهد الذى عاهد الله هؤلاء المنافقون ، شيئاً نووه فى أنفسهم ، ولم يتكلموا به .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٤/١٠

١٧٠٠٢ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال : سمعت معتمر بن سليمان التيمي يقول : ركبنا البحر ، فأصابنا ريحٌ شديدة ، فنذر قوم منا نذوراً ، ونويت أنا ، لم أتكلم به . فلما قدمت البصرة سألت أبى سليمان فقال لى : يا بُنْتَى ، فِ به . (١)
= قال معتمر : وحدثنا كهمس ، عن سعيد بن ثابت قال قوله : « ومنهم من عاهد الله ، الآية ، قال : إنما هوشىء نووه فى أنفسهم ولم يتكلموا به ، ألم تسمع إلى قوله : « ألم يعلموا أن الله يعلم سِرَّهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب » ؟ (٢)

* * *

و « هرون بن رباب التيمي الأسدي » ، كان من العباد ، ممن يخفى الزهد . ثقة . قال ابن حزم : « إيمان ، وهرون ، وعلى ، بنو رباب = كان هرون من أهل السنة ، وإيمان من أئمة الخوارج ، وعلى من أئمة الروافض ، وكانوا متعادين كلهم » ! ! مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢١٩/٢/٤ ، وابن أبى حاتم ٨٩/٢/٤ .

وأما « عبد الله بن عمرو بن وائل » ، فهذا غريب ولكنه صحيح ، فإنه « عبد الله بن عمرو ابن العاص بن وائل » ، فلا أدري لم فعل ذلك فى سياق اسمه ، إلا أن يكون سقط من النسخ . هذا ، وقد كان الإسناد فى المطبوعة هكذا : « حدثنا القاسم ، قال حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال حدثنا ميسرة » ، وقد صححت « ميسرة » قبل ، أما « قال حدثنى حجاج عن ابن جريج » ، فقد كتبها ناسخ المخطوطة ، ولكنه ضرب عليها ضربات بالقلم ، يعنى بذلك حذفها ، ولكن الناشر لم يعرف اصطلاحهم فى الضرب على الكلام ، فأثبت ما حذفته . (١) فى المطبوعة : « فبه » ، ولا يقال ذلك إلا عند الوقف ، والصواب « ف » على حرف واحد ، أمراً من « وفى ينى » . وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) الأثر : ١٧٠٠٢ - « كهمس بن الحسن التيمي » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢٣٩/١/٤ ، وابن أبى حاتم ١٧٠/٢/٣ .
و « سعيد بن ثابت » ، هكذا هو فى المخطوطة ، ولم أجد له ذكراً فيما بين يدي من كتب الرجال ، وأخشى أن يكون قد دخله تحريف .

القول في تأويل قوله ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ (٧٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ألم يعلم هؤلاء المنافقون الذين يكفرون بالله ورسوله سرّاً ، ويظهرون الإيمان بهما لأهل الإيمان بهما جهراً = « أن الله يعلم سرهم » ، الذي يسيرونه في أنفسهم ، من الكفر به ورسوله = « ونجواهم » ، يقول : « ونجواهم » ، إذا تناجوا بينهم بالطن في الإسلام وأهله ، وذكرهم بغير ما ينبغي أن يذكروا به ، فيحذروا من الله عقوبته أن يحلّها بهم ، وسطوته أن يوقعها بهم ، على كفرهم بالله ورسوله ، وعيهم للإسلام وأهله ، فينزِعوا عن ذلك ويتوبوا منه = « وأن الله علام الغيوب » ، يقول : ألم يعلموا أن الله علام ما غاب عن أسمع خلقه وأبصارهم وحواستهم ، مما أكنّته نفوسهم ، فلم يظهر على جوارحهم الظاهرة ، فيها هم ذلك عن خداع أوليائه بالنفاق والكذب ، ويزجرهم عن إضمار غير ما يبدونه ، وإظهار خلاف ما يعتقدونه ؟ (١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٧٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : الذين يلمزون المطّوعين في الصدقة على أهل المسكنة والحاجة بما لم يوجبه الله عليهم في أموالهم ، ويطعنون فيها عليهم

(١) انظر تفسير « علام الغيوب » فيما سلف ١١ : ٢٣٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

بقولهم : « إنما تصدقوا به رياءً وُسْمعةً ، ولم يريدوا وجه الله » ^(١) = ويلمزون الذين لا يجدون ما يتصدقون به إلا جهدهم ، وذلك طاقتهم ، فينتقصونهم ويقولون : « لقد كان الله عن صدقة هؤلاء غنياً ! » ، سخريّة منهم بهم = « فيسخرّون منهم سخر الله منهم » .

* * *

وقد بينا صفة « سخريّة الله » ، بمن يسخر به من خلقه ، في غير هذا الموضع ، بما أغنى عن إعادته ههنا . ^(٢)

* * *

= « ولم عذاب أليم » ، يقول : ولم من عند الله يوم القيامة عذابٌ موجع مؤلم . ^(٣)

* * *

وذكر أن المعنى بقوله : « المطوعين من المؤمنين » ، عبد الرحمن بن عوف ، وعاصم بن عدى الأنصارى = وأن المعنى بقوله : « والذين لا يجدون إلا جهدهم » ، أبو عقيل الأراشي ، أخو بني أنيف .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٠٠٣ - حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات » ، قال : جاء عبد الرحمن بن عوف بأربعين أوقية من ذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وجاءه رجل من الأنصار بصاع من طعام ، فقال بعض المنافقين : والله ما جاء عبد الرحمن بما جاء به إلا رياءً ! وقالوا : إن كان الله ورسوله لغنيين عن هذا الصاع !

(١) انظر تفسير « اللز » فيما سلف ص : ٣٠٠ ، ٣٠١ .

= وانظر تفسير « التطوع » فيما سلف ٣ : ٢٤٧ ، ٤٤١ ، وسيأتى تفسيره بعد .

قليل ص : ٣٩٢ ، ٣٩٣ .

(٢) لم يعض تفسير « سخر » ، وإنما عني أبو جعفر قوله تعالى في سورة البقرة : « الله يستهزئ بهم » ، انظر ما سلف ١ : ٣٠١ - ٣٠٦ .

(٣) انظر تفسير « أليم » فيما سلف من فهارس اللغة (ألم) .

١٧٠٠٤ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم » ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الناس يوماً فنادى فيهم : أن اجمعوا صدقاتكم ! فجمع الناس صدقاتهم . ثم جاء رجل من آخرهم بمنٍّ من تمر ، ^(١) فقال : يا رسول الله ، هذا صاع من تمرٍ ، بيتٌ ليلتي أجزُّ بالحرير الماء ، ^(٢) حتى نلت صاعين من تمرٍ ، فأمسكت أحدهما ، وأتيتك بالآخر . فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره في الصدقات . فسخر منه رجال وقالوا : « والله إن الله ورسوله لغنيان عن هذا ! وما يصنعان بصاعك من شيء » ! ثم إن عبد الرحمن بن عوف ، ١٣٥/١٠ رجل من قريش من بني زهرة ، قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : هل بقي من أحدٍ من أهل هذه الصدقات ؟ فقال : لا ! فقال عبد الرحمن بن عوف : إن عندي مئة أوقية من ذهب في الصدقات . فقال له عمر بن الخطاب : أجنون أنت ؟ فقال : ليس بي جنون ! فقال : فعلمنا ما قلت ؟ ^(٣) قال : نعم ! مالي ثمانية آلاف ، أما أربعة آلاف فأقرضها ربي ، وأما أربعة آلاف فلي ! فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت ! وكره المنافقون فقالوا : « والله ما أعطى عبد الرحمن بن عوف عطيته إلا رياءً ! وهم كاذبون ، إنما كان به متطوعاً ، فأنزل الله عذره وعذر صاحبه المسكين الذي جاء بالصاع من التمر ، فقال الله في كتابه : « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات » ، الآية .

(١) في المطبوعة : « من أحوجهم بمن من تمر » ، غير ما في المخطوطة بلا طائل ، و « المن » مكيال .

(٢) « الحرير » ، الحبل ، وأراد أنه أنه كان يسق الماء بالحبل .

(٣) في المطبوعة : « أنعم ما قلت » ، وفي المخطوطة : « أفعلمنا ما قلت » ، وهذا صواب قرأتها .

١٧٠٠٥ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو أسامة ، عن شبل ، عن ابن أبي نجيج ، عن مجاهد : « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين » ، قال : جاء عبد الرحمن بن عوف بصدقة ماله أربعة آلاف ، فلمزه المنافقون وقالوا : « راءى ! » = « والذين لا يجدون إلا جهدهم » ، قال : رجل من الأنصار آجر نفسه بصاع من تمر ، لم يكن له غيره ، فجاء به فلمزوه ، وقالوا : كان الله غنياً عن صاع هذا !

١٧٠٠٦ - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى عن ابن أبي نجيج ، عن مجاهد ، نحوه .

١٧٠٠٧ - حدثني الثني قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيج ، عن مجاهد ، نحوه .

١٧٠٠٨ - حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : قوله : « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين » ، الآية ، قال : أقبل عبد الرحمن ابن عوف بنصف ماله ، فتقرب به إلى الله ، فلمزه المنافقون فقالوا : ما أعطى ذلك إلا رياء وسعة ! فأقبل رجل من فقراء المسلمين يقال له « جحاب » ، أبو عقيل^(١)

(١) « جحاب » ، ذكره ابن حجر في الإصابة في « جحاب » ، ثم قال : « قيل فيه بموحدين ، والأشهر بمثلتين ، وسيأتي » ولم يذكره في « حشاث » كما يدل عليه تعقيبه هذا ، وإنما ذكره في « جشاث » بالجيم والثاء المثلثة فيما سلف قبله ، وقال هناك : « قيل : هو اسم أبي عقيل ، صاحب الصاع ، ضبطه السهيلي تبعاً لابن عبد البر ، وضبطه غير بالحاء المهملة . وقيل في اسمه غير ذلك . وتأتي ترجمته في الكنى » . بيد أن الحافظ ابن حجر قال في فتح الباري ٨ : ٢٤٩ : « وذكر السهيلي أنه رآه بخط بعض الحفاظ مضبوطاً بجيمين » .

ولم أجد في الاستيعاب لابن عبد البر ضبطاً له ، وهو مترجم هناك في « أبو عقيل صاحب الصاع » ص : ٦٧٣ ، وهو في مطبوعة الاستيعاب بالحاء والثاء المثلثة من ضبط مصححه . وفي السهيلي (الروض الأنف ٢ : ٣٣١) : « جشاث » ، بالجيم والثاء .

وأما صاحب أسد الغابة فترجم له في « أبو عقيل ، صاحب الصاع » (٥ : ٢٥٧) ، ولم يضبطه ، وهو محرف في المطبوعة . ولكنه أورده في « جحاب » (بالحاء والباء) ، وقال : هو أبو عقيل الأنصاري . أسد الغابة ١ : ٣٦٦ .

وترجم له ابن سعد في الطبقات ٤١/٢/٣ في « بنى أنيف بن جشم بن عائذ الله ، من بلى ،

فقال : يا نبي الله، بئس أجر الجريير على صاعين من تمر ، أما صاع فأمسكته لأهلي ، وأما صاع فها هوذا ! فقال المنافقون : « والله إن الله ورسوله لغنيان عن هذا ! » . فأنزل الله في ذلك القرآن : « الذين يلمزون » ، الآية .

١٧٠٠٩ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات » ، قال : تصدق عبد الرحمن بن عوف بشطر ماله ، وكان ماله ثمانية آلاف دينار ، فتصدق بأربعة آلاف دينار ، فقال ناس من المنافقين : إن عبد الرحمن بن عوف لعظيم الرياء ! فقال الله : « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات » = وكان لرجل صاعان من تمر ، فجاء بأحدهما ، فقال ناس من المنافقين : إن

حلفا بن جحجا بن كلفة » وقال : « أبو عقيل ، واسمه عبد الرحمن الإراشي الأثقي » ، ولم يذكر خبر الصاع .

هذا ، وقد استوفى الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٨ : ٢٤٩ ، ذكر « أبي عقيل » ، فذكر الاختلاف في صاحب الصاع ، وهذا ملخصه :

الأول : أنه « الحجاب » ، أبو عقيل » ، وذكر ما رواه الطبري هنا وفيما سيأتي ، وما رواه غيره . الثاني : أنه « سهل بن رافع » ، وحجته فيه ، خبر رواه الطبراني في الأوسط من طريق سعيد ابن عثمان البلوي ، « عن جدته بنت عدى أن أمهما عميرة بنت سهل بن رافع صاحب الصاع الذي لمزه المنافقون » ، وهكذا قال ابن الكلبي .

الثالث : من طريق عكرمة : أنه « رفاع بن سهل بن رافع » ، وقال : وعند أبي حاتم « رفاع ابن سعد » ، ويحتمل أن يكون تصحيفاً ، ويحتمل أن يكون اسم « أبي عقيل » « سهل » ، ولقبه « حجاب » = أو هما اثنان من الصحابة .

الرابع : في الصحابة « أبو عقيل بن عبد الله بن ثعلبة البلوي » ، بدرى ، لم يسمه موسى ابن عقبة ، ولا ابن إسحق ، وسماه الواقدي « عبد الرحمن » . قال : واستشهد بالجماعة . قال : وكلام الطبري يدل على أنه هو صاحب الصاع عنده . وتبعه بعض المتأخرين ، والأول أولى . الخامس : أنه « عبد الرحمن بن سمحان » ؟ ؟ (هكذا جاء) .

السادس : أن صاحب الصاع هو « أبو خيثمة » : « عبد الله بن خيثمة » ، من بني سالم ، من الأنصار » ، ودليله ما جاء في حديث توبة كعب بن مالك ، وانظر الأثر رقم : ١٧٠١٦ . السابع : عن الواقدي أن صاحب الصاع ، هو « علي بن زيد المحاربي » .

وقال الحافظ : « وهذا يدل على تعدد من جاء بالصاع » .

وهذا اختلاف شديد ، يحتاج إل فضل تحقيق ومراجعة ، فيده هنا ليكون تذكراً لمن أراد تشبعه وتحقيقه .

كان الله عن صاع هذا لغنياً ! فكان المنافقون يطعنون عليهم ويسخرون بهم ، فقال الله : « والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم » .

١٧٠١٠ - حدثني المثني قال ، حدثنا الحجاج بن المنهال الأنماطي قال ، حدثنا أبو عوانة ، عن [عمر بن] أبي سلمة ، عن أبيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : تصدقوا ، فإنني أريد أن أبعث بعثاً . قال : فقال عبد الرحمن بن عوف : يا رسول الله ، إن عندى أربعة آلاف ، ألفين أقرضهما الله ، وألفين لعيالى . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بارك الله لك فيما أعطيت ، وبارك لك فيما أمسكت ! فقال رجل من الأنصار : وإن عندى صاعين من تمرٍ ، صاعاً لربي ، وصاعاً لعيالى ! قال : فلمز المنافقون وقالوا : ما أعطى ابن عوف هذا إلا رياءً ! وقالوا : أو لم يكن الله غنياً عن صاع هذا ! فأنزل الله : « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين » ، إلى آخر الآية . (١)

١٧٠١١ - حدثني المثني قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن

(١) الأثر : ١٧٠١٠ - « أبو عوانة » ، هو « الوضاح بن عبد الله اليشكري » ، ثقة روى له الجماعة ، مضى برقم : ٤٤٩٨ ، ١٠٣٣٦ ، ١٠٣٣٧ . و « عمر بن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف » ، يضعف ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٢٧٥٥ . وكان في المطبوعة والمخطوطة : « أبو عوانة » ، عن أبي سلمة ، وهو خطأ لا شك فيه ، صوابه من إسناده في تفسير ابن كثير ، ومن مجمع الزوائد . وأبوه « أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى مراراً ، آخر : ١٢٨٢٢ .

خرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ٣٢ ، عن أبي سلمة ، وعن أبي هريرة ، ثم قال : « رواه البزار من طريقتين : إحداهما متصلة عن أبي هريرة ، والأخرى عن أبي سلمة مرسله . قال : ولم نسمع أحداً أسنده من حديث عمر بن أبي سلمة ، إلا طالوت بن عباد . وفيه عمر بن أبي سلمة ، وثقة العجلي ، وأبو خيثمة وابن حبان ، وضعفه شعبة وغيره . وبقيت رجالها ثقات » .

وحديث البزار رواه ابن كثير في تفسيره ٤ : ٢١٢ ، ٢١٣ ، وهذا إسناده : « قال الحافظ أبو بكر البزار ، حدثنا طالوت بن عباد ، حدثنا أبو عوانة ، عن عمر بن أبي سلمة ، عن أبيه ، عن أبي هريرة » ، وساق الخبر . ثم قال ابن كثير : « ثم رواه عن أبي كامل ، عن أبي عوانة ، عن عمر بن أبي سلمة ، عن أبيه مرسله . قال : ولم يستند أحد إلا طالوت » .

ابن سعد قال ، أخبرنا أبو جعفر ، عن الربيع بن أنس في قوله : « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات » ، قال : أصاب الناس جهْدٌ شديد ، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتصدَّقوا ، فجاء عبد الرحمن بأربعمائة أوقية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم بارك له فيما أمسك . فقال المنافقون : ما فعل عبد الرحمن هذا إلا رياء وسمعة ! قال : وجاء رجل بصاع من تمر ، فقال : يا رسول الله ، أجرت نفسي بصاعين ، فانطلقت بصاع منهما إلى أهلي ، وبحث بصاع من تمر . فقال المنافقون : إن الله غنيٌّ عن صاع هذا ! فأنزل الله هذه الآية : « والذين لا يجحدون إلا لجهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم » . (١)

١٧٠١٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات » ، الآية ، وكان المطوعون من المؤمنين في الصدقات ، (٢) عبد الرحمن بن عوف ، تصدق بأربعة آلاف دينار ، وعاصم بن عدى أخا بني العجلان ، (٣) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رغب في الصدقة ، وحضَّ عليها ، فقام عبد الرحمن بن عوف فتصدق بأربعة آلاف درهم ، وقام عاصم بن عدى فتصدق بمئة وسَقٍ من تمر ، فلمزوها وقالوا : ما هذا إلا رياء ! وكان الذي تصدَّق بجهده : أبو عقيل ، أخو بني أنيف ، الأراشي ، حليف بني عمرو بن عوف ، (٤) أتى بصاع من تمر فأفرغه في الصدقة ، فتضاحكوا به وقالوا : إن الله لغنيٌّ عن صاع أبي عقيل !! (٥)

(١) الأثر : ١٧٠١١ — « عبد الرحمن بن سعد » ، هو « عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد الدشتكي الرازي » ، مضى برقم : ١٠٦٦٦ ، ١٠٨٥٥ .

(٢) في المطبوعة : « من المطوعين » ، وكان في المخطوطة قد كتب « وكان المطوعين » ، ثم عاد بالقلم على الياء فجعلها واواً ، فتصرف الناشر ولم يبال بفعل الناسخ . والذي أثبتته مطابق لما في السيرة . ولذلك غير الناسخ ما بعده فكتب ، « أخو بني العجلان » ، غير ما في المخطوطة . (٣) في المطبوعة : « أخو بني عجلان » ، تصرف تصرفاً معيباً .

(٤) قوله : « الأراشي » ، حليف بني عمر بن عوف ، ليس في المطبوع من سيرة ابن هشام ، وانظر التعليق السالف ص : ٣٨٤ ، رقم : ١

(٥) الأثر : ١٧٠١٢ — سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٦ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٩٩٠ .

١٧٠١٣ - حدثنا محمد بن المنثي قال ، حدثنا أبو النعمان الحكم عبدالله قال ،
 حدثنا شعبة ، عن سليمان ، عن أبي وائل ، عن أبي مسعود قال : لما نزلت آية الصدقة كنا
 نحامل ^(١) = قال أبو النعمان : كنا نعمل = قال : فجاء رجل فتصدق بشيء
 كثير . قال : وجاء رجل فتصدق بصاع تمر ، فقالوا : إن الله لغنيٌّ عن صاع هذا ! فنزلت :
 « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم » . ^(٢)
 ١٧٠١٤ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا زيد بن حباب ، عن موسى بن عبيدة قال ،
 قال حدثني خالد بن يسار ، عن ابن أبي عقيل ، عن أبيه قال : بتُّ أجرُ الحرير على
 ظهري على صاعين من تمر ^(٣) ، فانقلبتُ بأحدهما إلى أهلي يتبَلَّغون به ، ^(٤) وجئت
 بالآخر أتقربُ به ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ^(٥) فأتيت رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فأخبرته ، فقال : انثره في الصدقة . فسخر المنافقون منه . وقالوا :

(١) قوله « كنا نحامل » ، من « المحاملة » وفسره الحافظ ابن حجر في الفتح فقال :
 « أى نحمل على ظهورنا بالأجرة . يقال : حاملت ، بمعنى : حملت ، كسافت . وقال الخطابي :
 يريد : نتكلف الحمل بالأجرة ، لنكسب ما نتصدق به . ويؤيده في الرواية الثانية التي بعده - يعنى
 في البخارى - حيث قال : انطلق أحدنا إلى السوق فيحامل ، أى : يطلب الحمل بالأجرة » .
 ويبين هذا أيضاً ، تفسير أبي النعمان بقوله : « كنا نعمل » ، وهو تفسير فيما أرجح ،
 لا رواية أخرى في الخبر .

(٢) الأثر : ١٧٠١٣ - « أبو النعمان » ، « الحكم بن عبد الله الأنصارى » ، ثقة ، قال البخارى :
 « حديثه معروف ، كان يحفظ » . وليس له في صحيح البخارى غير هذا الحديث . مترجم في التهذيب .
 و « أبو مسعود » ، هو « أبو مسعود الأنصارى البدرى » ، واسمه « عقبة بن عمرو بن ثعلبة » ،
 صاحب رسول الله ، شهد العتبة . وكان في المخطوطة : « عن ابن مسعود » ، وهو خطأ صرف .
 وهذا الخبر ، رواه البخارى في صحيحه (الفتح ٣ : ٢٢٤) من طريق عبيد الله بن سعيد ،
 عن أبي النعمان الحكم بن عبد الله البصرى ، بمثله ، وفيه زيادة بعد قوله : « بشيء كثير » ، هي
 « فقالوا : مرأى » .

ثم رواه البخارى أيضاً في صحيحه (الفتح ٨ : ٢٤٩) من طريق بشر بن خالد ، عن محمد
 ابن جعفر ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن أبي وائل ، عن أبي مسعود ، بغير هذا اللفظ ، وفيه التصريح
 باسم « أبي عقيل » الذى أتى بنصف صاع . ومن هذه الطريق رواه مسلم في صحيحه ٧ : ١٠٥ .
 ثم انظر : ص : ٣٨٩ ، تعليق رقم : ١ .

(٣) « الحرير » : الحبل ، وصلى شرحه ص : ٣٨٣ ، تعليق : ٢ .

(٤) « تبلغ ببعض الطعام » ، أى : اكتفى به من كثيره ، حتى يبلغ ما يشبعه .

(٥) قوله : « إلى رسول الله » ، متعلق بقوله : « جئت » ، لا بقوله : « أتقرب به » ،

لقد كان الله غنياً عن صدقة هذا المسكين ! فأنزل الله : « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات » ، الآيتين .^(١)

١٧٠١٥ — حدثني يعقوب قال ، حدثنا ابن علية قال ، أخبرنا الحريري ، عن أبي السليل قال : وقف على الحى رجل ،^(٢) فقال : حدثني أبى أو عمى فقال : شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : من يتصدق اليوم بصدقة أشهد له بها عند الله يوم القيامة ؟ قال : وعلى عمامة لى . قال : فترعت لَوْنًا أو لَوْنَيْنِ لِأَتَصَدَّقَ بهما ،^(٣) قال : ثم أدركنى ما يدرك ابن آدم ، فعصبت بها رأسى . قال : فجاء

أى : جئت به إلى رسول الله ، أتقرب به إلى الله .

(١) الأثر : ١٧٠١٤ — « موسى بن عبيدة بن نسيط الربنى » ، ضعيف بمرة ، لا تحل الرواية عنه ، كما قال أحمد . مضى مراراً ، آخرها رقم : ١١٨١١ .
وأما « خالد بن يسار » ، الذى روى عن ابن أبى عقيل ، وروى عنه « موسى بن عبيدة » ، فلم أجد له ترجمة ولا ذكر . وهناك « خالد بن يسار » ، روى عن أبى هريرة ، روى عنه شعيب ابن الحباب ، ولا أظنه هو هو ، وهذا أيضاً قالوا : هو مجهول .
وأما « ابن أبى عقيل » ، فاسمه « رضى بن أبى عقيل » ، مترجم فى الكبير ٣١٣/١/٢ ، وابن أبى حاتم ٥٢٣/١/٢ ، قالوا : « روى عن أبيه » ، وروى عنه محمد بن فضيل ، ولم يذكر فيه جرحاً .

و « أبو عقيل » ، مضى ذكره ، وهو مترجم فى الكنى للبخارى : ٦٢ ، وابن أبى حاتم ٤١٦/٢/٤ ، وقالوا : روى عنه ابنه : رضى بن أبى عقيل .
وهذا خبر ضعيف الإسناد جداً ، لضعف « موسى بن عبيدة » ، والمجهول الذى فيه ، وهو « خالد بن يسار » .

بيد أن الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧ : ٣٢ ، ٣٣ ، روى هذا الخبر ، بنحو لفظه ، ثم قال : « رواه الطبرانى ، ورجاله ثقات ، إلا خالد بن يسار ، لم أجد من وثقه ولا جرحه » . فلا أدري أرواه عن « خالد بن يسار » ، أحد غير « موسى بن عبيدة » فى إسناد الطبرانى ، أم رواه « موسى ابن عبيدة » ، فإن يكن « موسى » هو راويه ، فقد سلف مراراً أن ضعفه الهيثمى . والظاهر أنه من رواية « موسى » ، لأن رأيت ابن كثير فى تفسيره ٤ : ٢١٣ ، نقل هذا الخبر عن الطبرى ، ثم قال : « وكذا رواه الطبرانى من حديث زيد بن الحباب ، به . وقال : اسم أبى عقيل حباب (حباب) ، ويقال : عبد الرحمن بن عبد الله بن ثعلبة » (انظر ص : ٣٨٣ ، تعليق : ٢ . فهذا دال على أن فى إسناد الطبرانى « موسى بن عبيدة » ، الضعيف بمرة .

(٢) فى المسند : « وقف علينا رجل فى مجلسنا بالبقيع » ، واختلف لفظ الخبر بعد .

(٣) « لاث الهامة على رأسه ، يلوها » أى : عصبها ولفها وأدارها . و « اللوث » : اللفة من لفائف الهامة .

رجل لا أرى بالبقيع رجلاً أفصرَ قمّةً،^(١) ولا أشدَّ سواداً، ولا آدمَ بعينٍ منه،^(٢) يقود ناقة لا أرى بالبقيع أحسن منها ولا أجمل منها . قال : أصدقةٌ هي ، يا رسول الله ؟ قال : نعم ! قال : فدُونَكها !^(٣) فألقى بخطامها = أو : بزمامها^(٤) = قال : فلمزة رجل جالسٌ فقال : والله إنه ليتصدق بها ، ولهى خيرٌ منه ! فنظر إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال : بل هو خير منك ومنها !^(٥) يقول ذلك ثلاثاً صلى الله عليه وسلم .^(٦)

١٧٠١٦ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب قال ، أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك يقول : الذي تصدّق بصاع التمر فلمزه المنافقون : « أبو خيثمة الأنصارى » .^(٧)

(١) « القمّة » بالكسر ، شخص الإنسان إذا كان قائماً ، وهى « القامة » . وهذا هو المراد هنا . و « القمّة » أيضاً ، رأس الإنسان ، وليس بمراد هنا .
(٢) فى المطبوعة : « ولا أذم لعينى منه » ، وهو فاسد ، غير ما فى المخطوطة . وهذه الجملة فى مسند أحمد محرفة : « ولا آدم يعير بناقّة » ، وفى تفسير ابن كثير نقلاً عن المسند : « ولا أذم ببعير ساقه » ، فزاده تحريفاً . والصواب ما فى تفسير الطبرى .
« ولا آدم » من « الدمامة » ، « دم الرجل يدم دمامة » ، وهو القصر والقبح . وفى حديث ابن عمر : « لا يزوجن أحدكم ابنته بدميم » .
(٣) « دونكها » ، أى : خذها .
(٤) فى المخطوطة : « فألقى الله بخطامها أو بزمامها » ، وهو خطأ ظاهر ، صوابه ما أثبت . ولكن ناشر المطبوعة حذف فكتب : « فألقى بخطامها » .

(٥) فى المطبوعة والمخطوطة : « يقول ذلك نبينا صلى الله عليه وسلم » ، وهو تحريف من الناسخ ، وصوابه ما أثبت ، وذلك أنه رأى فى النسخة التى نقلنا عنها : « يقول ذلك لنا » فقرأها « نبينا » ، وصوابه « ثلاثاً » ، كما كانوا يكتبونها بحذف الألف . واستظهرت ذلك من حديث أحمد فى المسند قال : « ثلاث مرات » .

(٦) الأثر : ١٧١٥ - « أبو السليل » ، هو : « ضريب بن فقير بن سمير القيسى الجريرى » ، ثقة . روى عن سعيد الجريرى وغيره . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٣٤٣/٢/٢ ، وابن أبى حاتم ٤٧٠/١/٢ .

وهذا الخبر رواه أحمد فى المسند ٥ : ٣٤ ، ونقله عنه ابن كثير فى تفسيره ٤ : ٢١١ ، ٢١٢ ، بزيادة ، واختلاف فى بعض لفظه ، كما أشرت إليه آنفاً فى التعليقات .

(٧) الأثر : ١٧٠١٦ - « عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصارى » ، ثقة . مضى برقم : ١٦١٤٧ . وانظر ما سلف ج ١٣ : ٥٦٧ ، تعليق : ١ .

١٧٠١٧ - حدثني المثني قال ، حدثنا محمد بن رجاء أبو سهل العباداني قال ، حدثنا عامر بن يساف اليمامي ، عن يحيى بن أبي كثير اليمامي قال : جاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، مالي ثمانية آلاف ، جئتكم بأربعة آلاف ، فأجعلها في سبيل الله ، وأمست أربعة آلاف لعيالي . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بارك الله فيما أعطيت وفيما أمست ! وجاء رجل آخر فقال : يا رسول الله ، بت الليلة أجر الماء على صاعين ، فأما أحدهما فتركت لعيالي وأما الآخر فجئتكم به ، أبعده في سبيل الله ، فقال : بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمست ! فقال ناس من المنافقين : والله ما أعطى عبد الرحمن إلا رياءً وسمعة ، ولقد كان الله ورسوله غنيين عن صاع فلان ! فأنزل الله : « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات » ، يعني عبد الرحمن بن عوف : « والذين لا يجدون إلا جهدهم » ، يعني صاحب الصاع = « فيسخرهم منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم » .^(١)

١٧٠١٨ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال ، قال ابن عباس : أمر النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يجمعوا صدقاتهم ، وإذا عبد الرحمن بن عوف قد جاء بأربعة آلاف ، فقال : هذا مالي أقرضه الله ، وقد بقي لي مثله . فقال له : بورك لك فيما أعطيت وفيما أمست ! فقال المنافقون : ما أعطى إلا رياءً ، وما أعطى صاحب الصاع إلا رياءً ، إن كان الله ورسوله لغنيين عن هذا ! وما يصنع الله بصاع من شيء !

(١) الأثر : ١٧٠١٧ - « ومحمد بن رجاء » ، « أبو سهل العباداني » ، لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من المراجع .

و « عامر بن يساف اليمامي » ، وهو « عامر بن عبد الله بن يساف » وثقه ابن معين وغيره ، وقال ابن عدى : « منكر الحديث عن الثقات . ومع ضعفه يكتب حديثه » . مترجم في ابن أبي حاتم ٣/٣٢٩ ، وميزان الاعتدال ٢ : ٧ ، وتمجيل المنفعة : ٢٠٦ ، ولسان الميزان ٣ : ٢٢٤ . و « يحيى بن أبي كثير اليمامي » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٢٧٦٠ .

١٧٠١٩ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات » ، إلى قوله : « ولهم عذاب أليم » ، قال : أمر النبي عليه الصلاة والسلام المسلمين أن يتصدقوا ، فقال عمر بن الخطاب : فألفى ذلك مالى وإفراً ، فأخذ نصفه .^(١) قال : فبجئت أحمل مالا كثيراً . فقال له رجل من المنافقين : ترائى يا عمر ! فقال : نعم ، أرائى الله ورسوله ،^(٢) وأما غيرهما فلا ! قال : ورجل من الأنصار لم يكن عنده شيء ، فواجر نفسه ليجرّ الجريير على رقبته بصاعين ليلته ،^(٣) فترك صاعاً لعياله ، وجاء بصاع يحمله ، فقال له بعض المنافقين : إن الله ورسوله عن صاعك لغنيان ! فذلك قول الله تبارك وتعالى : « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم » ، هذا الأنصارى = « فيسخرّون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم » .

* * *

وقد بينا معنى « اللمز » في كلام العرب بشواهد وما فيه من اللغة والقراءة فيما مضى .^(٤)

* * *

وأما قوله : « المطوعين » ، فإن معناه : المتطوعين ، أدغمت التاء في

(١) في المطبوعة : « فقام عمر بن الخطاب ، فألقى مالا وإفراً ، فأخذ نصفه » ، لم يحسن قراءة ما في المخطوطة ، فحرف وبدل وحذف ، وأساء بما فعل غاية الإساءة . وإنما هذا قول عمر ، يقول : فألقى هذا الأمر بالصدقة ، مالى وإفراً ، فأخذ نصفه .

(٢) في المطبوعة : « فقال عمر : أرائى الله . . . » ، وفي المخطوطة : « فقال نعم : إن الله ورسوله » ، لم يحسن كتابتها ، وأثبت الصواب من الدر المنثور ٣ : ٢٦٣ .

(٣) في المطبوعة : « فأجر نفسه » ، وهى الصواب المحض ، من قولهم : « أجر المملوك يأجره أجراً ، فهو مأجور » و « أجره إيجاراً ، ومؤاجرة » . وأما ما أثبتته عن المخطوطة ، فليس بقصيح ، وإنما هو قياس ضعيف على قولهم فى : « أمرته » ، « وأمرته » ، وقولهم فى « آكله » ، « واكله » على البدل ، وذلك كله ليس بقصيح ولا مرضى . وإنما أثبتنا لوضوحها فى المخطوطة ، ولأنه من الكلام الذى يقال مثله .

(٤) انظر تفسير « اللمز » فيما سلف ص : ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٨٢ .

الطاء ، فصارت طاء مشددة ، كما قيل : ﴿وَمَنْ يَطَّوْعْ خَيْرًا﴾ [سورة البقرة : ١٥٨] ، (١)
يعنى : يتطوَّع . (٢)

* * *

وأما « الجهد » ، فإن للعرب فيه لغتين . يقال : « أعطاني من جهده » ،
بضم الجيم ، وذلك فيما ذكر ، لغة أهل الحجاز = ومن « جهده » بفتح الجيم ،
وذلك لغة نجد . (٣)

وعلى الضم قراءة الأمصار ، وذلك هو الاختيار عندنا ، لإجماع الحجة من القراءة عليه .
وأما أهل العلم بكلام العرب من رواة الشعر وأهل العربية ، فإنهم يزعمون أنها
مفتوحة ومضمومة بمعنى واحد ، وإنما اختلاف ذلك لاختلاف اللغة فيه ، كما
اختلفت لغاتهم في « الوَجْد » ، « والوَجْد » بالضم والفتح ، من : « وجدت » . (٣)

* * *

وروى عن الشعبي في ذلك ما : —

١٧٠٢٠ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا جابر بن نوح ، عن عيسى
ابن المغيرة ، عن الشعبي قال : « الجَهْدُ » ، و « الجُهْدُ » ، الجَهْدُ في
العمل ، والجُهْدُ في القوت . (٤)

١٧٠٢١ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا حفص ، عن عيسى بن المغيرة ،
عن الشعبي ، مثله .

(١) هذه القراءة ، ذكرها أبو جعفر فيما سلف ٣ : ٢٤٧ ، وهي قراءة عامة قراءة الكوفيين .
وأما قراءتنا في مصحفنا اليوم : ﴿وَمَنْ تَطَّوْعْ خَيْرًا﴾ .

(٢) انظر تفسير « التطوع » فيما سلف ٣ : ٢٤٧ ، ٢٤١ / ١٤ : ٣٨٢ ، وانظر معاني
القرآن للقراء ١ : ٤٤٧ .

(٣) انظر معاني القرآن للقراء ١ : ٤٤٧ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٢٦٤ ، وما سلف
٣٨٢ : ح .

(٤) في المطبوعة ، حذف قوله : « الجهد ، والجهد » وجعل « فالجهد » ، « الجهد » ، وبدأ
به الكلام . وأثبت ما في المخطوطة .

١٧٠٢٢ - قال ، حدثنا ابن إدريس ، عن عيسى بن المغيرة ، عن الشعبي قال : الجُهدُ في العمل ، والجُهدُ في القِيتَةِ . (١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ اُسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٨٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ادع الله لهؤلاء المنافقين ، الذين وصفت صفاتهم في هذه الآيات (٢) ، بالمغفرة ، أو لا تدع لهم بها .

وهذا كلام خرج مخرج الأمر ، وتأويله الخبر ، ومعناه : إن استغفرت لهم ، يا محمد ، أو لم تستغفر لهم ، فلن يغفر الله لهم .

وقوله : « إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » ، يقول : إن تسأل لهم أن تُستَرَّ عليهم ذنوبهم بالعفو منه لهم عنها ، وترك فضيحتهم بها ، فلن يستر الله عليهم ، ولن يعفو لهم عنها ، ولكنه يفضحهم بها على رؤوس الأشهاد يوم القيامة (٣) = « ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله » ، يقول جل ثناؤه : هذا الفعل من الله بهم ، وهو ترك عفوهم عن ذنوبهم ، من أجل أنهم جحدوا توحيد الله ورسالة رسوله = « والله لا يهدي القوم الفاسقين » ، يقول : والله لا يوفق للإيمان به ورسوله ، (٤)

(١) في المطبوعة : « والجهد في المعيشة » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، فغيرها . و « القوت » و « القيت » (بكسر القاف) و « القيتة » (بكسر القاف) ، كله واحد ، وهو المسكة من الرزق ، وما يقوم به بدن الإنسان من الطعام .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « وصف صفاتهم » ، وما أثبت أبين .

(٣) انظر تفسير « الاستغفار » و « المغفرة » فيما سلف من فهارس اللغة (غفر) .

(٤) انظر تفسير « الهدى » فيما سلف من فهارس اللغة (هدى) .

من أثر الكفر به والخروج عن طاعته ، على الإيمان به وبرسوله .^(١)

* * *

ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه حين نزلت هذه الآية قال :
«لأزیدن في الاستغفار لهم على سبعين مرة» ، رجاءً منه أن يغفر الله لهم ، فنزلت :
﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾
[سورة المنافقون : ٦] .

١٧٠٢٣ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عبدة بن سليمان ، عن هشام
ابن عروة ، عن أبيه : أن عبد الله بن أبي ابن سلول قال لأصحابه : لولا أنكم
تُنفقون على محمد وأصحابه لانفضوا من حوله ! وهو القائل : ﴿لَنْ يَنْفَعَنَا إِلَى
الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ [سورة المنافقون : ٨] ، فأُنزل الله : «استغفر
لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فإن يغفر الله لهم» ، قال
النبي صلى الله عليه وسلم : لأزیدن على السبعين ! فأُنزل الله : ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ
أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ . فأبى الله تبارك وتعالى أن يغفر لهم .

١٧٠٢٤ - حدثنا ابن حميد وابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ،
عن شباك ، عن الشعبي قال : دعا عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول
النبي صلى الله عليه وسلم إلى جنازة أبيه ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : من
أنت ؟ قال : حُباب بن عبد الله بن أبي . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم :
بل أنت عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول ، إن «الحُباب» هو الشيطان .^(٢) ثم
قال النبي عليه السلام : إنه قد قيل لي : «استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر
لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم» ، فأنا أستغفر لهم سبعين وسبعين ، وألبسه
النبي صلى الله عليه وسلم قميصه وهو عَرِقٌ .

(١) انظر تفسير «الفسق» فيما سلف : ٣٣٩ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) «الحباب» (بضم الحاء) ، الحية ، قال ابن الأثير : «ويقع على الحية أيضاً ،
كما يقال لها شيطان ، فهما مشتركان فيه» .

١٧٠٢٥ - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « إن تستغفر لهم سبعين مرة » ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : سأزيد على سبعين استغفارة! فأنزل الله في السورة التي يذكر فيها المنافقون: ﴿لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ ، عزماً^(١).

١٧٠٢٦ - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٧٠٢٧ - قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

١٧٠٢٨ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

١٧٠٢٩ - قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا مغيرة ، عن الشعبي قال : لما ثَقُلَ عبد الله بن أبيّ ، انطلق ابنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : إن أبي قد احتَضِر ، فأحبُّ أن تشهده وتُصَلِّيَ عليه! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما اسمك ؟ قال : الحُبَاب بن عبد الله . قال : بل أنت عبد الله بن عبد الله بن أبي ، إن « الحباب » اسم شيطان . قال : فانطلق معه حتى شهده وألبسه قميصه وهو عَرِق ، وصلى عليه ، فقبل له : أتُصَلِّي عليه وهو منافق ؟ فقال : إن الله قال : « إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » ، ولأستغفرون له سبعين وسبعين ! = قال هشيم : وأشكُّ في الثالثة .

١٧٠٣٠ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم » إلى قوله : « القوم الفاسقين » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية : أسمعُ ربِّي قد رَخَّص لي فيهم ، فوالله لأستغفرون أكثر من سبعين مرة ،

(١) «عزماً» ، يعني تأكيداً ، وحققاً واجباً .

فلعل الله أن يغفر لهم ! فقال الله ، من شدة غضبه عليهم : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [سورة المنافقون : ٦] .

١٧٠٣١ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » ، فقال نبي الله : قد خيرني ربي ، فلازيدهم على سبعين ! فأنزل الله : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ ، الآية .

١٧٠٣٢ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : لما نزلت : « إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لأزيدن على سبعين ! فقال الله : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ (٨١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فرح الذين خلفهم الله عن الغزو مع رسوله والمؤمنين به وجهاد أعدائه = « بمقعدهم خلاف رسول الله » ، يقول : يجالوسهم في منازلهم ^(١) = « خلاف رسول الله » ، يقول : على الخلاف لرسول الله في جلوسه

ومقعده. وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم بالتَّقَرُّبِ إلى جهاد أعداء الله ،
فخالفوا أمره وجلسوا في منازلهم .

* * *

وقوله : « خِلَافٌ » ، مصدر من قول القائل : « خالف فلان فلاناً فهو
يخالفه خِلافاً » ، فلذلك جاء مصدره على تقدير « فِعَال » ، كما يقال : « قاتله
فهو يقاتله قتالاً » ، ولو كان مصدرًا من « خَلَفَه » لكانت القراءة : « بمقعدهم خَلَفَ
رسول الله » ، لأن مصدر : « خلفه » ، « خلفٌ » لا « خِلاف » ، ولكنه على ما بينت
من أنه مصدر : « خالف » ، فقرأ : « خلاف رسول الله » ، وهى القراءة التى
عليها قرأة الأمصار ، وهى الصواب عندنا .

* * *

وقد تأول ذلك بعضهم بمعنى : « بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، ^(١) واستشهد
على ذلك بقول الشاعر : ^(٢)

عَقَبَ الرَّبِيعُ خِلَافَهُمْ ، فَكَأَنَّمَا بَسَطَ الشَّوْاطِبُ بَيْنَهُنَّ حَصِيرًا ^(٣)

(١) هو أبو عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ٢٦٤ .

(٢) هو الحارث بن خالد الخزومى .

(٣) الأغاني ٣ : ٣٣٦ (دار الكتب) ١٥ : ١٢٨ (سامى) ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة

١ : ٢٦٤ ، واللسان (عقب) ، (خلف) ، من قصيدة روى بعضها أبو الفرج فى أغانيه ،
يقول فى عائشة بنت طلحة تعريضاً ، وتصريحاً بيسرة جاريتهما ، يقول قبله :

يَارَبْعَ بُسْرَةٍ إِنْ أَضْرَّ بِكَ الْبَلَى فَلَقَدْ عَهْدْتُكَ أَهْلًا مَعْمُورًا

ورواية أبى الفرج « عقب الرذاذ » ، و « الرذاذ » صغار المطر . وأما « الربيع » ، فهو
المطر الذى يكون فى الربيع . قال أبو الفرج الأصبهاني : « وقوله : عقب الرذاذ ، يقول : جاء
الرذاذ بعده . ومنه يقال : عقب لفلان غنى بعد فقر = وعقب الرجل أباه : إذا قام بعده مقامه .
وعواقب الأمور ، مأخوذة منه ، واحدها عاقبة ... والشواطىء : النساء اللواتى يشطن لهاء السعف ،
يعملن منه الحصر . ومنه السيف المشطوب ، والشطبية : الشعبة من الشئ . ويقال : بعثنا إلى فلان
شطبية من خيلنا ، أى : قطعة » . قلت : وإنما وصف آثار الغيث فى الديار ، فشبه أرضها بالحصر
المنمقة ، للطرائق التى تبقى فى الرمل بعد المطر .

وذلك قريبٌ لمعنى ما قلنا ، لأنهم قعدوا بعده على الخلاف له .

* * *

وقوله : « وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله » ، يقول تعالى ذكره : وكره هؤلاء المخلفون أن يغزوا الكفار بأموالهم وأنفسهم^(١) = « في سبيل الله » ، يعنى : في دين الله الذى شرعه لعباده لينصروه ،^(٢) وميلاً إلى الدعة والخفض ، وإيثاراً للراحة على التعب والمشقة ، وشحاً بالمال أن ينفقوه في طاعة الله .

* * *

= « وقالوا لا تنفروا في الحر » ، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم استنفرهم إلى هذه الغزوة ، وهى غزوة تبوك ، في حرٍّ شديد ،^(٣) فقال المنافقون بعضهم لبعض : « لا تنفروا في الحر » ، فقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « قل لهم ، يا محمد = « نار جهنم » ، التى أعدّها الله لمن خالف أمره وعصى رسوله = « أشد حرّاً » ، من هذا الحرّ الذى تتواصون بينكم أن لا تنفروا فيه . يقول : الذى هو أشد حرّاً ، أخرى أن يُحذر ويُتقى ، من الذى هو أقلهما أذى = « لو كانوا يفقهون » ، يقول : لو كان هؤلاء المنافقون يفقهون عن الله وعظّمه ، ويتدبّرون آى كتابه ،^(٤) ولكنهم لا يفقهون عن الله ، فهم يحذرون من الحرّ أقله مكروهاً وأخفّه أذىً ، ويوافقون أشدّه مكروهاً^(٥) ، وأعظمه على من يصلاه بلاءً .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

-
- (١) انظر تفسير « الجهاد » فيما سلف ص : ٣٥٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
 (٢) انظر تفسير « سبيل الله » فيما سلف من فهارس اللغة (سبل) .
 (٣) انظر تفسير « النفر » فيما سلف ٥٨ : ١٤ / ٥٣٦ : ٢٥١ ، ٢٥٤ .
 (٤) انظر تفسير « فقه » فيما سلف ص : ٥١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
 (٥) فى المطبوعة والمخطوطة : « ويوافقون أشده مكروهاً » ، وهو خطأ من الناسخ ، والصواب ما أثبت .

١٧٠٣٣ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله » إلى قوله : « يفقهون » ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس أن ينبعثوا معه ، وذلك في الصيف ، فقال رجال : يا رسول الله ، الحر شديد ، ولا نستطيع الخروج ، فلا تنفر في الحر ! فقال الله : « قل نار جهنم أشد حرًا لو كانوا يفقهون » ، فأمره الله بالخروج .

١٧٠٣٤ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة في قوله : « بمقعدهم خلاف رسول الله » ، قال : هي غزوة تبوك . (١)

١٧٠٣٥ - حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد إلى تبوك ، فقال رجل من بني سلمة : لا تنفروا في الحر ! فأنزل الله : « قل نار جهنم » ، الآية .

١٧٠٣٦ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : [ثم] ذكر قول بعضهم لبعض ، حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاد ، وأجمع السير إلى تبوك ، على شدة الحر وجذب البلاد . يقول الله جل ثناؤه : « وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرًا » . (٢)

* * *

(١) في المطبوعة : « من غزوة تبوك » ، والصواب ما في المخطوطة .

(٢) الأثر : ١٧٠٣٦ - سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٦ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٧٠١٢ . والزيادة بين القوسين منه .

القول في تأويل قوله ﴿ فَلْيُضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا

كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (٨٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فرح هؤلاء المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله ، فليضحكوا فرحين قليلاً في هذه الدنيا الفانية بمقعدهم خلاف رسول الله ، ولتهوهم عن طاعة ربهم ، فإنهم سيكون طويلاً في جهنم مكان ضحكهم القليل في الدنيا = « جزاء » ، يقول : ثواباً منا لهم على معصيتهم ، بتركهم النفر إذ استنفروا إلى عدوهم ، وعودهم في منازلهم خلاف رسول الله (١) = « بما كانوا يكسبون » ، يقول : بما كانوا يجترحون من الذنوب . (٢)

* * *
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٠٣٧ — حدثني أبو السائب قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل ، عن أبي رزين : « فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً » ، قال يقول الله تبارك وتعالى : الدنيا قليل ، فليضحكوا فيها ما شاءوا ، فإذا صاروا إلى الآخرة بكوا بكاءً لا ينقطع . فذلك الكثير .

١٧٠٣٨ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن يمان ، عن منصور ، عن أبي رزين ، عن الربيع بن خثيم : « فليضحكوا قليلاً » ، قال : في الدنيا = « وليبكوا كثيراً » ، قال : في الآخرة .

١٧٠٣٩ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن ويحيى قال ، حدثنا سفيان ، عن إسماعيل بن سميع ، عن أبي رزين في قوله : « فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً » ، قال : في الآخرة .

١٧٠٤٠ — حدثنا محمد بن المنثري قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا

(١) انظر تفسير « الجزء » ، فيما سلف من فهارس اللغة (جزي) .

(٢) انظر تفسير « الكسب » فيما سلف من فهارس اللغة (كسب) .

شعبة، عن منصور ، عن أبي رزين أنه قال في هذه الآية : « فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً » ، قال : ليضحكوا في الدنيا قليلاً ، وليبكوا في النار كثيراً . وقال في هذه الآية : ﴿ وَإِذَا لَا تَمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ، [سورة الأحزاب : ١٦] ، قال : إلى آجالهم = أحد هذين الحديثين رفعه إلى ربيع بن خثيم .^(١)

١٧٠٤١ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن : « فليضحكوا قليلاً » ، قال : ليضحكوا في الدنيا = « وليبكوا كثيراً » ، في الآخرة ، في نار جهنم = « جزاء بما كانوا يكسبون » .

١٧٠٤٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فليضحكوا قليلاً » ، أى : في الدنيا = « وليبكوا كثيراً » ، أى : في النار . ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : والذي نفسى بيده ، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ، ولبكيتم كثيراً . ذكر لنا أنه نودى عند ذلك ، أو قيل له : لا تُقنَّطْ عبادى .

١٧٠٤٣ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن أبى رزين ، عن الربيع بن خثيم ، « فليضحكوا قليلاً » ، قال : في الدنيا = « وليبكوا كثيراً » ، قال : في الآخرة .

١٧٠٤٤ — قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل بن سميع ، عن أبى رزين : « فليضحكوا قليلاً » ، قال : في الدنيا ، فإذا صاروا إلى الآخرة بكوا بكاءً لا ينقطع . فذلك الكثير .

١٧٠٤٥ — حدثنا على بن داود قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني

(١) الأثر : ١٧٠٤٠ — سيقى هذا الجزء نفسه بإسناده في تفسيره آية «سورة الأحزاب» . وكان في المطبوعة هنا : « قال : آجالهم » ، وفي المخطوطة : « قال : آجالهم » ، أسقط « إلى » ، أثبتا من نص الخبر في تفسير سورة الأحزاب .

وكان في المطبوعة في هذا الأثر ، والذي قبله ، وما سيقى : « الربيع بن خثيم » ، والصواب : « خثيم » ، كما سلف مراراً ، فغيرته ، ولم أنه عليه .

معاوية، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً » ، قال : هم المنافقون والكفار ، الذين اتخذوا دينهم هُزُؤاً ولعباً . يقول الله تبارك وتعالى : « فليضحكوا قليلاً » ، في الدنيا = « وليبكوا كثيراً » ، في النار .

١٧٠٤٦ - حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « فليضحكوا » ، في الدنيا ، « قليلاً » = « وليبكوا » ، يوم القيامة ، « كثيراً » . وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴾ ، حتى بلغ : ﴿ هَلْ تُؤِثُّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ ، [سورة المطففين : ٢٩ - ٣٦] .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَّنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنَ تَقْتُلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴾ (٨٣)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فإن رددك الله ، يا محمد ، إلى طائفة من هؤلاء المنافقين من غزوتك هذه ^(١) = « فاستأذنوك للخروج » معك في أخرى غيرها = « فقل » لهم = « لن تخرجوا معي أبداً ولن تقتلوا معي عدواً إنكم رضيتم بالقعود أول مرة » ، وذلك عند خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى تبوك ^(٢) = « فاقعدوا مع الخالفين » ، يقول : فاقعدوا مع الذين قعدوا من المنافقين خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنكم منهم ، فاقعدوا بهديهم ،

(١) انظر تفسير « طائفة » فيما سلف ص : ٣٣٦ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « القعود » فيما سلف ص : ٣٩٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

وإعملوا مثل الذى عملوا من معصية الله ، فإن الله قد سَخِطَ عليكم .

* * *

وينحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٠٤٧ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : قال رجل : يا رسول الله ، الحر شديد ، ولا نستطيع الخروج ، فلا تنفر فى الحر ! = وذلك فى غزوة تبوك = فقال الله : « قل نار جهنم أشد حرًّا لو كانوا يققهون » ، فأمره الله بالخروج . فتخلف عنه رجال ، فأدركتهم نفوسهم فقالوا : والله ما صنعنا شيئاً ! فانطلق منهم ثلاثة ، فلاحقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أتوه تابوا ، ثم رجعوا إلى المدينة ، ١٤١/١٠ فأنزل الله : « فإن رجعتك الله إلى طائفة منهم » إلى قوله : « ولا تقم على قبره » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هلك الذين تخلفوا ، فأنزل الله عُدَّ رَهم لما تابوا ، فقال : ﴿ أَقْدَ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ ، [سورة التوبة : ١١٧ ، ١١٨] .

١٧٠٤٨ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فإن رجعتك الله إلى طائفة منهم » إلى قوله : « فاقعدوا مع الخالفين » ، أى : مع النساء . ذكر لنا أنهم كانوا اثني عشر رجلاً من المنافقين ، قيل فيهم ما قيل .^(١) ١٧٠٤٩ - حدثني المثني قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : « فاقعدوا مع الخالفين » ، و « الخالفون » ، الرجال .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من التأويل فى قوله : « الخالفين » ، ما قال ابن عباس .

(١) فى المطبوعة : « فقيل فيهم ... » ، وكان فى المخطوطة : « قتل منهم ما قتل » ، صوابه ما فى المطبوعة .

* * *

فأما ما قال قتادة من أن ذلك النساء ، فقول لا معنى له . لأن العرب لا تجمع النساء إذا لم يكن معهن رجال ، بالياء والنون ، ولا بالواو والنون . واو كان معنياً بذلك النساء لقليل : « فاقعدوا مع الخوالف » ، أو « مع الخالقات » . ولكن معناه ما قلنا ، من أنه أريد به : فاقعدوا مع مرضى الرجال وأهل زَمَانَتِهِمْ ، والضعفاء منهم ، والنساء . وإذا اجتمع الرجال والنساء في الخبر ، فإن العرب تغلب الذكور على الإناث ، ولذلك قيل : « فاقعدوا مع الخالفين » ، والمعنى ما ذكرنا .

* * *

ولو وُجِّهَ معنى ذلك إلى : فاقعدوا مع أهل الفساد ، من قولهم : « خَلَفَ الرجل عن أهله يَخْلُفُ خَلُوفًا » ، إذا فسد ، ومن قولهم : « هو خَلَفَ سَوْءٌ » = كان مذهباً . وأصله إذا أريد به هذا المعنى ، من قولهم : « خَلَفَ اللبن يَخْلُفُ خَلُوفًا » ، إذا خبث من طول وضعه في السَّقاء حتى يفسد ، ومن قولهم : « خَلَفَ فم الصائم » ، إذا تغيرت ريحه . (١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَآ تَوْأَوْهُمْ فَسَيُقُونَ ﴾ (٨٤)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولا تصل ، يا محمد ، على أحد مات من هؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عن الخروج معك أبداً = « ولا تقم على قبره » ، يقول : ولا تتولَّ دفنه وتقبيره . (٢)

(١) انظر تفسير « خلف » فيما سلف : ١٣ : ٢٠٩ ، ٢١٠

(٢) في المطبوعة : « وتقبيره » ، غير ما في المخطوطة . و « التقدير » بمعنى : الدفن ، من ألفاظ قدماء الفقهاء . وقد سلف استخدام أبي جعفر هذه اللفظة ، وتعليق عليها فيما سلف : ٩ : ٣٨٧ ، تعليق : ١ .

* * *

من قول القائل : « قام فلان بأمر فلان » ، إذا كفاه أمره .

* * *

= « إنهم كفروا بالله » ، يقول : إنهم جحدوا توحيد الله ورسالة رسوله = وماتوا وهم خارجون من الإسلام ، مفارقون أمر الله ونهيه . (١)

* * *

وقد ذكر أن هذه الآية نزلت حين صلى النبي صلى الله عليه وسلم على عبد الله ابن أبي .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٠٥٠ — حدثنا محمد بن المثني ، وسفيان بن وكيع ، وسوار بن عبد الله قالوا ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن عبد الله قال ، أخبرني نافع ، عن ابن عمر قال : جاء ابن عبد الله بن أبي ابن سلول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مات أبوه فقال : أعطني قميصك حتى أكفنه فيه ، وصل عليه ، واستغفر له . = فأعطاه قميصه = وإذا فرغتم فأذنوني . (٢) فلما أراد أن يصلي عليه ، [جذبه] عمر ، (٣) وقال : أليس قد نهاك الله أن تُصلي على المنافقين ؟ فقال : بل خيرني وقال : « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم » ! قال : فصلى عليه . قال : فأنزل الله تبارك وتعالى : « ولا تُصل أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره » ، قال : فترك الصلاة عليهم . (٤)

(١) انظر تفسير « الفسق » فيما سلف ص : ٣٩٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) في المطبوعة : « قال : وإذا فرغتم » ، وليس في المخطوطة : « قال » بل فيها : « وإذا وإذا فرغتم » ، بالتكرار .

(٣) « جذبه » التي بين القوسين ، ساقطة من المخطوطة ، زادها الناشر الأول ، وأصاب . .
(٤) الأثر : ١٧٠٥٠ — خبر « عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر » ، رواه البخاري في صحيحه (الفتح ٣ : ٨/١١٠ : ٢٥١ ، ٢٥٥) ، رواه من طريق يحيى بن سعيد ، عن عبيد الله ابن عمر ، ثم من طريق أبي أسامة ، عن عبيد الله ، ثم من طريق أنس بن عياض ، عن عبيد الله .
ورواه مسلم في صحيحه ١٧ : ١٢١ ، من طريق أبي أسامة ، عن عبيد الله بن عمر .
وسياتي من رواية أبي جعفر ، من طريق أسامة ، في الذي يليه ، رقم : ١٧٠٥١ .
وخرجه ابن كثير في تفسيره ٤ : ٢١٧ - ٢١٩ ، فراجع هناك .

١٧٠٥١ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن عبيد الله ، عن ابن عمر قال : لما توفي عبد الله بن أبي ابن سلول جاء ابنه عبد الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فسأله أن يعطيه قميصه يكفّن فيه أباه ، فأعطاه . ثم سأله أن يصلي عليه ، فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأخذ بثوب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : ابن سلول ! أتصلي عليه ، وقد نهاك الله أن تصلي عليه ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إنما خيرتني ربّي ، فقال : « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » ، وسأزيد على سبعين . فقال : إنه منافق ! فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله : « ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره » . (١)

١٧٠٥٢ — حدثنا سوار بن عبد الله العنبري قال ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن مجاهد قال ، حدثني عامر ، عن جابر بن عبد الله : أن رأس المنافقين مات بالمدينة ، فأوصى أن يصلي عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن يكفّن في قميصه ، فكفّنه في قميصه ، وصلى عليه ، وقام على قبره ، فأنزل الله تبارك وتعالى : « ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره » . (٢)

١٧٠٥٣ — حدثني أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا ١٤٢/١٠ سلمة ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يصلي على عبد الله بن أبي ابن سلول ، فأخذ جبريل عليه السلام بثوبه فقال : « ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره » . (٣)

(١) الأثر : ١٧٠٥١ — انظر التخريج السالف .

(٢) الأثر : ١٧٠٥٢ — حديث جابر بن عبد الله من هذه الطريق ، ذكره ابن كثير في تفسيره

٤ : ٢١٩ ، عن مسند البزار ، من طريق عمرو بن علي ، عن يحيى ، عن مجاهد ، عن الشعبي ، عن جابر ، وقال : « وإسناده لا بأس به ، وما قبله شاهد له » .

وسياق حديث جابر من طريق أخرى رقم : ١٧٠٥٤ .

(٣) الأثر : ١٧٠٥٣ — « يزيد الرقاشي » ، هو « يزيد بن أبان الرقاشي » ، ضعيف ،

بل متروك ، مضى برقم : ٦٦٥٤ ، ٦٧٢٨ ، ٧٥٧٧ ، وغيرها .

١٧٠٥٤ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن جابر قال : جاء النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبيّ وقد أدخل حُفْرَتَهُ ، فأخرجهُ فوضعه على ركبتيه ، وألبسه قميصه ، وتَفَلَّ عليه من ريقه ، والله أعلم .^(١)

١٧٠٥٥ - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عبد الله ابن عباس : قال : سمعتُ عمر بن الخطاب رضی الله عنه يقول : لما توفى عبد الله ابن أبي ابن سلول ، دُعِيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه ، فقام إليه . فلما وقف عليه يريد الصلاة ، تحوَّلتُ حتى قمت في صدره فقالت : يا رسول الله ، أتصلي على عدوِّ الله عبد الله بن أبي ، القاتل يوم كذا وكذا !! أعدُّ أيامه ،^(٢) ورسول الله عليه السلام يتبسم ، حتى إذا أكثرت عليه قال : أخر عني يا عمر ، إني خيَّرتُ فاخترت ، وقد قيل لي : « استغفر لهم أو لا تستغفر إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » ، فلو أني أعلم أني إن زدت على السبعين غفر له ، لزدت ! قال : ثم صلى عليه ، ومشى معه ، فقام على قبره ، حتى فرغ منه . قال : فعجبتُ لي وجُرأتِي^(٣) على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله ورسوله أعلم ، فوالله ما كان إلّا يسيراً حتى نزلت هاتان الآيتان : « ولا تصلَّ على أحد منهم مات أبداً » ، فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق ، ولا قام

(١) الأثر : ١٧٠٥٤ - حديث جابر ، مضى من طريق الشعبي أنفارق رقم : ١٠٧٥٢ .

وأما هذه الطريق ، ففيها رواه البخاري في صحيحه (الفتح ٣ : ١١١) ، ومسلم في صحيحه ١٧٥ : ١٢١ ، وروا أيضاً من طريق ابن جريح ، عن عمرو بن دينار .

وقوله : « والله أعلم » ، يعني : والله أعلم بقضائه ، إذ فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل ، مع قضاء الله في المنافقين بما قضى به فيهم .

(٢) هكذا في السيرة : « أعدد أيامه » وظنها بعضهم خطأ ، وهي صواب . يعني يعدد ما كان منه في أيام من أيامه ، يوم قال كذا ، ويوم قال كذا .

(٣) في المطبوعة : « أعجب لي » ، وفي المخطوطة : « تعجبت » ، وأثبت نص ابن هشام في سيرته . وفي السيرة : « ولجرائي » .

على قبره ، حتى قبضه الله . (١)

١٧٠٥٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة قال : لما مات عبد الله بن أبي ، أتى ابنه عبد الله بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله قميصه ، فأعطاه ، فكفن فيه أباه . (٢)

١٧٠٥٧ — حدثنا المنفى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني الليث قال ، حدثني عقيل ، عن ابن شهاب قال ، أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عبد الله بن عباس ، عن عمر بن الخطاب قال : لما مات عبد الله بن أبي = فذكر مثل حديث ابن حميد ، عن سلمة . (٣)

١٧٠٥٨ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره » الآية ، قال : بعث عبد الله بن أبي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مريض ليأتيه ، فنهاه عن ذلك عمر . فأتاه نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فلما دخل عليه ، قال نبي الله صلى الله عليه وسلم : أهلكك حب اليهود ! قال فقال : يا نبي الله ، إني لم أبعث إليك لتؤتيني ، ولكن بعثت إليك لتستغفر لي ! وسأله قميصه أن يكفن فيه ، فأعطاه إياه ، فاستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففات فكفن في قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) الأثر : ١٧٠٥٥ — سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٦ ، ١٩٧ ، وهو تابع الأثر السالف رقم :

١٧٠٣٦ .

وحديث الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، رواه البخاري في صحيحه (الفتح ٨ : ٢٥٤) ، من طريق يحيى بن بكير ، عن الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب الزهري . وسيأتي من هذه الطريق برقم : ١٧٠٥٧ .

وخرجه ابن كثير في تفسيره ٤ : ٢١٨ .

وقوله : « آخر عنى يا عمر » ، أى : آخر عنى رأيك ، فاختصر إيجاز وبلاغة — هكذا قالوا : وقد ذكرت آنفاً ج ١٠ : ٣٣٩ ، تعليق ٦ ، أنهم قصروا من شرحه ، وأن معناه : اصرف عن رأيك وأبعده ، وأنه مما يزداد على بيان كتب اللغة .

(٢) الأثر : ١٧٠٥٦ — لم أجد هذا الخبر في سيرة ابن هشام .

(٣) الأثر : ١٧٠٥٧ — سلف تخريجه في رقم : ١٧٠٥٥ .

وسلم ، ونفث في جلده ، ودلّاه في قبره ، فأنزل الله تبارك وتعالى : « ولا تصل على أحد منهم مات أبداً » الآية . قال : ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كلّم في ذلك فقال : وما يغني عنه قميصي من الله = أو : ربي = وصلى عليه = وإني لأرجو أن يسلم به ألف من قومه . (١)

١٧٠٥٩ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قال : أرسل عبد الله بن أبي ابن سلول وهو مريض إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما دخل عليه ، قال له النبي صلى الله عليه وسلم : أهلكك حب يهود ! قال : يا رسول الله ، إنما أرسلت إليك لتستغفر لي ، ولم أرسل إليك لتؤنّبني ! ثم سأله عبد الله أن يعطيه قميصه أن يكفن فيه ، فأعطاه إياه ، وصلى عليه ، وقام على قبره ، فأنزل الله تعالى ذكره : « ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره » .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَلَا تَعْجَبْ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ (٨٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولا تعجبك ، يا محمد ، أموال هؤلاء المنافقين وأولادهم ، فتصلى على أحدهم إذا مات وتقوم

(١) قوله : « وصلى عليه » ، هكذا في المخطوطة ، وجعلها في المطبوعة : « وصلى عليه » ، كأنه ظنه معطوفاً على قوله : « ما يغني عنه قميصي » ، ولكن جائز أن يكون ما أثبتته من المخطوطة ، هو الصواب ، وهو خبر من قتادة أو غيره ، فصل به بين كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولذلك وضعته بين خطين .

على قبره، من أجل كثرة ماله وولده ، فإنما أعطيته ما أعطيته من ذلك لأعذبه بها في الدنيا بالغموم والهموم ، بما ألزمه فيها من المؤن والنفقات والزكوات ، وبما ينوبه فيها من الرزايا والمصيبات ، = « وتزهق أنفسهم » ، يقول : وليموت فتخرج نفسه من جسده ، ^(١) فيفارق ما أعطيته من المال والولد ، فيكون ذلك حسرة عليه عند موته ، ووبالاً عليه حينئذٍ ، ووبالاً عليه في الآخرة ، بموته جاحداً توحيد الله ، ونبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

١٧٠٦٠ - حدثني المنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن السدي : « وتزهق أنفسهم » ، في الحياة الدنيا .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ أَنْ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ (٨٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وإذا أنزل عليك ، يا محمد ، سورة من القرآن ، بأن يقال لهؤلاء المنافقين : « آمنوا بالله » ، يقول : صدقوا بالله = « وجاهدوا مع رسوله » ، يقول : اغزوا المشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٢) = « استأذنك أولو الطول منهم » ، يقول : استأذنك ذوو الغنى والمال منهم في التخلف عنك، والقيود في أهله ^(٣) = « وقالوا ذرنا » ، يقول : وقالوا لك : دعنا ، ^(٤) نكن ممن يقعد في منزله مع ضعفاء الناس ومرضاهم ، ومن لا يقدر على

(١) انظر تفسير « زهق » فيما سلف ص : ٢٩٧ .

(٢) انظر تفسير « الجهاد » فيما سلف ص : ٣٩٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « الطول » فيما سلف ٨ : ١٨٢ - ١٨٥ .

(٤) انظر تفسير « ذر » فيما سلف ١٣ : ٢٩١ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

الخروج معك في السفر . (١)

* * *

وبنحو الذي قلنا في معنى « الطول » ، قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٠٦١ - حدثني علي بن داود قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « استأذنك أولو الطول » ، قال : يعني أهل الغنى .

١٧٠٦٢ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « أولو الطول منهم » ، يعني الأغنياء .

١٧٠٦٣ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجهادوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم » ، كان منهم عبد الله بن أبي ، والجد بن قيس . فتعني الله ذلك عليهم . (٢)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (٨٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : رضى هؤلاء المنافقون = الذين إذا قيل لهم : آمنوا بالله وجهادوا مع رسوله ، استأذنك أهل الغنى منهم في التخلف عن الغزو والخروج معك لقتال أعداء الله من المشركين = أن يكونوا في منازلهم ،

(١) انظر تفسير « القمود » فيما سلف ص : ٤٠٤ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) الأثر : ١٧٠٦٣ - سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٧ ، وهو تابع الأثر السالف رقم :

١٧٠٥٥ ، غير أن ابن هشام قال : « وكان ابن أبي من أولئك » ، فتعني الله ذلك عليه ، وذكره منه .

ولم يذكر هنا « الجد بن قيس » .

كالنساء اللواتي ليس عليهن فرض الجهاد ، فهن قعود في منازلهن وبيوتهن^(١)
 = « وطبع على قلوبهم » ، يقول : وختم الله على قلوب هؤلاء المنافقين = « فهم
 لا يفقهون » ، عن الله مواعظه ، فيتعظون بها .^(٢)

* * *

وقد بينا معنى « الطبع » ، وكيف الختم على القلوب ، فيما مضى ، بما أغنى
 عن إعادته في هذا الموضع .^(٣)

* * *

وبنحو الذي قلنا في معنى « الخوالب » قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٠٦٤ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني
 معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « رضوا بأن يكونوا مع الخوالب » ،
 قال : « الخوالب » ، هن النساء .

١٧٠٦٥ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي
 قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « رضوا بأن يكونوا مع الخوالب » ،
 يعني النساء .

١٧٠٦٦ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جويوه أبو يزيد ، عن يعقوب
 القمي ، عن حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية : « رضوا بأن يكونوا مع
 الخوالب » ، قال : النساء .

١٧٠٦٧ — قال ، حدثنا المحاربي ، عن جوير ، عن الضحاك :
 « مع الخوالب » ، قال : مع النساء .

١٧٠٦٨ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة

(١) انظر تفسير « الخوالب » فيما سلف ص: ٤٠٥ ، تعليق ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « فقه » فيما سلف ص: ٣٩٩ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « الطبع » فيما سلف ١٣ : ١٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

قوله : « رضوا بأن يكونوا مع الخوالف » ، أى : مع النساء .

١٧٠٦٩ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة والحسن : « رضوا بأن يكونوا مع الخوالف » ، قالوا : النساء .
١٧٠٧٠ - حدثني المثني قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٧٠٧١ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

١٧٠٧٢ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « رضوا بأن يكونوا مع الخوالف » ، قال : مع النساء .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : لم يجاهد هؤلاء المنافقون الذين اقتنصت قصصهم المشركين ، لكن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، والذين صدقوا الله ورسوله معه ، هم الذين جاهدوا المشركين بأموالهم وأنفسهم ، فأنفقوا في جهادهم أموالهم ، وأتعبوا في قتالهم أنفسهم وبذلوها ^(١) = « وأولئك » ، يقول : ولالرسول وللذين آمنوا معه ، الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم = « الخيرات » ، وهى خيرات الآخرة ، وذلك : نساؤها ، وجناتها ، ونعيمها .

* * *

(١) انظر تفسير « الجهاد » فيما سلف ص : ٤١١ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

= وأحدثها «خَيْرَة» ، كما قال الشاعر : (١)

وَلَقَدْ طَعَنْتُ بِمَجَامِعِ رَبَّالَاتِ رَبَّالَاتِ هِنْدٍ خَيْرَةَ الْمَلِكَاتِ (٢)

و «الخيرة» ، من كل شيء ، الفاضلة . (٣)

* * *

= « وأولئك هم المفلحون » ، يقول : وأولئك هم المخلدون في الجنات ، الباقون

فيها ، الفائزون بها . (٤)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ

تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٨٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : أعد الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وللذين آمنوا معه (٥) = « جنات » ، وهي البساتين ، (٦) تجرى من تحت أشجارها الأنهار = « خالدين فيها » ، يقول : لا يبتثن فيها ، لا يموتون فيها ، ولا يظعنون عنها (٧) = « ذلك الفوز العظيم » ، يقول : ذلك النجاء العظيم ، والحظّ الجزيل . (٨)

* * *

(١) لرجل من بني عدي ، عدى تيم تميم ، وهو جاهلي .

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٢٦٧ ، واللسان (خير) ، و « الربلات » جمع « ربل » (بفتح الراء وسكون الباء ، أو فتحها) ، وهي لحم باطن الفخذ . عنى امرأة قبيحاً . وقوله « خيرة » ، مؤنث « خير » ، صفة ، لا بمعنى التفضيل ، يقال : « رجل خير » ، وامرأة خيرة » ، فإذا أردت التفضيل قلت : « فلانة خير الناس » .

(٣) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٢٦٧ .

(٤) انظر تفسير « الفلاح » فيما سلف ١٣ : ٥٧٤ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٥) انظر تفسير « أعد » فيما سلف ص : ٣١ ، ٢٧٦ .

(٦) انظر تفسير « الجنة » فيما سلف من فهارس اللغة (جنن) .

(٧) انظر تفسير « المخلود » فيما سلف من فهارس اللغة (خلد) .

(٨) انظر تفسير « الفوز » فيما سلف ص : ٣٥٧ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

القول في تأويل قوله ﴿ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَمَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٩٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « وجاء » ، رسول الله صلى الله عليه وسلم = « المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم » ، في التخلف = « وقعد » ، عن الحجى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهاد معه ^(١) = « الذين كذبوا الله ورسوله » ، وقالوا الكذب ، واعتذروا بالباطل منهم . يقول تعالى ذكره : سيصيب الذين جحدوا توحيد الله ونبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم منهم ، عذاب أليم . (٢)

* * *

فإن قال قائل : « وجاء المعذرون » ، وقد علمت أن « المعذر » ، في كلام العرب ، إنما هو : الذى يُعذَّر في الأمر فلا يبالغ فيه ولا يُحكمه ؟ وإيست هذه صفة هؤلاء ، وإنما صفتهم أنهم كانوا قد اجتهدوا في طاب ما ينهضون به مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عدوهم ، وحرصوا على ذلك ، فلم يجدوا إليه السبيل ، فهم بأن يوصفوا بأنهم : « قد أعذروا » ، أولى وأحق منهم بأن يوصفوا بأنهم « عذروا » . وإذا وصفوا بذلك ، ^(٣) فالصواب في ذلك من القراءة ، ما قرأه ابن عباس ، وذلك ما : — ١٧٠٧٣ — حدثناه المثني قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي حماد قال ، حدثنا بشر بن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاك قال : كان ابن عباس يقرأ : ﴿ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ ﴾ ، مخففة ، ويقول : هم أهل العذر .

= مع موافقة مجاهد إياه وغيره عليه ؟

(١) انظر تفسير « القرد » فيما سلف ص : ٤١٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « أليم » فيما سلف من فهارس اللغة (ألم) .

(٣) في المطبوعة : « بأنهم عذروا » ، إذا وصفوا بذلك ، كأنه متعلق بالسالف . والصواب أنه ابتداء كلام ، والواو في « وإذا » ثابتة في المخطوطة .

قيل : إن معنى ذلك على غير ما ذهب إليه ، وأن معناه : وجاء المعتذرون من الأعراب = ولكن « التاء » لما جاورت « الذال » أدغمت فيها ، فصيرتاً ذالاً مشددة ، لتقارب مخرج إحداهما من الأخرى ، كما قيل : « يذكرون » في « يتذكرون » ، و « يذكرون » في « يتذكرون » ، ونحرجت العين من « المعتذرين » ، إلى الفتح ، لأن حركة التاء من « المعتذرين » ، وهى الفتحة ، نقلت إليها ، فحركات بما كانت به محركة . والعرب قد توجه في معنى « الاعتذار » ، إلى « الإعذار » ، فيقول : « قد اعتذر فلان في كذا » ، يعنى : أعذر ، ^(١) ومن ذلك قول لبيد :

إِلَى الْحَوْلِ نُمُّ اسْمِ السَّلَامِ عَلَيْنَا
وَمَنْ يَبْكِ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ أَعْتَذَرَ ^(٢)
فقال : « فقد اعتذر » ، بمعنى : فقد أعذر .

* * *

على أن أهل التأويل قد اختلفوا في صفة هؤلاء القوم الذين وصفهم الله بأنهم جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم « معذرين » .
فقال بعضهم : كانوا كاذبين في اعتذارهم ، فلم يعذرهم الله .
* ذكر من قال ذلك :

١٧٠٧٤ — حدثني أبو عبيدة عبد الوارث بن عبد الصمد قال ، حدثني أبي ، عن الحسين قال : كان قتادة يقرأ : « وجاء المعتذرون من الأعراب » ، قال : اعتذروا بالكذب .

١٧٠٧٥ — حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا يحيى ابن زكريا ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « وجاء المعتذرون من الأعراب » ، قال : نفر من بني غفار ، جاءوا فاعتذروا ، فلم يعذرهم الله .

* * *

= فقد أخبر من ذكرنا من هؤلاء : أن هؤلاء القوم إنما كانوا أهل اعتذار

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٤٤٧ ، ٤٤٨ .

(٢) سلف البيت وتخريجه ١ : ١١٩ ، تعليق : ١ .

بالباطل لا بالحق ، فغير جائز أن يوصفوا بالإعذار ، إلا أن يوصفوا بأنهم أعذروا
في الاعتذار بالباطل ، فأما بالحق = على ما قاله من حكينا قوله من هؤلاء = فغير
جائز أن يوصفوا به .

* * *

وقد كان بعضهم يقول : إنما جاءوا معذرين غير جادين ، يعرضون ما لا
يريدون فعله . فن وجهه إلى هذا التأويل فلا كلفة في ذلك ، غير أني لا أعلم
أحدًا من أهل العلم بتأويل القرآن وجه تأويله إلى ذلك ، فاستحب القول به . (١)

* * *

وبعد ، فإن الذي عليه من القراءة قراءة الأمصار ، التشديد في « الذال » ،
أعنى من قوله : ﴿ الْمَعذُرُونَ ﴾ ، ففي ذلك دليل على صحة تأويل من تأوله بمعنى
الاعتذار ، لأن القوم الذين وُصفوا بذلك لم يكلفوا أمرًا عذروا فيه ، وإنما كانوا
فرقتين : إما مجتهد طائع ، وإما منافق فاسق ، لأمر الله مخالف . فليس في
الفرقتين موصوف بالتعذير في الشخوص مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما
هو معذّر مبالغ ، أو معتذر .

فإذ كان ذلك كذلك ، وكانت الحجة من القراءة مجمعة على تشديد « الذال »
من « المعذرين » ، علم أن معناه ما وصفناه من التأويل .

* * *

وقد ذكر عن مجاهد في ذلك موافقة ابن عباس .

١٧٠٧٦ - حدثني المثنى قال ، أخبرنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن
الزبير ، عن ابن عيينة ، عن حميد قال : قرأ مجاهد : ﴿ وَجَاءَ الْمَعذُرُونَ ﴾ ،
مخففةً ، وقال : هم أهل العذر .

١٧٠٧٧ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال :
كان المعذرون ، [فيما بلغني ، نفرًا من بني غِفَارٍ ، منهم : خفاف بن أيماء بن

(١) في المطبوعة : « فاستحبوا » . جمعاً ، وإنما جاء الخطأ من سوء كتابة المخطوطة ، لأنه
أراد أن يكتب بعد آخر الباء واواً ، ثم عدل عن ذلك ، فأخذ الناشر بما عدل عنه الناسخ !

رَحَصَةٌ ، ثم كانت القصة لأهل العذر ، حتى انتهى إلى قوله : « ولا على الذين إذا أتوك لتحملهم » ، الآية [(١)]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ليس على أهل الزمانة وأهل العجز عن السفر والغزو ، (٢) ولا على المرضى ، ولا على من لا يجد نفقة يتبلى بها إلى مغزاه = « حرج » ، وهو الإثم ، (٣) يقول : ليس عليهم إثم ، إذا نصحوا لله ولرسوله في مغيهم عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم = « ما على المحسنين من سبيل » ، يقول : ليس على من أحسن فنصح لله ولرسوله في تخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجهاد معه ، لعذريته به ، طريق يتطرق عليه فيعاقب من قبله (٤) = « والله غفور رحيم » ، يقول : والله سائر على ذنوب المحسنين ، يتغمدها بعفوه لهم عنها = « رحيم » ، بهم ، أن يعاقبهم عليها . (٥)

* * *

وذكر أن هذه الآية نزلت في « عائذ بن عمرو المزني » .

* * *

(١) الأثر : ١٧٠٧٧ - سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٧ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٧٠٦٣ . وكان هذا الخبر في المخطوطة والمطبوعة مبتوراً ، أتمته من سيرة هشام ، ووضعت تمامه بين القوسين .

(٢) انظر تفسير « الضعفاء » فيما سلف ٥ : ٨/٥٥١ : ١٩ .

(٣) انظر تفسير « الحرج » فيما سلف ١٢ : ٢٩٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « المحسن » و « السبيل » فيما سلف من فهارس اللغة (حسن) ، (سبيل) .

(٥) انظر تفسير « غفور » و « رحيم » فيما سلف من فهارس اللغة (غفر) ، (رحم) .

وقال بعضهم في « عبد الله بن مغفل » .

* * *

* ذكر من قال : نزلت في « عائذ بن عمرو » .

١٧٠٧٨ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة :

« ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوهم لله ورسوله » ، نزلت في « عائذ بن عمرو » .

* * *

* ذكر من قال : نزلت في « ابن مغفل » .

١٧٠٧٩ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي

قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ليس على الضعفاء ولا على المرضى » إلى قوله : « حزنًا أن لا يجدوا ما ينفقون » ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس أن ينبعثوا غازين معه ، فجاءته عصابة من أصحابه ، فيهم « عبد الله بن مغفل المزني » ، فقالوا : يا رسول الله ، احملنا . فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله ما أجد ما أحملكم عليه ! فتولوا ولم يكاء ، وعزير عليهم أن يجلسوا عن الجهاد ، ^(١) ولا يجدون نفقة ولا محملاً . فلما رأى الله حرصهم على محبته ومحبة رسوله ، أنزل عذرهم في كتابه فقال : « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج » إلى قوله : « فهم لا يعلمون » .

* * *

(١) في المطبوعة : « وعز عليهم » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو محض صواب .

القول في تأويل قوله ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴾ (٩٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولا سبيل أيضاً على النفر الذين إذا ما جاءوك ، لتحملهم ، يسألونك الحُمْلان ، ليلبغوا إلى مغزاهم لجهاد أعداء الله معك ، يا محمد ، قلت لهم : لا أجد حَمُولَةً أحملكم عليها = « تولوا » ، يقول : أدبروا عنك ، ^(١) = « وأعينهم تفيض من الدمع حزناً » ، وهم سيكونون من حزن على أنهم لا يجدون ما ينفقون ، ^(٢) ويتحملون به للجهاد في سبيل الله .

* * *

وذكر بعضهم : أن هذه الآية نزلت في نفر من مزينة .
* ذكر من قال ذلك :

١٧٠٨٠ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحماكم عليه » ، قال : هم من مزينة .

١٧٠٨١ - حدثني المثنى قال ، أخبرنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم » ، قال : هم بنو مُضَرٍّ ، من مزينة .

١٧٠٨٢ - حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن جريج قراءة ، عن مجاهد في قوله : « ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم » ، إلى قوله : « حزناً أن لا يجدوا ما ينفقون » ، قال : هم بنو مِزَنٍّ ، من مزينة .

(١) انظر تفسير « التولى » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .

(٢) انظر تفسير « تفيض من الدمع » فيما سلف ١٠ : ٥٠٧ .

١٧٠٨٣ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم » ، قال : هم بنو مقرن ، من مزينة .

١٧٠٨٤ - ... قال ، حدثنا أبي ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن عروة ، عن ابن مغفل المزني ، وكان أحد الثفر الذين أنزلت فيهم : « ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم » ، الآية .

١٧٠٨٥ - حدثني المثنى قال ، أخبرنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، عن ابن جريج ، عن مجاهد في قوله : « تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً » ، قال : منهم ابن مقرن = وقال سفيان : قال الناس : منهم عرباض ابن سارية .

* * *

وقال آخرون ، بل نزلت في عيرباض بن سارية .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٠٨٦ - حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان ، عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر بن حجر الكلاعي قالا : دخلنا على عرباض بن سارية ، وهو الذي أنزل فيه : « ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم » ، الآية .^(١)

١٧٠٨٧ - حدثني المثنى قال ، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن قال ، حدثنا الوليد قال ، حدثنا ثور ، عن خالد ، عن عبد الرحمن بن عمرو ، وحجر بن حجر ، بنحوه .

* * *

وقال آخرون : بل نزلت في نفر سبعة ، من قبائل شتى .

* ذكر من قال ذلك :

(١) الأثر : ١٧٠٨٦ - « عبد الرحمن بن عمرو بن عتبة السلمي » ، ثقة ، مترجم في التهذيب . و « حجر بن حجر الكلاعي » ، ثقة ، مترجم في التهذيب .

١٧٠٨٨ - حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب وغيره قال : جاء ناسٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحملونه ، فقال : « لا أجد ما أحملكم عليه » ! فأنزل الله : « ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم » الآية . قال : هم سبعة نفر : من بنى عمرو بن عوف : سالم بن عمير = ومن بنى واقف : هرمي بن عمرو ^(١) = ومن بنى مازن بن النجار : عبد الرحمن بن كعب ، يكنى أبا ليلى = ومن بنى المعلى : سلمان بن صخر = ومن بنى حارثة : عبد الرحمن بن يزيد ، أبو عبلة ، وهو الذي تصدق بعرضه فقبله الله منه = ومن بنى سلمة ، عمرو بن غنمة ، وعبد الله بن عمرو المزني .

١٧٠٨٩ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قوله : « ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم » إلى قوله : « حزنًا » ، وهم البكاؤون ، كانوا سبعة . ^(٢)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٩٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ما السبيل بالعقوبة على أهل العذر ، يا محمد ، ولكنها على الذين يستأذنونك في التخلف خيلافك ، وترك الجهاد معك ، وهم أهل غنى وقوةٍ وطاقةٍ للجهاد والغزو ، نفاقاً وشكاً في وعد الله ووعيده ^(٣) « رضوا بأن يكونوا مع الخوالف » ، يقول : رضوا بأن يجلسوا بعدك مع النساء = وهن

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « حرمي بن عمرو » ، والصواب « هرمي » بالهاء ، انظر ترجمته في الإصابة .

(٢) الأثر . ١٧٠٨٩ - سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٧ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٧٠٧٧ ، وليس فيه في هذا الموضع قوله : « وهم سبعة » ، وأما عدتهم عند ابن إسحق فقد ذكرها ابن هشام في سيرته ٤ : ١٦١ ، وقال : « وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم » ، ثم عددهم .

(٣) انظر تفسير « السبيل » فيما سلف من فهارس اللغة (سبل) .

« الخوالف » ، خلف الرجال في البيوت ، ويتركوا الغزو معك ، ^(١) = « وطبع الله على قلوبهم » ، يقول : وختم الله على قلوبهم بما كسبوا من الذنوب ^(٢) = « فهم لا يعلمون » ، سوء عاقبتهم ، بتخلفهم عنك ، وتركهم الجهاد معك ، وما عليهم من قبيح الثناء في الدنيا ، وعظيم البلاء في الآخرة .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ يَتَعَذَّرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٩٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : يعتذر إليكم ، أيها المؤمنون بالله ، هؤلاء المتخلفون خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، التاركون جهاد المشركين معكم من المنافقين ، بالباطيل والكذب ، إذا رجعت إليهم من سفركم وجهادكم = « قل » ، لهم ، يا محمد ، = « لا تعتذروا لن تؤمن لكم » ، يقول : لن نصدقكم على ما تقولون = « قد نبأنا الله من أخباركم » ، يقول : قد أخبرنا الله من أخباركم ، وأعلمنا من أمركم ما قد علمنا به كذبكم ^(٣) = « وسيرى الله عملكم ورسوله » ، يقول : وسيرى الله ورسوله فيما بعد عملكم ، أتتوبون من نفاقكم ، أم تقيمون عليه ؟ = « ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة » ، يقول : ثم ترجعون بعد مماتكم = « إلى عالم الغيب والشهادة » ، يعني : الذي يعلم السر والعلانية ، الذي لا يخفى عليه بواطن أموركم

(١) انظر تفسير « الخوالف » فيما سلف ص : ٤١٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
 (٢) انظر تفسير « الطبع » فيما سلف ص : ٤١٣ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
 (٣) انظر تفسير « نبأ » فيما سلف ص : ٣٤٤ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

وظواهرها ^(١) = « فينبئكم بما كنتم تعملون » ، فيخبركم بأعمالكم كلها سيئها وحسنها ، ^(٢) فيجازيكم بها : الحسن منها بالحسن ، والسيئ منها بالسيئ .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعَرِّضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَمَا وَهُمْ بِجَهَنَّمَ جَزَاءً ۖ بَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (٩٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : سيخلف ، أيها المؤمنون بالله ، لكم هؤلاء المنافقون الذين فرحوا بمقعدكم خلاف رسول الله = « إذا انقلبتم إليهم » ، يعني : إذا انصرفتم إليهم من غزوكم ^(٣) = « لتعرضوا عنهم » ، فلا تؤنبوهم = « فأعرضوا عنهم » ، يقول جل ثناؤه للمؤمنين : فدعوا تأنيبهم ، وخلوهم وما اختاروا لأنفسهم من الكفر والنفاق ^(٤) = « إنهم رجس وماؤاهم جهنم » ، يقول : إنهم نجس ^(٥) = « وماؤاهم جهنم » ، يقول : ومصيرهم إلى جهنم ، وهى مسكنهم الذى يأوونه فى الآخرة ^(٦) = « جزاء بما كانوا يكسبون » ، ^(٧) يقول : ثواباً بأعمالهم التى كانوا يعملونها فى الدنيا من معاصى الله . ^(٨)

* * *

- (١) انظر تفسير « عالم الغيب والشهادة » فيما سلف من فهارس اللغة (غيب) ، (شهد) .
 - (٢) فى المخطوطة : « سيئها » وأسقط « وحسنها » ، والصواب ما فى المطبوعة .
 - (٣) انظر تفسير « الانقلاب » فيما سلف ١٣ : ٣٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
 - (٤) انظر تفسير « الإعراض » فيما سلف ص : ٣٦٩ ، تعليق : ٦ ، والمراجع هناك .
 - (٥) انظر تفسير « الرجس » فيما سلف ١٢ : ١٩٤ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
 - (٦) انظر تفسير « المأوى » فيما سلف ص : ٣٦٠ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
 - (٧) فى المطبوعة والمخطوطة « جزاء بما كانوا يعملون » ، سهو من النساخ فيما أرجح .
 - (٨) انظر تفسير « الجزاء » فيما سلف من فهارس اللغة (جزى) .
- = وتفسير « الكسب » فيما سلف من فهارس اللغة (كسب) .

وذكر أن هذه الآية نزلت في رجلين من المنافقين ، قالا : ما —

١٧٠٩٠ — حدثنا به محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا » ، إلى « بما كانوا يكسبون » ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له : ألا تغزو بني الأصفر ، ^(١) لعلك أن تصيب بنت عظيم الروم ، فإنهم حسان ! ^(٢) فقال رجلان : قد علمت ، يا رسول الله ، أن النساء فتنة فلا تفتننا بهن ! فأذن لنا ! فأذن لهما . فلما انطلقا قال أحدهما : إن هو إلا شحمة لأول آكل ! ^(٣) فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم ينزل عليه في ذلك شيء . فلما كان ببعض الطريق ، نزل عليه وهو على بعض المياه : ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَا تَبْعُوكَ وَلَكِنْ بَعْدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ﴾ [سورة التوبة : ٤٢] ، ونزل عليه : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ ، [سورة التوبة : ٤٣] ، ونزل عليه : ﴿ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ ، [سورة التوبة : ٤٤] ، ونزل عليه : « إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون » . فسمع ذلك رجل ممن غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فأتاهم وهم خلفهم ، فقال : تعلمون أن قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدكم قرآن؟ قالوا : ما الذي سمعت؟ قال : ما أدرى ، غير أني سمعت أنه يقول : « إنهم رجس » ! فقال رجل يدعى « مخشيًا » ، ^(٤) والله لوددت أني أجلد مئة جلدة ، وأنى لست معكم ! فأتى رسول

(١) « بنو الأصفر » ، هم الروم .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة « فإنهم حسان » والصواب ما أثبت .

(٣) « الشحمة » ، غنى بها قطعة من « شحم سنام البعير » ، وشحمة السنام من أطايب البعير ، يسرع إليها الآكل ، قال زفر بن الحارث الكلابي :

« كُنَّا حَسِينًا كُلِّ بَيْضَاءِ شَحْمَةٍ لِيَالِي قَارَعْنَا جُدَامَ وَحِيرَا

فَلَمَّا قَرَعْنَا النَّبْعَ بِالنَّبْعِ ، بَعْضُهُ بَبْعُ ، أَبَتْ عِيدَانُهُ أَنْ تَكْتَمِرَا

وفي المثل : « ما كل بيضاء شحمة ، ولا كل سوداء شحمة » .

(٤) في المخطوطة : « مخشي » ، والصواب ما في المطبوعة وهو « مخشي بن حير الأشجعي » ، انظر ترجمته في الإصابة .

الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما جاء بك ؟ فقال : وجهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم تسفّعه الريح ، وأنا في الكين!!^(١) فأُنزل الله عليه : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أُذْنِي لِي وَلَا تَفْتِنِّي ﴾ [سورة التوبة : ٤٩] ، ﴿ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ ﴾ [سورة التوبة : ٨١] ، ونزل عليه في الرجل الذي قال : «لوددت أني أجلد مئة جلدة» قول الله : ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُذَبِّحُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ ، [سورة التوبة : ٦٤] ، فقال رجل مع رسول الله : لئن كان هؤلاء كما يقولون ، ما فينا خير ! فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : أنت صاحب الكلمة التي سمعتُ ؟ فقال : لا ، والذي أنزل عليك الكتاب ! فأُنزل الله فيه : ﴿ لَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ﴾ [سورة التوبة : ٧٤] ، وأنزل فيه : ﴿ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ ، [سورة التوبة : ٤٧] .

١٧٠٩١ - حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب قال ، أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك : أن عبد الله بن كعب قال : سمعت كعب بن مالك يقول : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك ، جلس للناس . فلما فعل ذلك ، جاء المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ، ويخلفون له ، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً ، فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم ، وبايعهم ، واستغفر لهم ، ووكل سرائرهم إلى الله ، وصدّفته حديثي . فقال كعب : والله ما أنعم الله عليّ من نعمة قطّ ، بعد أن هداني للإسلام ، أعظم في نفسي من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن لا أكون كذبتُهُ فأهلك كما هلك الذين كذبوا ، إن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي ،^(٢) شرّ

(١) «سفّعه النار ، والشمس ، والسّموم ، تسفّعه سفّعا» ، لفحته لفحاً يسيراً فغيرت لون بشرته وسودته . و «الكن» (بكسر الكاف) : ما يرد الحر والبرد من الأبنية والمساكن ، وكل ما ستر من الشمس والسّموم فهو كن .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : «حين أنزل الوحي ما قال لأحد» ، بإسقاط «شر» ، وهو لا يستقيم ، وأثبتته من نص روايته في صحيح مسلم .

ما قال لأحد : « سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم ٤/١١ لأنهم رجسٌ ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون » ، إلى قوله : « فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين » . (١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ (١٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : يحلف لكم ، أيها المؤمنون بالله ، هؤلاء المنافقون ، اعتذاراً بالباطل والكذب = « لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين » ، يقول : فإن أنتم ، أيها المؤمنون ، رضيتم عنهم وقبلتم معذرتهم ، إذ كنتم لا تعلمون صِدْقَهُمْ من كذبهم ، فإن رضاكم عنهم غيرُ نافعهم عند الله ، لأن الله يعلم من سرائر أمرهم ما لا تعلمون ، ومن خفي اعتقادهم ما تجهلون ، وأنهم على الكفر بالله (٢) يعني أنهم الخارجون من الايمان إلى الكفر بالله ، ومن الطاعة إلى المعصية . (٣)

* * *

(١) الأثر : ١٧٠٩١ - هذا مختصر من الخبر الطويل في توبة كعب بن مالك ، رواه مسلم في صحيحه ١٧ : ٨٧ - ١٠٠ ، من هذه الطريق ، وقد مضى جزء آخر منه برقم : ١٦١٤٧ .
(٢) لا أشك أن موضع هذه النقطة خرم في كلام أبي جعفر ، من ناسخ كتابه ، وكان صواب الكلام : « وأنهم على الكفر بالله مقيمون ، وأنهم هم الفاسقون ، يعني : أنهم الخارجون . . . » ، أو كلاماً شبيهاً بهذا .
(٣) انظر تفسير « الفسق » فيما سلف ص : ٤٠٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

القول في تأويل قوله ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (١٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره الأعراب أشدُّ جحوداً لتوحيد الله ، وأشدَّ نفاقاً ، من أهل الحضر في القرى والأمصار . وإنما وصفهم جل ثناؤه بذلك ، لحفائهم ، وقسوة قلوبهم ، وقلة مشاهدتهم لأهل الخير ، فهم لذلك أقسى قلوباً ، وأقلُّ علماً بحقوق الله .

* * *

وقوله : « وأجدُر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله » ، يقول : وأخلق أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله ، (١) وذلك فيما قال قتادة : السُّنَنِ . ١٧٠٩٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وأجدُر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله » ، قال : هم أقلُّ علماً بالسُّنَنِ .

١٧٠٩٣ — حدثني المنفي قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن ابن مغراء ، عن الأعمش ، عن إبراهيم قال : جلس أعرابي إلى زيد بن صَوْحَانَ وهو يحدث أصحابه ، وكانت يده قد أصيبت يوم نهاؤُنْد ، فقال : والله إنَّ حديثك ليعجبني ، وإن يدك لَسَرِيْبِي ! فقال زيد : وما يُريبك من يدي ؟ إنها الشمال ! فقال الأعرابي : والله ما أدري ، اليمين يقطعون أم الشمال ؟ فقال زيد بن صوحان : صدق الله : «الأعرابُ أشدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله » . (٢)

* * *

(١) انظر تفسير « حدود الله » فيما سلف ٨ : ٦٨ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
(٢) الأثر : ١٧٠٩٣ — « عبد الرحمن بن مغراء اللدوسي » ، ثقة ، متكلم فيه . مضى برقم : ١١٨٨١ . وكان في المطبوعة : « عبد الرحمن بن مقرر » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، فبدل من عند نفسه .

وقوله : « والله عليم حكيم » يقول : « والله عليم » ، بمن يعلم حدود ما أنزل على رسوله ، والمنافق من خلقه ، والكافر منهم ، لا يخفى عليه منهم أحد = « حكيم » ، في تدبيره إياهم ، وفي حلمه عن عقابهم ، مع علمه بسرائرهم وخداعهم أوليائه . (١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَّارَ عَلَيْهِمُ دَائِرَةُ السَّوِّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٩٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ومن الأعراب من يعدُّ نفقته التي ينفقها في جهادٍ مشرك ، أو في معونة مسلم ، أو في بعض ما ندب الله إليه عباده = « مغرمًا » ، يعنى : غرمًا لزمه ، لا يرجو له ثوابًا ، ولا يدفع به عن نفسه عقابًا = « ويتربص بكم الدوائر » ، يقول : وينتظرون بكم الدوائر ، (٢) أن تدور بها الأيام والليالي إلى مكروهٍ ومجىء محبوب ، (٣) وغلبة عدوٍ لكم . (٤) يقول الله تعالى ذكره : « عليهم دائرة السوء » ، يقول : جعل الله دائرة السوء عليهم ، ونزول المكروه بهم ، لا عليكم أيها المؤمنون ، ولا بكم = « والله سميع » ، لدعاء الداعين = « عليم » بتدبيرهم ، وما هو بهم نازل من عقاب الله ، وما لهم إليه صائرون من أليم عقابه . (٥)

* * *

و « زيد بن صوحان العبدى » ، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، ثقة قليل الحديث ، مضى برقم : ١٣٤٨٦ .
وهذا الخبر رواه ابن سعد في الطبقات ٦ : ٨٤ ، ٨٥ من طريق يعلى بن عبيد ، عن الأعمش ، عن إبراهيم .

- (١) انظر تفسير « عليم » و « حكيم » ، فيما سلف من فهارس اللغة (علم) ، (حكم) .
- (٢) انظر تفسير « التربص » فيما سلف ص : ٢٩١ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
- (٣) في المطبوعة « ونفى محبوب » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهى سيئة الكتابة .
- (٤) انظر تفسير « الدوائر » فيما سلف ١٠ : ٤٠٤ .
- (٥) انظر تفسير « سميع » و « عليم » فيما سلف من فهارس اللغة (سمع) ، (علم) .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٠٩٤ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قول الله : « ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرمًا ويتربص بكم الدوائر » ، قال : هؤلاء المنافقون من الأعراب ، الذين إنما ينفقون رياءً ، اتقاءً أن يُغزَوْا أو يُسْحَرَبُوا أو يقاتلوا ، ويرون نفقتهم مغرمًا . ألا تراه يقول : « ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء » ؟

* * *

واختلفت القراءة في قراءة ذلك .

فقرأه عامة قراءة أهل المدينة والكوفة : ﴿ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾ بفتح السين ، بمعنى النعت لـ « الدائرة » ، وإن كانت « الدائرة » مضافة إليه ، كقولهم : « هو رجل السوء » و « امرؤ الصديق » ، من كأنه إذا فُتِح مصدرٌ من قولهم : « سَوَّاهُ أسوَّاهُ سَوَّاءً ومَسَاءَةً ومَسَائِيَةً » . (١)

٥/١١

* * *

وقرأ ذلك بعض أهل الحجاز وبعض البصريين : ﴿ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾ ، بضم السين ، كأنه جعله اسماً ، كما يقال : عليه دائرة البلاء والعذاب . ومن قال : « عليهم دائرة السوء » فضم ، لم يقل : « هذا رجل السوء » بالضم ، و « الرجل السوء » ، (٢) وقال الشاعر : (٣)

وَكُنْتُ كَذِئْبِ السَّوْءِ لَمَّا رَأَيْ دَمًا بِصَاحِبِهِ يَوْمًا أَحَالَ عَلَى الدِّمِّ (٤)

* * *

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٤٤٩ ، ٤٥٠ .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٤٥٠ .

(٣) هو الفرزدق .

(٤) ديوانه : ٧٤٩ ، وطبقات فحول الشعراء : ٣٠٦ ، والحيوان ٥ : ٣١٩ ، ٦ : ٢٩٨ ، واللسان (حول) ، وغيرها كثير ، من أبيات لها خبر طويل . وقوله : « أحال على الدم » ، أى : أقبل عليه . والذئبان ربما أقبلا على الرجل لإقبالا واحداً ، وهما سواء على عذراته والجزم على

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة في ذلك عندنا بفتح السين ، بمعنى : عليهم الدائرة التي تسوءهم سوءاً . كما يقال : « هو رجل صدق » ، على وجه النعت .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَيَتَّخِذَ مَا يُنْفِقُ قُرْبَتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا
قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٩٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ومن الأعراب من يصدق الله ويقرّ
بوحدايته ، وبالبعث بعد الموت ، والثواب والعقاب ، وينوى ما ينفق من نفقة
في جهاد المشركين ، (١) وفي سفره مع رسول الله صلى الله عليه وسلم = « قربات »
عند الله ، و « القربات » جمع « قربة » ، وهو ما قربّه من رضى الله ومحبه =
« وصلوات الرسول » ، يعنى بذلك : ويتنقى بنفقة ما ينفق ، مع طلب قربته من
الله ، دعاء الرسول واستغفاره له .

* * *

وقد دللنا ، فيما مضى من كتابنا ، على أن من معانى « الصلاة » ، الدعاء ، بما أغنى
عن إعادته في هذا الموضع . (٢)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٠٩٥ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنا معاوية ، عن على ،

أكله ، فإذا أدمى أحدهما وثب على صاحبه فزقه وأكله ، وترك الإنسان (من كلام الجاحظ) . وقد
كرر الشريزى هذا المعنى فى قوله :

فَتَى لَيْسَ لِبْنِ الْعَمِّ كَالذَّئْبِ ، إِنْ رَأَى بِصَاحِبِهِ يَوْمًا دَمًا فَهُوَ آكِلُهُ

(١) فى المطبوعة : « ينوى بما ينفق » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب .

(٢) انظر تفسير « الصلاة » فيما سلف من فهارس اللغة (صلا) .

عن ابن عباس قوله : « وصلوات الرسول » ، يعنى : استغفار النبي عليه السلام .
 ١٧٠٩٦ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة
 قوله : « ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول » ،
 قال : دعاء الرسول : هذه ثنِيَّةُ الله من الأعراب . (١)

١٧٠٩٧ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن
 ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر » ،
 قال : هم بنو مقرن ، من مزينة ، وهم الذين قال الله فيهم : ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا
 مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيَيْنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ
 الدَّمْعِ حَزَنًا ﴾ [سورة التوبة : ٩٢] . قال : هم بنو مقرن ، من مزينة = قال ، حدثني
 حجاج قال ، قال ابن جريج قوله : « الأعراب أشد كفراً ونفاقاً » ، ثم استثنى
 فقال : « ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر » ، الآية .

١٧٠٩٨ - حدثنا أحمد قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا جعفر ،
 عن البخري بن المختار العبدى قال ، سمعت عبد الرحمن بن معقل قال : كنا
 عشرة ولد مقرن ، فنزلت فينا : « ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر » ،
 إلى آخر الآية . (٢)

* * *

(١) « الثنية » ، ما استثنى من شيء ، وفى حديث كعب الأحبار : « الشهداء ثنية الله فى
 الأرض » ، يعنى هم من الذين استثناهم الله من الصمقة الأولى ، تأول ذلك فى قوله تعالى : « ونفخ فى
 الصور فصمق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله » ، فجعل منهم الشهداء ، لأنهم أحياء
 عند ربهم يرزقون .

(٢) الأثر : ١٧٠٩٨ - « البخري بن المختار العبدى » ، ثقة . مترجم فى الكبير ١٣٦/٢/١
 وابن أبى حاتم ٤٢٧/١/١ .

و « عبد الرحمن بن معقل المزنى » ، تابعى ثقة ، وعده بعضهم فى الصحابة لهذا الحديث .
 فقال الحافظ بن حجر : « إنما عني بقوله : كنا = أباه وأعمامه ، وأما هو فيصغر عن ذلك . ومن
 أعمامه عبد الرحمن بن مقرن ، ذكره ابن سعد فى الصحابة » . وهو مترجم فى التهذيب ، وابن سعد
 ٦ : ١٢٢ ، وابن أبى حاتم ٢٨٤/٢/٢ .

قال أبو جعفر : قال الله : « أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ » ، يقول تعالى ذكره : أَلَا إِنَّ صَلَوَاتِ الرِّسُولِ قُرْبَةٌ لَّهُمْ مِنْ اللَّهِ .

وقد يحتمل أن يكون معناه : أَلَا إِنَّ نَفَقَتَهُ الَّتِي يَنْفِقُهَا كَذَلِكَ ، قُرْبَةٌ لَّهُمْ عِنْدَ اللَّهِ = « سيدخلهم الله في رحمته » ، يقول : سيدخلهم الله فيمن رحمه فأدخله برحمته الجنة = « إن الله غفور » ، لما اجتمروا = « رحيم » ، بهم مع توبتهم وإصلاحهم أن يعذبهم .^(١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١٠٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : والذين سبقوا الناس أولاً إلى الإيمان بالله ورسوله = « من المهاجرين » ، الذين هاجروا قومهم وعشيرتهم ، وفارقوا منازلهم وأوطانهم^(٢) = « والأنصار » ، الذين نصرُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه من أهل الكفر بالله ورسوله^(٣) = « والذين اتبعوهم بإحسان » ، يقول : والذين سلكوا سبيلهم في الإيمان بالله ورسوله ، والهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام ، طلبَ رضى الله^(٤) = « رضى الله عنهم ورضوا عنه » .

وكان في المطبوعة : « عبد الله بن مفضل » ، غير ما في المخطوطة ، وبدل ، وصحف ، وأساء إساءة لا يعذر فيها .

- (١) انظر تفسير « غفور » و « رحيم » فيما سلف من فهارس اللغة (غفر) ، (رحم) .
- (٢) انظر تفسير « الهجرة » فيما سلف ص : ١٧٣ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .
- (٣) انظر تفسير « الأنصار » فيما سلف ١٠ : ٤٨١ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .
- (٤) انظر تفسير « الإحسان » فيما سلف من فهارس اللغة (حسن) .

واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله : « والسابقون الأولون » .

فقال بعضهم : هم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان ، أو أدركوا .

* ذكر من قال ذلك .

١٧٠٩٩ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا محمد بن بشر ، عن إسماعيل ، عن عامر : « والسابقون الأولون » ، قال : من أدرك بيعة الرضوان .

١٧١٠٠ — قال ، حدثنا ابن فضيل ، عن مطرف ، عن عامر قال : المهاجرون الأولون ، من أدرك البيعة تحت الشجرة .

١٧١٠١ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا يحيى قال ، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي قال : المهاجرون الأولون ، الذين شهدوا بيعة الرضوان .

١٧١٠٢ — حدثني الحارث قال : حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان عن مطرف ، عن الشعبي قال : « المهاجرون الأولون » ، من كان قبل البيعة إلى البيعة ، فهم المهاجرون الأولون ، ومن كان بعد البيعة ، فليس من المهاجرين الأولين .

١٧١٠٣ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا إسماعيل ومطرف ، عن الشعبي قال : « السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار » ، هم الذين بايعوا بيعة الرضوان .

١٧١٠٤ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، حدثنا هشيم ، عن داود ، عن عامر قال : فصل ما بين المهجرتين بيعة الرضوان ، وهي بيعة الحديبية .

١٧١٠٥ — حدثني المثنى قال : أخبرنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم قال ، أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ومطرف ، عن الشعبي قال : هم الذين بايعوا بيعة الرضوان .

١٧١٠٦ — حدثنا أحمد بن إسحاق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا عبثر

أبو زبيد، عن مطرف، عن الشعبي قال : المهاجرون الأولون، من أدرك بيعة الرضوان .^(١)

* * *

وقال آخرون : بل هم الذين صلوا القبلتين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .
* ذكر من قال ذلك :

١٧١٠٧ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن آدم ، عن قيس ، عن عثمان الثقفي ، عن مولى لأبي موسى ، عن أبي موسى قال : المهاجرون الأولون ، من صلى القبلتين مع النبي صلى الله عليه وسلم .

١٧١٠٨ — حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا قيس ابن الربيع ، عن عثمان بن المغيرة ، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير ، عن مولى لأبي موسى قال : سألت أبا موسى الأشعري عن قوله : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار » ، قال : هم الذين صلوا القبلتين جميعاً .

١٧١٠٩ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن أبي هلال ، عن قتادة قال : قلت لسعيد بن المسيب : لم سُمُّوا « المهاجرين الأولين » ؟ قال : من صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم القبلتين جميعاً ، فهو من المهاجرين الأولين .

١٧١١٠ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن ابن أبي عروبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب قال : المهاجرون الأولون ، الذين صلوا القبلتين .

١٧١١١ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب قوله : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار » ، قال : هم الذين صلوا القبلتين جميعاً .

١٧١١٢ — حدثنا محمد بن المثني قال، حدثنا عباس بن الوليد قال ، حدثنا

(١) الأثر : ١٧١٠٦ — « عبثر ، أبو زبيد » ، هو « عبثر بن القاسم الزبيدي » ، أبو زبيد » ، مضى برقم : ١٢٤٠٢ ، وغيرها .

يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، مثله .
 ١٧١١٣ - حدثني المنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال : أخبرنا هشيم ،
 عن بعض أصحابه ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب = وعن أشعث ، عن ابن
 سيرين = في قوله : « والسابقون الأولون » ، قال : هم الذين صلوا القبلتين .
 ١٧١١٤ - حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا معاذ بن معاذ قال ، حدثنا ابن
 عون ، عن محمد ، قال : المهاجرون الأولون ، الذين صلوا القبلتين .
 ١٧١١٥ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا
 معمر ، عن قتادة في قوله : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار » ، قال : ٧/١١
 هم الذين صلوا القبلتين جميعاً .

* * *

وأما الذين اتبعوا المهاجرين الأولين والأنصار بإحسان ، فهم الذين أسلموا
 لله لإسلامهم ، وسلوكوا منهاجهم في الهجرة والنصرة وأعمال الخير ، كما : -
 ١٧١١٦ - حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا
 أبو معشر ، عن محمد بن كعب قال : مرَّ عمر برجل وهو يقرأ هذه الآية :
 « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان » ، قال :
 من أقرأك هذه الآية ؟ ^(١) قال : أقرأني أبي بن كعب . قال : لا تفارقني حتى
 أذهب بك إليه ! فأتاه فقال : أنت أقرأت هذا هذه الآية ؟ قال : نعم ! قال : وسمعتها
 من رسول الله صلى الله عليه وسلم ! قال : [نعم !] . ^(٢) قال : لقد كنت أرانا رفيعنا رفعةً
 لا يبلغها أحدٌ بعدنا ! فقال أبي : تصديق ذلك في أول الآية التي في أول الجمعة ، ^(٣)

(١) استفهام عمر ، كما سيظهر في رقم : ١٧١١٨ ، عن قراءة الآية بخفض « الأنصار »
 وبالواو في « والذين » ، وقراءته هو ، رفع « الأنصار » وبغير واو في قوله « الذين اتبعوهم » .

(٢) الزيادة بين القوسين لا بد منها ، وليست في المخطوطة ولا المطبوعة ، ونقلتها من تفسير
 ابن كثير ٤ : ٢٢٩ .

(٣) في المطبوعة والمخطوطة : « قال : وتصديق ذلك في أول الآية » ، وهو غير مستقيم
 صوابه من تفسير ابن كثير ٤ : ٢٢٩ ، وانظر الأثر التالي .

وأوسط الحشر، وآخر الأنفال. أما أول الجمعة: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾، [سورة الجمعة: ٣] ، وأوسط الحشر: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾، [سورة الحشر: ١٠] ، وأما آخر الأنفال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ﴾ ، [سورة الأنفال: ٧٥] .

١٧١١٧ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا الحسن بن عطية قال ، حدثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظي قال : مرّ عمر بن الخطاب برجل يقرأ « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار » حتى بلغ : « ورضوا عنه » ، قال : وأخذ عمر بيده فقال : من أقرأك هذا ؟ قال : أبي بن كعب ! فقال : لا تفارقي حتى أذهب بك إليه ! فلما جاءه قال عمر : أنت أقرأت هذا هذه الآية هكذا ؟ قال : نعم ! قال : أنت سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ! قال : لقد كنت أظن أننا رفّعنا رَفْعَةً لا يبلغها أحدٌ بعدنا ! فقال أبي : بلى ، تصديق هذه الآية في أول سورة الجمعة : ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ إلى ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ، وفي سورة الحشر: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ ، وفي الأنفال : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ﴾ ، إلى آخر الآية .

* * *

وروى عن عمر في ذلك ما :-

١٧١١٨ — حدثني به أحمد بن يوسف قال ، حدثنا القاسم قال ، حدثنا حجاج ، عن هرون ، عن حبيب بن الشهيد، وعن ابن عامر الأنصاري : أن عمر ابن الخطاب قرأ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ ، فرفع « الأنصار » ولم يلحق الواو في « الذين » ، فقال له زيد بن ثابت والذين اتبعوهم بإحسان » ، فقال عمر : « الذين اتبعوهم بإحسان » ، فقال زيد :

أمير المؤمنين أعلم ! فقال عمر : اتئوني بأبيّ بن كعب . فأتاه ، فسأله عن ذلك ، فقال أئى : « والذين اتبعوهم بإحسان » ، فقال عمر : إذاً نتابع أبيّاً .

* * *

قال أبو جعفر : والقراءة على خفض « الأنصار » ، عطفاً بهم على « المهاجرين » .

* * *

وقد ذكر عن الحسن البصرى أنه كان يقرأ : ﴿ الْأَنْصَارُ ﴾ ، بالرفع ، عطفاً بهم على : « السابقين » .

* * *

قال أبو جعفر : والقراءة التى لا أستجيز غيرها ، الخفضُ فى ﴿ الْأَنْصَارِ ﴾ ، لإجماع الحجة من القراءة عليه ، وأن السابق كان من الفريقين جميعاً ، من المهاجرين والأنصار ، وإنما قصد الخبر عن السابق من الفريقين ، دون الخبر عن الجميع = وإلحاق « الواو » فى « الذين اتبعوهم بإحسان » ، ^(١) لأن ذلك كذلك فى مصاحف المسلمين جميعاً ، على أن « التابعين بإحسان » ، غير « المهاجرين والأنصار » ، وأما « السابقون » ، فإنهم مرفوعون بالعائد من ذكرهم فى قوله : « رضى الله عنهم ورضوا عنه » .

* * *

ومعنى الكلام : رضى الله عن جميعهم لما أطاعوه ، وأجابوا نبيّه إلى ما دعاهم إليه من أمره ونهيه = ورضى عنه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان ، لما أجزل لهم من الثواب على طاعتهم إياه ، وإيمانهم به وبنبيه عليه السلام = « وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار » ، يدخلونها = « خالدين فيها » ، لا يثنين فيها ^(٢) = « أبداً » ، لا يموتون فيها ولا يخرجون منها ^(٣) = « ذلك الفوز العظيم » . ^(٤) ٨/١١

* * *

(١) قوله : « وإلحاق الواو » معطوف على قوله : « والقراءة التى لا أستجيز غيرها » ، الخفض

(٢) انظر تفسير « الخلد » فيما سلف من فهارس اللغة (خلد) .

(٣) انظر تفسير « أبداً » فيما سلف ص : ١٧٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « الفوز » فيما سلف ص : ٤١٥ ، تعليق : ٨ ، والمراجع هناك .

القول في تأويل قوله ﴿وَمِنْ حَوْلِكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ (١٠١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ومن القوم الذين حول مدينتكم من الأعراب منافقون ، ومن أهل مدينتكم أيضاً أمثالهم أقوامٌ منافقون .

* * *

وقوله : « مردوا على النفاق » ، يقول : مرتوا عليه ودرجوا به .

* * *

ومنه : « شيطانٌ مارد ، ومريد » ، وهو الخبيث العاتي . ومنه قيل : « تمرّد فلان

على ربه » ، أى : عتأ ، ومرن على معصيته واعتادها . (١)

* * *

وقال ابن زيد في ذلك ما : —

١٧١١٩ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في

قوله : « ومن أهل المدينة مردوا على النفاق » ، قال : أقاموا عليه ، لم يتوبوا كما تاب الآخرون .

١٧١٢٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن اسحق : « ومن

أهل المدينة مردوا على النفاق » ، أى : لجأوا فيه ، وأبوا غيره . (٢)

* * *

= « لا تعلمهم » ، يقول لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : لا تعلم ، يا محمد ،

أنت هؤلاء المنافقين الذين وصفت لك صفتهم ممن حولكم من الأعراب ومن أهل

(١) انظر تفسير « مريد » فيما سلف ٩ : ٢١١ ، ٢١٢ . وفي المطبوعة : « أى : عتا

ومرد على معصيته . . . » ، والصواب ما في المخطوطة .

(٢) الأثر : ١٧١٢٠ — سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٨ ، وهو تابع الأثر السالف رقم :

المدينة ، ولكننا نحن نعلمهم ، كما : —

١٧١٢١ — حدثنا الحسن قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « ومن حولكم من الأعراب منافقون » إلى قوله : « نحن نعلمهم » ، قال : فما بال أقوام يتكلفون علم الناس ؟ فلان في الجنة وفلان في النار ! فإذا سألت أحدهم عن نفسه قال : لا أدري ! لعمري أنت بنفسك أعلم منك بأعمال الناس ، ولقد تكلفت شيئاً ما تكلفته الأنبياء قبلك ! قال نبي الله نوح عليه السلام : ﴿ وَمَا عَلَّمِي مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ، [سورة الشعراء : ١١٢] ، وقال نبي الله شعيب عليه السلام : ﴿ بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ [سورة هود : ٨٦] ، وقال الله لنبيه عليه السلام : « لا تعلمهم نحن نعلمهم » .

* * *

وقوله : « سنعذبهم مرتين » ، يقول : سنعذب هؤلاء المنافقين مرتين ، إحداهما في الدنيا ، والأخرى في القبر .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل في التي في الدنيا ، ما هي ؟ فقال بعضهم : هي فضيحتهم ، فضضحهم الله بكشف أمورهم ، وتبيين سرائرهم للناس على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم .
* ذكر من قال ذلك :

١٧١٢٢ — حدثنا الحسين بن عمرو والعنقري قال ، حدثنا أبي قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي ، عن أبي مالك ، عن ابن عباس في قول الله : « ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق » إلى قوله : « عذاب عظيم » ، قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً يوم الجمعة فقال : اخرج يا فلان ، فإنك منافق ، اخرج ، يا فلان ، فإنك منافق . فأخرج من المسجد ناساً منهم ، فضضحهم . فلقبهم عمر وهم يخرجون من المسجد ، فاختبأ منهم حياء

أنه لم يشهد الجمعة ، وظن أن الناس قد انصرفوا . واختبأوا هم من عمر ، ظنوا أنه قد علم بأمرهم . فجاء عمر فدخل المسجد ، فإذا الناس لم يصلوا ، فقال له رجل من المسلمين : أبشر ، يا عمر ، فقد فضح الله المنافقين اليوم ! فهذا العذاب الأول ، حين أخرجهم من المسجد . والعذاب الثاني ، عذاب القبر .^(١)

١٧١٢٣ - حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان ، عن السدي ، عن أبي مالك : « سنعذبهم مرتين » ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فيذكر المنافقين ، فيعذبهم بلسانه . قال : وعذاب القبر .

* * *

[وقال آخرون : ما يصيبهم من السبي والقتل والجوع والخوف في الدنيا .]^(٢)
* ذكر من قال ذلك :

١٧١٢٤ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « سنعذبهم مرتين » ، قال : القتل والسبأ .
١٧١٢٥ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « سنعذبهم مرتين » ، بالجوع ، وعذاب القبر .
قال : « ثم يردون إلى هذا عذاب عظيم » ، يوم القيامة .

٩/١١

١٧١٢٦ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا جعفر بن عون ، والقاسم ، ويحيى بن آدم ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « سنعذبهم مرتين » ، قال : الجوع والقتل = وقال يحيى : الخوف والقتل .^(٣)
١٧١٢٧ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : بالجوع والقتل .

(١) الأثر : ١٧١٢٢ - رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ٣٣ ، وقال : « رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي ، وهو ضعيف » .
(٢) هذه الترجمة التي بين القوسين ، ليست في المخطوطة ولا المطبوعة ، استظهرتها من سياق الأخبار التالية .
(٣) في المطبوعة : « بالجوع . . . بالخوف » ، بالباء في أوله ، وأثبت ما في المخطوطة .

١٧١٢٨ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن يمان، عن سفيان، عن السدي، عن أبي مالك : « سنعذبهم مرتين » ، قال : بالجوع وعذاب القبر .
 ١٧١٢٩ - حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيج ، عن مجاهد : « سنعذبهم مرتين » ، قال : الجوع والقتل . (١)

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : سنعذبهم عذاباً في الدنيا ، وعذاباً في الآخرة .
 * ذكر من قال ذلك :

١٧١٣٠ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « سنعذبهم مرتين » ، عذاب الدنيا ، وعذاب القبر ، ثم يردون إلى عذاب عظيم . ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أمرَّ إلى حذيفة باثني عشر رجلاً من المنافقين ، فقال : « ستة منهم تكفيكهم الدبيلة » ، (٢) سراج من نار جهنم ، يأخذ في كتف أحدهم حتى تُفَضَّى إلى صدره ، وستة يموتون موتاً . ذكر لنا أن عمر بن الخطاب رحمه الله ، كان إذا مات رجل يرى أنه منهم ، نظر إلى حذيفة ، فإن صلى عليه صلى عليه ، وإلا تركه . وذكر لنا أن عمر قال لحذيفة : أنشدك الله ، أمنهم أنا ؟ قال : لا والله ، ولا أؤمن منها أحداً بعدك !

١٧١٣١ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن : « سنعذبهم مرتين » ، قال : عذاب الدنيا ، وعذاب القبر .
 ١٧١٣٢ - حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن العلاء قالا ، حدثنا بدل بن المحبر قال ، حدثنا شعبة ، عن قتادة : « سنعذبهم مرتين » ، قال : عذاباً في الدنيا ، وعذاباً في القبر .

(١) في المطبوعة : « بالجوع » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) « الدبيلة » في اللغة ، خراج ودمل كبير ، تظهر في الحروف ، فتقتل صاحبها غالباً ، وهي تصغير « دبلة » (بضم الدال وسكون الباء) ، بمثل معناها .

١٧١٣٣ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : عذاب الدنيا ، وعذاب القبر ، = ثم يردون إلى عذاب النار .

* * *

وقال آخرون : كان عذابهم إحدى المرتين ، مصائبهم في أموالهم وأولادهم ، والمرة الأخرى في جهنم .

* ذكر من قال ذلك :

١٧١٣٤ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « سنعذبهم مرتين » ، قال : أما عذاب في الدنيا ، فالأموال والأولاد . وقرأ قول الله : ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ، [سورة التوبة : ٥٥] ، بالمصائب فيهم ، هي لهم عذاب ، وهي للمؤمنين أجر . قال : وعذاب في الآخرة ، في النار = « ثم يردون إلى عذاب عظيم » ، قال : النار .

* * *

وقال آخرون : بل إحدى المرتين ، الحدود ، والأخرى عذاب القبر .

ذكر ذلك عن ابن عباس من وجه غير مرتضى ^(١) .

* * *

وقال آخرون : بل إحدى المرتين ، أخذ الزكاة من أموالهم ، والأخرى عذاب القبر .

ذكر ذلك عن سليمان بن أرقم ، عن الحسن .

* * *

وقال آخرون : بل إحدى المرتين ، عذابهم بما يدخل عليهم من الغيظ في أمر الإسلام .

* ذكر من قال ذلك :

١٧١٣٥ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق :

« سنعذبهم مرتين » ، قال : العذاب الذي وعدهم مرتين ، فيما بلغني ، غمهم بما هم

(١) في المطبوعة : « غير مرضى » ، وأثبت ما في المخطوطة

فيه من أمر الإسلام ، ^(١) وما يدخل عليهم من غيظ ذلك على غير حِسْبَةٍ ، ثم عذابهم في القبر إذا صاروا إليه ، ثم العذاب العظيم الذين يردُّون إليه ، عذاب الآخرة ، ^(٢) والحُلْد فيه . ^(٣)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندى أن يقال : إن الله أخبر أنه يعذب هؤلاء الذين مردوا على النفاق مرتين ، ولم يضع لنا دليلاً يوصل به إلى علم صفة ذنك العذابين ^(٤) = وجائز أن يكون بعض ما ذكرنا عن القائلين ما أنبئنا عنهم . وليس عندنا علم بأى ذلك من أى . ^(٥) غير أن في قوله جل ثناؤه « ثم يردُّون إلى عذاب عظيم » ، دلالة على أن العذاب في المرتين كليهما قبل دخولهم ١٠/١١ النار . والأغلب من إحدى المرتين أنها في القبر .

* * *

وقوله : « ثم يردون إلى عذاب عظيم » ، يقول : ثم يردُّ هؤلاء المنافقون ، بعد تعذيب الله إياهم مرتين ، إلى عذاب عظيم ، وذلك عذاب جهنم .

* * *

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « فيما بلغنى عنهم ما هم فيه أمر الإسلام » ، والصواب من سيرة ابن هشام .

(٢) في المطبوعة : « ويخلدون فيه » ، وفي المخطوطة : « ويخلد فيه » ، وصواب قراءتها من سيرة ابن هشام .

(٣) الأثر : ١٧١٣٥ - سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٨ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٧١٢٠ .

(٤) في المطبوعة : « فتوصل به » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٥) في المطبوعة : « بأى ذلك من بأى ، على أن في قوله . . . » ، فحرف وبدل وأفسد الكلام إفساداً .

وانظر القول في « أى ذلك كان من أى » فيما سلف ص : ٣٦٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك ، فقد مضت أخواتها كثيراً ، وحرفها التناسخ .

القول في تأويل قوله ﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٠٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ومن أهل المدينة منافقون مردوا على النفاق ، ومنهم « آخرون اعترفوا بذنوبهم » ، يقول : أقرؤا بذنوبهم = « خلطوا عملاً صالحاً » ، يعنى جل ثناؤه بالعمل الصالح الذى خلطوه بالعمل السيئ : اعترفهم بذنوبهم ، وتوبتهم منها ، والآخر السيئ : هو تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين خرج غازياً ، وتركهم الجهاد مع المسلمين .

* * *

فإن قال قائل : وكيف قيل : « خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً » ، وإنما الكلام : خلطوا عملاً صالحاً بآخر سيئ ؟ قيل : قد اختلف أهل العربية فى ذلك .

فكان بعض نحوي البصرة يقول : قيل ذلك كذلك ، وجائز فى العربية أن يكون « بآخر » ، ^(١) كما تقول « استوى الماء والخشبة » ، أى : بالخشبة ، « وخلطت الماء واللبن » .

وأنكر [آخر] أن يكون نظير قولهم ^(٢) : « استوى الماء والخشبة » ، واعتلّ فى ذلك بأن الفعل فى « الخلط » عامل فى الأول والثانى ، وجائز تقديم كل واحد منهما على صاحبه ، وأن تقديم « الخشبة » على « الماء » غير جائز فى قولهم : « استوى الماء والخشبة » ، وكان ذلك عنده دليلاً على مخالفة ذلك « الخلط » . ^(٣)

* * *

(١) لا شك أن الناسخ أسقط شيئاً من كلام أبى جعفر ، وهو ظاهر لمن تأمل . وانظر التعليق التالى .
(٢) الذى بين القوسين فى المطبوعة وحدها ، ولكنه كان فيها « آخرون » . أما المخطوطة ففيها : « وأنكر أن يكون نظير قولهم . . . » ، وهذا أيضاً دال على إسقاط الناسخ بعض الكلام . وانظر التعليق التالى .

(٣) فى المطبوعة : « دليلاً عندهم » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، ولكن الناشر الأول غيره .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندى : أنه بمعنى قولهم : « خلطت الماء واللبن » ، بمعنى : خلطته باللبن .

* * *

= « عسى الله أن يتوب عليهم » ، يقول : لعلَّ الله أن يتوب عليهم = « وعسى » من الله واجب ، ^(١) وإنما معناه : سيتوب الله عليهم ، ولكنه في كلام العرب على ما وصفت = « إن الله غفور رحيم » ، يقول : إن الله ذو صفح وعفو لمن تاب عن ذنوبه ، وسائر له عليها = « رحيم » ، به أن يعذبه بها . ^(٢)

* * *

وقد اختلف أهل التأويل في المعنى بهذه الآية ، والسبب الذى من أجله أنزلت فيه .

فقال بعضهم : نزلت في عشرة أنفس كانوا تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، منهم أبو لبابة ، فربط سبعة منهم أنفسهم إلى السواري عند مقدم النبي صلى الله عليه وسلم ، توبةً منهم من ذنبهم .
* ذكر من قال ذلك :

١٧١٣٦ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً » ، قال : كانوا عشرة رهطٍ ، تخلفوا عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، فلما حضر رجوع النبي صلى الله عليه وسلم ، أوثق سبعة منهم أنفسهم بسواري المسجد ، فكان ممر النبي صلى الله عليه وسلم إذا رجع في المسجد عليهم . ^(٣)

١ ما وضع « آخرون » من عند نفسه . انظر التعليق السالف .

هذا ، وقد تركت الكلام على حاله ، لأني لا أشك أن الناسخ تخطأ بعض كلام أبي جعفر .

(١) انظر تفسير « عسى » فيما سلف : ص ١٦٧ ، تعليق : ٥٠ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « غفور » و « رحيم » فيما سلف من فهارس اللغة (غفر) ، (رحم) .

(٣) في المطبوعة : « وكان » ، وأثبت ما في المخطوطة بالفاء .

فلما رآهم قال : من هؤلاء الموثقون أنفسهم بالسوارى ؟ قالوا : هذا أبو لبابة وأصحاب له تخلفوا عنك ، يا رسول الله ، [وحلفوا لا يطلقهم أحد] ، حتى تطلقهم . وتعذرهم .^(١) فقال النبي عليه السلام : وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم ، حتى يكون الله هو الذى يطلقهم ، رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين ! فلما بلغهم ذلك قالوا : ونحن والله لا نطلق أنفسنا حتى يكون الله الذى يطلقنا !^(٢) فأنزل الله تبارك وتعالى : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم » = و « عسى » من الله واجب . فلما نزلت ، أرسل إليهم النبي صلى الله عليه وسلم فأطلقهم وعذرهم .

* * *

وقال آخرون : بل كانوا ستة ، أحدهم أبو لبابة .

* ذكر من قال ذلك :

١٧١٣٧ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي

قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم

خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله » إلى قوله : « إن الله غفور رحيم » ، وذلك ١١/١١

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا غزوة تبوك ، فتخلف أبو لبابة وخمسة معه

عن النبي صلى الله عليه وسلم . ثم إن أبا لبابة ورجلين معه تفكروا وندموا ، وأيقنوا

بالهلكة ، وقالوا : « نكون في الكين والطمأنينة مع النساء ، ورسول الله والمؤمنون معه في

الجهاد ! والله لنوثقن أنفسنا بالسوارى ، فلا نطلقها حتى يكون رسول الله صلى الله

عليه وسلم هو يطلقنا ويعذرنا » ، فانطلق أبو لبابة وأوثق نفسه ورجلان معه بسوارى

المسجد ، وبقي ثلاثة نفر لم يوثقوا أنفسهم . فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « تخلفوا عنك يا رسول الله حتى تطلقهم وتعذرهم » ، سقط

بعض الكلام وتماه في الدر المنثور : « وحلفوا أنهم لا يطلقهم أحد حتى تطلقهم وتعذرهم » ، وآثرت ما وضعته بين القوسين .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « ونحن بالله » ، وآثرت ما كتبت .

من غزوته ، وكان طريقه في المسجد ، ففرّ عليهم فقال : من هؤلاء الموثقون أنفسهم بالسوارى ؟ فقالوا : هذا أبو لبابة وأصحاب له ، تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذي تطلقهم وترضى عنهم ، وقد اعترفوا بذنوبهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله لا أطلقهم حتى أؤمر بإطلاقهم ، ولا أعذرهم حتى يكون الله هو يعذرهم ، وقد تخلفوا عني ، ورغبوا بأنفسهم عن غزو المسلمين وجهادهم ! فأنزل الله برحمته : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم » = و « عسى » من الله واجب = فلما نزلت الآية أطلقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعذرهم ، وتجاوز عنهم .

* * *

وقال آخرون : الذين ربطوا أنفسهم بالسوارى كانوا ثمانية .

* ذكر من قال ذلك :

١٧١٣٨ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يعقوب ، عن زيد بن أسلم : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم » ، قال : هم الثمانية الذين ربطوا أنفسهم بالسوارى ، منهم كرزدم ، ومرداس ، وأبو لبابة .

١٧١٣٩ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد قال : الذين ربطوا أنفسهم بالسوارى : هلال ، وأبو لبابة ، وكردم ، ومرداس ، وأبو قيس . (١)

* * *

وقال آخرون : كانوا سبعة .

ذكر من قال ذلك :

١٧١٤٠ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة

(١) هؤلاء خمسة ، لم يذكر تمام الثمانية ، كما تدل عليه ترجمة الكلام .

قوله : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم » ، ذكر لنا أنهم كانوا سبعة رهطٍ تخلفوا عن غزوة تبوك ، فأما أربعة فخلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً : جدُّ بن قيس ، وأبو لبابة ، وحرام ، وأوس ، وكلهم من الأنصار ، وهم الذين قيل فيهم : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ ﴾ ، الآية .

١٧١٤١ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، ، عن معمر ، عن قتادة : « خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً » ، قال : هم نفر من تخلف عن تبوك ، منهم أبو لبابة ، ومنهم جد بن قيس ، تيب عليهم = قال قتادة : وليسوا بثلاثة .

١٧١٤٢ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم » ، قال : هم سبعة ، منهم أبو لبابة ، كانوا تخلفوا عن غزوة تبوك ، وليسوا بالثلاثة .

١٧١٤٣ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاک يقول في قوله : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً » ، نزلت في أبي لبابة وأصحابه ، تخلفوا عن نبي الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته ، وكان قريباً من المدينة ، ندموا على تخلفهم عن رسول الله وقالوا : « نكون في الظلال والأطعمة والنساء ، ونبي الله في الجهاد والأواء ! والله لنوثقن أنفسنا بالسواري ، ثم لا نطلقها حتى يكون نبي الله صلى الله عليه وسلم يطلقنا ويعذرنا ! » ، وأوثقوا أنفسهم ، وبقي ثلاثة ، لم يوثقوا أنفسهم بالسواري .^(١) فقدم رسول الله صلى

الله عليه وسلم من غزوته ، فرّ في المسجد ، وكان طريقه ، فأبصرهم ، فسأل عنهم ، فقبل له : أبو لبابة وأصحابه ، تخلفوا عنك ، ياني الله ، فصنعوا بأنفسهم

(١) « بالسواري » زيادة من المخطوطة ، ليست في المطبوعة

ما ترى ، وعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذى تطلقهم ! فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم : لا أطلقهم حتى أؤمر بإطلاقهم ، ولا أعذرهم حتى يعذرهم الله ، قد رغبوا بأنفسهم عن غزوة المسلمين ! فأنزل الله : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم » ، إلى « عسى الله أن يتوب عليهم » = و « عسى » من الله واجب = فأطلقهم نبي الله وعذرهم .

* * *

وقال آخرون : بل غنى بهذه الآية أبو لبابة خاصة ، وذنبه الذى اعترف به فتيب عليه فيه ، (١) ما كان من أمره فى بنى قريظة .
* ذكر من قال ذلك :

١٧١٤٤ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم » ، قال : نزلت فى أبي لبابة ، قال لبنى قريظة ما قال .

١٧١٤٥ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم » ، قال : أبو لبابة ، إذ قال لقريظة ما قال ، أشار إلى حلقه : أن محمداً ذا بحكم إن نزلتم على حكمكم الله .

١٧١٤٦ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم » ، فذكر نحوه = إلا أنه قال : إن نزلتم على حكمه .

١٧١٤٧ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد : ربط أبو لبابة نفسه إلى سارية ، فقال : لا أحل نفسى حتى يحانى الله ورسوله ! قال : فحلّه النبي صلى الله عليه وسلم : وفيه أنزلت هذه الآية : « وآخرون اعترفوا

(١) فى المطبوعة : « فتيب عليه منه » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهى صواب محض .

بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً » ، الآية .

١٧١٤٨ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا المحاربي ، عن ليث ، عن مجاهد :

« وآخرون اعترفوا بذنوبهم » ، قال : نزلت في أبي لبابة .

* * *

وقال آخرون : بل نزلت في أبي لبابة ، بسبب تخلفه عن تبوك .

* ذكر من قال ذلك :

١٧١٤٩ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن

معمر ، قال : قال الزهري : كان أبو لبابة ممن تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، فربط نفسه بسارية ، فقال : والله لا أحلّ نفسي منها ، ولا أذوق طعاماً ولا شرباً ، حتى أموت أو يتوب الله عليّ ! فكث سبعة أيام لا يذوق طعاماً ولا شرباً حتى خرّ مغشياً عليه ، قال : ثم تاب الله عليه ، ثم قيل له : قد تيب عليك يا أبا لبابة ! فقال : والله لا أحلّ نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يحائي ! قال : فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فحمله بيده ، ثم قال أبو لبابة : يا رسول الله ، إن من توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب ، وأن أنخلع من مالي كله صدقة إلى الله وإلى رسوله ! قال : يجزيك يا أبا لبابة الثلث .

* * *

وقال بعضهم : غني بهذه الآية الأعراب .

* ذكر من قال ذلك :

١٧١٥٠ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي

قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً » ، قال فقال : إنهم من الأعراب .

١٧١٥١ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يزيد بن هرون ، عن حجاج

ابن أبي زينب قال : سمعت أبا عثمان يقول : ما في القرآن آية أرجى عندي لهذه

الامة من قوله : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم » إلى : « والله غفور رحيم » . (١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك ، قول من قال : نزلت هذه الآية في المعترفين بخطأ فعلهم في تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتركهم الجهاد معه ، والخروج لغزو الروم ، حين شخص إلى تبوك = وأن الذين نزل ذلك فيهم جماعة ، أجدهم أبو لبابة .

ولمّا قلنا : ذلك أولى بالصواب في ذلك ، لأن الله جل ثناؤه قال : « وآخرون

اعترفوا بذنوبهم » ، فأخبر عن اعتراف جماعة بذنوبهم ، ولم يكن المعترف ١٣/١١ بذنبه ، الموثق نفسه بالسارية في حصار قريظة ، غير أبي لبابة وحده . فإذا كان ذلك [كذلك] ، (٢) وكان الله تبارك وتعالى قد وصف في قوله : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم » بالاعتراف بذنوبهم جماعةً ، علّم أن الجماعة الذين وصفهم بذلك ليست الواحد ، (٣) فقد تبين بذلك أن هذه الصفة إذ لم تكن إلا للجماعة ، وكان لا جماعة فعلت ذلك ، فيما نقله أهل السير والأخبار وأجمع عليه أهل التأويل ، إلا جماعة من المتخلفين عن غزوة تبوك ، صحّ ما قلنا في ذلك . وقلنا : « كان منهم أبو لبابة » ، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك

* * *

(١) الأثر : ١٧١٥١ - « حجاج بن أبي زينب السلمى » ، « أبو يوسف الواسطي » ، « الصيقل » ، ضعيف ، ليس بقوى ولا حافظ . مترجم في التهذيب ، والكبير ٣٧٣/٢/١ ، وابن أبي حاتم ١٦١/٢/١ ، وميزان الاعتدال ١ : ٢١٥ . وكان في المطبوعة : « بن أبي ذئب » ، وهو خطأ ، والمخطوطة برسم المطبوعة غير منقوطة .

و « أبو عثمان » ، هو التهذبي ، « عبد الرحمن بن مل » ، ثقة ، أسلم على عهد رسول الله ولم يلقه . مضى مراراً ، منها رقم : ١٣٠٩٧ - ١٣١٠٠ .

وهذا الخبر خرج السيوطي في الدر المنثور ٣ : ٢٧٣ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة ، وابن أبي الدنيا في التوبة ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ ، والبيهقي في شعب الإيمان .

(٢) ما بين القوسين زيادة يقتضيها السياق .

(٣) في المطبوعة : « أن الجماعة الذين وصفهم بذلك السبب غير الواحد » ، أساء قراءة المخطوطة ، فحرف وزاد من عنده ، ما أفسد الكلام وأهلكه .

القول في تأويل قوله ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَوَاتِكَ سَكَنُ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١٠٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، خذ من أموال هؤلاء الذين اعترفوا بذنوبهم فتابوا منها = « صدقة تطهرهم » ، من دنس ذنوبهم ^(١) = « وتزكهم بها » ، يقول : وتنمئهم وترفعهم عن خسيس منازل أهل النفاق بها ، إلى منازل أهل الإخلاص ^(٢) = « وصل عليهم » ، يقول : وادع لهم بالمغفرة لذنوبهم ، واستغفر لهم منها = « إن صلاتك سكن لهم » ، يقول : إن دعائك واستغفارك طمأنينة لهم ، بأن الله قد عفا عنهم وقبل توبتهم ^(٣) = « والله سميع عليم » ، يقول : والله سميع لدعائكم إذا دعوت لهم ، ولغير ذلك من كلام خلقه = « عليم » ، بما تطلب لهم بدعائكم ربكم لهم . وبغير ذلك من أمور عبادته . ^(٤)

* * *

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧١٥٢ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قال : جاءوا بأموالهم = يعني أبا لبابة وأصحابه = حين أطلقوا ، فقالوا : يا رسول الله ، هذه أموالنا فتصدق بها عنا ، واستغفر لنا ! قال : ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً ! فأنزل الله : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم »

(١) انظر تفسير « التطهير » فيما سلف : ١٢ : ٥٤٩ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الزكاة » فيما سلف من فهارس اللغة (زكا) .

(٣) انظر تفسير « الصلاة » فيما سلف من فهارس اللغة (صلا) .

= وتفسير « سكن » فيما سلف ١١ : ٥٥٧ .

(٤) انظر تفسير « سميع » و « عليم » فيما سلف من فهارس اللغة (سميع) ، (علم) .

وتزكيتهم بها ، ، يعنى بالزكاة : طاعة الله والإخلاص = « وصل عليهم » ، يقول : استغفر لهم .

١٧١٥٣ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : لما أطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا لبابة وصاحبيه ، انطلق أبو لبابة وصاحبا به بأموالهم ، فأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : خذ من أموالنا فتصدق بها عنا ، وصل علينا = يقولون : استغفر لنا = وطهرنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا آخذ منها شيئاً حتى أؤمر . فأنزل الله : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيتهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم » ، يقول : استغفر لهم من ذنوبهم التي كانوا أصابوا . فلما نزلت هذه الآية أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم جزءاً من أموالهم فتصدق بها عنهم .

١٧١٥٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يعقوب ، عن زيد بن أسلم قال : لما أطلق النبي صلى الله عليه وسلم أبا لبابة والذين ربطوا أنفسهم بالسوارى ، قالوا : يا رسول الله ، خذ من أموالنا صدقة تطهرنا بها ! فأنزل الله : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم » ، الآية .

١٧١٥٥ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير قال : قال الذين ربطوا أنفسهم بالسوارى حين عفا عنهم : يا نبي الله ؛ طهر أموالنا ! فأنزل الله : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيتهم بها » . وكان الثلاثة إذا اشتكى أحدهم الآخرين مثله ، وكان تسمى منهم اثنان ، فلم يزل الآخر يدعو حتى عمي .

١٧١٥٦ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : الأربعة : جد بن قيس ، وأبو لبابة ، وحرام ، وأوس ، هم الذين قيل فيهم : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيتهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم » ، أى : وقارهم ، وكانوا وعدوا من أنفسهم أن ينفقوا ويجاهدوا ويتصدقوا .

١٧١٥٧ - حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرني عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك ، قال : لما أطلق نبي الله صلى الله عليه وسلم أبا لبابة وأصحابه ، أتوا نبي الله بأموالهم فقالوا : يا نبي الله ، خذ من أموالنا فتصدق به عنا ، وطهرنا ، وصل علينا = يقولون : استغفر لنا = فقال نبي الله : لا آخذ من أموالكم شيئاً حتى أؤمر فيها ! فأنزل الله عز وجل : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم » ، من ذنوبهم التي أصابوا = « وصل عليهم » ، يقول : استغفر لهم . ففعل نبي الله عليه السلام ما أمره الله به .

١٧١٥٨ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني جعاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس قوله : « خذ من أموالهم صدقة » ، أبو لبابة وأصحابه = « وصل عليهم » ، يقول : استغفر لهم ، لذنوبهم التي كانوا أصابوا .

١٧١٥٩ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم » ، قال : هؤلاء ناس من المنافقين ممن كان تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، اعترفوا بالنفاق ، وقالوا : يا رسول الله ، قد ارتبنا ونافقنا وشككنا ، ولكن توبة جديدة ، وصدقة نخرجها من أموالنا ! فقال الله لبيه عليه الصلاة والسلام : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها » ، بعد ما قال : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ﴾ ، [سورة التوبة : ٨٤] .

* * *

واختلف أهل العربية في وجه رفع « تزكهم » .

فقال بعض نحوي البصرة : رفع « تزكهم بها » ، في الابتداء ، وإن شئت من صفة « الصدقة » ، ثم جئت بها توكيداً ، وكذلك « تطهرهم » .

* * *

وقال بعض نحوي الكوفة : إن كان قوله : « تطهرهم » للنبي عليه السلام ،
فالاختيار أن تجزم : لأنه لم يعد على « الصدقة » عائدا ، ^(١) و « تركيهم » ، مستأنف .
وإن كانت الصدقة تطهرهم وأنت تركيهم بها ، جاز أن تجزم الفعاين وترفعهما .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب في ذلك من القول ، أن قوله : « تطهرهم » ، من
صلة « الصدقة » ، لأن القراءة مجمعة على رفعها ، وذلك دليل على أنه من صلة
« الصدقة » . وأما قوله : « وتركهم بها » ، فخير مستأنف ، بمعنى : وأنت تركيهم
بها ، فلذلك رفع .

* * *

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله : « إن صلاتك سكن لهم » .

فقال بعضهم : رحمة لهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٧١٦٠ — حدثني المثني قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ،

عن علي ، عن ابن عباس ، « إن صلاتك سكن لهم » . يقول : رحمة لهم .

* * *

وقال آخرون : بل معناه : إن صلاتك وقارٌ لهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٧١٦١ — حدثنا بشر قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « إن صلاتك

سكن لهم » ، أي : وقارٌ لهم .

* * *

واختلفت القراءة في قراءة ذلك .

فقرأته قراءة المدينة : ﴿ إِنِّ صَلَّوْاَتِكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ بمعنى : دعواتك .

* * *

(١) في المطبوعة : « بأنه لم يعد » ، وأثبت ما في المخطوطة .

وقرأ قراءة العراق وبعض المكيين : ﴿ إِنِّ صَلَاتِكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ ، بمعنى : إن

دعاءك .

* * *

قال أبو جعفر : وكأنَّ الذين قرأوا ذلك على التوحيد ، رأوا أن قراءته بالتوحيد أصحُّ ، لأن في التوحيد من معنى الجمع وكثرة العدد ما ليس في قوله : « إن صلواتك سكن لهم » ، إذ كانت « الصلوات » ، هي جمع لما بين الثلاث إلى العشر من العدد ، دون ما هو أكثر من ذلك . والذي قالوا من ذلك ، عندنا كما قالوا ، وبالتوحيد عندنا القراءة لا لعللة ، لأن ذلك في العدد أكثر من « الصلوات » ،^(١) ولكن المقصود منه الخبر عن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم وصلواته أنه سكن لهؤلاء القوم ،^(٢) لا الخبر عن العدد . وإذا كان ذلك كذلك ، كان التوحيد في « الصلاة » ، أولى .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ

عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ أَتَوْابُ الرَّحِيمِ ﴾ (١٠٤)

قال أبو جعفر : وهذا خبرٌ من الله تعالى ذكره ، أخبر به المؤمنين به : أن قبول توبة من تاب من المنافقين ، وأخذ الصدقة من أموالهم إذا أعطوها ، ليسا إلى نبيِّ الله صلى الله عليه وسلم = وأن نبيَّ الله حين أبي أن يطلق من ربط نفسه بالسواري من المتخلفين عن الغزو معه ، وحين ترك قبول صدقتهم بعد أن أطلق الله عنهم حين أذن له في ذلك ، إنما فعل ذلك من أجل أن ذلك لم يكن إليه صلى الله عليه وسلم ، وأن ذلك إلى الله تعالى ذكره دون محمد ، وأن محمداً إنما يفعل ما يفعل من تركٍ وإطلاقٍ

(١) في المطبوعة : « وبالتوحيد عندنا القراءة لا لعللة أن ذلك في العدد . . . » ، غير ما في

المخطوطة ، وهو صواب محض .

(٢) في المطبوعة : « وصلاته » ، وأثبت ما في المخطوطة .

وأخذ صدقة وغير ذلك من أفعاله ، بأمر الله . فقال جل ثناؤه : ألم يعلم هؤلاء المتخلفون عن الجهاد مع المؤمنين ، الموثقون أنفسهم بالسوارى ، القاتلون : « لا نطابق أنفسنا حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يطلقنا » ، السائلو رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ صدقة أموالهم ، أن ذلك ليس إلى محمد ، وأن ذلك إلى الله ، وأن الله هو الذى يقبل توبة من تاب من عباده أو يردّها ، ويأخذ صدقة من تصدّق منهم أو يردّها عليه دون محمد ، فيوجهوها توبتهم وصدقتهم إلى الله ، ويقصدوا بذلك قصد وجهه دون محمد وغيره ، ويخلصوا التوبة له ، ويريدوه بصدقتهم ، ويعلموا أن الله هو التواب الرحيم ؟ = يقول : المراجع لعبيده إلى العفو عنهم إذا رجعوا إلى طاعته ، الرحيم بهم إذا هم أنابوا إلى رضاه من عقابه . (١)

* * *

وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما : —

١٧١٦٢ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : قال الآخرون = يعنى الذين لم يتوبوا من المتخلفين : هؤلاء ، يعنى الذين تابوا ، كانوا بالأمس معنا لا يكلمون ولا يجالسون ، فما لهم ؟ فقال الله : « إن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم » . (١)

١٧١٦٣ — حدثنا محمد بن المثني قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة قال ، أخبرنى رجل كان يأتى حماداً ولم يجلس إليه = قال شعبة : قال العوام بن حوشب : هو قتادة ، أو ابن قتادة ، رجل من محارب = قال : سمعت عبد الله بن السائب = وكان جاره = قال : سمعت عبد الله بن مسعود يقول : ما من عبد تصدق بصدقة إلا وقعت فى يد الله ، فيكون هو الذى يضعها فى يد السائل . وتلا هذه الآية : « وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات » . (٢)

(١) انظر تفسير « التوبة » ، « التواب » ، « الرحيم » ، فيما سلف من فهارس اللغة (توب) ، (رحم) .

(٢) الأثر : ١٧١٦٣ — « قتادة » ، أو « ابن قتادة » ، رجل من محارب . لم أجده هكذا .

١٧١٦٤ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا
الثوري ، عن عبد الله بن السائب ، عن عبد الله بن أبي قتادة المحاربي ، عن
عبد الله بن مسعود قال : ما تصدَّق رجلٌ بصدقةٍ إلا وقعت في يد الله قبل أن تقع
في يد السائل ، وهو يضعها في يد السائل . ثم قرأ : « ألم يعلموا أن الله هو يقبل
التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات » . (١)

١٧١٦٥ - حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا
سفيان ، عن عبد الله بن السائب ، عن عبد الله بن قتادة ، عن ابن مسعود ، بنحوه . (١)
١٧١٦٦ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن
عبد الله بن السائب ، عن عبد الله بن أبي قتادة ، قال قال عبد الله : إن الصدقة
تقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل . ثم قرأ هذه الآية : « هو يقبل التوبة
عن عباده ويأخذ الصدقات » . (١)

ولم أجد أحداً تكلم في أمره أو ذكره . وصريح هذا الإسناد يدل على أن « قتادة » أو « ابن قتادة »
المحاربي ، هذا ، هو الذي أخبر شعبة ، وهو الذي كان يأتي حماداً ، ولم يجلس إليه ، وأنه هو الذي
سمع من عبد الله بن السائب ، وكان جاره ، وأن « عبد الله بن السائب » هو الذي سمع من عبد الله
ابن مسعود . وهذا إشكال :

فإن « عبد الله بن السائب » ، هو « عبد الله بن السائب الكندي » ، روى عن أبيه ، وزادان
الكندي . وعبد الله بن معقل بن مقرن ، وعبد الله بن قتادة المحاربي (كما سيأتي في الآثار التالية) .
وروى عنه الأعمش ، وأبو إسحق الشيباني ، والعمام بن حوشب ، وسفيان الثوري . وهو ثقة ، مترجم
في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٧٥/٢/٢ ، ولم يذكروا له رواية عن ابن مسعود كما ترى ، بل ذكروا
روايته عن « عبد الله بن قتادة المحاربي » ، كما سيأتي في الآثار التالية .

فأنا أخشى أن يكون في إسناد هذا الخبر شيء ، بدلالة الآثار التي تليه ، وهي مستقيمة على
ما ذكر في كتب الرجال ، وأخشى أن يكون شعبة سمعه عن رجل كان يأتي حماداً ولم يجلس إليه ،
عن عبد الله بن السائب ، عن قتادة ، أو ابن قتادة ، رجل من محارب = ثم سمعه من العمام بن حوشب ،
عن عبد الله بن السائب ، عن قتادة ، أو ابن قتادة ، رجل من محارب = وأن يكون الناسخ قد أفسد
الإسناد . وانظر الكلام على « عبد الله بن أبي قتادة المحاربي » أو « عبد الله بن قتادة » في التعليق
على الآثار التالية .

(١) الآثار : ١٧١٦٤ - ١٧١٦٦ - « عبد الله بن السائب الكندي » ، مضى في التعليق
السالف .

١٧١٦٨ - حدثنا أبو كريب [قال، حدثنا وكيع] قال ، حدثنا عباد بن منصور ، عن القاسم : أنه سمع أبا هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه ، فيربّيها لأحدكم كما يربّي أحدكم مُهْرَدَ ، حتى إن اللقمة لتصيرُ مثلُ أُحُدٍ . وتصديق ذلك في كتاب الله : « وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات » ، ^(١) وَ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ﴾ ^(٢) ، [سورة البقرة : ٢٧٦] .

١٧١٦٩ - حدثنا سليمان بن عمر بن الأقطع الرقي قال ، حدثنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن عباد بن منصور ، عن القاسم ، عن أبي هريرة ، ولا أراد إلا قد رفعه قال : إن الله يقبل الصدقة = ثم ذكر نحوه . ^(٣)

وأما « عبد الله بن أبي قتادة الحاربي » ، فهو هكذا في جميعها ، إلا في رقم : ١٧١٦٥ ، فإنه في المخطوطة : « عبد الله بن قتادة » ، ولكن تآثر المطبوعة زاد « أبي » من عند نفسه .

وأما كتب التراجم ، فلم تذكر سوى « عبد الله بن قتادة الحاربي » ، ترجم له ابن أبي حاتم ١٤١/٢/٢ وقال : « روى عن عبد الله بن مسعود ، روى عنه عبد الله بن السائب ، سمعت أبي يقول ذلك » . وترجم له أيضاً الحافظ ابن حجر في تعجيل المنفعة : ٢٣٣ ، وقال : « عن ابن مسعود ، وعنه عبد الله بن السائب . وثقه ابن حبان » ، ثم قال : « كلام البخاري يدل على أنه لم يرو شيئاً مسنداً فإنه قال : روى عن ابن مسعود قوله في الصدقة ، قاله الثوري ، عن عبد الله بن السائب ، عنه » .

وأما « عبد الله بن أبي قتادة » ، فلم أجد ذكره هكذا إلا في تفسير أبي جعفر .

وهذا الخبر ذكره السيوطي في الدر المنثور ١ : ٢٧٥ ، ونسبه إلى عبد الرزاق ، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول ، وابن أبي حاتم ، والطبراني .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٣ : ١١١ ، وقال : « رواه الطبراني في الكبير ، وفيه : عبد الله بن قتادة الحاربي ، لم يضعفه أحد ، وبقيّة رجاله ثقات » .

(١) هكذا جاءت الآية في المخطوطة « وهو الذي يقبل التوبة » ، كما رواه أحمد في المسند أيضاً رقم : ١٠٠٩٠ ، بهذا الإسناد ، بمثل هذا الخطأ ، فإن التلاوة : « ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة . . . » ، وقد استظهر أخى السيد أحمد أنه خطأ قديم ، كما قال في التعليق على الخبر رقم : ٦٢٥٣ فيما سلف . وأما في المطبوعة ، فقد صححها الناشر « أن الله هو يقبل التوبة . . . » . وأثبت ما في المخطوطة ليعلم هذا الخطأ .

(٢) الأثر : ١٧١٦٨ - سلف هذا الخبر بهذا الإسناد برقم : ٦٢٥٣ ، وخرجه أخى السيد أحمد هناك .

(٣) الأثر : ١٧١٦٩ - سليمان بن عمر بن خالد الأقطع الرقي ، مضى برقم : ٦٢٥٤ . وكان في المطبوعة « الربى » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، وصواب قراءتها « الرقي » . مضى برقم : ٦٢٥٤ ، وخرجه أخى السيد أحمد فيما سلف .

١٧١٧٠ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن

١٦/١١ معمر ، عن أيوب ، عن القاسم بن محمد ، عن أبي هريرة قال : إن الله يقبل الصدقة إذا كانت من طيب ، ويأخذها بيمينه ، وإن الرجل يتصدق بمثل اللقمة ، فيربّيها الله له كما يربّي أحدكم فصيلة أو مهنه ، فتربو في كف الله = أو قال : في يد الله = حتى تكون مثل الجبل . (١)

١٧١٧١ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة

قوله : « ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات » ، ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : والذي نفس محمد بيده ، لا يتصدق رجل بصدقة فتقع في يد السائل ، حتى تقع في يد الله !

١٧١٧٢ - حدثني المشي قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني

معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : « وأن الله هو التواب الرحيم » ، يعني : إن استقاموا .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١٠٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « وقل » ، يا محمد ، لهؤلاء الذين اعترفوا لك بذنوبهم من المتخلفين عن الجهاد معك = « اعملوا » لله بما يرضيه ، من طاعته ، وأداء فرائضه = « فسيري الله عملكم ورسوله » ،

(١) الأثر : ١٧١٧٠ - مضى برقم : ٦٢٥٦ ، من طريق محمد بن عبد الملك ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، بنحوه . وخرجه أخى السيد أحمد هناك ، وأشار إلى رواية الطبري في هذا الموضع ، وصحح إسناده هذا .

يقول: فسيرى الله إن عملتم عملكم ، ويراه رسوله والمؤمنون ، في الدنيا = « وستردون » ، يوم القيامة ، إلى من يعلم سرائركم وعلائنيكم ، فلا يخفى عليه شيء من باطن أموركم وظواهرها ^(١) = « فينبئكم بما كنتم تعملون » ، يقول : فيخبركم بما كنتم تعملون ، ^(٢) وما منه خالصاً ، وما منه رياءً ، وما منه طاعةً ، وما منه لله معصية ، فيجازيكم على ذلك كله جزاءكم^٣ ، المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته .

* * *

١٧١٧٣ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » ، قال : هذا وعيد^(٣) .

* * *

- (١) انظر تفسير « عالم الغيب والشهادة » فيما سلف من فهارس اللغة (غيب) ، (شهد) .
 (٢) انظر تفسير « النبأ » فيما سلف من فهارس اللغة (نبأ) .
 (٣) عند هذا الموضع انتهى الجزء الحادى عشر من مخطوطنا ، وفي نهايته ما نصه :

« نجز المجلد الحادى عشر من كتاب البيان ،

بحمد الله وعونه وحسن توفيقه

يتلوه في الجزء الثانى عشر ، إن شاء الله تعالى :

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَأَخْرُوجُونَ الرُّجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ
 إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

وكان الفراغ من نسخه فى شهر شعبان المبارك سنة خمس عشرة وسبعمئة . غفر الله لمؤلفه ، ولصاحبه ، ولكاتبه ، ولجميع المسلمين .

آمين ، آمين ، آمين ، آمين ، آمين

ثم يتلوه الجزء الثانى عشر ، وأوله :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 رَبِّ يَسِّرْ »

القول في تأويل قوله ﴿وَأَخْرُؤْنَ مَرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ
وَأِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (١٠٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ومن هؤلاء المتخلفين عنكم حين شخصتم
لعدوكم ، أيها المؤمنون ، آخرون .

* * *

ورفع قوله : « آخرون » ، عطفاً على قوله : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا
عملاً صالحاً وآخر سيئاً » .

* * *

= « وآخرون مرجون » ، يعنى : مُرْجِئُونَ لأمر الله وقضائه .

* * *

يقال منه : « أَرْجَأْتُهُ أَرْجِئُهُ إِرْجَاءً ، وهو مُرْجِئٌ » ، بالهمز وترك الهمز ، وهما لغتان
معناهما واحد . وقد قرأت القراءة بهما جميعاً . (١)

* * *

وقيل : عني هؤلاء الآخرين ، نفرٌ ممن كان تخلف عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم في غزوة تبوك ، فندموا على ما فعلوا ، ولم يعتذروا إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم عنده مقدمه ، ولم يوثقوا أنفسهم بالسوارى ، فأرجأ الله أمرهم إلى
أن صحّت توبتهم ، فتاب عليهم وعفا عنهم .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧١٧٤ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ،

عن علي ، عن ابن عباس قال : وكان ثلاثة منهم = يعنى : من المتخلفين عن

غزوة تبوك = لم يوثقوا أنفسهم بالسوارى ، أرجئوا سببته ^(١) ، لا يدرون أيعذبون أو يتاب عليهم ، فأنزل الله : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ ، [سورة التوبة : ١١٧ ، ١١٨] .

١٧١٧٥ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية = يعنى قوله : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها » = أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من أموالهم = يعنى من أموال أبي لبابة وصاحبيه = فتصدق بها عنهم ، وبقي الثلاثة الذين خالفوا أبا لبابة ، ولم يوثقوا ، ولم يذكروا بشيء ، ولم ينزل عذرهم ، وضاعت عليهم الأرض بما رحبت ، وهم الذين قال الله : « وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم » . فجعل الناس يقولون : هلكوا ! إذ لم ينزل لهم عذر . وجعل آخرون يقولون : عسى الله أن يغفر لهم ! فصاروا ١٧/١١ مرجئين لأمر الله ، حتى نزلت : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ ﴾ ، الذين خرجوا معه إلى الشام = ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ﴾ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ، ثم قال : ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا ﴾ ، يعنى المرجئين لأمر الله ، نزلت عليهم التوبة ، فعلموا بها ، فقال : ﴿ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ .

١٧١٧٦ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا سويد بن عمرو ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن عكرمة : « وآخرون مرجون لأمر الله » ، قال : هم الثلاثة الذين خَلَفُوا .

١٧١٧٧ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا

(١) قوله : « سبته » ، أى برهة من الدهر .

عيسى ، عن ابن أبي نجيج ، عن مجاهد : « وآخرون مرجون لأمر الله » ، قال : هلال بن أمية ، ومرارة بن ربعي ، وكعب بن مالك ، من الأوس والخزرج .^(١)

١٧١٧٨ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيج ، عن مجاهد : « وآخرون مرجون لأمر الله » ، هلال بن أمية ، ومرارة بن ربعي ، وكعب بن مالك ، من الأوس والخزرج .^(١)

١٧١٧٩ - قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيج ، عن مجاهد ، مثله .

١٧١٨٠ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

١٧١٨١ - قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا جوير ، عن الضحاك ، مثله .

١٧١٨٢ - حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « وآخرون مرجون لأمر الله » ، هم الثلاثة الذين خلفوا عن التوبة = يريد : غير أبي لبابة وأصحابه = ولم ينزل الله عذرهم ، فضاقت عليهم الأرض بما رحبت . وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فرقتين : فرقة تقول : « هلكوا ! » ، حين لم ينزل الله فيهم ما أنزل في أبي لبابة وأصحابه .

(١) الأثر : ١٧١٧٧ - « مرارة بن ربعي » ، هكذا جاء في المخطوطة في هذا الخبر ، وفي الذي يليه . وصححه في المطبوعة : « مرارة بن الربيع » ثم جاء في رقم : ١٧١٨٣ في المخطوطة : « مرارة بن ربيعة » ، وكلاهما غير المشهور المعروف في كتب تراجم الصحابة ، والكتب الصحاح ، فهو فيها جسيماً « مرارة بن الربيع الأنصاري » ، من بني عمرو بن عوف .

وأما « مرارة بن ربعي بن على بن يزيد بن جشم » ، فلم يذكره غير ابن الكلبي ، وقال : « كان أحد البكائين » .

فأثبت ما في مخطوطة الطبري ، لاتفاق الاسم بذلك في مواضع ، وأخشى أن يكون في اسمه خلاف لم يقع إلى خبره . وانظر ما سيأتي رقم : ١٧٤٣٦ .

ثم انظر رقم : ١٧٤٣٣ ، وما بعده ، وفيها « ابن ربيعة » و « ابن الربيع » .

وتقول فرقة أخرى: «عسى الله أن يعفو عنهم!»، وكانوا مرجئين لأمر الله. ثم أنزل الله رحمته ومغفرته فقال: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ الآية، وأنزل: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا﴾ ، الآية .

١٧١٨٣ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وآخرون مرجون لأمر الله » ، قال : كنا نُحَدِّثُ أَنَّهُمُ الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ خُلِفُوا : كعب بن مالك ، وهلال بن أمية ، ومرارة بن ربيعة ، رهط من الأنصار . (١)

١٧١٨٤ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « وآخرون مرجون لأمر الله » ، قال : هم الثلاثة الذين خُلِفُوا .

١٧١٨٥ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم » ، وهم الثلاثة الذين خلفوا ، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم ، حتى أتتهم توبتهم من الله . (٢)

* * *

وأما قوله : « إما يعذبهم » ، فإنه يعنى : إما أن يحجزهم الله عن التوبة بخذلانه ، فيعذبهم بذنوبهم التي ماتوا عليها في الآخرة = « وإما يتوب عليهم » ، يقول : وإما يوقفهم للتوبة فيتوبوا من ذنوبهم ، فيغفر لهم = « والله عليم حكيم » ، يقول : والله ذو علم بأمرهم وما هم صائرون إليه من التوبة والمقام على الذنب = « حكيم » ، في تدبيرهم وتدبير من سواهم من خلقه ، لا يدخل حكمه خذلان . (٣)

* * *

(١) الأثر : ١٧١٨٣ - « مرارة بن ربيعة » ، المعروف « مرارة بن الربيع » ، ولكن هكذا جاء في المخطوطة ، وصححه الناشر في المطبوعة . وانظر رقم : ١٧١٧٧

(٢) الأثر : ١٧١٨٥ - سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٨ ، ١٩٩ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٧١٣٥ .

(٣) انظر تفسير « عليم » و « حكيم » فيما سلف من فهارس اللغة (علم) و (حكم) .

القول في تأويل قوله ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا
وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِزْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ
وَلِيُخَلِّفُنَّ إِنَّ أَرْضَنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (١٠٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : والذين ابتنوا مسجداً ضراراً ، وهم ، فيما
ذكر ، اثنا عشر نفساً من الأنصار .
* ذكر من قال ذلك :

١٧١٨٦ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن
الزهرى ، ١٨/١١ ويزيد بن رومان ، وعبد الله بن أبي بكر ، وعاصم بن عمر بن قتادة
وغيرهم قالوا : أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم = يعنى : من تبوك = حتى نزل
بذى أوان = بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار . وكان أصحاب مسجد الضرار
قد كانوا أتوه وهو يتجهز إلى تبوك ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا قد بنينا مسجداً لذى
العلّة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية ، وإنا نحب أن تأتينا فتصلى لنا فيه ! فقال :
إنى على جناح سفر وحال شغلٍ = أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم = واو
قَدْ قَدِمْنَا أَتَيْنَاكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَصَلَّيْنَا لَكُمْ فِيهِ . فلما نزل بذى أوان ، أتاه خبر المسجد ،
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم ، أخا بنى سالم بن عوف ، ومعن
ابن عدى = أو أخاه : عاصم بن عدى = أخا بنى العجلان فقال : انطلقا إلى هذا
المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرقاه ! فخرجا سريعين حتى أتيا بنى سالم بن عوف ،
وهم رهط مالك بن الدخشم ، فقال مالك لمعن : أنظرنى حتى أخرج إليك بنارٍ من
أهلى ! فدخل [إلى] أهله ، أخذ سعفاً من النخل ، فأشعل فيه ناراً ، ثم خرجا يشندان
حتى دخلا المسجد وفيه أهله ، فحرقاه وهدماه ، وتفرقوا عنه . ونزل فيهم من القرآن
ما نزل : « وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا » إلى آخر القصة . وكان الذين بنوه

اثنى عشر رجلاً: خِذَام بن خالد، من بنى عبيد بن زيد ، ^(١) أحد بنى عمرو ابن عوف ، ومن داره أخرج مسجد الشقاق = وثلثة بن حاطب ، من بنى عبيد ، وهو إلى بنى أمية بن زيد = ومعتب بن قشير ، من بنى ضبيعة بن زيد = وأبو حبيبة ابن الأزعر ، من بنى ضبيعة بن زيد = وعباد بن حنيفة ، أخو سهل بن حنيف ، من بنى عمرو بن عوف = وجارية بن عامر ، وابناه : مجمع بن جارية ، وزيد ابن جارية ، ونبئل بن الحارث ، وهم من بنى ضبيعة = وبَحْرَج ، ^(٢) وهو إلى بنى ضبيعة = ويجاد بن عثمان ، وهو من بنى ضبيعة = ووديعه بن ثابت ، وهو إلى بنى أمية ، رهط أبي لبابة بن عبد المنذر . ^(٣)

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام : والذين ابتنوا مسجداً ضراراً لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكفراً بالله لمخادتهم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويفرقوا به المؤمنين ، ليصلى فيه بعضهم دون مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعضهم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيختلفوا بسبب ذلك ويفرقوا = « وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل » ، يقول : وإعداداً له لأبى عامر الكافر ، الذى خالف الله ورسوله ، وكفر بهما ، وقاتل رسول الله = « من قبل » ، يعنى من قبل بنائهم ذلك المسجد . وذلك أن أبا عامر هو الذى كان حزّب الأحزاب = يعنى : حزّب الأحزاب لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم = فلما خذله الله ، لحق بالروم يطلب النصّر من ملكهم على نبي الله ، وكتب إلى أهل مسجد الضرار ^(٤) يأمرهم ببناء المسجد الذى كانوا بنوه ، فيما ذكر عنه ، ليصلى فيه ، فيما يزعم ، إذا

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « خذام بن خالد بن عبيد » ، وأثبت ما فى سيرة ابن هشام .

(٢) فى المطبوعة : « وبخنج » ، والصواب ما فى المخطوطة وسيرة ابن هشام .

(٣) الأثر : ١٧١٨٦ - سيرة ابن هشام ٤ : ١٧٣ ، ١٧٤ .

(٤) انظر تفسير « الضرار » فيما سلف ٥ : ٧ ، ٨ ، ٤٦ ، ٦/٥٣ : ٨٥ - ٩١ .

رجع إليهم . ففعلوا ذلك . وهذا معنى قول الله جل ثناؤه : « وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل » .

= « وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى » ، يقول جل ثناؤه : وليحلفن بانوه : « إن أردنا إلا الحسنى » ، بينائناه ، إلا الرفق بالمسلمين ، والمنفعة والتوسعة على أهل الضعف والعلّة ومن عجز عن المصير إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة فيه ، ^(١) وتلك هي الفعلّة الحسنة = « والله يشهد إنهم لكاذبون » ، في حلفهم ذلك ، وقيلهم : « ما بيننا وإلاّ ونحن نريد الحسنى ! » ، ولكنهم بنوه يريدون بينائنا السوّاى ، ضراراً لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكفراً بالله ، وتفريقاً بين المؤمنين ، وإرصاداً لأبى عامر الفاسق .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٩/١١ ١٧١٨٧ - حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن ابن عباس قوله : « والذين اتخذوا مسجداً ضراراً » ، وهم أناس من الأنصار ابتنوا مسجداً ، فقال لهم أبوا عامر : ابنوا مسجدكم ، واستعدّوا بما استطعتم من قوةٍ ومن سلاح ، فإنى ذاهب إلى قيصر ملك الروم ، فأتى بجند من الروم ، فأخرج محمداً وأصحابه ! فلما فرغوا من مسجدهم ، أتوا النبي عليه والصلاة السلام فقالوا : قد فرغنا من بناء مسجدنا ، فنحبُّ أن تصلى فيه ، وتدعو لنا بالبركة ! فأنزل الله فيه : ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدَى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ .

١٧١٨٨ - حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « والذين اتخذوا مسجداً

(١) فى المطبوعة : « ومن عجز عن المسير » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب .

ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين » ، قال : لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد قباء ، خرج رجال من الأنصار ، منهم : بجزج ، ^(١) جدُّ عبد الله بن حنيف ، ^(٢) ووديعة بن حزام ، وجمع بن جارية الأنصارى ، فبنوا مسجد النفاق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبجزج ^(٣) : ويلك ! ما أردت إلى ما أرى ! فقال : يا رسول الله ، والله ما أردت إلا الحسنى ! وهو كاذب ، فصدقه رسول الله ، وأراد أن يعذره ، فأنزل الله : « والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله » ، يعنى رجلاً منهم يقال له « أبو عامر » كان محارباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان قد انطلق إلى هرقل ، فكانوا يرصدون [إذا قدم] أبو عامر أن يصلى فيه ، ^(٤) وكان قد خرج من المدينة محارباً لله ولرسوله = « وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون » .

١٧١٨٩ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن

ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل » ،

(١) في المطبوعة : « بخدج » ، وأثبت ما في سيرة ابن هشام ٤ : ١٧٤ ، كما سلف في رقم : ١٧١٨٦ . ورأيت بعد في الخبر : ٤٧ : « بخدج » ولم أتمكن من تصحيحه . ثم انظر جمهرة الأنساب لابن حزم : ٣١٦ في نسب « سهل بن حنيف » ، و « عثمان بن حنيف » ، و « عباد ابن حنيف » . وانظر التعليق التالى .

(٢) ما أدرى قوله : « جد عبد الله بن حنيف » ، ولست أدرى أهو من كلام ابن عباس أو من كلام غيره ، وإن كنت أرجح أنه من كلام غيره ، لأنى لم أجده في الصحابة ولا التابعين « عبد الله ابن حنيف » ، وجده « بجزج » . والمذكور في المتأفقين الذين بنوا مسجد الضرار : « عباد بن حنيف » ، أخو « سهل بن حنيف » . فأخشى أن يكون سقط من الخبر شيء ، فاختلط الكلام . وفي نسب « سهل بن حنيف » « عمرو » ، وهو بجزج ، بن حنش بن عوف بن عمرو . (انظر ابن سعد ٣/ ٣٩٢ ، ثم : ٥ : ٥٩) ، وجمهرة الأنساب لابن حزم : ٣١٦ ، ولكن هذا قديم جداً في الجاهلية ، وهو بلا شك غير « بجزج » ، الذى كان من أمره ما كان في مسجد الضرار . فهذا الذى هنا يحتاج إلى فضل تحقيق ، لم أتمكن من بلوغه .

(٣) في المطبوعة : « لبخدج » ، وانظر التعليقات السالفة .

(٤) في المطبوعة ، ساق الكلام سيافاً واحداً هكذا : « وكانوا يرصدون أبا عامر أن يصلى فيه » ، وفي المخطوطة : « وكانوا يرصدون أبو عامر أن يصلى فيه » ، وبين الكلامين بياض ، وفي الهامش حرف (ط) دلالة على الخطأ ، وأثبت ما بين القوسين من الدر المنتثور ١ : ٢٧٦ ، وروى الخبر من طريق ابن مردويه ، وابن أبي حاتم . وهذا الذى أثبتته يطابق في معناه ما سيقى في الآثار التالية .

قال : أبو عامر الراهب ، انطلق إلى قيصر ، فقالوا : « إذا جاء يصلى فيه » ، كانوا يرون أنه سيظهر على محمد صلى الله عليه .

١٧١٩٠ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً » ، قال : المنافقون = « لمن حارب الله ورسوله » ، لأبي عامر الراهب .

١٧١٩١ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٧١٩٢ - قال ، حدثنا أبو إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين » ، قال : نزلت في المنافقين = وقوله : « وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل » ، قال : هو أبو عامر الراهب .

١٧١٩٣ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

١٧١٩٤ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا سويد بن عمرو ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبیر : « والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً » ، قال : هم بنو غنم بن عوف .

١٧١٩٥ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبیر : « والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً » ، قال : هم حتى يقال لهم : « بنو غنم » .

١٧١٩٦ - حدثنا الحسن بن يحيى قال : أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبیر في قوله : « والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً » ، قال : هم حتى يقال لهم : « بنو غنم » = قال أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت : « وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله » ،

أبو عامر الراهب ، انطلق إلى الشام ، فقال الذين بنوا مسجد الضرار : إنما بيننا ليصلي فيه أبو عامر .

١٧١٩٧ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « والذين اتخذوا مسجداً ضراراً » ، الآية ، عمد ناسٌ من أهل النفاق ، فابتنوا مسجداً بقباء ، ليضاهوا به مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم بعثوا إلى رسول الله ليصلي فيه . ذكر لنا أنه دعا بقميصه ليأتيهم ، حتى أطلعه على ذلك = وأما قوله : « وإرساداً لمن حارب الله ورسوله » ، فإنه كان رجلاً يقال له : « أبو عامر » ، فرّ من المسلمين فلحق بالمشركين ، فقتلوه بإسلامه . (١) قال : إذا جاء صلى فيه ، فأنزل الله : « لا تقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوي » ، الآية .

١٧١٩٨ - حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد قال ، سمعت الضحاک يقول في قوله : « والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً » ، هم ناس من المنافقين ، بنوا مسجداً بقباء يضارون به نبي الله والمسلمين = « وإرساداً لمن حارب الله ورسوله » ، كانوا يقولون : إذا رجع أبو عامر من عند قيصر من الروم صلى فيه ! وكانوا يقولون : إذا قدم ظهر على نبي الله صلى الله عليه وسلم .

١٧١٩٩ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد في قوله : « والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرساداً لمن حارب الله ورسوله من قبل » ، قال : مسجد بقاء ، كانوا يصلون فيه كلهم . وكان رجل من رؤساء المنافقين يقال له : « أبو عامر » ، أبو : « حنظلة غسيل الملائكة » ،

(١) قوله : « فقتلوه بإسلامه » ، كلام صحيح ، وإن ظن بعضهم أنه لا يستقيم ، وذلك أن أبا عامر الراهب ، لما خرج إلى الروم مات هناك سنة تسع أو عشر . (الإصابة في ترمجة ولده : حنظلة غسيل الملائكة بن أبي عامر) . فكانه يقال أيضاً أن الروم قتلته بإسلامه ، كما جاء في هذا الخبر . وأما قوله : « قال : إذا أنباء صلى فيه » ، فهو من كلام قتادة . وأنظر الأخبار التالية ، فإنه يقال إنه تمصر .

و « صيفي » ، [واحق] . ^(١) وكان هؤلاء الثلاثة من خيار المسلمين ، فخرج أبو عامر هارباً هو وابن عبد ياليل ، من ثقيف ، ^(٢) وعلقمة بن علاثة ، من قيس ، من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لحقوا بصاحب الروم . فأما علقمة وابن عبد ياليل ، ^(٣) فرجعا فبايعا النبي صلى الله عليه وسلم وأسلما . وأما أبو عامر ، فتنصر وأقام . قال : وبني ناس^١ من المنافقين مسجد الضرار لأبي عامر ، قالوا : « حتى يأتي أبو عامر يصلي فيه » ، وتفرقاً بين المؤمنين ، يفرقون به جماعتهم ، ^(٤) لأنهم كانوا يصلون جميعاً في مسجد قباء . وجاءوا يخدعون النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله ، ربما جاء السيل^٢ ، فقطع بيننا وبين الوادي ، ^(٥) ويحول بيننا وبين القوم ، ونصلي في مسجدنا ، ^(٦) فإذا ذهب السيل صلينا معهم ! قال : وبه على النفاق . قال : وانهار مسجدهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) في المطبوعة : « وأخيه » ، والذي في المخطوطة كما أثبتته غير مقروء قراءة ترتضى . ويمكن أن تكون « وأخوه » ، ولكنه عندئذ خطأ ، صوابه أن يكون « أخيه » ، كما أثبتته ناشر المطبوعة . بيد أن السياق يدل على أن ما بين القوسين اسم ثالث ، هو اسم أخى حنظلة ، وصيفي ، ولم أستطع أن أجد خبر ذلك .

وأما « صيفي » ، فقد ذكره ابن حجر في الإصابة في ترجمة « صيفي » ، وأنه كان من شهد أحداً ، ونسب ذلك إلى ابن سعد والطبراني ، ولم أجده في المطبوع من طبقات ابن سعد .

(٢) الذي جاء في المخطوطة والمطبوعة : « ابن بالين » ، وإن كان في المخطوطة غير منقوط . وهو خطأ لاشك فيه عندى ، وأن صوابه : « وابن عبد ياليل » كما أثبتته . فإن ابن عبد البر في الاستيعاب : ١٠٥ ، في ترجمة « حنظلة الغسيل » ، ذكر أن أبا عامر الفاسق لما فتحت مكة ، لحق بهرقل هارباً إلى الروم ، فات كافراً عند هرقل ، وكان معه هناك « كنانة بن عبد ياليل » و « علقمة بن علاثة » ، فاختصما في ميراثه إلى هرقل ، فدفعه إلى كنانة بن عبد ياليل ، وقال لعلقمة : هما من أهل المدر ، وأنت من أهل الوبر .

و « كنانة بن عبد ياليل الثقفي » ، ترجم له ابن حجر في القسم الرابع ، وذكره ابن سلام الجعفي ، في طبقات فحول الشعراء ص : ٢١٧ ، في شعراء الطائف ، ولم يورد له خبراً بعد ذكره . (٣) في المطبوعة والمخطوطة : « وابن بالين » ، وفي المخطوطة غير منقوطة . انظر التعليق السالف .

(٤) في المطبوعة : « بين جماعتهم » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٥) في المطبوعة : « يقطع » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٦) في المطبوعة : « فنصل » ، وأثبت ما في المخطوطة .

قال: وألقى الناس عليه الثَّيْبَ والقُصَامَةَ، ^(١) فَأَنْزَلَ اللَّهُ: «وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضُرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ»، لثَلَا يَصِلُ فِي مَسْجِدِ قِبَاءِ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ = «وإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلِ أَبِي عَامِرٍ = «وَلِيَحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحَسَنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ لَهُمْ لَكَاذِبُونَ» .

١٧٢٠٠ - حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ قَالَ، حَدَّثَنَا هَرُونَ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ لَيْثٍ: أَنَّ شَقِيقًا لَمْ يَدْرِكِ الصَّلَاةَ فِي مَسْجِدِ بَنِي عَامِرٍ، فَقِيلَ لَهُ: مَسْجِدُ بَنِي فَلَانٍ لَمْ يَصَلُّوا بَعْدُ! فَقَالَ: لَا أَحِبُّ أَنْ أَصِلِيَ فِيهِ ، فَإِنَّهُ بُنِيَ عَلَى ضُرَارٍ ، وَكُلُّ مَسْجِدٍ بُنِيَ ضُرَارًا أَوْ رِيَاءً أَوْ سَمْعَةً ، فَإِنْ أَصْلَهُ يَنْتَهَى إِلَى الْمَسْجِدِ الَّذِي بُنِيَ عَلَى ضُرَارٍ .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : لا تقم ، يا محمد ، في المسجد الذي بناه هؤلاء المنافقون ، ضُرَارًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ . ثُمَّ أَقْسَمَ جَلِ ثَنَاؤُهُ ، فَقَالَ : «لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ» ، أَنْتَ = «فِيهِ» .

* * *

يعنى بقوله : « أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى » ، ابْتَدِءَ أَساسَهُ وَأَصْلَهُ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ = « مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ » ، ابْتَدِءَ فِي بِنَائِهِ = « أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ » ، يقول : أَوَّلَى أَنْ تَقُومَ فِيهِ مُصَلِّيًا .

* * *

(١) في المطبوعة : « الثَّنِ وَالْقَامَةُ » والصواب ما في المخطوطة . و « الثَّنِ » عَصِيفَةُ الزَّرْعِ ، فَهُوَ الَّذِي يَلْقَى . وَأَمَّا « الثَّنِ » فَالرائحة الكريهة ، فَكَأَنَّهُ ظَنُّ أَنْ « الثَّنِ » مَجَازٌ لِمَعْنَى « الْأَقْدَارِ » ، لَثَنَ رَانِحَتَهَا ! وَهُوَ بَاطِلٌ .

وقيل معنى قوله : « من أول يوم » ، مبدأ أول يوم كما تقول العرب : « لم أره من يوم كذا » ، بمعنى : مبدؤه = و « من أول يوم » ، يراد به : من أول الأيام ، كقول القائل : « لقيت كلَّ رجل » ، بمعنى كل الرجال .

* * *

واختلف أهل التأويل في المسجد الذي عناه بقوله : « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم » .

فقال بعضهم : هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي فيه منبره وقبره اليوم .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٢٠١ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن إبراهيم بن طهمان ، عن عثمان بن عبيد الله قال : أرسلني محمد بن أبي هريرة إلى ابن عمر ، أسأله عن المسجد الذي أسس على التقوى ، أى مسجد هو ؟ مسجد المدينة ، أو مسجد قباء ؟ قال : لا ، مسجد المدينة . (١)

١٧٢٠٢ - قال ، حدثنا القاسم بن عمرو العنقزي ، عن الدراوردي ، عن عثمان بن عبيد الله ، عن ابن عمر ، وزيد بن ثابت ، وأبي سعيد قالوا : المسجد الذي أسس على التقوى ، مسجد الرسول . (٢)

(١) الأثر : ١٧٢٠١ - « إبراهيم بن طهمان الخراساني » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى رقم : ٣٧٢٦ ، ٣٧٢٧ ، ٤٩٣١ .
و « عثمان بن عبيد الله بن أبي رافع » ، مولى سعيد بن العاص . رأى أبا هريرة ، وأبا قتادة ، وابن عمر ، وأبا أسيد ، يصفرون لحاهم . مترجم في ابن أبي حاتم ١٥٦/١/٣ . وسيأتي في الأثرين التاليين رقم : ١٧٢٠٢ ، ١٧٢٠٣ .
وأما قوله : « أرسلني محمد بن أبي هريرة » ، فإني أرتاب فيه كل الارتياب ، وأرجح أنه : « محرر بن أبي هريرة » ، ولم أجد لأبي هريرة ولد يقال له « محمد » ، بل ولده هم « المحرر بن هريرة » ، و « عبد الرحمن بن أبي هريرة » ، و « بلال بن أبي هريرة » . ومضى « المحرر بن أبي هريرة » رقم : ٢٨٦٣ ، ١٦٣٦٨ - ١٦٣٧٠ .

(٢) الأثر : ١٧٢٠٢ - « القاسم بن عمرو بن محمد العنقزي » ، مولى قریش ، سمع أباه . مترجم في الكبير ١٧٢/١/٤ ، وابن أبي حاتم ١١٥/٢/٣ ، ولم يذكر في جرحاً .

١٧٢٠٣ — قال ، حدثنا أبي ، عن ربيعة بن عثمان ، عن عثمان بن عبيد الله بن أبي رافع قال : سألت ابن عمر عن المسجد الذي أسس على التقوى ، قال : هو مسجد الرسول .^(١)

١٧٢٠٤ — قال ، حدثنا ابن عيينة ، عن أبي الزناد ، عن خارجة ابن زيد ، عن زيد قال : هو مسجد النبي صلى الله عليه وسلم .

١٧٢٠٥ — قال ، حدثنا أبي ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن ذكوان ، عن أبيه ، عن خارجة بن زيد ، عن زيد قال : هو مسجد الرسول .

١٧٢٠٦ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا حميد الخراط المدني قال : سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن قال : مر بي عبد الرحمن ابن أبي سعيد فقلت : كيف سمعت أباك يقول في المسجد الذي أسس على التقوى ؟ فقال لي : [قال أبي]^(٢) : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخلت عليه في بيت بعض نسائه ، فقلت : يا رسول الله ، أيُّ مسجدٍ الذي أسس على التقوى ؟ قال : فأخذ كفّاً من حصباء فضرب به الأرض ، ثم قال : هو مسجدكم هذا ! = [فقلت] :^(٣) هكذا سمعت أباك يذكر .^(٤)

« الدراوردی » ، هو « عبد العزيز بن محمد بن عبيد الدراوردی » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ١٠٦٧٦ ، ١٥٧١٤ .

و « عثمان بن عبيد الله بن أبي رافع » ، مضى في الأثر السالف .

(١) الأثر : ١٧٢٠٣ — « ربيعة بن عثمان بن ربيعة التيمي » ، ثقة . مترجم في التهذيب ، والكبير ١/٢٢٤ ، وابن أبي حاتم ١/٢٧٦ .

و « عثمان بن عبيد الله بن أبي رافع » ، مضى في الأثرين السالفين .

(٢) هذه الزيادة بين القوسين لابه منها ، استظهرتها من لفظ حديث مسلم . ولو قلت : « قال قال أبي » ، لكان مطابقاً لما في المسند .

(٣) في المخطوطة : « ثم هكذا سمعت أباك يذكر » ، وفي المطبوعة حذف « ثم » وجعل « يذكر » ، « يذكره » . فزدت ما بين القوسين إتماماً للسياق . ونص روايته مسلم : « قال فقلت : أشهد أني سمعت أباك هكذا يذكره » .

(٤) الأثر : ١٧٢٠٦ — رواه مسلم في صحيحه ٩ : ١٦٨ ، ١٦٩ من هذه الطريق نفسها ، مع اختلاف يسير في بعض لفظه .

ورواه أحمد في مسنده ٣ : ٢٤ ، من هذه الطريق ، نفسها مع خلاف في بعض لفظه .

١٧٢٠٧ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن أسامة بن زيد ، عن عبد الرحمن بن أبي سعيد ، عن أبيه قال : المسجد الذي أسس على التقوى ، هو مسجدُ النبيِّ الأعظم .

١٧٢٠٨ - حدثنا حميد بن مسعدة قال ، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا داود ، عن سعيد بن المسيب قال : إن المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم ، وهو مسجد المدينة الأكبر .

١٧٢٠٩ - حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا ابن أبي عدي ، عن داود قال ، قال سعيد بن المسيب ، فذكر مثله = إلا أنه قال : الأعظم .

١٧٢١٠ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يحيى بن سعيد القطان ، عن ابن حرملة ، عن سعيد بن المسيب قال : هو مسجد النبي صلى الله عليه وسلم .

١٧٢١١ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن أبي الزناد ، عن خارجة بن زيد = قال : أحسبه عن أبيه = قال : مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، الذي أسس على التقوى .

* * *

وقال آخرون : بل غنى بذلك مسجد قباء .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٢١٢ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم » ، يعني مسجد قباء .

١٧٢١٣ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، نحوه .

١٧٢١٤ - حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا فضيل ابن مرزوق ، عن عطية : « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم » ، هو مسجد قباء .

١٧٢١٥ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو أسامة ، عن صالح بن حيان ، عن ابن بريدة قال : مسجد قباء ، الذى أسس على التقوى ، بناه نبي الله صلى الله عليه وسلم .^(١)

١٧٢١٦ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : المسجد الذى أسس على التقوى ، مسجد قباء .

١٧٢١٧ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن عروة بن الزبير : الذين بُنى فيهم المسجد الذى أسس على التقوى ، بنو عمرو بن عوف .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب ، قول من قال : هو مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، لصحة الخبر بذلك عن رسول الله .^(٢)
* ذكر الرواية بذلك .

١٧٢١٨ - حدثنا أبو كريب وابن وكيع = قال أبو كريب : حدثنا وكيع = وقال ابن وكيع : حدثنا أبى = عن ربيعة بن عثمان التيمى ، عن عمران بن أبى أنس ، رجل من الأنصار ، عن سهل بن سعد قال : اختلف رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد الذى أسس على التقوى ، فقال أحدهما : هو مسجد النبىء ! وقال الآخر : هو مسجد قباء ! فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه ، فقال : هو مسجدى هذا = اللفظ للحديث أبى كريب ، وحديث سفيان نحوه .^(٣)

(١) الأثر : ١٧٢١٥ - «صالح بن حيان القرشى» ، ضعيف الحديث ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/٢٧٦ ، وابن أبى حاتم ١/٣٩٨ ، وميزان الاعتدال ١ : ٤٥٥ . «ابن بريدة» ، هو «عبد الله بن بريدة بن الحصيب الأسلمى» ، ثقة ، مضى برقم : ١٢٥٢٣ .

(٢) يعنى الخبر الذى رواه أحمد ومسلم وأبو جعفر آتفاً برقم : ١٧٢٠٦ ، وما سيقى من الأخبار .

(٣) الأثر : ١٧٢١٨ - «ربيعة بن عثمان التيمى» ، ثقة ، مضى برقم : ١٧٢٠٣ .

١٧٢١٩ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو نعيم ، عن عبد الله بن عامر الأسلمي ، عن عمران بن أبي أنس ، عن سهل بن سعد ، عن أبي بن كعب : أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى فقال : مسجدي هذا . (١)

١٧٢٢٠ - حدثني يونس قال : أخبرني ابن وهب قال ، حدثني الليث ، عن عمران بن أبي أنس ، عن ابن أبي سعيد ، عن أبيه ، قال : تمارى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم ، فقال رجل : هو مسجد قباء ! وقال آخر : هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فقال رسول الله : هو مسجدي هذا . (٢)

١٧٢٢١ - حدثني بحر بن نصر الحولاني قال ، قرئ على شعيب بن الليث ،

و «عمران بن أبي أنس العامري المصري» ثقة . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٢٩٤/٣ . وأما قول أبي جعفر «رجل من الأنصار» ، فظني أن ذلك لأنه يقال إنه مولد «أبي خراش السلمي» ، قال ابن سعد : «كانوا يزعمون أنهم من بني عامر بن لؤي ، والناس يقولون إنهم موالى ، ثم انتموا بعد ذلك إلى اليمن» .

ولم أجدهم ذكروا له سماعاً من سهل بن سعد الأنصاري ، وهو خليف أن يروى عنه ، لأن سهل ابن سعد مات سنة ٨٨ ، وعمران مات سنة ١١٧ .

و «سهل بن سعد بن مالك الساعدي الأنصاري» ، له ولأبيه صحبة ، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن أبي بن كعب ، وعاصم بن عدي ، وعمر بن عتبة ، ومروان بن الحكم ، وهو دونه .

وهذا الخبر تفرد به أحمد من هذه الطريق نفسها ، في مسنده ٥ : ٣٣١ ، ثم رواه في ص : ٣٣٥ ، من طريق عبد الله بن عامر ، عن عمران بن أبي أنس ، عن سهل بن سعد ، وانظر الخبر التالي .

وخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ٣٤ ، وقال : «رواه أحمد والطبراني باختصار ، ورجالها رجال الصحيح» .

(١) الأثر : ١٧٢١٩ - «عبد الله بن عامر الأسلمي» ، ضعيف ، ذاهب الحديث ، مضى برقم : ١٥٥٨٦ .

وهذا الخبر رواه أحمد في مسنده ٥ : ١١٧ ، من طريق أبي نعيم ، عن عبد الله بن عامر الأسلمي ، ومن طريق عبد الله بن الحارث الأسلمي ، عن عبد الله بن عامر . وهذا إسناد ضعيف ، لضعف «عبد الله بن عامر الأسلمي» .

(٢) الأثر : ١٧٢٢٠ - هذا حديث صحيح ، رواه الترمذي في كتاب التفسير ، ورواه

عن أبيه ، عن عمران بن أبي أنس ، عن سعيد بن أبي سعيد الخدرى قال : تمارى رجلاً ، فذكر مثله . (١)

١٧٢٢٢ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثني سَحْبَل ابن محمد بن أبي يحيى قال ، سمعت عمى أنيس بن أبي يحيى يحدث ، عن أبيه ، عن أبي سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المسجد الذى أسس على التقوى ، مسجدى هذا ، وفى كل خير . (٢)

١٧٢٢٣ - حدثني المثنى قال ، حدثني الحماني قال ، حدثنا عبد العزيز ، عن أنيس ، عن أبيه ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه . (٣)

١٧٢٢٤ - حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا صفوان بن عيسى قال ، أخبرنا أنيس بن أبي يحيى ، عن أبيه ، عن أبي سعيد : أن رجلاً من بني خُدْرة

أحمد فى مسنده ٣ : ٨ ، ٨٩ ، وقال الترمذى : « هذا حديث حسن صحيح . وقد روى هذا عن أبي سعيد من غير هذا الوجه ، رواه أنيس بن أبي يحيى ، عن أبيه ، عن أبي سعيد » ، وهو ما سيرويه ، أبو جعفر من رقم : ١٧٢٢٢ - ١٧٢٢٤ .

(٤) الأثر : ١٧٢٢١ - « بحر بن نصر بن سابق الخولاني » ، شيخ أبي جعفر ، مضى برقم : ١٠٥٨٨ ، ١٠٦٤٧ .

وهذا الخبر ، ذكره ابن كثير فى تفسيره ٤ : ٢٤٣ ، من مسند أحمد قال : « حدثنا موسى بن داود قال ، حدثنا ليث ، عن عمران بن أبي أنس ، عن سعيد بن أبي سعيد قال : تمارى رجلاً » . ولم أستطع أن أستخرجه من المسند فى ساعى هذه ، وقال ابن كثير : « تفرد به أحمد » .

(٢) الأثر : ١٧٢٢٢ - « سَحْبَل بن محمد بن أبي يحيى سمعان الأسلمى » ، هو « عبد الله ابن محمد بن أبي يحيى » ، وقد ينسب إلى جده . ثقة . مترجم فى التهذيب ، وابن أبي حاتم ١٥٦/٢/٢ . وفى بعض الكتب غير مضبوط « سَحْبَل » بالياء ، وضبطه فى التقريب بفتح السين المهملة ، وسكون الحاء ، بعدها موحدة . وكان فى المطبوعة : « سَحْل » ، والصواب ما فى المخطوطة .

و « أنيس بن أبي يحيى سمعان الأسلمى » ، ثقة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤٣/٢/١ ، وابن أبي حاتم ٣٣٤/١/١ .

وأبوه « سمعان » ، « أبو يحيى ، الأسلمى » ، تابعى ثقة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢٠٥/٢/٢ ، وابن أبي حاتم ٣١٦/١/٢ .

وهذا الخبر رواه أحمد فى مسنده ٣ : ٢٣ من طريق : يحيى ، عن أنيس بن أبي يحيى ، بنحوه . ثم رواه أيضاً ٣ : ٩١ من طريق صفوان ، عن أنيس ، بنحوه (رواه أبو جعفر برقم : ١٧٢٢٤) . وإسناده صحيح . وسيأتى من طرق أخرى بعده .

(٣) الأثر : ١٧٢٢٣ - مكرر الذى قبله .

ورجلًا من بني عمرو بن عوف ، امتريا في المسجد الذي أسس على التقوى ، فقال الخدرى : هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال العوفى : هو مسجد قباء . فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم وسألاه فقال : هو مسجدى هذا ، وفى كل خير^(١).

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (١٠٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فى حاضرى المسجد الذى أسس على التقوى من أول يوم ، رجال يحبون أن ينظفوا مقاعدهم بالماء إذا أتوا الغائط ، والله يحب المتطهرين بالماء .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٢٢٥ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا أبو داود قال ، حدثنا همام ابن يحيى ، عن قتادة ، عن شهر بن حوشب قال : لما نزل : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا » ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الطهور الذى أثنى الله عليكم ؟ قالوا : يا رسول الله ، نغسل أثر الغائط . (٢)

(١) الأثر : ١٧٢٢٤ — رواه أحمد فى مسنده ، كما أشرت إليه فى التعليق على رقم : ١٧٢٢٢ و « صفوان بن عيسى الزهرى » ، من شيوخ أحمد ، ثقة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٣١٠/٢/٢ ، وابن أبى حاتم ٤٢٥/١/٢ .

(٢) الأثر : ١٧٢٢٥ — حديث شهر بن حوشب المرسل ، سياق ذكره فى التعليق على رقم : ١٧٢٢٨ ، بعبارة .

١٧٢٢٦ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة

قال : ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لأهل قُبَاء : إن الله قد أحسن عليكم الثناء في الطُّهُور ، فما تصنعون ؟ قالوا : إنا نغسل عنَّا أثر الغائط والبول .

١٧٢٢٧ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن

معمر ، عن قتادة قال : لما نزلت : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا » ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : يا معشر الأنصار ، ما هذا الطُّهُور الذي أثني الله عليكم فيه ؟ قالوا : إنا نَسْتُطِيبُ بالماء إذا جئنا من الغائط .

١٧٢٢٨ - حدثني جابر بن الكردى قال ، حدثنا محمد بن سابق قال ،

حدثنا مالك بن مغول ، عن سيارٍ أبي الحكم ، عن شهر بن حوشب ، عن محمد ابن عبد الله بن سلام قال : قام علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ألا أخبروني ، فإن الله قد أثني عليكم بالطُّهُور خيراً ؟ فقالوا : يا رسول الله ، إنا نجد عندنا مكتوباً في التوراة ، الاستنجاءُ بالماء .^(١)

(١) الأثر : ١٧٢٢٨ - حديث شهر بن حوشب ، عن محمد بن عبد الله بن سلام ، سيأتي من طرق ، هذا ثم : ١٧٢٢٩ - ١٧٢٣١ ، ١٧٢٤٠ .

« جابر بن الكردى بن جابر الواسطى » ، شيخ الطبرى ، ثقة مضى برقم : ٧٢١٦ .

و « محمد بن سابق التميمي » ، ثقة ، قيل إنه ليس من يوصف بالضبط في الحديث . مترجم في التهذيب ، والكبير ١١١/١/١ ، وابن أبي حاتم ٢٨٣/٢/٣ ، ولم يذكر فيه جرحاً .

و « مالك بن مغول بن عاصم البجلي » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ٥٤٣١ ،

١٠٨٧٢ ، ١٤٢٦٨ .

و « سيار ، أبو الحكم الغنزي » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ٣٩ .

و « شهر بن حوشب الأشعري » ، ثقة ، مضى برقم : ١٤٨٩ ، ٥٢٤٤ ، ٦٦٥٠ -

٦٦٥٢ ، وبعدها كثير .

و « محمد بن عبد الله بن سلام بن الحارث الخزرجي الإسرائيلي » ، له رؤية ورواية محفوظة .

مترجم في تعجيل المنفعة : ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، والكبير ١٨/١/١ ، وابن أبي حاتم ٢٩٧/٢/٣ ، والاستيعاب : ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، وأسد الغاية ٤ : ٣٢٤ ، والإصابة ، في ترجمته .

وهذا الخبر رواه أحمد في مسنده ٦ : ٦ ، من طريق « يحيى بن آدم » ، حدثنا مالك - يعني ابن مغول - قال سمعت سياراً أبا الحكم غير مرة يحدث عن شهر بن حوشب ، عن محمد بن عبد الله ابن سلام قال : لما قدم رسول الله . . . »

١٧٢٢٩ - حدثنا سفيان بن وكيع قال ، حدثنا [يحيى بن رافع] ، عن مالك بن مغول قال ، سمعت سياراً أبا الحكم غير مرة يحدث ، عن شهر بن حوشب ، عن محمد بن عبد الله بن سلام قال : لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم على أهل قُبَاء قال : إن الله قد أثنى عليكم بالطهور خيراً = يعنى قوله : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا » = قالوا : إنا نجده مكتوباً عندنا في التوراة ، الاستنجاء بالماء . (١)

١٧٢٣٠ - حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ، حدثنا [يحيى بن رافع] ، قال ، حدثنا مالك بن مغول ، عن سيار ، عن شهر بن حوشب ، عن محمد بن عبد الله ابن سلام = قال يحيى : ولا أعلمه إلا عن أبيه = قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لأهل قباء : إن الله قد أثنى عليكم في الطهور خيراً ! قالوا : إنا نجده

ورواه البخارى في التاريخ الكبير ١٨/١/١ من طريق محمد بن يوسف ، عن مالك بن مغول ، بنحوه ، ثم قال : « وقال إسماعيل ، عن جرير ، عن ليث ، عن رجل من الأنصار من أهل قباء : لما نزلت ، بهذا . فبين الاختلاف فيه على شهر بن حوشب ، وأنه أهم الرجل من الأنصار . وأشار إليه الحافظ ابن عبد البر في ترجمته وقال : « حديثه يخرج في التفسير ، ويختلف في إسناد حديثه هذا ، ومنهم من يجعله مرسلًا » ، والمرسل هو رواية الطبري السالفة رقم : ١٧٢٢٥ ، وقال ابن حجر في الإصابة : « قال ابن منده : رواه داود بن أبي هند ، عن شهر مرسلًا ، لم يذكر محمدًا ولا أباه » .

ورواه ابن الأثير في أسد الغابة في ترجمته .

وسياتى في رقم : ١٧٢٣٠ ، قول يحيى بن آدم « ولا أعلم إلا عن أبيه » . فانظر التعليق على الأثر هناك .

(١) الأثر : ١٧٢٢٩ - « يحيى بن رافع » ، هكذا جاء في الموضعين في مطبوعة الطبري ومخطوطته ، ولا أدري كيف وقع هذا ، فليس في هذه الطبعة من الرواة من أعرفه يقال له « يحيى ابن رافع » ، وأما « يحيى بن رافع الثقفي » ، فهذا قديم جداً سمع عثمان وأبا هريرة ، ومضى برقم : ٥٧٧٧ ، ولكنه لما وقع هكذا في الموضعين أثبتته على حاله .

أما الذى لا أكاد أشك فيه ، فالصواب أنه « يحيى بن آدم » ، كما جاء في مسند أحمد ، وكما ذكره الحافظ ابن حجر في تعجيل المنفعة ، والإصابة ، وذكر أيضاً رواية أبي هشام الرفاعي عن يحيى بن آدم ، كما سترى بعد ، من طريق البغوى .

وهذا الظاهر ، رواه ابن حجر في الإصابة ، وقال : « أخرجه أحمد ، والبخارى في تاريخه ، وأبو بكر بن أبي شيبة ، وابن قانع ، والبغوى » . وانظر التعليق على رقم : ١٧٢٢٨ ، وعلى رقم : ١٧٢٣٠ .

مكتوباً علينا في التوراة ، الاستنجاء بالماء . وفيه نزلت : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا » . (١)

(١) الأثر : ١٧٢٣٠ - هكذا « يحيى بن رافع » ، والصواب المرجح « يحيى بن آدم » كما سلف في التعليق الماضي .

ومن هذا الطريق ذكره الحافظ ابن حجر في «الإصابة وتعجيل المنفعة» ، وفيه زيادة « ولا أعلمه إلا عن أبيه » ، ونسبه إلى البرقي في الصحابة ، ثم أعقبه بقوله : « قال قال أبو هشام (يعني الرفاعي) ، وكتبته من أصل كتاب يحيى بن آدم ، ليس فيه عن أبيه » ثم قال : « وقال البرقي : حدث به الفرغاني ، عن مالك بن مغول ، عن سيار ، عن شهر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، لم يذكر أباه » . ثم قال : « روى سلمة بن رجاء ، عن مالك بن مغول ، فزاد فيه : عن أبيه . وقال أبو زرعة الرازي : الصحيح عندنا عن محمد ، ليس فيه : عن أبيه » .

وخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ١ : ٢١٢ ، ٢١٣ على محمد بن عبد الله بن سلام ، عن أبيه ، ثم قال : « رواه الطبراني في الكبير ، وفيه شهر بن حوشب ، وقد اختلفوا فيه . ولكنه وثقه أحمد ، وابن معين ، وأبو زرعة ، ويعقوب بن أبي شيبة » ثم خرجه عن محمد بن عبد الله بن سلام ، ثم قال : « رواه أحمد عن محمد بن عبد الله بن سلام ، ولم يقل : عن أبيه ، كما قال الطبراني . وفيه شهر أيضاً » . فهذا الذي ذكرته دال ، أولاً ، على أن صواب الاسم « يحيى بن آدم » ، لا « يحيى بن رافع » كما وقع في المخطوطة والمطبوعة . ودال أيضاً على الاختلاف في هذا الخبر اختلافًا يوجب النظر . ثم بقي شيء آخر ، لم أجد من ذكره في الكلام على هذا الخبر ، أرجو أن أكون أصبت في ذكره وبيانه .

وذلك أن ثناء من الله على رجال يحبون أن يتطهروا ، كانوا يلزمون المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم ، وهو مسجد قباء بلا شك . وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما سأل هؤلاء عن ثناء الله عليهم . وهؤلاء الرجال هم من بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، ومنزلهم بقباء . وهم قوم عرب على دينهم في الجاهلية ، لم يذكر أحد أنهم كانوا يهوداً .

وخبر شهر بن حوشب هذا ، عن محمد بن عبد الله بن سلام ، ذكر فيه ثناء الله على هؤلاء الرجال ، وأن جوابهم كان : « إذا نجد عندنا مكتوباً في التوراة ، الاستنجاء بالماء » ، فظاهر هذا الخبر يدل على أن دينهم كان اليهودية . وذلك ما لم أجد قائلًا قال به .

و « محمد بن عبد الله بن سلام » ، وأبوه « عبد الله بن سلام بن الحارث » ، من بني قينقاع ، من اليهود ، من ذرية يوسف النبي عليه السلام ، وكان عبد الله بن سلام حليف القواقل من الخزرج ، وهم بنو عمرو بن عوف بن الخزرج ، وليسوا من « بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس » في شيء ، ومنازل هؤلاء غير منازل هؤلاء . وفي إسلام عبد الله بن سلام (سيرة ابن هشام ٢ : ١٦٣) ، أنه قال ، وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهجرته : « فلما نزل بقباء ، في بني عمرو بن عوف ، أقبل رجل حتى أخبر بقدمه ، وأذا في رأس نخلة لي أعمل فيها » ، فعبد الله بن سلام ، وولده لم يكن منهم أحد بقباء .

فقوله في الخبر رقم : ١٧٢٢٨ « قام علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ألا أخبروني . . . » ، إلى آخر الخبر ، مشكل جداً ، لأن الخبر خبر محمد بن عبد الله بن سلام ، والضمير فيه راجع

١٧٢٣١ - حدثني عبد الأعلى بن واصل قال ، حدثنا إسماعيل بن صبيح اليشكري قال ، حدثنا أبو أويس المدني ، عن شرحبيل بن سعد ، عن عويم بن ساعدة ، وكان من أهل بدر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل قباء : إني أسمع الله قد أنفى عليكم الثناء في الطهور ، ^(١) فما هذا الطهور ؟ قالوا : يا رسول الله ، ما نعلم شيئاً ، إلا أن جيراناً لنا من اليهود رأيتهم يغسلون أدبارهم من الغائط ، فغسلنا كما غسلوا . ^(٢)

إليه وإلى قومه أو حلفائه بنى عمرو بن عوف بن الخزرج ، وهذا لا يصح البتة ، بدليل قوله في الذي يليه : أن ذلك كان « لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم على أهل قباء » . وهذا الذي ذكرت اضطراب شديد في صلب الخبر ، لا يرفعه شيء . ومهما يكن من أمر إسناده ، واختلاف المختلفين فيه على شهر بن حوشب ، فإن علته في سياقه ، أشد من علته في إسناده عندي . والله أعلم من أين أتى هذا الاضطراب؟ والذي لا شك فيه : أنه بعيد جداً أن يكون هذا الجواب من كلام بنى عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، وأنه أشبه بأن يكون كلام أحد من حلفائهم اليهود . وأوضح منه ما جاء في خبر عويم بن ساعدة (رقم : ١٧٢٣١) ، وهو : « ما نعلم شيئاً ، إلا أن جيراناً لنا من اليهود ، رأيتهم يغسلون أدبارهم من الغائط ، فغسلنا كما غسلوا » . فهذا أبين ، وأقرب إلى سياق ما سئلوا عنه ، وأدنى إلى رفع الاضطراب . والله تعالى أعلم .

(١) في المسند : « قد أحسن عليكم الثناء » ، ولو قرئ في ما في المخطوطة : « قد أنفى » بمعنى : رفع ، لكان حسناً .

(٢) الأثر : ١٧٢٣١ - « عبد الأعلى بن واصل بن عبد الأعلى بن هلال الأسدي » ، شيخ الطبري ، مضى برقم : ١١١٢٥ .

و « إسماعيل بن صبيح اليشكري » ، ثقة ، مضى برقم : ٢٩٩٦ ، ٨٦٤٠ ، ١١١٥٨ .

و « أبو أويس المدني » ، هو « عبد الله بن عبد الله بن أويس بن مالك الأصبحي » ، صدوق ، ليس بحجة ، مضى برقم : ٨٦٤٠ .

و « شرحبيل بن سعد الخطمي » ، قال أخى السيد أحمد فيما سلف رقم : ٨٣٩٦ : « الحق أنه ثقة ، إلا أنه اختلط في آخر عمره ، إذ جاوز المئة . وقد فصلنا القول فيه في شرح المسند : ٢١٠٤ . وأخرج له ابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما ، والكلام في تضعيفه شديد ، وذكر الحافظ ابن حجر في التهذيب ، روايته عن عويم بن ساعدة فقال : « وفي سماعه من عويم بن ساعدة نظر ، لأن عويماً مات في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ويقال : في خلافة عمر رضي الله عنه » .

وهذا الخبر رواه أحمد في مسنده ٣ : ٤٢٢ من طريق حسين بن محمد ، عن أبي أويس ، بشحوه .

وذكره ابن كثير في تفسير ٤ : ٤١ ، ثم قال : « ورواه ابن خزيمة في صحيحه » . وخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ١ : ٢١٢ ، وقال : « رواه أحمد ، والطبراني في الثلاثة . وفيه شرحبيل بن سعد ، ضعفه مالك ، وابن معين ، وأبو زرعة ، ووثقه ابن حبان » .

١٧٢٣٢ - حدثني محمد بن عمار قال ، حدثنا محمد بن سعيد قال ، حدثنا إبراهيم بن محمد ، عن شرحبيل بن سعد قال : سمعت خزيمة بن ثابت يقول : نزلت هذه الآية : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين » ، قال : كانوا يغسلون أديبارهم من الغائط .

١٧٢٣٣ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن ابن أبي ليلى ، عن عامر قال : كان ناس من أهل قُبَاء يستنجون بالماء ، فنزلت : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين » .

١٧٢٣٤ - حدثنا الحسن بن عرفة قال ، حدثنا شبابة بن سوار ، عن شعبة ، عن مسلم القرطبي قال : قلت لابن عباس : أصبُّ على رأسي ؟ = وهو محرم = قال : ألم تسمع الله يقول : « إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » ؟ ^(١)

١٧٢٣٥ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا حفص ، عن داود ، وابن أبي ليلى ، عن الشعبي ، قال ، لما نزلت : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا » ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل قباء : ما هذا الذي أثنى الله عليكم ؟ قالوا : ما منّا من أحدٍ إلا وهو يستنجي من الخلاء .

١٧٢٣٦ - حدثني المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن عبد الحميد المدني ، عن إبراهيم بن إسماعيل الأنصاري : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعويم بن ساعدة : ما هذا الذي أثنى الله عليكم : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين » ؟ قال : فوشك أن نغسل الأديبار بالماء ! ^(٢)

(١) الأثر : ١٧٢٣٤ - « مسلم القرطبي » بضم القاف وتشديد الراء ، نسبة إلى بني قرة ، من عبد القيس وهو مولاهم = هو : « مسلم بن خرقاء العبدي القرطبي » ، ثقة ، مترجم في التهذيب ، والكبير ٢٧١/١/٤ ، وابن أبي حاتم ١٩٤/١/٤ .

(٢) الأثر : ١٧٢٣٦ - « عبد الحميد المدني » ، ظني أنه « عبد الحميد بن سليمان الخزاعي ، أبو عمر المدني الضرير » ، روى عن أبي حازم ، وأبي الزناد ، وروى عنه هشيم ، وهو من أقرانه ، ضعيف الحديث . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ١٤/١/٣ .

و « إبراهيم بن إسماعيل الأنصاري » ، ظني أيضاً أنه « إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع بن جارية

١٧٢٣٧ — حدثني المثني قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن ابن سعد قال ، أخبرنا أبو جعفر ، عن حصين ، عن موسى بن أبي كثير قال : بدء حديث هذه الآية في رجال من الأنصار من أهل قباء : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين » ، فسألهم النبي صلى الله عليه وسلم ، قالوا : نستنجز بالماء .^(١)

١٧٢٣٨ — حدثني المثني قال ، حدثنا أصبغ بن الفرغ قال ، أخبرني ابن وهب قال ، أخبرني يونس ، عن أبي الزناد قال : أخبرني عروة بن الزبير ، عن عويم بن ساعدة ، من بني عمرو بن عوف ، ومعن بن عدى ، من بني العجلان ، وأبي الدحداح = فأما عويم بن ساعدة ، فهو الذي بلغنا أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ الذين قال الله فيهم : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين » ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم الرجال ، منهم عويم بن ساعدة = لم يبلغنا أنه سَمِيَ منهم رجلاً غير عويم .^(٢)

الأنصاري المدني ، روى عن الزهري وغيره ، وهو ضعيف أيضاً ، كثير الوهم . مترجم في التهذيب والكبير ٢٧١/١/١ ، وابن أبي حاتم ٨٤/١/١ .

وفي تفسير ابن كثير ٤ : ٢٤١ « عن إبراهيم بن المعلل الأنصاري » ، ولم أجد له ذكراً في كتب الرجال .

(١) الأثر : ١٧٢٣٧ — « عبد الرحمن بن سعد » ، هو « عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد الدشتكي » ، مضى برقم : ١٠٦٦٦ ، ١٠٨٥٥ ، ١٧٠١١ .
و « أبو جعفر » هو « أبو جعفر الرازي » ، مضى مراراً كثيرة .

و « حصين » هو « حصين بن عبد الرحمن السلمي » ، مضى مراراً آخرها : ١٦٦٧١ .
و « موسى بن أبي كثير الأنصاري » ، ثقة ، في الحديث : مترجم في التهذيب ، والكبير ٢٩٣/١/٤ ، وابن أبي حاتم ٧/١/٤ .

(٢) الأثر : ١٧٢٣٨ — « أصبغ بن الفرغ بن سعيد بن نافع الأموي » ، الفقيه المصري ، ثقة كان وراق ابن وهب ، وكان من أجل أصحابه ، وكان من أعلم خلق الله كلهم برأى مالك .
مترجم في التهذيب ، والكبير ٣٧/٢/١ ، وابن أبي حاتم ٣٢١/١/١ .

وهذا الخبر جزء من حديث السقيفة (الفتح ١٢ : ١٣٣) ، وعلق عليه الحافظ ابن حجر هناك ، وذكر طرقه . وذكره في الإصابة في ترجمة « عويم بن ساعدة » ، وذكر هذه الزيادة عن الإسماعيلي قال : « وزاد الإسماعيلي في روايته قال الزهري ، فأخبرني عروة بن الزبير أن الرجلين

١٧٢٣٩ - حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن هشام بن حسان قال ، حدثنا الحسن قال : لما نزلت هذه الآية : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين » ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما هذا الذي ذكركم الله به في أمر الطهور ، فأثنى به عليكم ؟ قالوا : نغسل أثر الغائط والبول .

١٧٢٤٠ - حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ،

عن مالك بن مغول قال ، سمعت سياراً أبا الحكم يحدث ، عن شهر بن حوشب ، ٢٤/١١
عن محمد بن عبد الله بن سلام قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة =
أو قال : قدم علينا رسول الله = فقال : إن الله قد أثنى عليكم في الطهور خيراً ،
أفلا تخبروني ؟ قالوا : يا رسول الله ، إنا نجد علينا مكتوباً في التوراة ، الاستنجاء
بالماء = قال مالك : يعنى قوله : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا » . (١)

١٧٢٤١ - حدثني أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا

فضيل بن مرزوق ، عن عطية قال : لما نزلت هذه الآية : « فيه رجال يحبون أن
يتطهروا » ، سألم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما طهوركم هذا الذي ذكر الله ؟

الذين لقيهما ، هما : عويم بن ساعدة ، ومعن بن عدى ، فأما عويم ، فهو الذى بلغنا . . . » ، بنحوه .
وخبر السقيفة ، رواه البخارى (الفتح ١٢ : ١٢٨ - ١٣٩) من طريق عبد العزيز بن عبد الله ،
عن إبراهيم بن سعد ، عن صالح ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ،
عن ابن عباس .

ورواه أحمد في مسنده رقم : ٣٩١ ، من طريق مالك بن أنس ، عن ابن شهاب الزهري .
(فى المسند : « عويم بن ساعدة » ، وهو خطأ ، صوابه : عويم بن ساعدة) .

ورواه ابن سعد فى الطبقات ٣/٣١/٢ ، مختصراً ، وفيه نحو لفظ خبر أبى جعفر ، من
طريق يعقوب بن إبراهيم بن سعد الزهري ، عن أبيه ، عن صالح بن كيسان ، عن ابن شهاب ،
عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، وفيه « قال ابن شهاب : وأخبرني عروة بن الزبير
أن الرجلين اللذين لقوها ، عويم بن ساعدة ، ومعن بن عدى . فأما عويم بن ساعدة ، فهو الذى
بلغنا . . . » ، بنحوه .

(١) الأثر : ١٧٢٤٠ - هذا مكرر الآثار السابقة من رقم : ١٧٢٢٥ ، ثم رقم :

١٧٢٢٨ - ١٧٢٣٠ ، فانظر التعليق عليها هناك .

قالوا : يا رسول الله ، كنا نستنجي بالماء في الجاهلية ، فلما جاء الإسلام لم ندعه .
قال : فلا تدعوه .

١٧٢٤٢ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد :
كان في مسجد قباء رجال من الأنصار يوضئون سفلاتهم بالماء ، ^(١) يدخاؤون النخل
والماء يجري فيموضئون ، فأثنى الله بذلك عليهم فقال : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا » ،
الآية .

١٧٢٤٣ — حدثنا أحمد قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا طلحة بن
عمرو ، عن عطاء قال : أحدث قوم الوضوء بالماء من أهل قباء ، فنزلت فيهم :
« فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين » .

* * *

وقيل : « والله يحب المطهرين » ، وإنما هو : « المتطهرين » ، ولكن أدغمت التاء
في الطاء ، فجعلت طاء مشددة ، لقرب مخرج إحداهما من الأخرى . (٢)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ أَفَمَنْ أَكْفَرُ مِنْ أَكْفَرِهِ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ
وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَكْفَرُ مِنْ أَكْفَرِهِ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأُنْهَارَ بِهِ فِي
نَارٍ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٠٩)

قال أبو جعفر : اختلفت القراءة في قراءة قوله : « أفمن أكفر من أكفاره » .
فقرأ ذلك بعض قراءة أهل المدينة : ﴿ أَفَمَنْ أَكْفَرُ مِنْ أَكْفَرِهِ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ

(١) قوله : « يوضئون سفلاتهم » يعني ، يفسلون أدبارهم . و « السفلة » بمعنى المقعدة
والدبر ، لم تذكر في كتب اللغة ، والمذكور بهذا المعنى « السافلة » . وضبطتها « بفتح السين وكسر
الفاء » قياساً على قولهم : « سفلة البعير » ، وهي قوائمه ، لأنها أسفل .
(٢) انظر تفسير « المطهر » فيما سلف ٤ : ٣٨٤ .

اللَّهُ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمَّنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ ، على وجه ما لم يسمَّ فاعله في الحرفين كليهما .

وقرأت ذلك عامة قرأة الحجاز والعراق : ﴿ أَمَّنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى تَقْوَى مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمَّنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ ﴾ ، على وصف «من» بأنه الفاعل الذي أسس بنيانه . (١)

قال أبو جعفر : وهما قراءتان متفقتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب . غير أن قراءته بتوجيه الفعل إلى « من » ، إذ كان هو المؤسس ، (٢) أعجب إلى .

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام إذا : أى هؤلاء الذين بنوا المساجد خير ، أيها الناس ، عندكم : الذين ابتدأوا بناء مسجدهم على اتقاء الله ، بطاعتهم فى بنائه ، وأداء فرائضه ورضى من الله لبنائهم ما بنوه من ذلك ، وفعلهم ما فعلوه = خير ، أم الذين ابتدأوا بناء مسجدهم على شفا جُرْفٍ هارٍ ؟

يعنى بقوله : « على شفا جرف » ، على حرف جُرْفٍ . (٣)

و«الجرف» ، من الركايا ، ما لم يُبْنَ له جُولٌ (٤)

(١) فى المطبوعة : « على وصف من بناء الفاعل » ، وهو خلط فى الكلام ، صوابه ما فى المخطوطة ، وهو ما أثبتته .

(٢) فى المطبوعة : « إذ كان من المؤسس » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو محض صواب .

(٣) انظر تفسير « الشفا » فيما سلف ٧ : ٨٥ ، ٨٦ .

(٤) فى المطبوعة : « من الركى » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو مطابق لما فى مجاز القرآن

لأبى عبيدة ١ : ٢٦٩ ، وهذا نص كلامه .

و « الركايا » جمع « ركية » ، وتجمع أيضاً على « ركى » ، بحذف التاء ، وهى البئر .

و « الجول » (بضم الجيم) ، هو جانب البئر والقبر إلى أعلاهما من أسفلها .

وهذا التفسير الذى ذكره أبو عبيدة ، لم أجده فى تفسير الكلمة فى كتب اللغة ، ولكنه جائز

صحيح المعنى ، إن صحَّت روايته .

« هار » ، يعنى متهوّر. وإنما هو « هائر » ، ولكنه قلب ، فأخترت ياؤها فقليل :
 « هار » ، كما قيل : « هو شاكى السلاح » ،^(١) و « شائك » ، وأصله من « هار يهور »
 فهو هائر ، وقيل : « هو من هار يهار » ، إذا انهدم . ومن جعله من هذه اللغة
 قال : « هيرت يا جرف » ، ومن جعله « من هار يهور » ، قال : « هرّت يا جرف » .

* * *

قال أبو جعفر : وإنما هذا مشكل . يقول تعالى ذكره : أى هذين الفريقين خير ؟
 وأى هذين البنائين أثبت ؟ أمّن ابتداءً أساس بنائه على طاعة الله ، وعلم منه بأن
 بناءه لله طاعة ، والله به راضٍ ، أم من ابتدأه بنفاق وضلال ، وعلى غير بصيرة
 منه بصواب فعله من خطئه ، فهو لا يدرى متى يتبين له خطأ فعله وعظيم ذنبه ،
 فيهدمه ، كما يأتى البناء على جرف ركيّة لا حابس لماء السيول عنها ولغيره من المياه ،
 ثريّة التراب متناثرة ،^(٢) لا تسليثه السيول أن تهدمه وتشره ؟

* * *

= يقول الله جل ثناؤه : « فانهار به فى نار جهنم » ، يعنى : فانتثر الجرف الهارى
 ببنائه فى نار جهنم ، كما : —

١٧٢٤٤ — حدثنى المنفى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ،
 عن على ، عن ابن عباس : « فانهار به » ، يعنى قواعده = « فى نار جهنم » .^(٣)

١٧٢٤٥ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ،
 أخبرنا عبيد قال ، سمعت الضحّاك يقول فى قوله : « فانهار به » ، يقول : فخرّ به .

١٧٢٤٦ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة
 قوله : « أفنّ أسس بنيانه على تقوى من الله » إلى قوله : « فانهار به فى نار جهنم » ،

٢٥/١١

(١) فى المطبوعة : « شاك السلاح » ، والصواب ما فى المخطوطة ، بالياء فى آخره .

(٢) فى المطبوعة : « ترى به التراب متناثراً » ، غير ما فى المخطوطة ، إذ كانت غير منقوطة ،
 ويقال : « أرض ثرية » ، إذا كانت ذات ثرى وندى . و « ثريت الأرض فهى ثرية » ، إذا
 نديت ولانت بعد الجدوبة واليبس .

(٣) فى المطبوعة ، أسقط « يعنى » .

قال : والله ما تناهى أنْ وقع في النار . ذكر لنا أنه تحفّرت بقعة منها ، ^(١) فرُئى منها الدخان .

١٧٢٤٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج : بنو عمرو بن عوف . استأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم في بنيانه ، فأذن لهم ، ففرغوا منه يوم الجمعة ، فصلوا فيه الجمعة ويوم السبت ويوم الأحد . قال : وانهار يوم الاثنين . قال : وكان قد استنظرهم ثلاثاً ، السبت والأحد والاثنين = « فانهار به في نار جهنم » ، مسجد المنافقين ، انهار فلم يتناهَ دون أن وقع في النار = قال ابن جريج : ذكر لنا أن رجالاً حفروا فيه ، فأبصروا الدخان يخرج منه .

١٧٢٤٨ — حدثني المثني قال ، حدثنا الحماني قال ، حدثنا عبد العزيز ابن المختار ، عن عبد الله الداناج ، عن طلق بن حبيب ، عن جابر قوله : « والذين اتخذوا مسجداً ضراراً » ، قال : رأيت المسجد الذي بنى ضراراً يخرج منه الدخان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم . ^(٢)

١٧٢٤٩ — حدثنا محمد بن مرزوق البصري قال ، حدثنا أبو سلمة قال ، حدثنا عبد العزيز بن المختار ، عن عبد الله الداناج قال ، حدثني طلق العنزي ،

(١) في المطبوعة : « أنه حفرت بقعة منه » ، وأثبت ما في المخطوطة . وقوله « تحفرت » أي : صارت فيها حفرة ، وكأنه غيرها لأنها لم تذكر في كتب اللغة ، ولكنها قياس عربي عريق . وقوله « منها » أي : من أرض مسجد الضرار .

(٢) الأثر : ١٧٢٤٨ — « عبد العزيز بن المختار الأنصاري ، الدباغ » ، ثقة ، روى له الجماعة . مضى برقم : ١٦٨٥ .

و « عبد الله الداناج » ، هو « عبد الله بن فيروز » و « دانا » بالفارسية ، العالم . ثقة ، مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ١٣٦/٢/٢ .
و « طلق بن حبيب العنزي » ، ثقة ، سمع جابراً . مترجم في التهذيب ، والكبير ٣٦٠/٢/٢ ، وابن أبي حاتم ٤٩٠/١/٢ .

وهذا خبر صحيح الإسناد ، خرجه السيوطي في الدر المنثور ٣ : ٢٧٩ ، وقال : « أخرجه مسدد في مسنده ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والحاكم ، وصححه ، وابن مردويه » . وسيأتي بإسناد آخر في الذي يليه .

عن جابر بن عبد الله قال : رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار . (١)
 ١٧٢٥٠ - حدثني سلام بن سالم الخزاعي قال ، حدثنا خلف بن ياسين
 الكوفي قال : حججت مع أبي في ذلك الزمان = يعنى : زمان بنى أمية = فررنا
 بالمدينة ، فرأيت مسجد القبلتين = يعنى مسجد الرسول = وفيه قبلة بيت المقدس ،
 فلما كان زمان أبى جعفر ، قالوا : يدخل الجاهل فلا يعرف القبلة ! فهذا البناء
 الذى ترون ، جرى على يد عبد الصمد بن على . ورأيت مسجد المنافقين الذى
 ذكره الله فى القرآن ، وفيه حجر يخرج منه الدخان ، وهو اليوم مَرْبُلة . (٢)

* * *

قوله : « والله لا يهدى القوم الظالمين » ، يقول : والله لا يوفق لارشاد فى أفعاله ،
 من كان بائياً ببناءه فى غير حقه وموضعه ، ومن كان منافقاً مخالفاً بفعله أمر الله
 وأمر رسوله .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي
 قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١١٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : لا يزال بنيان هؤلاء الذين اتخذوا مسجداً
 ضراراً وكفراً = « ريبة » يقول : لا يزال مسجدهم الذى بنوه = « ريبة فى قلوبهم » ،

(١) الأثر : ١٧٢٤٩ - هو مكرر الأثر السالف .

« محمد بن مرزوق » ، هو « محمد بن محمد بن مرزوق الباهلي » . شيخ الطبري ، مضى برقم :

٨٢٢٤ ، ٢٨

و « أبو سلمة » ، هو : « موسى بن إسماعيل المنقرى التبوذكي » ، ثقة . مضى برقم : ١٥٢٠٢ .

(٢) الأثر : ١٧٢٥٠ - « سلام بن سالم الخزاعي » ، شيخ الطبري ، مضى برقم : ٢٥٢ ،

٦٥٢٩ .

و « خلف بن ياسين الكوفي » ، مضى برقم : ٢٥٢ ، ورواية « سلام بن سالم الخزاعي »

يعنى : شكاً ونفاقاً فى قلوبهم ، يحسبون أنهم كانوا فى بنائه مُحْسِنِينَ^(١) = « إلا أن تقطع قلوبهم » ، يعنى : إلا أن تتصدع قلوبهم فيموتوا = « والله عليم » ، بما عليه هؤلاء المنافقون الذين بنوا مسجد الضرار ، من شكهم فى دينهم ، وما قصدوا فى بنائهموه وأرادوه ، وما إليه صائرٌ أمرهم فى الآخرة ، وفى الحياة ما عاشوا ، وبغير ذلك من أمرهم وأمر غيرهم = « حكيم » ، فى تدبيره إياهم ، وتدبير جميع خلقه .^(٢)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٢٥١ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثني معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم » ، يعنى : شكاً = « إلا أن تقطع قلوبهم » ، يعنى الموت .

١٧٢٥٢ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « ريبة فى قلوبهم » ، قال : شكاً فى قلوبهم = « إلا أن تقطع قلوبهم » ، إلى أن يموتوا .

١٧٢٥٣ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم » ، يقول : حتى يموتوا .

عنه . وذكر أخى السيد أحمد هناك أنه قد يكون « خلف بن ياسين بن معاذ الزيات » ، وهو كذاب . والظاهر أنه هو هو ، لأن خلفاً يروى فى هذا الخبر عن أبيه ، وأبوه « ياسين بن معاذ الزيات » ، وهو أيضاً ضعيف متروك الحديث ، وكان من كبار فقهاء الكوفة ، روى عن الزهري ، ومكحول ، وسجاد بن أبى سليمان ، وهو مترجم فى لسان الميزان ٦ : ٢٣٨ ، والكبير ٤/٢/٢٩٤ ، وقال : « يتكلمون فيه ، منكر الحديث » ، وابن أبى حاتم ٤/٢/٣١٢ ، وذكر أنه قد روى عنه ابنه خلف . ولكنه لم يترجم « خلف بن ياسين بن معاذ » . وهذا الخبر الشاهد بأن « ياسين » أبى خلف ، كان على عهد بنى أمية ، ورواية خلف ابنه عنه ، وشيوخ « ياسين » الذين روى عنهم ، كل ذلك دال على صواب ما ذهب إليه أخى ، من أن « خلف بن ياسين الكوفى » ، هو « خلف بن ياسين بن معاذ الزيات » .

- (١) انظر تفسير « الريبة » فيما سلف ص : ٢٧٥ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
- (٢) انظر تفسير « عليم » و « حكيم » فيما سلف من فهارس اللغة (علم) ، (حكم)

١٧٢٥٤ - حدثني مطربن محمد الضبي قال ، حدثنا أبو قتيبة قال ، حدثنا
شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد في قوله : « إلا أن تقطع قلوبهم » ، قال : إلا
أن يموتوا .^(١)

١٧٢٥٥ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا
عيسى ، عن ابن أبي نجيج ، عن مجاهد : « إلا أن تقطع قلوبهم » ، قال : يموتوا .
١٧٢٥٦ - حدثني المثني قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن
ابن أبي نجيج ، عن مجاهد : « إلا أن تقطع قلوبهم » ، قال : يموتوا .

٢٦/١١

١٧٢٥٧ - حدثني المثني قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي
نجيج ، عن مجاهد ، مثله .

١٧٢٥٨ - قال ، حدثنا سويد قال ، حدثنا ابن المبارك ، عن
معمر ، عن قتادة والحسن : « لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم » ، قالوا :
شكاً في قلوبهم .

١٧٢٥٩ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا إسحق الرازي قال ، حدثنا أبو سنان
عن حبيب : « لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم » ، قال : غيظاً في
قلوبهم .

١٧٢٦٠ - قال ، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيج ،
عن مجاهد : « إلا أن تقطع قلوبهم » ، قال : يموتوا .

١٧٢٦١ - قال ، حدثنا إسحق الرازي ، عن أبي سنان ، عن حبيب :
« إلا أن تقطع قلوبهم » ، إلا أن يموتوا .

١٧٢٦٢ - قال ، حدثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن السدي : « ريبة
في قلوبهم » ، قال : كفر . قلت : أكفر بمجمع بن جارية؟ قال : لا ، ولكنها حَزَازَة .

(١) الأثر : ١٧٢٥٤ - « مطرب بن محمد الضبي » ، انظر ما سلف رقم : ١٢١٩٨ ،

١٧٢٦٣ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن السدي : « لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم » ، قال : حرازة في قلوبهم .

١٧٢٦٤ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم » ، لا يزال ريبة في قلوبهم راضين بما صنعوا ، كما حُبِّبَ العجل في قلوب أصحاب موسى . وقرأ : ﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ ، [سورة البقرة : ٩٣] ، قال : حبه = « إلا أن تقطع قلوبهم » ، قال : لا يزال ذلك في قلوبهم حتى يموتوا = يعني المنافقين .

١٧٢٦٥ — حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا قيس ، عن السدي ، عن إبراهيم : « ريبة في قلوبهم » ، قال شكاً . قال قلت : يا أبا عمران ، تقول هذا وقد قرأت القرآن ؟ قال : إنما هي حرازة .

* * *

واختلفت القراءة في قراءة قوله : « إلا أن تقطع قلوبهم » .

فقرأ ذلك بعض قراءة الحجاز والمدينة والبصرة والكوفة : ﴿ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ﴾ ، بضم التاء من « تقطع » ، على أنه لم يسم فاعله ، وبمعنى : إلا أن يقطع الله قلوبهم .

* * *

وقرأ ذلك بعض قراءة المدينة والكوفة : ﴿ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ﴾ ، بفتح التاء من « تقطع » ، على أن الفعل للقلوب . بمعنى : إلا أن تتقطع قلوبهم ، ثم حذفت إحدى التائين .

* * *

وذكر أن الحسن كان يقرأ : ﴿ إِلَى أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ﴾ ، بمعنى : حتى تتقطع قلوبهم .^(١)

* * *

وذكر أنها في قراءة عبد الله : ﴿ وَلَوْ قُطِّعَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ ، وعلى الاعتبار بذلك

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٤٥٢ .

قرأ من قرأ ذلك : ﴿إِلَّا أَنْ تُقَطَّعَ﴾ ، بضم التاء .

* * *

قال أبو جعفر : والقول عندى فى ذلك أن الفتح فى التاء والضم متقاربا المعنى ، لأن القلوب لا تنقطع إذا تقطعت ، إلا بتقطيع الله إياها ، ولا يقطعها الله إلا وهى منقطعة . وهما قراءتان معروفتان ، قد قرأ بكل واحد منهما جماعة من القراءة ، فبأتيهما قرأ القارئ فصيب الصواب فى قراءته .
وأما قراءة ذلك : ﴿إِلَى أَنْ تَقَطَّعَ﴾ ، فقراءة لمصاحف المسلمين مخالفة ، ولا أرى القراءة بخلاف ما فى مصاحفهم جائزة .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ۚ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١١١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إن الله ابتاع من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بالجنة = « وعداً عليه حقاً » يقول : وعدهم الجنة جل ثناؤه ، وعداً عليه حقاً أن يوفى لهم به ، فى كتبه المنزل : التوراة والإنجيل والقرآن ، إذا هم وفوا بما عاهدوا الله ، فقاتلوا فى سبيله ونصرة دينه أعداءه ، فقتلوا وقتلوا = « ومن أوفى بعهده من الله » ، يقول جل ثناؤه : ومن أحسن وفاء بما ضمن وشرط من الله = « فاستبشروا » ، يقول ذلك للمؤمنين : فاستبشروا ، أيها المؤمنون ، الذين صدقوا الله فيما عاهدوا ، ببيعكم أنفسكم وأموالكم بالذى بعتموها من ربكم به ، فإن ذلك هو الفوز العظيم ، (١) كما : —

١٧٢٦٦ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يعقوب ، عن حفص بن حميد ، ٢٧/١١
عن شمر بن عطية قال : ما من مسلم إلاّ والله في عنقه بيعة ، وفي بها أومات عليها ،
في قول الله : « إن الله اشترى من المؤمنين » إلى قوله : « وذلك هو الفوز العظيم » ،
ثم حلّاهم فقال : « التائبون العابدون » إلى « وبشر المؤمنين » .

١٧٢٦٧ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني
معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم
وأموالهم » ، يعني : بالجنة .

١٧٢٦٨ — قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن محمد
ابن يسار ، عن قتادة : أنه تلا هذه الآية : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم
وأموالهم بأن لهم الجنة » ، قال : ثامنتهم الله ، فأغلى لهم الثمن .^(١)

١٧٢٦٩ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني منصور بن
هرون ، عن أبي إسحق الفزاري ، عن أبي رجاء ، عن الحسن : أنه تلا هذه
الآية : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم » ، قال : بايعهم فأغلى
لهم الثمن .

١٧٢٧٠ — حدثنا الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو معشر ،
عن محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا : قال عبد الله بن رواحة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم : اشترط لربك ولنفسك ما شئت ! قال : اشترط لربي أن تعبدوه ولا
تشرکوا به شيئاً ، واشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم .
قالوا : فإذا فعلنا ذلك ، فماذا لنا ؟ قال : الجنة ! قالوا : ربح البيع ، لا نُقِيل ولا
نستقبل !^(٢) فنزلت : « إن الله اشترى من المؤمنين » ، الآية .

(١) « ثامنت الرجل في المبيع » ، إذا قاولته في ثمنه وفأوضته ، وسأومته على بيعه واشترائه .
(٢) « أقاله البيع يقيله إقالة » ، و « تقايلا البيعان » ، إذا فسخا البيع ، وعاد المبيع إلى
مالكه ، والتمن إلى المشتري ، إذا كان قد ندم أحدهما أو كلاهما . وتكون « الإقالة » في البيعة والعهد .
و « استقاله » . طلب إليه أن يتيهه .

١٧٢٧١ - ... قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا عبيد بن طفيل العبسي قال ، سمعت الضحاك بن مزاحم ، وسأله رجل عن قوله : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم » ، الآية ، قال الرجل : ألا أحمل على المشركين فأقاتل حتى أقتل ؟ قال : ويلك ! أين الشرط ؟ « التائبون العابدون » . (١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّاجِدُونَ
الرَّائِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١١٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إن الله اشترى من المؤمنين التائبين العابدِينَ أنفسهم وأموالهم = ولكنه رفع ، إذ كان مبتدأ به بعد تمام أخرى مثلها . والعرب تفعل ذلك ، وقد تقدّم بياننا ذلك في قوله : ﴿صُمُّ بُكْمٌ مُعْمًى﴾ [سورة البقرة : ١٨] ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع . (٢)

* * *

ومعنى : « التائبون » ، الراجعون مما كرهه الله وسخطه إلى ما يحبه ويرضاه ، (٣) كما : —
١٧٢٧٢ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام بن سلم ، عن ثعلبة بن سهيل قال ، قال الحسن في قول الله : « التائبون » ، قال : تابوا إلى الله من الذنوب كلها . (٤)

(١) الأثر : ١٧٢٧١ - « عبيد بن طفيل العبسي » ، هو « النطفاني » ، « أبو سيدان » ، و « عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان » ، ولكنه في كتب الرجال « النطفاني » . وقد مضى برقم : ٢٥٤٧ .

(٢) انظر ما سلف ١ : ٣٣٠ ، ٣٣١ .

(٣) انظر تفسير « تائب » فيما سلف من فهارس اللغة (توب) .

(٤) الأثر : ١٧٢٧٢ - « ثعلبة بن سهيل الطهوي » ، ثقة ، مضى برقم : ١٢٢٧٣ . مترجم في التهذيب ، والكبير ١٧٥/٢/١ ، وابن أبي حاتم ٤٦٤/١/١ .

١٧٢٧٣ — حدثنا سوار بن عبد الله العنبري قال ، حدثني أبي ، عن أبي الأشهب ، عن الحسن : أنه قرأ « التائبون العابدون » ، قال : تابوا من الشرك ، وبرئوا من النفاق .

١٧٢٧٤ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن أبي الأشهب قال : قرأ الحسن : « التائبون العابدون » ، قال : تابوا من الشرك ، وبرئوا من النفاق .

١٧٢٧٥ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا منصور بن هرون ، عن أبي إسحق الفزاري ، عن أبي رجاء ، عن الحسن قال : التائبون من الشرك .

١٧٢٧٦ — حدثنا الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا جرير بن حازم قال : سمعت الحسن قرأ هذه الآية : « التائبون العابدون » ، قال الحسن : تابوا والله من الشرك ، وبرئوا من النفاق .

١٧٢٧٧ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « التائبون » ، قال : تابوا من الشرك ، ثم لم ينافقوا في الإسلام .

١٧٢٧٨ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج : « التائبون » ، قال : الذين تابوا من الذنوب ، ثم لم يعودوا فيها .

* * *

وأما قوله : « العابدون » فهم الذين ذلُّوا خشيةً لله وتواضعاً له ، فجدُّوا في خدمته ، (١) كما : —

١٧٢٧٩ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « العابدون » ، قوم أخذوا من أبدانهم في ليلهم ونهارهم .

١٧٢٨٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن ثعلبة بن سهيل

(١) انظر تفسير « العابد » فيما سلف من فهارس اللغة (عبد) .

٢٨/١١ قال ، قال الحسن في قول الله : « العابدون » ، قال : عبدوا الله على أحيائهم كلها ، في السراء والضراء .

١٧٢٨١ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني منصور بن هرون ، عن أبي إسحق الفزاري ، عن أبي رجاء ، عن الحسن : « العابدون » ، قال : العابدون لربهم .

* * *

وأما قوله : « الحامدون » ، فإنهم الذين يحمدون الله على كل ما امتحنهم به من خير وشر ، ^(١) كما : -

١٧٢٨٢ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « الحامدون » ، قوم حمدوا الله على كل حال .

١٧٢٨٣ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن ثعلبة قال ، قال الحسن : « الحامدون » ، الذين حمدوا الله على أحيائهم كلها ، في السراء والضراء .

١٧٢٨٤ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني منصور بن هرون ، عن أبي إسحق الفزاري ، عن أبي رجاء ، عن الحسن : « الحامدون » ، قال : الحامدون على الإسلام .

* * *

وأما قوله : « السائحون » ، فإنه الصائمون ، كما : -

١٧٢٨٥ - حدثني محمد بن عيسى الدامغاني وابن وكيع قالا ، حدثنا سفیان ، عن عمرو ، عن عبيد بن عمير =

١٧٢٨٦ - وحدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال أخبرني عمرو بن الحارث ، عن عمرو ، عن عبيد بن عمير قال : سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن « السائحين » فقال : هم الصائمون . ^(٢)

(١) انظر تفسير « الحمد » فيما سلف ١ : ١٣٥ - ١١/١٤١ : ٢٤٩ .

(٢) الأثر : ١٧٢٨٦ - قال ابن كثير في تفسيره ٤ : ٢٤٩ : « هذا مرسل جيد » ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣ : ٢٨١ ، من طريق عبيد بن عمير ، عن أبي هريرة ، ونسبه

- ١٧٢٨٧ - حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع قال ، حدثنا حكيم بن خزام قال ، حدثنا سليمان ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « السائحون » ، هم الصائمون .
- ١٧٢٨٨ - حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا إسرائيل ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : « السائحون » ، الصائمون . (١)
- ١٧٢٨٩ - حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله قال : « السائحون » ، الصائمون . (٢)
- ١٧٢٩٠ - قال ، حدثنا يحيى قال ، حدثنا سفيان قال ، حدثني عاصم ، عن زر ، عن عبد الله ، بمثله .
- ١٧٢٩١ - حدثني محمد بن عمار الأسدي قال ، حدثنا عبيد الله قال ، أخبرنا شيبان ، عن أبي إسحق ، عن أبي عبد الرحمن قال : السياحة الصيام .
- ١٧٢٩٢ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن عطية قال ، حدثنا إسرائيل ، عن أشعث ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : « السائحون » ، الصائمون .
- ١٧٢٩٣ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن أبيه = وإسرائيل ، عن أشعث = عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : « السائحون » ، الصائمون .
- ١٧٢٩٤ - حدثنا المثنى قال ، حدثنا الحماني قال ، حدثنا إسرائيل ، عن أشعث ، عن سعيد بن جبير قال : « السائحون » ، الصائمون .

إلى الفرياني ، ومسند في مسنده ، وابن جرير ، والبيهقي في شعب الإيمان . بيد أن ابن جرير لم يرفعه من هذه الطريق إلى أبي هريرة كما ترى .

(١) الأثران : ١٧٢٨٧ ، ١٧٢٨٨ - أولها مرفوع ، والآخر موقوف على أبي هريرة ، رخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣ : ٢٨١ ، ونسبه إلى ابن جرير وأبي الشيخ ، وابن مردويه ، وابن النجار ، مرفوعاً ، وذكره السيوطي في تفسيره ٤ : ٢٤٨ ، وقال : « وهذا الموقوف أصح » .

(٢) الأثر : ١٧٢٨٩ - رخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ٣٤ ، ٣٥ ، عن عبد الله ابن مسعود ، ثم قال : « رواه الطبراني ، وفيه عاصم بن بهدلة . وثقة جماعة ، وضعفه آخرون ، وبقيّة رجاله رجال الصحيح » .

- ١٧٢٩٥ - حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ، عن أشعث بن أبي الشعثاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .
- ١٧٢٩٦ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله ، مثله .
- ١٧٢٩٧ - قال ، حدثنا أبي ، عن أبيه ، عن أبي إسحق ، عن عبد الرحمن قال : « السائحون » ، هم الصائمون .
- ١٧٢٩٨ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « السائحون » ، قال : يعني بالسائحين ، الصائمين .
- ١٧٢٩٩ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : « السائحون » ، هم الصائمون .
- ١٧٣٠٠ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « السائحون » ، الصائمون .
- ١٧٣٠١ - قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قال : كل ما ذكر الله في القرآن ذكر السياحة ، هم الصائمون .^(١)
- ١٧٣٠٢ - قال ، حدثنا أبي ، عن المسعودي ، عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهذيل ، عن أبي عمرو العبدى قال : « السائحون » ، الذين يُدِيمُونَ الصيام من المؤمنين .
- ١٧٣٠٣ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن ثعلبة بن سهيل قال ، قال الحسن : « السائحون » ، الصائمون .
- ١٧٣٠٤ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني منصور بن

(١) في المطبوعة ، حذف « ذكر » من قوله : « ذكر السياحة » . والعبارة مضطربة بعض الاضطراب . وانظر أجود منها في رقم : ١٧٣٠٦ .

هرون ، عن أبي إسحق الفزاري ، عن أبي رجاء ، عن الحسن قال : « السائحون » ، الصائمون شهر رمضان .

١٧٣٠٥ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو خالد ، عن جوير ، عن ٢٩/١١ الضحاك قال : « السائحون » ، الصائمون .

١٧٣٠٦ - قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن جوير ، عن الضحاك قال : كل شيء في القرآن « السائحون » ، فإنه الصائمون .

١٧٣٠٧ - حدثني المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك : « السائحون » ، الصائمون .

١٧٣٠٨ - حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « السائحون » ، يعني الصائمين .
١٧٣٠٩ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن نمير ، ويعلى ، وأبو أسامة ، عن عبد الملك ، عن عطاء قال : « السائحون » ، الصائمون .

١٧٣١٠ - حدثني المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن عطاء ، مثله .

١٧٣١١ - قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة قال ، حدثنا عمرو : وأنه سمع وهب بن منبه يقول : كانت السياحة في بني إسرائيل ، وكان الرجل إذا ساح أربعين سنة ، رأى ما كان يرى السائحون قبله . فساح ولقد بُغِيَ أربعين سنة ، فلم ير شيئاً ، فقال : أي رب ، أرايت إن أساء أبواي وأحسننت أنا ؟ قال : فأرى ما رأى السائحون قبله = قال ابن عيينة : إذا ترك الطعام والشراب والنساء ، فهو السائح .

١٧٣١٢ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة « السائحون » ، قوم أخذوا من أبدانهم ، صوماً لله .

١٧٣١٣ - حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا

إبراهيم بن يزيد ، عن الوليد بن عبد الله ، عن عائشة قالت : سياحةُ هذه الأمة الصيام . (١)

وقوله : « الراكعون الساجدون » ، يعنى المصلين ، الراكعين فى صلاتهم ، الساجدين فيها ، (٢) كما : —

١٧٣١٤ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني منصور بن هرون عن أبى إسحق الفزارى ، عن أبى رجاء ، عن الحسن : « الراكعون الساجدون » ، قال : الصلاة المفروضة .

وأما قوله : « الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر » ، فإنه يعنى أنهم يأمرون الناس بالحق فى أديانهم ، واتباع الرشد والهدى ، والعمل (٣) = وينهونهم عن المنكر ، وذلك نهيمهم الناس عن كل فعل وقول نهى الله عبادة عنه . (٤)

وقد روى عن الحسن فى ذلك ما : —

١٧٣١٥ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني منصور بن هرون ، عن أبى إسحق الفزارى ، عن أبى رجاء ، عن الحسن : « الآمرون بالمعروف » ، لا إله إلا الله = « والناهون عن المنكر » ، عن الشرك .

١٧٣١٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن ثعلبة بن سهيل

(١) الأثر : ١٧٣١٣ — « إبراهيم بن يزيد الخوزى » ، متروك الحديث ، مضى برقم : ١٦٢٥٩ ، ٧٤٨٤ .

و « الوليد بن عبد الله بن أبى مغيث » ، ثقة ، مضى برقم : ١٦٢٥٩ ، ولم يدرك أن يروى عن عائشة ، فهو مرسل عن عائشة .
فهذا خبر ضعيف الإسناد جداً .

(٢) انظر تفسير « أركوع » ، و « السجود » فيما سلف من فهارس اللغة (ركع) ، (سجد) .

(٣) انظر تفسير « المعروف » فيما سلف ص : ٣٤٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « المنكر » فيما سلف ص : ٣٤٧ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

قال ، قال الحسن في قوله : « الأمر بالمعروف » ، قال : أمّا لهم لم يأمرُوا الناس حتى كانوا من أهلها = « والناهون عن المنكر » ، قال : أمّا لهم لم ينهوا عن المنكر حتى انتهوا عنه .

١٧٣١٧ - حدثني المثني قال ، حدثني إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، قال : كل ما ذكر في القرآن « الأمر بالمعروف » ، و « النهي عن المنكر » ، فالأمر بالمعروف ، دعاءٌ من الشرك إلى الإسلام = والنهي عن المنكر ، نهى عن عبادة الأوثان والشياطين .

* * *

قال أبو جعفر : وقد دللنا فيما مضى قبل على صحة ما قلنا : من أن « الأمر بالمعروف » هو كل ما أمر الله به عباده أو رسوله صلى الله عليه وسلم ، و « النهي عن المنكر » ، هو كل ما نهى الله عنه عباده أو رسوله . وإذا كان ذلك كذلك ، ولم يكن في الآية دلالة على أنها عني بها خصوصٌ دون عموم ، ولا خبر عن الرسول ، ولا في فطرة عقلٍ ، فالعموم بها أولى ، لما قد بينا في غير موضع من كتبنا .

* * *

وأما قوله : « والحافظون لحدود الله » ، فإنه يعنى : المؤدّون فرائض الله ، المنتهون إلى أمره ونهيه ، الذين لا يضيعون شيئاً ألزمهم العمل به ، ولا يركبون شيئاً نهاهم عن ارتكابه ، ^(١) كالذى :-

١٧٣١٨ - حدثني المثني قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : « والحافظون لحدود الله » ، يعنى القائمون على طاعة الله . وهو شرطٌ اشترطه على أهل الجهاد ، إذا وفّوا الله بشرطه ، وفي لهم بشرطهم . ^(٢)

(١) انظر تفسير « الحفظ » فيما سلف ٥ : ١٦٧ / ٨ : ٢٩٥ / ١٠ : ٥٦٢ / ١١ : ٥٣٢ .

= وتفسير « الحدود » فيما سلف : ص : ٤٢٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) في المطبوعة : « إذا وفّوا الله بشرطه ، وفي لهم بشرطهم » ، وأثبت ما في المخطوطة .

١٧٣١٩ - حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس : « والحافظون لحدود الله »، قال : القائمون على طاعة الله .

١٧٣٢٠ - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن ثعلبة بن سهيل قال، قال الحسن في قوله : « والحافظون لحدود الله »، قال : القائمون على أمر الله .

١٧٣٢١ - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني منصور بن هرون، عن أبي إسحق الفزاري، عن أبي رجاء، عن الحسن : « والحافظون لحدود الله »، قال : لفرائض الله .

* * *

وأما قوله : « وبشر المؤمنين »، فإنه يعني : وبشر المصدقين بما وعدهم الله إذا هم وفوا الله بعهده ، أنه سوف لهم بما وعدهم من إدخالهم الجنة ، (١) كما : -
١٧٣٢٢ - حدثنا ابن بشار قال، حدثنا هوزة بن خليفة قال، حدثنا عوف، عن الحسن : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم »، حتى ختم الآية ، قال : الذين وفوا ببيعهم = « التائبون العابدون الحامدون »، حتى ختم الآية ، فقال : هذا عملهم وسيرهم في الرخاء ، ثم لقوا العدو فصداقوا ما عاهدوا الله عليه .

* * *

وقال بعضهم : معنى ذلك : وبشر من فعل هذه الأفعال = يعني قوله : « التائبون العابدون » ، إلى آخر الآية = وإن لم يغزوا
* ذكر من قال ذلك :

١٧٣٢٣ - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني منصور بن هرون، عن أبي إسحق الفزاري، عن أبي رجاء، عن الحسن : « وبشر المؤمنين »، قال : الذين لم يغزوا .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ۝١١٣ ۝ وَمَا كَانَ أَسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ ۖ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۖ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ما كان ينبغي للنبي محمد صلى الله عليه وسلم ، والذين آمنوا به = « أن يستغفروا » ، يقول : أن يدعوا بالمغفرة للمشركين ، ولو كان المشركون الذين يستغفرون لهم = « أولى قربي » ، ذوى قرابة لهم = « من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم » ، يقول : من بعد ما ماتوا على شركهم بالله وعبادة الأوثان ، وتبين لهم أنهم من أهل النار ، لأن الله قد قضى أن لا يغفر لمشرك ، فلا ينبغي لهم أن يسألوا ربهم أن يفعل ما قد علموا أنه لا يفعله . فإن قالوا : فإن إبراهيم قد استغفر لأبيه وهو مشرك ؟ فلم يكن استغفار إبراهيم لأبيه إلا لموعدة وعدها إياه . فلما تبين له وعلم أنه لله عدو ، خلاه وتركه ، وترك الاستغفار له ، وآثر الله وأمره عليه ، فتبرأ منه حين تبين له أمره . (١)

* * *

واختلف أهل التأويل في السبب الذى نزلت هذه الآية فيه .

فقال بعضهم : نزلت في شأن أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يستغفر له بعد موته ، فنهاه الله عن ذلك .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٣٢٤ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن

معمر قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة ، دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية ، فقال : يا عم ، قل : لا إله إلا الله ، كلمة

(١) انظر تفسير ألفاظ الآية في سلف من فهارس اللغة .

أحاجُّ لك بها عند الله ! فقال له أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب .
أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لأستغفرن لك
ما لم أنه عنك ! فنزلت : « ما كان النبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين » ،
ونزلت : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ ، [سورة القصص : ٥٦] .

١٧٣٢٥ — حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال ، حدثنا عمي
عبد الله بن وهب قال ، حدثني يونس ، عن الزهري قال ، أخبرني سعيد بن
المسيب ، عن أبيه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة ، جاء رسول الله صلى الله
عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة ، فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عم ، قل : لا إله إلا الله ، كلمة أشهد لك بها
عند الله ! قال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب ، أترغب عن ملة
عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعيدُ له تلك
المقالة ، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم : « هو على ملة عبد المطلب » ،
وأبى أن يقول : « لا إله إلا الله » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله
لأستغفرنَّ لك ما لم أنه عنك ! فأنزل الله : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا
للمشركين » ، وأنزل الله في أبي طالب ، فقال لرسول الله : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾
الآية . (١)

١٧٣٢٦ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا

(١) الأثر : ١٧٣٢٥ — هذا حديث صحيح . رواه البخاري في صحيحه (الفتح ٣ : ١٧٦ ،
١٧٧) من طريق إسحق ، عن يعقوب بن إبراهيم ، عن أبي صالح ، عن ابن شهاب الزهري ،
ورواه أيضاً (الفتح ٨ : ٢٥٨) من طريق إسحق بن إبراهيم ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن
الزهري ، ثم رواه أيضاً (الفتح ٨ : ٣٨٩) من طريق أبي إيمان ، عن شعيب ، عن الزهري .
ورواه مسلم في صحيحه ١ : ٢١٣ - ٢١٦ ، من طرق ، أولها هذه الطريق التي رواها منه
أبو جعفر .

ورواه أحمد في مسنده ٥ : ٤٣٣ ، من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري .
وكلها أسانيد صحاح .

وسياق برقم : ١٧٣٢٨ ، عن سعيد بن المسيب ، لم يرفعه إلى أبيه ، بغير هذا اللفظ .

عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين » ، قال : يقول المؤمنون : ألا نستغفر لآبائنا ، وقد استغفر إبراهيم لأبيه كافراً ؟ فأنزل الله : « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلاّ عن موعدة وعدها لآبائه » ، الآية .

١٧٣٢٧ — حدثني المنثي قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن عمرو بن دينار : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك ، فلا أزال أستغفر لأبي طالب حتى ينهاني عنه ربّي ! فقال أصحابه : لنستغفرن لآبائنا كما استغفر النبي صلى الله عليه وسلم لعمه ! فأنزل الله : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين » إلى قوله : « تبرأ منه » .

١٧٣٢٨ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يزيد بن هرون ، عن سفيان بن عيينة ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب قال : لما حضر أبا طالب الوفاة ، أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل بن هشام ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أئى عم ، إنك أعظم الناس علىّ حقاً ، وأحسنهم عندى يداً ، ولأنت أعظم علىّ حقاً من والدى ، فقل كلمة تجب لى بها الشفاعة يوم القيامة ، قل : لا إله إلا الله = ثم ذكر نحو حديث ابن عبد الأعلى ، عن محمد بن ثور .

* * *

وقال آخرون : بل نزلت فى سبب أمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنه أراد أن يستغفر لها ، فنع من ذلك .
* ذكر من قال ذلك :

١٧٣٢٩ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا فضيل ، عن عطية قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وقف على قبر أمّه حتى سحّبت عليه الشمس ، رجاء أن يؤذن له فيستغفر لها ، حتى نزلت :

« ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قرى » ، إلى قوله : « تبرأ منه » .

١٧٣٣٠ - قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا قيس ، عن علقمة ابن مرثد ، عن سليمان بن بريدة ، عن أبيه : أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى رَسَمَ = قال : وأكثر ظني أنه قال : قَبْرٌ ^(١) = فجلس إليه ، فجعل يخاطبُ ، ثم قام مُسْتَعْبِرًا ^(٢) ، فقلت : يا رسول الله ، إننا رأينا ما صنعت ! قال : إني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي ، فأذن لي ، واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي . فما رؤي بأكبر من يومئذٍ . ^(٣)

١٧٣٣١ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ما كان للنبي والذين آمنوا » ، إلى : « أنهم أصحاب الجحيم » ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يستغفر لأمته ، فنهاه الله عن ذلك ، فقال : وإن إبراهيم خليل الله قد استغفر لأبيه ! فأنزل الله : « وما كان استغفار إبراهيم » ، إلى « لأواه حلیم » .

* * *

(١) في المطبوعة : « أتى رسماً - وأكبر ظني أنه قال : قَبْرًا » ، غير ما في المخطوطة ، والصواب ما فيها لأنه ذكر المضاف « أتى رسم » ثم فصل وقال : « قَبْر » ، فيما رجح من ظنه ، يعني : « رسم قبر » ، على الإضافة .

(٢) في المخطوطة : « ثم قام مستغفراً » ، والصواب ما في المطبوعة ، وتفسير ابن كثير ٤ : ٢٥٠ ، نقلا عن هذا الموضع من تفسير أبي جعفر .

(٣) الأثر : ١٧٣٣٠ - « علقمة بن مرثد الحضرمي » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ١١٣٣٠ .

و « سليمان بن بريدة بن الحصيب الأسلمي » ، ثقة ، روى عن أبيه ، ثقة ، مضى برقم : ١١٣٣٠ . وأبوه « بريدة بن الحصيب الأسلمي » ، صحابي ، أسلم قبل بدر ، ولم يشهد بها . فهذا خبر صحيح الإسناد ، وذكره ابن كثير في تفسيره ٤ : ٣٥ ، بهذا اللفظ .

ورواه أحمد في مسنده ٥ : ٣٥٩ ، من طريق حسين بن محمد ، عن خلف عن خليفة ، عن سليمان بن بريدة ، عن أبيه ، بغير هذا اللفظ مطولا .

ورواه من طريق محارب بن دثار ، عن ابن بريدة ، عن أبيه (٥ : ٣٥٥) ، ثم من طريق القاسم بن عبد الرحمن ، عن أبي بريدة ، عن أبيه (٥ : ٣٥٦) .

وقال آخرون : بل نزلت من أجل أن قوماً من أهل الإيمان كانوا يستغفرون لموتاهم من المشركين ، فنهوا عن ذلك .
* ذكر من قال ذلك :

١٧٣٣٢ — حدثني المثنى قال ، حدثني عبد الله بن صالح قال ، حدثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين » ، الآية ، فكانوا يستغفرون لهم ، حتى نزلت هذه الآية . فلما نزلت ، أمسكوا عن الاستغفار لأمواتهم ، ولم ينههم أن يستغفروا للأحياء حتى يموتوا ، ثم أنزل الله : « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه » ، الآية .

١٧٣٣٣ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين » ، الآية ، ذكر لنا أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا : يا نبي الله ، إن من آبائنا من كان يُجسِّن الجوار ، ويصل الأرحام ، ويفك العاني ، ويوفى بالدم ، أفلا نستغفر لهم ؟ قال : فقال النبي صلى الله عليه وسلم : بلى ! والله لأستغفرن لأبي ، كما استغفر إبراهيم لأبيه ! قال : فأنزل الله : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين » حتى بلغ : « الجحيم » ، ثم عذر الله إبراهيم فقال : « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه » . قال : وذكر لنا أن نبي الله قال : أوحى إليّ كلمات فدنخلن في أذني ، ووَقَرْنَ في قلبي : أمرت أن لا أستغفر لمن مات مشركاً ، ومن أعطى فَضْلاً ماله فهو خيرٌ له ، ومن أمسك فهو شرٌّ له ، ولا يلوم الله على كَفَافٍ .^(١)

* * *

(١) « الكفاف » (بفتح الكاف) ، وهو من الرزق على قدر حاجة المرء ، لا يفضل منه شيء . وإذا لم يكن عنه المرء فضل عن قوته ، لم يلمه الله تعالى ذكره ، على أن لا يعطى أحداً . وانظر مثل هذا المعنى فيما سلف رقم : ٤١٧٣ .

واختلف أهل العربية في معنى قوله : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين » .

فقال بعض نحويي البصرة : معنى ذلك : ما كان لهم الاستغفار = وكذلك معنى قوله : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ ﴾ ، وما كان لنفس الإيمان = ﴿ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ ، [سورة يونس : ١٠٠] .

* * *

وقال بعض نحويي الكوفة : معناه : ما كان ينبغي لهم أن يستغفروا لهم . قال : وكذلك إذا جاءت «أن» مع «كان» ، فكلها بتأويل : ينبغي ، ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلَّ ﴾ [سورة آل عمران : ١٦١] ، ما كان ينبغي له ، ليس هذا من أخلاقه . قال : فلذلك دخلت « أن » لتدل على الاستقبال ، ^(١) لأن « ينبغي » تطلب الاستقبال .

* * *

وأما قوله : « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه » ، فإن أهل العلم اختلفوا في السبب الذي أنزل فيه .

فقال بعضهم : أنزل من أجل أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يستغفرون لموتاهم المشركين ، ظناً منهم أن إبراهيم خليل الرحمن قد فعل ذلك ، حين أنزل الله قوله خبراً عن إبراهيم : ﴿ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ [سورة مريم : ٤٧] .

وقد ذكرنا الرواية عن بعض من حضرنا ذكره ، وسندكر عن لم يذكره . ١٧٣٣٤ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي إسحق ، عن أبي الخليل ، عن علي قال : سمعت رجلاً يستغفر لوالديه وهما مشركان ، فقلت : أيستغفر الرجل لوالديه وهما مشركان ؟ فقال : أو لم يستغفر إبراهيم لأبيه ؟ قال : فأنيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له ،

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « تدل » بغير لام ، والسياق يقتضي إثباتها .

فأنزل الله : « وما كان استغفار إبراهيم » إلى « تبرأ منه » . (١)

١٧٣٣٥ - حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا يحيى ، عن سفيان ، عن أبي إسحق ، عن أبي الخليل ، عن علي : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستغفر لأبويه وهما مشركان ، حتى نزلت : « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه » ، إلى قوله : « تبرأ منه » . (٢)

* * *

وقيل : « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة » ، ومعناه : إلا من بعد موعدة ، كما يقال : « ما كان هذا الأمر إلا عن سبب كذا » ، بمعنى : من بعد ذلك السبب ، أو من أجله . فكذلك قوله : « إلا عن موعدة » ، من أجل موعدة وبعدها . (٣)

* * *

وقد تأول قوم قول الله : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي » ، الآية ، أن النهي من الله عن الاستغفار للمشركين بعد مماتهم ، لقوله : « من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم » . وقالوا : ذلك لا يتبينه أحدٌ إلا بأن يموت على كفره ، وأما وهو حيٌّ فلا سبيل إلى علم ذلك ، فللمؤمنين أن يستغفروا لهم .

(١) الأثر : ١٧٣٣٤ - « أبو الخليل » . هو « عبد الله بن أبي الخليل الهمداني » ، ثقة ، مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٤٥/٢ ، وابن سعد في الطبقات ٦ : ١٦٩ ، وقال : « روى عن علي ثلاثة أحاديث ، من حديث أبي إسحق » . وفرق بينه وبين « عبد الله بن الخليل الحضرمي » (الطبقات ٦ : ١٧٠) ، وكذلك فعل ابن أبي حاتم وغيره .

وهذا الخبر رواه أحمد في مسنده رقم : ١٠٨٥ من طريق وكيع ، عن سفيان ، عن أبي إسحق ، ومن طريق عبد الرحمن ، عن سفيان ، عنه ، ورواه قبله رقم : ٧٧١ ، من طريق يحيى بن آدم ، عن سفيان . وانظر الخبر التالي .

(٢) الأثر : ١٧٣٣٥ - رواد أحمد في المسند رقم : ٧٧١ ، من طريق يحيى بن آدم أيضاً ، ولكن بغير هذا اللفظ ، وأن المستغفر رجل من المسلمين ، كالذي سلف . وانظر بيانه في شرح أخى السيد أحمد .

(٣) انظر تفسير « عن » بمعنى « بعد » فيما سلف ١٠ : ٣١٣ .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٣٣٦ — حدثنا سليمان بن عمر الرقي ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، عن سفيان الثوري ، عن الشيباني ، عن سعيد بن جبير قال : مات رجل يهودي وله ابنٌ مسلم ، فلم يخرج معه ، فذكر ذلك لابن عباس فقال : كان ينبغي له أن يمشي معه ويدفنه ، ويدعو له بالصالح ما دام حياً ، فإذا مات ، وكله إلى شأنه ! ثم قال : « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلاّ عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه » ، لم يدع^(١).

١٧٣٣٧ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا فضيل ، عن ضرار بن مرة ، عن سعيد بن جبير قال : مات رجل نصراني ، فوكله ابنه إلى أهل دينه ، فأتيت ابن عباس فذكرت ذلك له ، فقال : ما كان عليه لو مشى معه وأجنته واستغفر له ؟^(٢) ثم تلا : « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلاّ عن موعدة وعدها إياه » ، الآية .^(٣)

* * *

وتأول آخرون «الاستغفار» ، في هذا الموضع ، بمعنى الصلاة .^(٤)

* ذكر من قال ذلك :

١٧٣٣٨ — حدثني المشني قال ، حدثني إسحق قال ، حدثنا كثير بن

(١) الأثر : ١٧٣٣٦ — « الشيباني » هو « ضرار بن مرة » ، « أبو سنان الشيباني » الأكبر ، ثقة ، مترجم في التهذيب ، والكبير ٣٤٠/٢/٢ ، وابن أبي حاتم ٤٦٥/١/٢ . ومضى له ذكر في رقم : ١٠٢٣٨ ، للتفريق بينه وبين « أبي سنان الشيباني » الأصغر ، وهو « سعيد بن سنان البرجمي » . وسيأتي في الخبر التالي ، التصريح باسمه .

(٢) « أجنته » ، وأراه في قبره .

(٣) الأثر : ١٧٣٣٧ — « ضرار بن مرة » ، هو الشيباني ، سلف في التعليق قبله . وفي لفظ هذا الخبر اضطراب ظاهر ، فإن الخبر الأول قبله عن الشيباني ، دال على التهي عن الاستغفار له بعد موته ، وفي هذا الخبر ، إذن بالاستغفار له بعد موته . ولا أدري من أين جاء هذا الاختلاف على الشيباني في لفظه .

(٤) في المخطوطة : « بمعنى الصلاح » ، والصواب ما في المطبوعة ، كما دل عليه الأثر التالي .

هشام ، عن جعفر بن برقان قال ، حدثنا حبيب بن أبي مرزوق ، عن عطاء ابن أبي رباح قال : ما كنت أدع الصلاة على أحدٍ من أهل هذه القبلة ، ولو كانت حبشية حبلى من الزنا ، لأنى لم أسمع الله يحجب الصلاة إلا عن المشركين ، يقول الله : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين » .

* * *

وتأوله آخرون ، بمعنى الاستغفار الذى هو دعاء .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٣٣٩ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن عصمة بن زامل ، عن أبيه قال : سمعت أبا هريرة يقول : رحم الله رجلاً استغفر لأبى هريرة ولأمة ، قلت : ولأبيه ؟ قال : لا ، إن أبى مات وهو مشرك .^(١)

* * *

قال أبو جعفر : وقد دللنا على أن معنى « الاستغفار » : مسألة العبد ربّه غفر الذنوب . وإذا كان ذلك كذلك ، وكانت مسألة العبد ربّه ذلك قد تكون فى الصلاة وفى غير الصلاة ،^(٢) لم يكن أحد القولين اللذين ذكرنا فاسداً ، لأن الله عمّ بالنهى عن الاستغفار للمشرك ، بعد ما تبين له أنه من أصحاب الجحيم ، ولم يخص عن ذلك حالاً أباح فيها الاستغفار له .

* * *

(١) الأثر : ١٧٣٣٩ — « عصمة بن زامل الطائى » ، مترجم فى الكبير ٦٣/١/٤ ، وابن أبى حاتم ٢٠/٢/٣ ، ولسان الميزان ٤ : ١٦٨ ، ١٦٩ ، وقال : « روى عن أبيه ، عن أبي هريرة . وعند وكيع ، وجميل بن حماد الطائى . قال البرقاني : قلت للدارقطنى : جميل بن حماد ، عن عصمة بن زامل ، فذكر هذا الاسناد . فقال : إسناد بدوى ، يخرج اعتباراً » .
وكان فى المطبوعة : « عصمة بن راشد » ، غير ما فى المخطوطة كأنه بحث فلم يجده ، فظنه تحريفاً .

وأبوه : « زامل بن أوس الطائى » ، مترجم فى الكبير ٤٠٥/١/٢ ، وابن حاتم ٦١٧/٢/١ ، ولسان الميزان ٢ : ٤٦٩ ، وقال الدارقطنى : إسناد يروى ، يخرج اعتباراً . وذكره ابن حبان فى الثقات .

(٢) انظر تفسير الاستغفار ، فيما سلف من فهارس اللغة (غفر) .

وأما قوله : « من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم » ، فإن معناه ما قد بينتُ ، من أنه : من بعد ما يعلمون بموته كافراً أنه من أهل النار .

* * *

وقيل : « أصحاب الجحيم » ، لأنهم سكانها وأهلها الكائنون فيها ، كما يقال لسكان الدار : « هؤلاء أصحاب هذه الدار » ، بمعنى : سكانها .^(١)

* * *

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٣٤٠ - حدثني المشي قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم » ، قال : تبين للنبي صلى الله عليه وسلم أن أبا طالب حين مات أن التوبة قد انقطعت عنه .
١٧٣٤١ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قال : « تبين له » حين مات ، وعلم أن التوبة قد انقطعت عنه = يعني في قوله : « من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم » .

١٧٣٤٢ - حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاک في قوله : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين » الآية ، يقول : إذا ماتوا مشركين ، يقول الله : ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ﴾ ،^(٢) الآية ، [سورة المائدة : ٧٢] .

* * *

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله : « فلما تبين له أنه عدو الله تبرأ منه » . قال بعضهم : معناه : فلما تبين له بموته مشركاً بالله ، تبرأ منه ، وترك الاستغفار له .

* ذكر من قال ذلك :

(١) انظر تفسير « أصحاب النار » وغيرها فيما سلف من فهارس اللغة (جحب) .
(٢) في المخطوطة والمطبوعة : « ومن يشرك » ، وهو سهو ، والتلاوة ما أثبت .

١٧٣٤٣ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن حبيب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات = « فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه » .

١٧٣٤٤ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن حبيب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات = فلما مات ، تبين له أنه عدو لله .

١٧٣٤٥ — حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان ، عن حبيب ابن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لم يزل إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات ، فلما مات لم يستغفر له .

١٧٣٤٦ — حدثني المثني قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلاّ عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه » ، يعني : استغفر له ما كان حياً ، فلما مات أمسك عن الاستغفار له .

١٧٣٤٧ — حدثني مطر بن محمد الضبي قال ، حدثنا أبو عاصم ، وأبو قتيبة مسلم بن قتيبة ، قالوا ، حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد في قوله : « فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه » ، قال : لما مات .

٣٤/١١

١٧٣٤٨ — حدثنا محمد بن المثني قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، مثله .

١٧٣٤٩ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « فلما تبين له أنه عدو لله » ، قال : موته وهو كافر .

١٧٣٥٠ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثني أبي ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، مثله .

١٧٣٥١ - قال ، حدثنا ابن أبي غنية ، عن أبيه ، عن الحكم :
« فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه » ، قال : حين مات ولم يؤمن . (١)

١٧٣٥٢ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن عمرو بن دينار : « فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه » ، موته وهو كافر .

١٧٣٥٣ - قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، حدثنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك في قوله : « فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه » ، قال : لما مات .

١٧٣٥٤ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة :
« فلما تبين له أنه عدو لله » ، لما مات على شركه = « تبرأ منه » .

١٧٣٥٥ - حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ،
حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه » ، كان إبراهيم صلوات الله عليه يرجو أن يؤمن أبوه ما دام حياً ،
فلما مات على شركه تبرأ منه .

١٧٣٥٦ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه » ، قال : موته وهو كافر .

١٧٣٥٧ - حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال :

(١) الأثر : ١٧٣٥١ - « ابن أبي غنية » ، هو « يحيى بن عبد الملك بن حميد بن أبي غنية الخزازي » - مضى مراراً ، آخر رقم : ١١٠٨٥ .

وأبوه : « عبد الملك بن حميد بن أبي غنية » . يروى عن « الحكم بن عتيبة » ، مضى أيضاً رقم : ١١٠٨٥ ، ١٠٥٩٧ .

وكان في المطبوعة : « حدثنا البراء بن عتبة » . غير م . في المخطوطة ، لأن النسخ أساء نقطه ، وصوابه ما أثبت .

ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات ، فلما مات تبين له أنه عدو لله ، فلم يستغفر له . (١)

١٧٣٥٨ - . . . قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، أبو إسرائيل ، عن علي بن بذيمة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « فلما تبين له أنه عدو لله » ، قال : فلما مات .

* * *

وقال آخرون : معناه : فلما تبين له في الآخرة . وذلك أن أباه يتعلق به إذا أراد أن يجوز الصراط ، فيمرّ به عليه ، حتى إذا كاد أن يجاوزه ، حانت من إبراهيم التفاتة ، فإذا هو بأبيه في صورة قرد أوضيغ ، فيخلى عنه ويترأ منه حينئذ . (٢)

* ذكر من قال ذلك :

١٧٣٥٩ - حدثنا عمرو بن علي قال ، حدثنا حفص بن غياث قال ، حدثنا عبد الله بن سليمان قال : سمعت سعيد بن جبير يقول : إن إبراهيم يقول يوم القيامة : « ربّ والدي ، ربّ والدي » ! فإذا كانت الثالثة ، أخذ بيده ، فيلتفت إليه وهو ضيغان^(٣) ، فيتبرأ منه .

١٧٣٦٠ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن عبيد ابن عمير قال : إنكم مجموعون يوم القيامة في صعيد واحد ، يسمعكم الداعي ، وينفذكُم البصر . قال : فتزفرُّ جهنم زفرة لا يبقى ملكٌ مُقرَّب ولا نبيٌّ مرسل إلا وقع

(١) الأثر : ١٧٣٥٧ - « أحمد بن إسحق الأهوازي » ، شيخ أبي جعفر ، مضى مراراً كثيرة ، وهو إسناده دائر في التفسير . وكان في المخطوطة والمطبوعة هنا : « محمد بن إسحق » وهو خطأ محض .

(٢) في المطبوعة : « فخلّى عنه وتبرأ منه » ، والصواب ما في المخطوطة .

(٣) « الضيغان » (بكسر فسكون) ، ذكر الضياع ، لا يكون بالألف والنون إلا للمذكر . والأنثى « الضيغ » (بفتح فضم) ، ويقال للذكر أيضاً « ضيغ » . وبالتذكير جاء في كلام الطبري أنفأ ووسأقى في الذي يلي هذا الخبر .

لركبتيه ، تُرْعَدُ فرائضه ! قال : فحسبته يقول : نَفْسِي نَفْسِي ! ويضربُ الصُّراطَ على جهنم كحدِّ السيف ، ^(١) دَحْضٍ مَزَلَّةٍ ، ^(٢) وفي جانبيه ملائكة معهم خطاطيف كشوك السعدان . قال : فيمضون كالبرق ، وكالريح ، وكالطير ، وكأجاويد الركاب ، وكأجاويد الرجال ، ^(٣) والملائكة يقولون : « رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ » ، فناجٍ سالمٌ ومخدوش ناجٍ ، ومكدوسٌ في النار ، ^(٤) فيقول : إبراهيم لأبيه : إني كنت آمرك في الدنيا فتعصيتني ، ولست تاركك اليوم ، فخذُ بحقوقي ! ^(٥) فيأخذُ بِضَبْعَيْهِ ، ^(٦) فيمسحُ ضَبْعاً ، فإذا رآه قد مُسِخَ تبرأ منه . ^(٧)

* * *

(١) في المطبوعة : « فيضرب الصراط على جسر جهنم » ، زاد « جسر » ، وليست في المخطوطة .
(٢) في المطبوعة : « وحضر من له » ، وهو كلام خلو من كل معنى . وفي المخطوطة « دحضر مزله » ، غير مثقوطة ، وعلى الصاد مثل الألف (ا) ، ومثلها على هاء « مزله » ، وهو شك من الكاتب ، ولو قرأها قارئ : « وخطر مزلة » لكان له شبه معنى ، ولكن واو العطف فساد في الكلام . والصواب ما قرأته إن شاء الله ، ويؤيده ما جاء في حديث أبي ذر : « إن خليلي صلى الله عليه وسلم قال : إن دون جسر جهنم طريقاً ذا دحض » . و « الدحض » (بفتح الدال وسكون الحاء) الزلق . و « المزلة » (بفتح الزاي أو كسرهما) الموضع الذي تنزل فيه الأقدام . ويقال : « مزلة مدحاض » . ثم وجدت صواب ما قرأت في المستدرک للحاكم ٤ : ٥٨٣ ، كما سترى بعد .

(٣) وقوله : « كأجاويد الركاب ، وكأجاويد الرجال » ، « الأجاويد » جمع « أجواد » ، وهي جمع « جواد » ، وهو الفرس السابق الجيد ، ثم يقال : « فرس جواد الشدة » ، إذا كان يجود بحضره وجريه جوداً متتابعاً ، لا يكل . و « الركاب » : الإبل التي يسار عليها ، واحدها « راحلة » ، ولا واحد لها من لفظها . وأما « الرجال » ، فظني أنه جمع « رجيل » ، و « الرجيل » من الخيل ، الموطوء الركوب الذي لا يعرق . أو يكون جمع « رجل » ، يعنى الرجال العدائين ، لأنه أتى في جمع الزوائد : « كجري الفرس » ، ثم كسعى الرجل .

بيد أن رواية اللسان في مادة (جود) قال : « وفي حديث الصراط : ومنهم من يمر كأجاويد الخيل » ، ورواية الحاكم في المستدرک : « وكأجاويد الخيل والمراكب » .

(٤) « مكدوس » ، مدفوع فيها ، من « الكدس » ، وهو الصرع والإلقاء ، « كدس به الأرض » ، صرعه ، وألصقه بها . و « كدسه » : طرده من ورائه وساقه . وهذه التي هنا هي إحدى الروايتين . والرواية الأخرى « مكردس » . و « المكردس » الذي جمعت يدها ورجلاه وأوثق ، ثم ألقى على الأرض ، كما يفعل بالأسير . وهذه رواية الحاكم في المستدرک .

(٥) « الحقو » (بفتح الحاء وكسرهما ، وسكون القاف) : مشد الإزار من الجنب .

(٦) « الضبع » (بفتح فسكون) : من الإنسان وغيره ، وسط الضبد بلحمه .

(٧) الأثر : ١٧٣٦٠ - حديث الصراط ، رواه الحاكم في المستدرک ٤ : ٥٨٢ - ٥٨٤ من

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، قولُ الله ، وهو خبره عن إبراهيم أنه لما تبين له أن أباه لله عدوٌّ ، تبرأ منه ، وذلك حال علمه ويقينه أنه لله عدوٌّ ، وهو به مشرك ، وهو حالُ موته على شركه .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ (١١٤)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في « الأواه » .

فقال بعضهم : هو الدعاء . (١)

* ذكر من قال ذلك :

١٧٣٦١ — حدثنا ابن بشار ، قال حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ،

عن عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله قال : « الأواه » ، الدعاء .

١٧٣٦٢ — حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالوا ، حدثنا أبو بكر ، عن ٣٥/١١

عاصم ، عن زر ، عن عبد الله قال : « الأواه » ، الدعاء .

١٧٣٦٣ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثني جرير

ابن حازم ، عن عاصم بن بهدلة ، عن زرّ بن حبیش قال : سألت عبد الله عن « الأواه » ، فقال : هو الدعاء .

طريق هشام بن سعد ، عن زيد بن المسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري . مطولا ، وقال : « حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه بهذه السياقة » . وليس فيه ذكر أبيينا إبراهيم عليه السلام .

ومن حديث الصراط ما أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠ : ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، من حديث عائشة ، « رواه أحمد ، وفيه ابن لهيعة ، وهو ضعيف ، وقد وثق . وبقية رجاله رجال الصحيح » . وفي هذا الخبر ذكر ما أشرت إليه في التعليق ص : ٥٢٢ ، « من قوله : « كأجاويد الخيل والركاب » وأخرجه الهيثمي أيضاً (١٠ : ٣٥٩ ، ٣٦٠) ، عن عبد الله بن مسعود ، خبراً فيه « كجري الفرس ، ثم كسعى الرجل » كما أشرت إليه في التعليق رقم : ٢ ، ص : ٥٢٢ .

(١) « الدعاء » (بتشديد العين) : الكثير الدعاء .

١٧٣٦٤ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا محمد بن بشر ، عن ابن أبي عروبة ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله ، مثله .
 ١٧٣٦٥ - قال ، حدثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن عبد الكريم عن أبي عبيدة ، عن عبد الله قال : « الأواه » ، الدعاء .
 ١٧٣٦٦ - قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله ، مثله .

١٧٣٦٧ - حدثنا أحمد قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، وإسرائيل ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله ، مثله . (١)
 ١٧٣٦٨ - حدثني يعقوب بن إبراهيم وابن وكيع قالا ، حدثنا ابن عليه قال ، حدثنا داود بن أبي هند قال ، نُبِئْتُ عن عبيد بن عمير قال : « الأواه » ، الدعاء .

١٧٣٦٩ - حدثني إسحق بن شاهين قال ، حدثنا داود ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي ، عن أبيه قال : « الأواه » ، الدعاء

* * *

وقال آخرون : بل هو الرحيم .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٣٧٠ - حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن سلمة ، عن مسلم البطين ، عن أبي العُبَيْدِ بْنِ قَالَ : سئل عبد الله عن «الأواه» فقال : الرحيم . (٢)

(١) الآثار : ١٧٣٦٣-١٧٣٦٧ - حديث زر ، عن عبد الله بن مسعود ، خرببه الهيشي في مجمع الزوائد ٧ : ٣٥ ، وقال : « رواه الطبراني ، وفيه عاصم - يعني عاصم بن أبي النجود - وهو ثقة وقد ضعف » .

(٢) الأثر : ١٧٣٧٠ - خبر أبي العبيد ين ، عن عبد الله ، رواه الطبري من طرق من رقم : ١٧٣٧٠ - ١٧٣٧٨ ، ١٧٣٨٦ .

- ١٧٣٧١ - حدثنا محمد بن المثني قال، حدثني محمد بن جعفر قال، حدثنا
شعبة، عن الحكم قال : سمعت يحيى بن الحزار يحدث، عن أبي العبيدين، رجل
ضريب البصر : أنه سأل عبد الله عن «الأواه» ، فقال : الرحيم .^(١)
- ١٧٣٧٢ - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا المحاربي = وحدثنا خلاد بن أسلم
قال ، أخبرنا النضر بن شميل = جميعاً، عن المسعودي، عن سلمة بن كهيل،
عن أبي العبيدين : أنه سأل ابن مسعود فقال : ما «الأواه» ؟ قال : = الرحيم .
- ١٧٣٧٣ - حدثنا زكريا بن يحيى بن أبي زائدة قال، حدثنا ابن إدريس ،
عن الأعمش، عن الحكم ، عن يحيى بن الحزار ، عن أبي العبيدين : أنه جاء
إلى عبد الله = وكان ضريب البصر = فقال : يا أبا عبد الرحمن ، من نسأل إذا
لم نسألك ؟ فكأن ابن مسعود رق له ، قال : أخبرني عن «الأواه» ؟ قال : الرحيم .
- ١٧٣٧٤ - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال،
حدثنا أبي = ، عن سفيان، عن سلمة بن كهيل ، عن مسلم البطين ، عن
أبي العبيدين قال : سألت عبد الله عن «الأواه» ، فقال : هو الرحيم .
- ١٧٣٧٥ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن
الحكم ، عن يحيى بن الحزار قال جاء أبو العبيدين إلى عبد الله فقال له : ما
حاجتك ؟ قال : ما «الأواه» ؟ قال : الرحيم .
- ١٧٣٧٦ - . . . قال ، حدثنا ابن إدريس ، عن الأعمش ، عن الحكم ،

«سلمة» ، هو «سلمة بن كهيل الحضرمي» ثقة ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٤٥٠٣
و«مسلم البطين» ، هو «مسلم بن عمران» . ثقة . مضى برقم : ١٤٥٠٣ - ١٤٥٠٦ .
و«أبو العبيدين» ، هو «معاوية بن سبرة بن حصين السوائي العامري الأعشى» ، ثقة ، كان
ابن مسعود يذنيه ويقربه ، مترجم في التهذيب ، والكبير ٣٢٩/١/٤ ، وابن أبي حاتم ٣٨٧/١/٤ .
وهذا الخبر ، خرجته الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ٣٥ ، مطولا وقال : «رواه كله الطبراني
بأسانيد ، ورجال الروایتين الأوليين ، ثقات» .

(١) الأثر : ١٧٣٧١ - «يحيى بن الحزار العرفي» ، ثقة ، مضى برقم : ٥٤٢٥ ، ١٦٤٠٦

عن يحيى بن الجزار ، عن أبي العبيدين ، رجل من بنى سَوَاءة ، قال : جاء رجل إلى عبد الله فسأله عن « الأواه » ، فقال له عبد الله : الرحيم .

١٧٣٧٧ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا الحارثي ، وهاني بن سعيد ، عن حجاج ، عن الحكم ، عن يحيى بن الجزار ، عن أبي العبيدين ، عن عبد الله قال : « الأواه » ، الرحيم .

١٧٣٧٨ — حدثني يعقوب وابن وكيع قالا ، حدثنا ابن علي ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن يحيى بن الجزار : أن أبا العبيدين ، رجل من بنى نَمِير = قال يعقوب : كان ضريراً البصر ، وقال ابن وكيع : كان مكفوف البصر = سأل ابن مسعود فقال : ما « الأواه » ؟ قال : الرحيم .

١٧٣٧٩ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن زكريا ، عن أبي إسحق . عن أبي ميسرة قال : « الأواه » ، الرحيم .

١٧٣٨٠ — قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي إسحق ، عن أبي ميسرة ، مثله .

١٧٣٨١ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبي إسحق . عن أبي ميسرة ، مثله .

١٧٣٨٢ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا محمد بن بشر ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن قال : هو الرحيم .

١٧٣٨٣ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : كنا نحدث أن « الأواه » الرحيم .

١٧٣٨٤ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « إن إبراهيم لأواه » ، قال : رحيم .

* * *

وقال عبد الكريم الجزري ، عن أبي عبيدة ، عن ابن مسعود مثل ذلك .

١٧٣٨٥ — حدثنا أحمد قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ،

عن عبد الكريم ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله قال : « الأواه » ، الرحيم . ٣٦/١١

١٧٣٨٦ — حدثنا أحمد قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن

سلمة ، عن مسلم البطين ، عن أبي العبيدين : أنه سأل عبد الله عن « الأواه » ، فقال : الرحيم .

١٧٣٨٧ — قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي إسحق ، عن عمرو بن

شرحبيل قال : « الأواه » ، الرحيم .

١٧٣٨٨ — حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا مبارك ،

عن الحسن قال : « الأواه » ، الرحيم بعباد الله .

١٧٣٨٩ — قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو خيثمة زهير

قال ، حدثنا أبو إسحق الهمداني ، عن أبي ميسرة ، عن عمرو بن شرحبيل قال : « الأواه » ، الرحيم ، بلحن الحبشة .

* * *

وقال آخرون : بل هو الموقن .^(١)

* ذكر من قال ذلك :

١٧٣٩٠ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ،

حدثنا أبي = ، عن سفيان ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : « الأواه » ، الموقن .

١٧٣٩١ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يحيى بن آدم ، عن ابن مبارك ،

عن خالد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : « الأواه » ، الموقن ، بلسان الحبشة .

١٧٣٩٢ — قال ، حدثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن حسن ، عن

(١) في المخطوطة في هذا الموضع ، وفي أكثر المواضع التالية « الموقن » ، وفي بعضها « الموقن » ، والذي في المطبوعة أشبه بالصواب ، فتركته على حاله ، حتى أجد ما يرجعه .

- مسلم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال ، « الأواه » ، الموقن ، بلسان الحبشة .
 ١٧٣٩٣ - حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، سمعت سفيان
 يقول : « الأواه » ، الموقن = وقال بعضهم : الفقيه الموقن .
 ١٧٣٩٤ - حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان ،
 عن جابر ، عن عطاء قال : « الأواه » ، الموقن ، بلسان الحبشة .
 ١٧٣٩٥ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن
 رجل ، عن عكرمة قال : هو الموقن ، بلسان الحبشة .
 ١٧٣٩٦ - قال ، حدثنا ابن نمير ، عن الثوري ، عن مجالد ، عن
 أبي هاشم ، عن مجاهد قال : « الأواه » ، الموقن .
 ١٧٣٩٧ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا
 الثوري ، عن مسلم ، عن مجاهد قال : « الأواه » ، الموقن .
 ١٧٣٩٨ - قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن
 قابوس ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس قال : « الأواه » ، الموقن .
 ١٧٣٩٩ - حدثني المثني قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن
 ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « أواه » ، موقن .
 ١٧٤٠٠ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، قال ، حدثنا
 عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « أواه » ، قال : مؤتمن موقن .
 ١٧٤٠١ - حدثت عن الحسين بن الفرج قال : سمعت أبا معاذ يقول ،
 أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاک يقول في قوله : « إن إبراهيم لأواه
 حلیم » ، قال : « الأواه » ، الموقن .

* * *

وقال آخرون : هي كلمة بالحبشة ، معناها المؤمن .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤٠٢ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « لأواه حليم » ، قال : « الأواه » ، هو المؤمن ، بالحبيشية .^(١)

١٧٤٠٣ — حدثنا علي بن داود قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « إن إبراهيم لأواه » ، يعني : المؤمن التواب .
١٧٤٠٤ — حدثنا أحمد قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا حسن بن صالح ، عن مسلم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : « الأواه » ، المؤمن .

١٧٤٠٥ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « الأواه » ، المؤمن ، بالحبيشية .^(٢)

* * *

وقال آخرون : هو المسيح ، الكثير الذكر لله .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤٠٦ — حدثني المثني قال ، حدثنا الحماني قال ، حدثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد قال : « الأواه » ، المسيح .

١٧٤٠٧ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا المخاربي ، عن حجاج ، عن الحكم ، عن الحسن بن مسلم بن يناق : أن رجلاً كان يكثر ذكر الله ويسبِّح ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : إنه أواه .

١٧٤٠٨ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يزيد بن حيان ، عن ابن لهيعة ، عن الحارث بن يزيد ، عن علي بن رباح ، عن عقبة بن عامر قال : « الأواه » ، الكثير الذكر لله .

* * *

وقال آخرون : هو الذي يكثر تلاوة القرآن .

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « بالحبيشة » ، والصواب ما أثبت ، كما سيأتي في المخطوطة في التالية .
(٢) في المطبوعة فقط : « بالحبيشة » ، وأثبت ما في المخطوطة .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤٠٩ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن يمان قال ، حدثنا المنهال

ابن خليفة ، عن حمّاج بن أرتاة ، عن عطاء ، عن ابن عباس : أن النبي صلى الله عليه وسلم دفن ميتاً ، فقال : يرحمك الله ، إن كنت لأواهاً ! = يعنى تلاءً

٣٧/١١

للقرآن . (١)

* * *

وقال آخرون : هو من التأوّه .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤١٠ - حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا

شعبة ، عن أبي يونس القشيري ، عن قاصّ كان بمكة : أن رجلاً كان في الطواف فجعل يقول : أوّه ! (٢) قال : فشكاه أبو ذر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : دعه ، إنه أوّاه !

١٧٤١١ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع

قال ، حدثنا أبي = ، عن شعبة ، عن أبي يونس الباهلي قال : سمعت رجلاً بمكة كان أصله روميّاً ، يحدث عن أبي ذر قال : كان رجل يطوف بالبيت ويقول في دعائه : « أوّه ! أوّه » ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : إنه أوّاه ! = زاد أبو كريب في حديثه قال : فخرجت ذات ليلة ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفن ذلك الرجل ليلاً ومعه المصباح . (٣)

١٧٤١٢ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا زيد بن الحباب ، عن جعفر بن

سليمان قال ، حدثنا أبو عمران ، عن عبد الله بن رباح ، عن كعب قال : « الأوّاه » ،

(١) « تلاء » على وزن « فعال » بتشديد العين ، من « التلاوة » ، يعنى كثير التلاوة للقرآن .

(٢) « أوّه » بتشديد الواو ، وفيها لغات أخرى .

(٣) الأثران : ١٧٤١٠ ، ١٧٤١١ - « أبو يونس القشيري » ، أو « الباهلي » ، هو

« حاتم بن أبي صغيرة » ، ثقة ، مضى برقم : ١٥١٨٠ .

إذا ذكر النار قال : أوّه .

١٧٤١٣ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد العمى ، عن أبي عمران الجوني ، عن عبد الله بن رباح ، عن كعب قال : كان إذا ذكر النار قال : أوّه .^(١)

١٧٤١٤ — حدثنا الحسن قال ، أخبرنا عبد الرزاق ، عن جعفر بن سليمان قال ، أخبرنا أبو عمران قال ، سمعت عبد الله بن رباح الأنصاري يقول ، سمعت كعباً يقول : « إن إبراهيم لأواه » ، قال : إذا ذكر النار قال : « أوّه من النار » .

* * *

وقال آخرون : معناه : إنه فقيه .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤١٥ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « إن إبراهيم لأواه » ، قال : فقيه .

* * *

وقال آخرون : هو المتضرع الخاشع

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤١٦ — حدثني المثنى قال ، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا عبد الحميد بن بهرام قال ، حدثنا شهر بن حوشب ، عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ، قال رجل : يا رسول الله ،

(١) الأثر : ١٧٤١٣ — « عبد العزيز بن عبد الصمد العمى » ثقة ، مضى برقم : ٣٣٠٢ . وكان في المطبوعة والمخطوطة ، « عبد العزيز » ، عن عبد الصمد العمى ، وهو خطأ محض ، وكان في المطبوعة وحدها « القمي » ، وهو خطأ ، صوابه ما في المخطوطة .

و « أبو عمران الجوني » ، هو « عبد الملك بن حبيب الأزدي » ، ثقة ، مضى برقم : ١٣٠٤٢ ، ٨٠ .

و « عبد الله بن رباح الأنصاري » ، ثقة ، مضى برقم : ١٣٠٤٢ ، ٤٨ .

و « كعب » ، هو « كعب الأحبار » المشهور .

ما «الأوآه» ، قال : المتضرع ، قال : «إن إبراهيم لأوآه حلیم» .

١٧٤١٧ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن

ابن مغراء ، عن عبد الحميد ، عن شهر ، عن عبد الله بن شداد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الأوآه» ، الخاشعُ المتضرع^(١) .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك عندى بالصواب ، القول الذى قاله

عبد الله بن مسعود ، الذى رواه عنه زر^(٢) : أنه الدعاء .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ، لأن الله ذكر ذلك ، ووصف به إبراهيم خليله

صلوات الله عليه ، بعد وصفه إياه بالدعاء والاستغفار لأبيه فقال : «وما كان

استغفار إبراهيم لأبيه إلاّ عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه» ،

وترك الدعاء والاستغفار له . ثم قال : إن إبراهيم لدعاء لربه ، شاكٍ له ، حلیمٌ

عمن سبه وناله بالمكروه . وذلك أنه صلوات الله عليه وعد أباه بالاستغفار له ،

ودعاء الله له بالمغفرة ، عند وعيد أبيه إياه ، وتهديده له بالشتم ، بعد ما ردّ عليه

نصيحته في الله وقوله : ﴿أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ

لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ ، فقال له صلوات الله عليه ، ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ

سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ . وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَى أَنْ لَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ ، [سورة مريم : ٤٦ - ٤٨] .

فوفي لأبيه بالاستغفار له ، حتى تبين له أنه عدو لله ، فوصفه الله بأنه دعاء لربه ،

حلیم عن سفيه عليه .

* * *

(١) الأثران : ١٧٤١٦ ، ١٧٤١٧ - عبد الحميد بن بهرام الفزارى ، ثقة ، متكلم في

روايته عن شهر بن حوشب . مضى مراراً . انظر رقم : ١٦٠٥ ، ٤٢٢١ ، ٦٦٥٠ - ٦٦٥٢ .

و «شهر بن حوشب» ، ثقة ، متكلم فيه ، مضى مراراً .

و «عبد الله بن شداد بن الهاد الليثي» ، تابعي ثقة ، مضى برقم : ٥٠٨٨ . وهذا خير مرسل .

(٢) انظر ما سلف من رقم ١٧٣٦١ - ١٧٣٦٨ .

وأصله من « التأوه » ، وهو التضرع والمسألة بالحزن والإشفاق ، كما روى عبد الله بن شداد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم^(١) = وكما روى عقبة بن عامر ، الخبر الذي حدّثنيه : —

١٧٤١٨ — يحيى بن عثمان بن صالح السهمي قال ، حدثنا أبي قال ، حدثنا ابن لهيعة قال ، حدثني الحارث بن يزيد ، عن علي بن رباح ، عن عقبة بن عامر : أنه قال لرجل يقال له « ذو البجادين » : « إنه أواه ! وذلك أنه رجل كان يكثر ذكر الله بالقرآن والدعاء ، ويرفعُ صوته .^(٢)

* * *

(١) انظر رقم : ١٧١٤١٦ ، ١٧١٧ .

(٢) الأثر : ١٧٤١٨ — يحيى بن عثمان بن صالح القرشي السهمي ، المصري « شيخ الطبري طعن عليه ، لأنه كان يحدث من غير كتبه . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ١٧٥/٢/٤ . وأبوه : « عثمان بن صالح بن صفوان السهمي المصري » ، ثقة ، متكلم فيه . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ١٥٤/١/٣ قال أبو حاتم : « كان شيخاً صالحاً سليم الناحية ، قيل : كان يلقن ؟ قال : لا . » و « ابن لهيعة » ، مضى مراراً ، وذكر الكلام فيه . و « الحارث بن زيد الحضرمي المصري » ، ثقة ، مترجم في التهذيب ، والكبير ٢٨٣/٢/١ . وابن أبي حاتم ٩٣/٢/١ .

و « علي بن رباح بن قصير اللخمي المصري » ، ثقة ، مضى برقم : ٤٧٤٧ ، ١٠٣٤١ .

و « عقبة بن عامر الجهني » ، صحابي ، ولي إمرة مصر .

و « ذو البجادين » ، هو « عبد الله بن عبد نهم المزني » ، وهو مترجم في الإصابة ، في اسمه هذا ، وفي الاستيعاب : ٣٤٩ ، في « عبد الله ذو البجادين المزني » ، وفي مثله في أسد الغابة ٣ : ١٢٣ .

وهذا الخبر رواه أحمد في مستدركه ٤ : ١٥٩ ، من هذه الطريق نفسها ، وخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٩ : ٣٦٩ ، وقال : « رواه أحمد ، والطبراني ، وإسنادهما حسن » . وخرجه الحافظ ابن حجر في الإصابة قال : « وأخرجه أحمد ، وجمعقر بن محمد الغرياني في كتاب الذكر ، من طريق ابن لهيعة . . . » وساق الإسناد والخبر .

وفي أمر « عبد الله ذي البجادين » ، إشكال هذا موضع عرضه مختصراً ، وذلك أن صاحب الإصابة ، ذكر في ترجمته أنه كان دليل النبي صلى الله عليه وسلم في هجرته ، وذكر خبراً ، رواه الهجري في نوادره (مخطوط) قال :

« قال عبد الله بن ذي البجادين المزني ، وساق بالنبي صلى الله عليه وسلم سائداً في الغائر من الركوبة ، من الأبيض ، جبل العرج في مهاجرة :

ولذلك قيل للمتوجع من ألم أو مرض: «لا تتأوه»، ^(١) كما قال المُشَقَّبُ العَبْدِيُّ :

إِذَا مَا قُمْتُ أَرْحَلُهَا بِلَيْلٍ تَأْوُهُ آهَةُ الرَّجُلِ الْحَزِينِ ^(٢)
ومنه قول الجَعْدِيُّ :

ضَرُوحٌ مَرُوحٌ تُدْبِعُ الْوُرُقَ بَعْدَمَا يُعْرِسُنْ شَكْوَى، آهَةٌ وَتَمْرًا ^(٣)

تَعْرِضِي مَدَارِجًا وَسُومِي تَعْرِضُ الْجُوزَاءَ لِلنُّجُومِ
هَذَا أَبُو الْقَاسِمِ فَاسْتَعِي

وذكر الحافظ هذا الشعر في خبره ، وذكر صاحب لسان العرب خبر دلالة لنبينا صلى الله عليه وسلم في مادة (بجد) ، وذكر الشعر في مادة (درج) ، و (عرض) ، وفيه خبر المهجري ، و (سوم) . والرجز يقوله لناقته ، يقول لها : «تعرضي» ، أى : خذى عمة ويسرة ، وتكنى الثنايا الغلاظ بين الجبال ، وهى «المدارج» - و «سوم» من السوم ، وهو سرعة المر ، مع قصد الصوب في السير - «تعرض الجوزاء» ، لأن الجوزاء تمر على جنب معارضة ، ليست بمستقيمة في السماء .

ويقال في سبب تسميته «ذا البجادين» أنه حين أراد المسير إلى النبي صلى الله عليه وسلم قطعت أمه بجاداً بائنين ، فاتزر بواحد ، وارتدى بالآخر . ويقال انه لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله لأبيه : «دعني أدله على الطريق» ! فأبى ، وفزع ثيابه عنه وتركه عرياناً . فاتخذ بجاداً من شعر وطرحه على عودته ، ثم لحقهم ، وأخذ بزمام ناقة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنشأ يرتجز ، بما ذكرناه من رجزه .

والذى رأيناه في السير ، أن دليل رسول الله صلى الله عليه وسلم في مهاجره هو : «عبد الله بن أريقط اللثي» ، و «عبد الله» هذا لم يكن مسلماً ، ولا وجد من طريق صحيح أنه أسلم بعد ذلك ، وكان مستأجراً . (ابن هشام ٢ : ١٣٦ / الروض الأنف ٢ : ٢٨ ، ثم ترجمته في الإصابة وغيرها) . وهو بلا شك غير ذى البجادين ، لأن ذى البجادين ، مزفى ، ولأنه مات في تبوك ، ولأنهم ذكروا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينزل في قبر أحد ، إلا خمسة ، منهم عبد الله المزفى ، ذو البجادين .

فإذا عرف هذا تباعد الإشكال الموهم أنهما رجل واحد ، واحتاج أمر دلالة ذى البجادين ، إلى إيضاح لم تذكره كتب السير .

(١) في المطبوعة : «لم تتأوه» ، فعل ذلك لأن كاتب المخطوطة خلط في كتابه «لا» ، فاجتهد الناشر ، والصواب ما أثبت .

(٢) ديوانه : ٢٩ ، المفضليات : ٥٨٦ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة : ١ : ٢٧٠ طبقات فحول الشعراء : ٢٣١ ، واللسان (أوه) ، ومذكره هذا البيت ، في التعليق على بيت من القصيدة فيما سلف ٣ : ٥٤٨ تعليق : ١ . وعنى بذلك ناقته ، تحن إلى ديارها وأوطانها .

(٣) ديوانه : ٣٣ ، ٥٢٠ ، وجمهرة أشعار العرب : ١٤٦ ، والمعاني الكبير : ٣١٥ ، من قصيدته الزائفة ، التى سمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بأبي هو وأمي ، فلما بلغ قوله :

بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَجَدُّوْنَا وَإِنَّا لَنَنْبِئُ بِمَدِّ ذَلِكَ مَظْهَرًا

ولا تكاد العرب تنطق منه : بـ « فعل يفعل » ، وإنما تقول فيه : « تَفَعَّلَ يَتَفَعَّلُ » ، مثل : « تَأَوَّهَ يَتَأَوَّهُ » ، « وَأَوَّهَ يَوَّوَّهُ » .
كما قال الراجز :

* فَأَوَّهَ الرَّاعِي وَضَوَّضَى أَكَلْبُهُ * (١)

وقالوا أيضاً : « أَوَّهَ مِنْكَ ! » ، ذكر الفراء أن أبا الجراح أنشده :
فَأَوَّهَ مِنَ الذِّكْرِ إِذَا مَا ذَكَرْتَهَا وَمِنْ بَعْدِ أَرْضٍ بَيْنَنَا وَسَمَاءُ (٢)
قال : وربما أنشدنا : ﴿ فَأَوَّهَ مِنَ الذِّكْرِ ﴾ ، بغيرها ، ولو جاء « فعل » منه على الأصل لكان : « آه ، يَوَّوَّهُ ، أَوْهًا » .

* * *

= ولأن معنى ذلك : « توجَّع ، وتحزَّن ، وتضرع » ، اختلف أهل التأويل فيه الاختلاف الذى ذكرتُ . فقال من قال : معناه « الرحمة » : أن ذلك كان

فقال له : أين المظهر يا أبا ليلى ؟ فقال : الجنة ! قال : أجل ، إن شاء الله ثم أنشده ما فيها من الحكمة قال : « لا يفضض الله فاك » ، فبقى عمره أحسن الناس ثغراً ، كلما سقطت من عادت أخرى . وكان النابغة معمرأ .

وقوله : « ضروح » ، أى تضرع برجلها ، رحمت بها ، أراد نشاطها وإبعادها في سيرها . ويروى « خنوف » و « طروح » = و « مروح » شديدة النشاط ، من المرح . وقوله « تتبع الورق » ، هكذا في المخطوطة ، ورواية ديوانه « تبعث الورق » ، و « تعجل الورق » ، وذلك أن تدعرها ، فتعجلها عن التعريس ، وهما روايتان واضحتا المعنى . وأما رواية التفسير ، فإن صححت ، فقد أراد أنها تتبع الشكوى والتأوه ، فتتزعج فتتذعر . و « الورق » عنى بها القطا . و « القطا » ورق الألوان . وكان في المطبوعة « البوق » وهو خطأ . وقوله : « وتذمرا » ، كان في المطبوعة : « وتذمرا » ، وهو خطأ لا شك فيه ، والمخطوطة غير منقوطة ، وهذا صواب قراءتها . و « التذمر » الغضب . ورواية الديوان وغيره « وتذمرا » ، وهى أوضح وأبين . وقوله : « آهة » ، أى تأوها .

ورواية العجز في الديوان : « يعمرس تشكو آهة وتذمرا » ، والذى في المخطوطة مطابق لما في المعاني الكبير لابن قتيبة « شكوى » .

(١) لم أعرف قائله . « ضوضى » ، ضجت وصاحت . وفى الحديث حين ذكر رؤيته صلى الله عليه وسلم النار ، أعادنا الله من عذابها : « أنه رأى فيها قوماً إذا أتاهم بها ضوضوا » ، أى أحدثوا ضوضاء من صياحهم وجلبتهم .

(٢) لسان العرب (أوه) ، لم أعرف قائله ، وذكر اختلاف روايته هناك .

من إبراهيم على وجه الرقة على أبيه ، والرحمة له ، ولغيره من الناس .
وقال آخرون : إنما كان ذلك منه لصحة يقينه ، وحسن معرفته بعظمة الله ، وتواضعه له .

وقال آخرون : كان لصحة إيمانه بربه .

وقال آخرون : كان ذلك منه عند تلاوته تنزيل الله الذى أنزله عليه .

وقال آخرون : كان ذلك منه عند ذكر ربه .

= وكل ذلك عائد إلى ما قلت ، وتَقَارَبَ معنى بعض ذلك من بعض ، لأن الحزين المتضرع إلى ربه ، الخاشع له بقلبه ، ينوبه ذلك عند مسألته ربه ، ودعائه إياه في حاجاته ، وتعتوره هذه الحلال التي وجه المفسرون إليها تأويل قول الله : « إن إبراهيم لأواه حليم » .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝١١٥ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وما كان الله ليقضى عليكم ، في استغفاركم لموتاكم المشركين ، بالضللال ، بعد إذ رزقكم الهداية ، ووفقكم للإيمان به وبرسوله ، حتى يتقدم إليكم بالنهي عنه ، فتركوا الانتهاء عنه . فأما قبل أن يبين لكم كراهية ذلك بالنهي عنه ، ثم تتعلوا نهيهِ إلى ما نهاكم عنه ، فإنه لا يحكم عليكم بالضللال ، لأن الطاعة والمعصية إنما يكونان من المأمور والنهي ، فأما من لم يؤمر ولم ينه ، فغير كائن مطيعاً أو عاصياً فيما لم يؤمر به ولم ينه عنه = « إن الله بكل شيء عليم » ، يقول تعالى ذكره : إن الله ذو علم بما خالط أنفسكم عند نهي الله إياكم من الاستغفار لموتاكم المشركين ، من الجزع على ما سلف منكم

من الاستغفار لهم قبل تقدمه إليكم بالنهي عنه ، وبغير ذلك من سرائر أموركم وأمر عبادته وظواهرها ، فبين لكم حلمه في ذلك عليكم ، ليضع عنكم ثِقَلِ الوجْدِ بذلك . (١)

* * *

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل :
* ذكر من قال ذلك :

١٧٤١٩ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون » ، قال : بيانُ الله للمؤمنين في الاستغفار للمشركين خاصة ، وفي بيانه طاعته ومعصيته عامة ، فافعلوا أو ذرُّوا .

١٧٤٢٠ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون » ، قال : بيانُ الله للمؤمنين : أن لا يستغفروا للمشركين خاصة ، وفي بيانه طاعته ومعصيته عامة ، فافعلوا أو ذرُّوا .

٣٩/١١

١٧٤٢١ - قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

١٧٤٢٢ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون » ، قال : يبين الله للمؤمنين في أن لا يستغفروا للمشركين . في بيانه ، في طاعته وفي معصيته ، فافعلوا أو ذرُّوا .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (١١٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إن الله، أيها الناس، له سلطان السموات والأرض وملكهما، وكل من دونه من الملوك، فعيده ومماليكه، بيده حياتهم وموتهم، يحيي من يشاء منهم، ويميت من يشاء منهم. فلا تجزعوا، أيها المؤمنون، من قتال من كثر بي من الملوك، ملوك الروم كانوا أو ملوك فارس والحبشة، أو غيرهم، واغزوهم وجاهدوهم في طاعتي، فإني المعز من أشاء منهم ومنكم، والمذل من أشاء. وهذا حص من الله جل ثناؤه المؤمنين على قتال كل من كفر به من الممالك، وإغراء منه لهم بحربهم.

وقوله : « وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير » ، يقول : وما لكم من أحد هو لكم حليف من دون الله يظاهركم عليه ، إن أنتم خالفتم أمر الله فعاقبكم على خلافكم أمره ، يستنقذكم من عقابه = « ولا نصير » ، ينصركم منه إن أراد بكم سوءاً . يقول : فبالله فتقوا ، وإياه فارهبوا ، وجاهدوا في سبيله من كفر به ، فإنه قد اشترى منكم أنفسكم وأموالكم بأن لكم الجنة ، تقاتلون في سبيله فتقتلون وتقتلون. (١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْمُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ
فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١١٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : لقد رزق الله الإنابة إلى أمره وطاعته ،
نبيّه محمداً صلى الله عليه وسلم . والمهاجرين ديارهم وعشيرتهم إلى دار الإسلام ،
وأنصار رسوله في الله ^(١) = الذين اتبعوا رسول الله في ساعة العسرة منهم من النفقة
والظهر والزاد والماء ^(٢) = « من بعد ما كاد يزيغ قلوبهم ، فريق منهم » ، يقول : من
بعد ما كاد يميل قلوب بعضهم عن الحق ، ويشك في دينه ويرتاب ، بالذي ناله
من المشقة والشدة في سفره وغزوه ^(٣) = « ثم تاب عليهم » ، يقول : ثم رزقهم جلّ
ثناؤه الإنابة والرجوع إلى الثبات على دينه ، وإبصار الحق الذي كان قد كاد
يلتبس عليهم = « إنه بهم رؤوف رحيم » ، يقول : إن ربكم بالذين خالط قلوبهم
ذلك لما نالهم في سفرهم من الشدة والمشقة رؤوف بهم = « رحيم » أن يهلكهم ، فينزعه
منهم الإيمان ، بعد ما قد أبلّوا في الله ما أبلوا مع رسوله ، وصبروا عليه من البأساء
والضراء . ^(٤)

* * *

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤٢٣ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا

(١) انظر تفسير « المهاجر » فيما سلف ص : ٤٣٤ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « العسرة » فيما سلف ٦ : ٢٨ ، ٢٩ .

(٣) انظر تفسير « الزيغ » فيما سلف ٦ : ١٨٣ ، ١٨٤ .

= وتفسير « فريق » فيما سلف ١٢ : ٣٨٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « رؤوف » و « رحيم » فيما سلف من فهارس اللغة (رأف) ، (رحم) .

عيسى ، عن ابن أبي نجيج ، عن مجاهد : « في ساعة العسرة » ، في غزوة تبوك .

١٧٤٢٤ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل : « في ساعة العسرة » ، قال : خرجوا في غزوة ^(١) الرجلان والثلاثة على بعير . وخرجوا في حرٍّ شديد ، وأصابهم يومئذ عطش شديد ، فجعلوا ينحرون إبلهم فيعصرون أكراشها ، ويشربون ماءه ، ^(٢) وكان ذلك عسرة من الماء ، وعسرة من الظهر ، وعسرة من النفقة . ^(٣)

١٧٤٢٥ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « ساعة العسرة » ، قال : غزوة تبوك . قال : « العسرة » ، أصابهم جهْدٌ شديد ، حتى إنَّ الرجلين ليشقَّان التمرة بينهما ، ولأنهم ليمصُّون التمرة الواحدة ، ويشربون عليها الماء .

١٧٤٢٦ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيج ، عن مجاهد : « الذين اتبعوه في ساعة العسرة » ، قال : غزوة تبوك . ٤٠/١١

١٧٤٢٧ - قال ، حدثنا زكريا بن عدى ، عن ابن مبارك ، عن معمر ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر : « الذين اتبعوه في ساعة العسرة » ، قال : عسرة الظهر ، وعسرة الزاد ، وعسرة الماء . ^(٤)

(١) في المطبوعة : « في غزوة تبوك » ، زاد من عنده ، وليست في المخطوطة ، وهى بلا شك غزوة تبوك .

(٢) في المطبوعة : « ماءها » ، والذي في المخطوطة صواب أيضاً .

(٣) الأثر : ١٧٤٢٤ - « عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب الهاشمي » ، منكر الحديث ليس بمتقن ، لا يحتجون بحديثه من جهة حفظه . مضى برقم : ٤٨٧ ، وانظر الخبر رقم : ١٧٤٢٧ .

(٤) الأثر : ١٧٤٢٧ - « زكريا بن عدى بن زريق التميمي » ، ثقة ، مضى برقم : ١٥٦٦ ، ١٥٤٤٦ ، ١٦٩٤٥ . وكان في المطبوعة : « زكريا بن علي » ، والصواب ما في المخطوطة ، ولكن لم يحسن قراءته .

« عبد الله بن محمد بن عقيل » ، سلف برقم : ١٧٤٢٤ .

١٧٤٢٨ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة » ، الآية ، الذين اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قبيل الشام في هبآن الحر ، على ما يعلم الله من الجهد ، أصابهم فيها جهد شديد ، حتى لقد ذكر لنا أن الرجلين كانا يشقان التمرة بينهما ، وكان النفر يتناولون التمرة بينهما ، يمضيا هذا ثم يشرب عليها ، ثم يمضيا هذا ثم يشرب عليها ، فتاب الله عليهم وأقفلهم من غزوهم .

١٧٤٢٩ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني عمرو بن

الحارث ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن عتبة بن أبي عتبة ، عن نافع بن جبير بن مطعم ، عن عبد الله بن عباس : أنه قيل لعمر بن الخطاب رحمة الله عليه في شأن العسرة ، فقال عمر : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك في قيظ شديد ، فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش ، حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع ، حتى إن كان الرجل ليذهب يلتمس الماء ، فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنقطع ، حتى إن الرجل لينحر بعيه ، فيعصر قرئه فيشربه ، ^(١) ويجعل ما بقي على كبده ، فقال أبو بكر : يا رسول الله ، إن الله قد عودك في الدعاء خيراً ، فادع لنا ! قال : تحب ذلك ؟ قال : نعم ! فرفع يديه ، فلم يرجعهما حتى قالت السماء ، فأظلمت ، ثم سكبت ، ^(٢) فأتوا ما معهم ، ثم ذهبنا ننظر فلم نجد لها ، ^(٣)

(١) « الفرث » ، سرجين الكرش ما دام في الكرش .

(٢) « قالت السماء » ، أى : أقبلت بالسحاب ، وكان في المطبوعة : « مالت » وأثبت ما في المخطوطة . وهو مطابق لما في مجمع الزوائد ، وفي ابن كثير ، وغيره « سالت » وليست بشيء . وهذا تعبير عزيز جيد .

وقوله : « فأظلمت » ، أى : جاء السحاب بالظل ، وفي ابن كثير وغيره « فأهطلت » ، وليست بشيء . وفي مجمع الزوائد : « فأظلمت » ، وكأنه تصحيف .

(٣) في المطبوعة : « ثم رجعنا ننظر فلم نجد لها ، جاوزت العسكر » ، غير ما كان في المخطوطة ، وهو صواب مطابق لما في المراجع . وقوله : « ذهبنا ننظر » ، العرب تضع « ذهب » في الكلام ظرفاً للفعل ، انظر ما سلف ١١ : ١٢٨ ، تعليق ١ : ١ ، ثم ص : ٢٥٠ ، في كلام أبي جعفر ، والتعليق ١ : ١ ، ثم رقم : ١٦٢٠٦ .

جازت العسكر . (١)

١٧٤٣٠ - حدثني إسحق بن زيادة العطار قال ، حدثنا يعقوب بن محمد قال ، حدثنا عبد الله بن وهب قال ، حدثنا عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن نافع بن جبير ، عن ابن عباس قال : قيل لعمر بن الخطاب رحمة الله عليه : حدثنا عن شأن جيش العسرة ! فقال عمر : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر نحوه . (٢)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنَّهُ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾

(١١٨)

(١) الأثر : ١٧٤٢٩ - « عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصاري المصري » ، ثقة متقن ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٣٥٧٠ ، ١٦٧٣٢ .

و « سعيد بن أبي هلال الليثي المصري » ، ثقة ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٣٥٧٠ .

و « عتبة بن أبي عتبة » ، هو « عتبة بن مسلم التيمي » ، ثقة ، مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم . ٣٧٤/١/٣ .

و « نافع بن جبير بن مطعم » ، تابعي ثقة ، أحد الأئمة . مترجم في التهذيب ، والكبير ٨٢/٢/٤ ، وابن أبي حاتم ٤٥١/١/٤ .

ورجال إسناده هذا الخبر ثقات .

وهذا الخبر خرجاه الهيثمي في مجمع الزوائد ٦ : ١٩٤ ، ١٩٥ ، وقال : « رواه البزار ، والطبراني في الأوسط ، ورجال البزار ثقات » .

وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣ : ٢٨٦ ، ونسبه إلى ابن جرير ، وابن خزيمة ، وابن حبان ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، وأبي نعيم ، والبيهقي في الدلائل .

وهو في دلائل النبوة لأبي نعيم ص : ١٩٠ في باب « ذكر ما كان في غزوة تبوك » ، « بهذا الإسناد . وذكره ابن كثير في تفسيره ٤ : ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، والبخاري بهامشه .

(٢) الأثر : ١٧٤٣٠ - « إسحق بن زيادة العطار » ، شيخ الطبري ، مضى برقم : ١٤١٤٦ ،

ولم نجد له ذكراً ، وقد مضى هناك : « إسحق بن زياد العطار النصري » بغير تاء في « زياد » في المطبوعة والمخطوطة . وغير ممكن فضل القول في ذلك ، ما لم نجد له ترجمة تهدي إلى الصواب .

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار » = « وعلى الثلاثة الذين خلفوا » ، وهؤلاء الثلاثة الذين وصفهم الله في هذه الآية بما وصفهم به فيما قيل ، هم الآخرون الذين قال جل ثناؤه : ﴿ وَآخَرُونَ مُّرْجُونَ لِلَّهِ إِيمًا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمًا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة التوبة : ١٠٦] ، فتاب عليهم عز ذكره ، وتفضل عليهم .

وقد مضى ذكر من قال ذلك من أهل التأويل ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع . (١)

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام إذاً : « لقد تاب الله على الثلاثة الذين خلفهم الله عن التوبة ، فأرجأهم عمن تاب عليه من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما : —

١٧٤٣١ — حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن سمع عكرمة في قوله : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا » ، قال : « خلفوا عن التوبة .

١٧٤٣٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « أما قوله : « خلفوا » ، فحلفوا عن التوبة .

* * *

= « حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت » ، يقول : بسعتها ، (٢) غمًا وندمًا على تخلفهم عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم = « وضاقت عليهم أنفسهم » ، بما نالهم من الوجع والكرب بذلك = « وظنوا أن لا ملجأ » ، يقول : وأيقنوا بقلوبهم أن لا شيء لهم ياجأون إليه مما نزل بهم من أمر الله من البلاء ، (٣)

(١) انظر ما سلف ص : ٤٦٤ — ٤٦٧ .

(٢) انظر تفسير « رحب » فيما سلف . ص : ١٧٩ .

(٣) انظر تفسير « الظن » فيما سلف ٢ : ١٧ — ٢٠ ، ٥ / ٢٦٥ : ٣٥٢ .

= وتفسير « الملجأ » فيما سلف ص : ٢٩٨ .

٤١/١١ يتخلفهم خِلافَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ينجيهم من كربهِ ، ولا مما يحذرون من عذاب الله ، إلا الله ، ثم رزقهم الإنابة إلى طاعته ، والرجوع إلى ما يرضيه عنهم ، لينيبوا إليه ، ويرجعوا إلى طاعته والانتفاء إلى أمره ونهيه = « إن الله هو التواب الرحيم » ، يقول : إن الله هو الوهاب لعباده الإنابة إلى طاعته ، الموفقُ من أحبَّ توفيقه منهم لما يرضيه عنه = « الرحيم » ، بهم ، أن يعاقبهم بعد التوبة ، أو يخذل من أراد منهم التوبة والإنابة ولا يتوب عليه . (١)

* * *

وبنحو ما قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤٣٣ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر في قوله : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا » ، قال : كعب ابن مالك ، وهلال بن أمية ، ومرة بن ربيعة ، وكلهم من الأنصار . (٢)

١٧٤٣٤ - حدثني عبيد بن محمد الوراق قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر ، بنحوه = إلا أنه قال : ومرة بن الربيع ، أو : ابن ربيعة ، شك أبو أسامة . (٣)

(١) انظر تفسير « التواب » ، و « الرحيم » ، فيما ملف من فهارس اللغة (توب) ، (رحم) .
(٢) الأثر : ١٧٤٣٣ - « مرة بن ربيعة » ، المشهور : « مرة بن الربيع » ، ولكنه هكذا جاء في المخطوطة والمطبوعة هنا . ثم جاء في الأخبار التالية « الربيع » . وقد مضى مثل هذا الاختلاف وأشد منه فيما سلف في التعليق على رقم : ١٧١٧٧ ، ١٧١٧٨ ، ١٧١٨٣ . وذكر ابن كثير في تفسيره ٤ : ٢٦٤ ، وذكر هذا الخبر فقال : « وكذا في مسلم : ربيعة ، في بعض نسخه ، وفي بعضها : مرة بن الربيع » .

(٣) الأثر : ١٧٤٣٤ - « عبيد بن محمد الوراق » ، هو « عبيد بن محمد بن القاسم بن سليمان بن أبي مریم » ، « أبو محمد الوراق النيسابوري » ، سكن بغداد ، وحدث بها عن موسى بن هلال الميمى وأبي النضر هاشم بن القاسم ، والحسن بن موسى الأشيب ، ويعقوب بن محمد الزهري ، وبشر بن الحارث . كان ثقة ، مات سنة ٢٥٥ ، ولم أجد له ترجمة في غير تاريخ بغداد ١١ : ٩٧ ، وروى عنه الطبري في موضعين من تاريخه ٢ : ٢٠٢ ، ٢٥٠ ، روى عن روح بن عباد .
وكان في المطبوعة : « عبيد بن الوراق » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، لأن الناسخ كتب « عبيد بن محمد » كلمة واحدة مشتبكة الحروف .

١٧٤٣٥ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عكرمة وعامر : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا » ، قال : أرجئوا ، في أوسط « براءة » .

١٧٤٣٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « الثلاثة الذين خلفوا » ، قال : الذين أرجئوا في أوسط « براءة » ، قوله : ﴿ وَأَخْرُؤْنَ مَرْجُونَ لِمَ أَمَرَ اللَّهُ ﴾ ، [سورة التوبة : ١٠٦] ، هلال بن أمية ، ومرارة بن ربیع ، وكعب بن مالك .^(١)

١٧٤٣٧ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا » ، الذين أرجئوا في وسط « براءة » .

١٧٤٣٨ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن أبيه ، عن ليث ، عن مجاهد : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا » ، قال : كلهم من الأنصار ، هلال بن أمية ، ومرارة بن ربيعة ، وكعب بن مالك .

١٧٤٣٩ — قال ، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا » ، قال : الذين أرجئوا .

١٧٤٤٠ — قال ، حدثنا جرير ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد قال : « الثلاثة الذين خلفوا » ، كعب بن مالك وكان شاعراً ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية ، وكلهم أنصاري .^(٢)

١٧٤٤١ — قال ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، والحاربي ، عن جوير ، عن الضحاک ، قال : كلهم من الأنصار : هلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع ، وكعب بن مالك .

وأما « مرارة بن الربيع » أو « ابن ربيعة » ، فانظر التعليق السالف .

(١) الأثر : ١٧٤٣٦ — « مرارة بن ربيع » ، هكذا في المخطوطة كما أثبتته ، وفي المطبوعة « ابن ربيعة » ولكن هكذا جاء هنا ، كالذي مضى في رقم : ١٧١٧٧ ، ١٧١٧٨ ، فانظر التعليق هناك .

(٢) في المطبوعة : « أنصار » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو صواب محض .

١٧٤٤٢ - حدثني المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال : أخبرنا هاشم ، عن جوير ، عن الضحاك قوله : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا » ، قال : هلال ابن أمية ، وكعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، كلهم من الأنصار .

١٧٤٤٣ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا » ، إلى قوله : « ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم » ، كعب بن مالك ، وهلال بن أمية ، ومرارة بن ربيعة ، تخلفوا في غزوة تبوك. ذكر لنا أن كعب بن مالك أوثق نفسه إلى سارية ، فقال : لا أطلقها = ولا أطلق نفسي^(١) = حتى يُطْلَقَنِي رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فقال رسول الله : والله لا أطلقه حتى يطلقه ربُّه إن شاء ! وأما الآخر فكان تخلف على حائط له كان أدرك ،^(٢) فجعله صدقة في سبيل الله ، وقال : والله لا أطعمه ! وأما الآخر ، فركب المفاوز يتبع رسول الله ، ترفعه أرض وتضعه أخرى ، وقدماه تشلشلان دماً .^(٣)

١٧٤٤٤ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن السدي ، عن أبي مالك قال : « الثلاثة الذين خلفوا » ، هلال بن أمية ، وكعب ابن مالك ، ومرارة بن ربيعة .

١٧٤٤٥ - . . . قال ، حدثنا أبو داود الحفري ، عن سلام أبي الأحوص ، عن سعيد بن مسروق ، عن عكرمة : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا » ، قال : هلال ابن أمية ، ومرارة ، وكعب بن مالك .

١٧٤٤٦ - حدثني يعقوب قال ، حدثنا ابن علية قال ، أخبرنا بن عون ،

(١) في المطبوعة : « لا أطلقها ، أو لا أطلق نفسي » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) « الحائط » ، هو البستان من النخيل ، إذا كان عليه حائط ، وهو الجدار . ويقال لها أيضاً « حديقة » ، لإحداق سور بها . فإذا لم يكن عليها حائط ، فهي « ضاحية » ، لبروزها للعين . و « أدرك الثمر » ، أى بلغ نضجه .

(٣) « تشلشلان » ، « تشلشلان » ، على حذف إحدى التامين . « تشلشل الماء والدم » ، إذا تبع قطران بعضه بعضاً في سيلانه متفرقاً .

عن عمر بن كثير بن أفلح قال : قال كعب بن مالك : ما كنت في غزاة أيسر للظهر والنفقة مني في تلك الغزاة ! قال كعب بن مالك : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : «أتجهز غداً ثم ألحقه» ، فأخذت في جهازي ، فأمسيت ولم أفرغ . فلما كان اليوم الثالث ، أخذت في جهازي ، فأمسيت ولم أفرغ ، فقلت : هيهات ! سار الناس ثلاثاً ! فأقمت . فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جعل الناس يعتذرون إليه ، فجئت حتى قمت بين يديه ، فقلت : ما كنت في غزاة أيسر للظهر والنفقة مني في هذه الغزاة ! فأعرض عني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر الناس أن لا يكلمونا ، وأمرت نساؤنا أن يتحولن عنا . قال : فتسورت سائطاً ذات يوم ، فإذا أنا بجابر بن عبد الله ، فقلت : أي جابر ! نشدتك بالله ، هل علمتني غششت الله ورسوله يوماً قط ؟ فسكت عني فجعل لا يكلمني .^(١) فبينما أنا ذات يوم ، إذ سمعت رجلاً على الثنية يقول : كعب ! كعب ! حتى دنا مني ، فقال : بشروا كعباً .^(٢)

١٧٤٤٧ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب قال : غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك ، وهو يريد الروم ونصارى العرب بالشأم ، حتى إذا بلغ تبوك ، أقام بها بضع عشرة ليلة ، ولقيه بها وفد أذرح ووفد أيلة ، فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجزية ، ثم قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك ولم يجاوزها ، وأنزل الله : «لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة» الآية ،

(١) انظر «جعل» ، وأنها من حروف الاستعانة فيما سلف ١١ : ٢٥٠ ، في كلام الطبري ، والتعليق هناك رقم : ١ ، والتعليق على الأثر رقم : ١٣٨٦٢ .

(٢) الأثر : ١٧٤٤٦ - «عمر بن كثير بن أفلح المدني» ، مول أبي أيوب الأنصاري ، ثقة ذكره ابن حبان في أتباع التابعين ، وكأنه لم يصح عنده لقيه للصحابة . وذكر غيره أنه روى عن كعب ابن مالك . وابن عمر ، وسفيينة . ومضى برقم : ١٢٢٢٣ .

وهذا الخبر رواه أحمد في مسنده ٤ : ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، من هذه الطريق نفسها بنحوه .

والثلاثة الذين خلفوا ، رَهْطٌ ، منهم : كعب بن مالك ، وهو أحد بني سَلِمة ، ومرارة بن ربيعة ، وهو أحد بني عمرو بن عوف ، وهلال بن أمية ، وهو من بني واقف ، وكانوا تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة في بضعة وثمانين رجلاً . فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، صدّقه أولئك حديثهم ، واعترفوا بذنوبهم ، وكذب سائرهم ، فحلفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ما حبسهم إلا العذر ، فقبل منهم رسول الله وبايعهم ، ووكلهم في سرائرهم إلى الله ، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلام الذين خلفوا ، وقال لهم حين حدّثوه حديثهم واعترفوا بذنوبهم : قد صدقتم ، فقوموا حتى يقضى الله فيكم . فلما أنزل الله القرآن ، تاب على الثلاثة ، وقال للآخرين : ﴿ سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتَعْرِضُوا عَنْهُمْ ﴾ ، حتى بلغ : ﴿ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ [سورة التوبة : ٩٥ ، ٩٦] .

= قال ابن شهاب : وأخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك : أن عبد الله بن كعب بن مالك = وكان قائد كعب من بنيهِ حين عمى = قال : سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك . قال كعب : لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها قط ، إلا في غزوة تبوك ، غير أني قد تخلفت في غزوة بدر ، ولم يعاتب أحدٌ تخلف عنها ، إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون غير قريش ، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد . ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة ، حين تواتقنا على الإسلام ، وما أحبُّ أن لي بها مشهد بدر ، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها . (١) .

= فكان من خبري حين تخلفت عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ،

أني لم أكن قط أقوى ولا أيسرَ مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة ، والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة . فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حرٍّ شديد ، واستقبل سفرًا بعيداً ومناوِزَ ، واستقبل عدوًّا كثيرًا ، فجلّى للمسلمين أمرهم ليتأهبّوا أهبة غزوهم ، فأخبرهم بوجهه الذي يريد ، والمسلمون مع النبي صلى الله عليه وسلم كثير ، ولا يجمعهم كتاب حافظٌ = يريد بذلك : الديوان = قال كعب : فما رجلٌ يريد أن يتغيّب إلا يظنّ أن ذلك سيخفى ، مالم ينزل فيه وحى من الله . وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال ، وأنا إليهما أصعُرُ .^(١) فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه ، وطفقت أغدو لكي أتجهز معهم ، [فأجمع ولم أقض شيئاً ، وأقول في نفسي : « أنا قادر على ذلك إذا أردت ! » ، فلم يزل ذلك ينادي بي ، حتى استمرّ بالناس الجدد . فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غادياً والمسلمون معه] ،^(٢) ولم أقض من جهّازي شيئاً . ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئاً . فلم يزل ذلك ينادي [بي] ،^(٣) حتى أسرعوا وتفارط الغزو ،^(٤) وهممت أن أرتحل فأدركهم ، فياليتني فعلت ! فلم يُقدّر ذلك لي . فطفقت إذا خرجت في الناس بعد خروج النبي صلى الله عليه وسلم يحزنني أني لا أرى لي أسوةً إلا رجلاً مغموصاً عليه في النفاق ،^(٥) أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء . ولم يذكرني رسول الله صلى الله

(١) « أصعر » ، أى : أميل ، على وزن « أفعل » التفضيل ، وأصله من « الصعر » (بفتحين) ، وهو ميل في الوجه ، كأنه يلتفت إليه شوقاً .

(٢) الذى بين القوسين ساقط من المخطوطة ، وأثبتته من رواية مسلم في صحيحه . وكان في المطبوعة : « . . . لكي أتجهز معهم ، فلم أقض من جهّازي شيئاً » ، أما المخطوطة ، فكان فيها ما يدل على أن الناس قد أسقط من الكلام : « . . . لكي أتجهز معهم والمسلمون معه ولم أقض من جهّازي شيئاً » .

(٣) الزيادة بين القوسين ، من صحيح مسلم .

(٤) « تفارط الغزو » ، أى فأت وقته ، ومثله « تفرط » ، وفي الحديث : « أنه نام عن العشاء حتى تفرطت » ، أى : فات وقتها .

(٥) « أسوة » ، أى : قدوة ومثلاً . و « المغموص عليه » ، من قولهم « غمص عليه قولاً قاله » ، أى : عابه عليه ، وطمع به عليه . ويعنى : مطعوناً في دينه ، متهماً بالنفاق .

عليه وسلم حتى بلغ تبوك ، فقال وهو جالس في القوم بتبوك : ما فعل كعب بن مالك ؟ فقال رجل من بني سلمة : يا رسول الله ، حبسه برُده ، والنظر في عطفيه ! ^(١) [فقال معاذ بن جبل : بئس ما قلت ! والله يا رسول الله ، ما علمنا عليه إلا خيراً] ! ^(٢) فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبينما هو على ذلك ، رأى رجلاً مبييضاً يزول به السراب ، ^(٣) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كن أبا خيثمة ! فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري ، وهو الذي تصدق بصاع التمر ، فلمزه المنافقون . ^(٤) = قال كعب : فلما بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلاً من تبوك ، حضرنى بشي ، ^(٥) فطفقت أتذكر الكذب ، وأقول : « بم أخرج من سخطه غداً » ؟ وأستعين على ذلك بكل ذي رأى من أهلي . فلما قيل : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظلل قادماً ! » ، زاح عني الباطل ، ^(٦) حتى عرفت أني لن أنجو منه بشيء أبداً ، فأجمعت صدقه ، ^(٧) وصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادماً ، ^(٨) وكان إذا قدم من سفر ، بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ، ثم جلس للناس . فلما فعل ذلك ، جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له ، وكانوا

(١) « النظر في عطفيه » ، كناية عن إعجابه بنفسه ، واختياله بحسن لباسه . و « العطفان » ، الجانبان ، فهو يتلفت من شدة خيالاته .

(٢) الزيادة بين القوسين ، من صحيح مسلم . وظاهر أن الناسخ أسقطها في نسخته .

(٣) « المبيض » (بتشديد الباء وكسرهما) ، هو لابس البياض . و « يزول به السراب » ، أي : يرفعه ويخفضه ، وإنما يحرك خياله .

(٤) « لمزه » ، عابه وحقره .

(٥) في المطبوعة : « حضرنى همى » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، والذي فيها مطابق لرواية مسلم في صحيحه . و « البث » ، أشد الحزن . وذلك أنه إذا اشتد حزن المرء ، احتاج أن يقضى بغمه وحزنه إلى صاحب له يواسيه ، أو يسليه ، أو يتوجع له .

(٦) « أظلل قادماً » ، أي : أقبل ودنا قدومه ، كأنه ألقى على المدينة ظله . وقوله : « زاح عني الباطل » ، أي : زال وذهب وتباعد .

(٧) « أجمعت صدقه » ، أي : عزمت على ذلك كل العزم ، « أجمع صدقه » و « أجمع على صدقه » ، سواء .

(٨) في المطبوعة : « وأصبح » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو مطابق لما في صحيح مسلم .

بضعة^١ وثمانين رجلاً ، فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ، ووكل سرائرهم إلى الله . حتى جئت^٢ ، فلما سلمت تبسم تبسم^٣ المغضب ثم قال : تعال ! فجئت أمشي حتى جلست بين يديه ، فقال لي : ما خلفك ؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك ؟ قال قالت : يا رسول الله ، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا ، لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر^٤ ، لقد أعطيت^٥ جَدلاً^٦ ، (١) ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ، ليوشكن^٧ الله أن يسخطك علي ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه ، (٢) إني لأرجو فيه عفو الله ، (٣) والله ما كان لي عُذر ! والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمّا هذا فقد صدق ، قم حتى يقضى الله فيك ! فقممت ، وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني وقالوا : والله ما علمناك أذنبت ذنباً قبل هذا ! لقد عجزت في أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر به المتخلفون ، (٤) فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك ! قال : فوالله ما زالوا يؤثبونني حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكذب نفسي ! قال : ثم قلت لهم : هل لقي هذا معي أحد ؟ قالوا : نعم ، لقيه معك رجلان قالوا مثل ما قلت ، وقيل لهما مثل ما قيل لك . قال قالت : من هما ؟ قالوا : مرارة ابن ربيع العامري ، (٥) وهلال بن أمية الواقفي . فذكروا لي رجلين صالحين قد

(١) « الجدل » ، اللد في الخصومة ، والقدرة عليها ، وعلى مقابلة الحجّة بالحجة .

(٢) « تجد » من « الوجد » ، وهو الغضب والسخط .

(٣) هكذا في المخطوطة : « عفو الله » ومثله في مسند أحمد ٣ : ٤٦٠ وفي صحيح مسلم « عقي

الله » ، أي : أن يعقبنى خيراً ، وأن يشتتني عليه .

(٤) في المطبوعة حذف « في » من قوله : « لقد عجزت في أن لا تكون » ، وهي ثابتة في

المخطوطة ، وهي مطابقة لما في صحيح مسلم . وأما الذي في المطبوعة ، فهو مطابق لما في البخاري من رواية غيره .

(٥) في المطبوعة : « ابن الربيع » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وانظر روايته في مسلم « مرارة بن

شهاداً بداراً ، فيهما أسوة . (١) قال : فضيت حين ذكر وهما لى . (٢)

= ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة ، (٣) من بين من تخلف عنه . قال : فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا ، حتى تنكرت لى فى نفسى الأرض ، فما هى بالأرض التى أعرف . فلبثنا على ذلك خمسين ليلةً ، فأما صاحبائى فاستكانا وقعدا فى بيوتهما يبكيان ، وأما أنا ، فكنت أشب القوم وأجلدهم ، فكنت أخرج وأشهد الصلاة وأطوف فى الأسواق ، ولا يكلمنى أحدٌ ، وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة ، فأقول فى نفسى : «هل حرك شفتيه برد السلام أم لا؟» ، ثم أصلى معه ، وأسارقه النظر ، فإذا أقبلتُ على صلاتى نظر إلى ، وإذا التفت نحوه أعرض عنى ، حتى إذا طال ذلك على من جفوة المسلمين ، مشيت حتى تسورت جدار حائط أبى قتادة = وهو ابن عمى ، وأحب الناس إلى = فسلمت عليه ، فوالله ما رد على السلام ! فقلت : يا أبا قتادة ، أنشدك بالله ، هل تعلم أنى أحب الله ورسوله ؟ فسكت . قال : فعُدت فنأشدته ، فسكت ، فعُدت فنأشدته ، فقال : الله ورسوله أعلم ! ففاضت عينائى ، وتوليت حتى تسورت الجدار .

= فبينما أنا أمشى فى سوق المدينة ، إذا بنبطى من نبط أهل الشام من قدم بالطعام يبيعه بالمدينة ، يقول : من يدل على كعب بن مالك ؟ قال : فطفق الناس يشيرون

ربيعة ، وما قالوا فى اختلاف رواه مسلم . وما قالوه أيضاً فى روايته « العامرى » ، وأن صوابها « العمرى » نسبة إلى بنى عمرو بن عوف .

(١) فى المطبوعة : « لى فيهما أسوة » ، زاد من عنده ما ليس فى المخطوطة ، ولا فى صحيح مسلم . وإنما هو من رواية البخارى ، بغير هذا الإسناد .

(٢) « مضيت » ، أى : أنفذت ما رأيت . من قولهم : « مضى فى الأمر مضاء » نفذ ، و « أمضاه » أنفذه .

(٣) قوله : « أيها الثلاثة » ، أى : خصصنا بذلك دون سائر المعتذرين . وهذه اللفظة تقال فى الاختصاص ، وتختص بالخبر عن نفسه والمخاطب ، تقول : « أما أنا فأفعل هذا ، أيها الرجل » ، يعنى نفسه . انظر ما سلف ٣ : ١٤٧ ، تعليق : ١ ، فى الخبر رقم : ٢١٨٢ .

له ، حتى جاءني فدفع إليّ كتاباً من ملك غسان ، وكنت كاتباً ، فقرأته ، فإذا فيه : «أما بعدُ ، فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوانٍ ولا مضْيعةٍ ، فالحق بنا نَوَاسِكُ» .

= قال : فقلت حين قرأته : وهذا أيضاً من البلاء !! فتأملتُ بها التنوير فسجرتُه به . (١) حتى إذا مضت أربعون من الخمسين ، واستلبت الوحى ، (٢) إذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرُك أن تعتزل امرأتك . قال فقلت : أطلقها ، أم ماذا أفعل ؟ قال : لا ، بل اعتزلها فلا تقربها . قال : وأرسل إلى صاحبي بذلك . قال : فقلت لامرأتى : الحق بأهلك فكوني عندهم حتى يقضى الله في هذا الأمر . (٣)

= قال : فجاءت امرأة هلالٍ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ، إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادمٌ ، فهل تكره أن أخدُمه ؟ فقال : لا ، ولكن لا يقربَنَّكَ ! قالت فقلت : إنه والله ما به حركة إلى شيء ! والله

(١) « فتأملت » ، وهكذا في المخطوطة أيضاً ، وفي رواية البخارى « فتيمنت » . وأما في صحيح مسلم ، « فتياملت » ، وقال النووي : « هكذا هو في جميع النسخ ببلاذنا ، وفي لغة في : تيمت ، ومعناها : قصدت » . وأما القاضي عياض ، فقال في مشارق الأنوار (أمم) : « ومثله : فتيمنت بها التنوير ، كذا رواه البخارى . ولمسلم : فتأملت ، وكلاهما بمعنى ، سهل الهمزة في رواية ، وحققها في أخرى = أى : قصدت » .

ثم انظر تفسير « الأم » و « التأمم » في تفسير أبى جعفر فيما سلف ٥ : ٥٥٨ / ٨ : ٤٠٧ / ٩ : ٤٧١ .

وفي المطبوعة : « فتأملت به » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو مطابق لما في مسلم والبخارى ، إلا أن في مسلم « فسجرتها بها » ، وفي البخارى : « فسجرتُه بها » . وأثبت « بها » ، إرادة معنى الصحيفة ، وهى الكتاب ، ثم رجع بالضمير إلى « الكتاب » .
و « التنوير » ، الكانون الذى يجيز فيه .

و « سجر التنوير » ، أوقده وأحماه وأشبع وقوده ، وأراد : أنه زاد التنوير التهاياً ، بإلقائه الصحيفة في ناره . وهذا كلام معجب ، أراد به أن يسخر من رسالة ملك غسان إليه .

(٢) « استلبت » ، أى : أبطأ وتأخر .

(٣) في المطبوعة : « تكررني عندهم » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو مطابق لما في صحيح مسلم . وفي البخارى بغير هذا الإسناد : « فتكرّني » .

ما زال يبكي مُنْذُ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا ! قال : فقال لى بعض أهلى : لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى امرأتك ، فقد أذن لامرأة هلال أن تخدمه ؟ قال فقلت : لا أستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما يدرينى ماذا يقول لى إذا استأذنته فيها ، وأنا رجل شاب !

= فلبثت بعد ذلك عشريال ، فأكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا .^(١) قال : ثم صليت صلاة الفجر صباحَ خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا ، فبينما أنا جالس على الحال التى ذكر الله منها ،^(٢) قد ضاقت على نفسى وضائق على الأرض بما رحبت ، سمعتُ صوت صارخ أوفى على جبل سلع ،^(٣) يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك ، أبشر ! قال : فخررت ساجداً ، وعرفت أن قد جاء فرج . قال : وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر ،^(٤) فذهب الناس يبشروننا ،^(٥) فذهب قبيلَ صاحبي مبشرون ، وركض رجل إلى فرساً ، وسعى ساعٍ من أسلم قبلى ، وأوفى على الجبل ، وكان الصوت أسرع من الفرس . فلما جاءنى الذى سمعتُ صوته يبشرنى ، نزعتم له ثوبى فكسوتهما إياه ببشارته ، والله ما أملك غيرهما يومئذ ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، وانطلقت أنا ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم .^(٦)

(١) فى صحيح مسلم « حين نهى عن كلامنا » ، وضبط « نهى » بالبناء للمجهول ، ورواية أبى جعفر ، تصحح ضبطه بالبناء للمعلوم أيضاً .

(٢) فى المطبوعة : « التى ذكر الله عنا » ، غير ما فى المخطوطة ، هو مطابق لما فى صحيح مسلم ، وهو العربى العريق .

(٣) « أوفى عليه » ، صعد وارتفع عليه ، فأشرف على التوابع منه واطلع .

(٤) : « أذن » أعلم الناس بها . ورواية مسلم : « فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس » ، والذى هنا مطابق لرواية البخارى ، بغير هذا الإسناد .

(٥) « ذهب » ، سلف ما كتبه عن الاستعانة بقولهم : « ذهب » و « جعل » . انظر رقم : ١٧٤٢٩ ، ص : ٥٤١ ، تعليق ٣ ، والمراجع هناك .

(٦) انظر ص : ٥٥٣ ، تعليق : ١ .

فتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهتفون بالتوبة ويقولون: انتهت توبة الله عليك! (١) حتى دخلت المسجد ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد حوله الناس ، فقام إلى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني ، وهنأني ، والله ما قام رجل من المهاجرين غيره = قال : فكان كعب لا ينساها لطلحة (٢) = قال كعب : فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، وهو يبرق وجهه من السرور : أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك ! فقلت : أمن عندك ، يا رسول الله ، أم من عند الله؟ قال : لا ، بل من عند الله ! وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ٤٥/١١ إذا سرّ استنار وجهه ، حتى كأن وجهه قطعة قمر ، وكنا نعرف ذلك منه .

= قال : فلما جلست بين يديه قالت : يا رسول الله ، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله . (٣) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمسك بعض مالك ، فهو خير لك ! قال فقلت : فإني أمسك سهمي الذي بخير . وقلت : يا رسول الله ، إن الله إنما أنجاني بالصدق ، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقاً ما بقيت ! قال : فوالله ما عمت أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث ، منذ ذكرت ذلك لرسول الله عليه السلام ، أحسن مما ابتلاني ، (٤)

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « لتهنك » ، وهي كذلك في رواية البخاري بغير هذا الإسناد ، وفي صحيح مسلم المطبوع : « لتهنك » ، وذكره القاضى عياض في مشارق الأنوار (هنا) فقال : « ولتهنك توبة الله ، يهز ، ويسهل . » وقد ذكر صاحب لسان العرب (هنا) أن العرب تقول : « لتهنك الفارس » بجزم الهمزة ، و « لتهنك الفارس » بياء ساكنة ، ولا يجوز « لتهنك » كما تقول العامة ، والذي قاله ونسبه للعامة ، صواب لا شك فيه عندي .

(٢) قال الحافظ في الفتح : « قالوا : سبب ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان آخى بينه وبين طلحة ، لما آخى بين المهاجرين والأنصار . والذي ذكره أهل المغازى أنه كان أخا الزبير ، لكن كان الزبير أخا طلحة في أخوة المهاجرين ، فهو أخو أخيه . »

(٣) « أنخلع من مالي » ، أى : خرج من جميع ماله ، وتعرى منه كما يتعرى الإنسان إذا خلع ثوبه . وأراد : إخراجه متصدقاً به .

(٤) « أبلاه » أى : أنعم عليه .

والله ماتعمدت كذبةً منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومى هذا ،
وإني أرجو أن يحفظنى الله فيما بقى . قال : فأُنزل الله : « لقد تابَ الله على النبي » ،
حتى بلغ : « وعلى الثلاثة الذين خَلَفُوا » إلى : « اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » .
= قال كعب : والله ما أنعم الله على من نعمة قطُّ بعد أن هداني للإسلام
أعظمَ في نفسى من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن لا أكون كذبتة ، (١)
فأهلك كما هلك الذين كذبوه ، فإن الله قال للذين كذبوا ، حين أنزل الوحي ، شَرَّ
ما قال لأحدٍ : ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لَسْكُمْ إِذَا أُنْقَلِبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتَمَرُّوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا
عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً إِلَّا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ لَا يَرْضَى
عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ [سورة التوبة : ٩٥ ، ٩٦] .

= قال كعب : خَلَفْنَا ، أيها الثلاثة ، (٢) عن أمر أولئك الذين قبِل رسول
الله صلى الله عليه وسلم توبتهم حين حلفوا له ، فبايعهم واستغفر لهم ، وأرجأ
رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا حتى قضى الله فيه . فبذلك قال الله : « وعلى
الثلاثة الذين خلفوا » ، وليس الذى ذكر الله مما خَلَفْنَا عن الغزو ، (٣) إنما هو
تخليفه إيانا ، (٤) وإرجاؤه أمرنا عن حلف له واعتذرا إليه فقبل منه . (٥)

(١) « أن لا أكون » ، « لا » زائدة ، كالتى فى قوله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ
أُمرُوكَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٢] . انظر ما سلف فى تفسير الآية ١٢ : ٣٢٣ - ٣٢٥ .

(٢) فى المطبوعة : « خلفنا » دون « كنا » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، وما أثبتته مطابق لرواية
مسلم فى صحيحه .

(٣) فى صحيح مسلم : « مما خلفنا ، تخلفنا عن الغزو » ، والذى هنا وفى المخطوطة ، مطابق لما
فى رواية البخارى بغير هذا الإسناد .

(٤) فى المطبوعة : « ختم الجملة بقوله : « فقبل منهم » بالجمع ، خالف ما فى المخطوطة ، وهو مطابق
لما فى صحيح مسلم والبخارى .

(٥) الأثر : ١٧٤٤٧ - حديث كعب بن مالك ، سيرويه أبو جعفر من طرق ، سألينها بعد .
أما روايته هذه من طريق ابن وهب ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، فهو إسناد مسلم فى صحيحه ١٧ : ٨٧ ،
٩٨ ، وانظر التعليق على الأخبار التالية . وانظر الأثرين السالفين رقم : ١٦١٤٧ ، ١٧٠٩١ ،
والتعليق عليهما .

١٧٤٤٨ - حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب قال ، أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك : أن عبد الله بن كعب بن مالك = وكان قائد كعب من بنيه حين كعبى = قال : سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، فذكر نحوه . (١)

١٧٤٤٩ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عبد الرحمن بن كعب ، عن أبيه قال : لم أتخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة غزاهها إلا بدرأ ، ولم يعاتب النبي صلى الله عليه وسلم أحداً تخلف عن بدر ، ثم ذكر نحوه . (٢)

١٧٤٥٠ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن ابن شهاب الزهري ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري ، ثم السلمي ، عن أبيه ، أن أباه عبد الله بن كعب = وكان قائد أبيه كعب حين أصيب بصره = قال : سمعت أبي كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، وحديث صاحبيه ، قال : ما تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاه ، غير أني كنت تخلفت عنه في غزوة بدر ، ثم ذكر نحوه . (٣)

* * *

(١) الأثر : ١٧٤٤٨ - من هذه الطريق رواه الطبريق البخاري في صحيحه (الفتح ٨ : ٨٦ - ٩٣) ، وأحمد في مسنده ٣ : ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، الحديث بطوله .

(٢) الأثر : ١٧٤٤٩ - من هذه الطريق ، طريق معمر ، رواه أحمد في مسنده ٦ : ٣٨٧ - ٣٩٠ . وانظر أيضاً ما رواه أحمد في مسنده ٣ : ٤٥٦ ، روايته من طريق يعقوب بن إبراهيم ، عن ابن أخي الزهري محمد بن عبد الله ، عن عمه محمد بن مسلم الزهري ، الحديث بطوله ، وصحيح مسلم ١٧ : ٩٨ - ١٠٠ .

(٣) الأثر : ١٧٤٥٠ - سيرة ابن هشام ٤ : ١٧٥ - ١٨١ ، الحديث بطوله .

القول في تأويل قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا

مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (١١٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين ، معرّفهم سبيل النجاة من عقابه ،
والخلاص من أليم عذابه : « يا أيها الذين آمنوا » ، بالله ورسوله = « اتقوا الله » ،
وراقبوه ، بأداء فرائضه ، وتجنب حدوده = « وكونوا » ، في الدنيا ، من أهل ولاية
الله وطاعته ، تكونوا في الآخرة = « مع الصادقين » ، في الجنة . يعنى : مع من
صدّق الله الإيمان به ، فحقّق قوله بفعله ، ولم يكن من أهل الزناج في ،
الذين يكذب قيلهم فعلهم .

ولأنما معنى الكلام : وكونوا مع الصادقين في الآخرة باتقاء الله في الدنيا ،
كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصّٰدِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصّٰلِحِينَ ﴾ [سورة النساء : ٧٠] . ٤٦/١١

* * *

ولأنما قلنا : ذلك معنى الكلام ، لأن كون المنافق مع المؤمنين غير نافع بآى
وجوه الكون كان معهم ، إن لم يكن عاملاً عملهم . وإذا عمل عملهم فهو منهم ،
وإذا كان منهم ، كان وجهه الكلام أن يقال : « اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » ، (١)
ولتوجيه الكلام إلى ما وجهنا من تأويله ، فسّر ذلك من فسّره من أهل التأويل بأن
قال : معناه : وكونوا مع أبى بكر وعمر ، أو : مع النبي صلى الله عليه وسلم
والمهاجرين ، رحمة الله عليهم .

* * *

* ذكر من قال ذلك أو غيره في تأويله :

(١) في المطبوعة : « كان لا وجه في الكلام أن يقال » ، غير ما في المخطوطة ، والذي فيها
ما أثبتته ، وهو مستقيم صحيح . والذي جاء به من عنده مفسد للكلام .

١٧٤٥١ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يعقوب ، عن زيد بن أسلم ، عن نافع في قول الله : « اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » ، قال : مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

١٧٤٥٢ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا حبيب بن أبي يزيد ، عن يعقوب القمي ، عن زيد بن أسلم ، عن نافع قال : قيل للثلاثة الذين خلفوا : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » ، محمد وأصحابه .

١٧٤٥٣ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق بن إسماعيل ، عن عبد الرحمن المحاربي ، عن جوير ، عن الضحاك في قوله : « وكونوا مع الصادقين » ، قال : مع أبي بكر وعمر وأصحابهما ، رحمة الله عليهم .

١٧٤٥٤ - قال ، حدثنا محمد بن يحيى قال ، حدثنا إسحق بن بشر الكاهلي قال ، حدثنا خلف بن خليفة ، عن أبي هاشم الرماني ، عن سعيد ابن جبير في قول الله : « اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » ، قال : مع أبي بكر وعمر ، رحمة الله عليهما .^(١)

١٧٤٥٥ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قوله : « اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » ، قال : مع المهاجرين الصادقين

* * *

وكان ابن مسعود فيما ذكر عنه ، يقرؤه : ﴿ وَكُونُوا مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ ، ويتأوله : أن ذلك نهى من الله عن الكذب .

* ذكر الرواية عنه بذلك :

١٧٤٥٦ - حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم العسقلاني قال ، حدثنا شعبة ،

(١) لأثر : ١٧٤٥٤ - « أبي هاشم الرماني » ثقة ، روى له الجماعة . مختلف في اسمه ،

عن عمرو بن مرة قال : سمعت أبا عبيدة بن عبد الله بن مسعود يقول : قال ابن مسعود : إن الكذب لا يحلُّ منه جدٌّ ولا هزلٌ ، أقرأوا إن شئتم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ ، قال : وكذلك هي قراءة ابن مسعود : « من الصادقين » ، فهل ترون في الكذب رخصة ؟

١٧٤٥٧ - قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ،

عن شعبة ، عن عمرو بن مرة قال : سمعت أبا عبيدة ، عن عبد الله ، نحوه .

١٧٤٥٨ - قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن

عمرو بن مرة قال : سمعت أبا عبيدة يحدث عن عبد الله قال : الكذب لا يصلح منه جدٌّ ولا هزل ، أقرأوا إن شئتم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ = وهي كذلك في قراءة عبد الله = فهل ترون من رخصة في الكذب ؟

١٧٤٥٩ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ،

عن عبد الله قال : لا يصلح الكذب في هزل ولا جد . ثم تلا عبد الله : « اتقوا الله وكونوا » ما أدرى أقال : « من الصادقين » أو « مع الصادقين » ، وهو في كتابي « مع الصادقين » .

١٧٤٦٠ - قال ، حدثنا أبي ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن

أبي معمر ، عن عبد الله ، مثله .

١٧٤٦١ - قال ، حدثنا أبي ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ،

عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ، مثله .

* * *

قال أبو جعفر : والصحيح من التأويل في ذلك ، هو التأويل الذي ذكرناه

عن نافع والضحاك . وذلك أن رسوم المصاحف كلها مجمعة على : « وكونوا مع

الصادقين » ، وهي القراءة التي لا أستجيز لأحدٍ القراءة بخلافها .

* * *

وتأويل عبد الله، رحمة الله عليه، في ذلك على قراءته، تأويلٌ صحيح، غير أن القراءة بخلافها.

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٢٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : لم يكن لأهل المدينة ، مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم = « ومن حولهم من الأعراب » ، سُكَّانُ البوادي ، الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، وهم من أهل الإيمان به ، أن يتخلفوا في أهاليهم ولا دارٍ لهم ، ^(١) ولا أن يرغبوا بأنفسهم عن نفسه في صحبته في سفره والجهاد معه ، ومعرفته على ما يعانیه في غزوه ذلك . ^(٢) يقول : إنه لم يكن لهم هذا = « بأنهم » ، من أجل أنهم ، وبسبب أنهم = « لا يصيبهم » ، في سفرهم إذا كانوا معه = « ظمأ » ، وهو العطش = « ولا نصب » ، يقول : ولا تعب = « ولا مخمصة في سبيل الله » ، يعني : ولا جماعة في إقامة دين الله ونصرته ، وهدم مَسَارِ الكفر ^(٣) = « ولا يطأون موطئاً » ، يعني : أرضاً ، يقول : ولا يطأون أرضاً =

(١) في المطبوعة : « ولا دارهم » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « رغب » فيما سلف ٣ : ٨٩ .

(٣) انظر تفسير « المخمصة » فيما سلف ص : ٥٦٤ ، تعليق : ١ .

= وتفسير « سبيل الله » فيما سلف من فهارس اللغة (سبل) .

« يغيب الكفار » ، وطؤهم إياها ^(١) = « ولا ينالون من عدو نيلاً » ، يقول : ولا يصيبون من عدو الله وعدوهم شيئاً في أموالهم وأنفسهم وأولادهم = إلا كتب الله لهم بذلك كله ، ثواب عمل صالح قد ارتضاه ^(٢) = « إن الله لا يضيع أجر المحسنين » ، يقول : إن الله لا يدع محسناً من خلقه أحسن في عمله فأطاعه فيما أمره ، وانتهى عما نهاه عنه ، أن يجازيه على إحسانه ، ويثيبه على صالح عمله ^(٣) . فلذلك كتب لمن فعل ذلك من أهل المدينة ومن حولهم من الأعراب ما ذكر في هذه الآية ، الثواب على كل ما فعل ، فلم يضيع له أجر فعله ذلك .

* * *

وقد اختلف أهل التأويل في حكم هذه الآية .

* * *

فقال بعضهم : هي محكمة ، وإنما كان ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، لم يكن لأحد أن يتخلف إذا غزا خلافه فيقعد عنه ، إلا من كان ذا عذر . فأما غيره من الأئمة والولاة ، فإن لمن شاء من المؤمنين أن يتخلف خلفه ، إذا لم يكن بالمسلمين إليه ضرورة .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤٦٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه » ، هذا إذا غزا نبي الله بنفسه ، فليس لأحد أن يتخلف . ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : لولا أن أشق على أمتي ما تخلفت خلف سريّة تغزو في سبيل الله ، لكنني لا أجد سعة ، فأنطلق بهم معي ، ويشق على = أو : أكره = أن أدعهم بعدى .

١٧٤٦٣ — حدثنا علي بن سهل قال ، حدثنا الوليد بن مسلم قال ، سمعت

-
- (١) انظر تفسير « النيط » فيما سلف ٧ : ٢١٥ / ١١٤ : ١٦ .
 (٢) انظر تفسير « كتب » فيما سلف من فهارس اللغة (كتب) .
 (٣) انظر تفسير « المحسن » فيما سلف من فهارس اللغة (حسن) .

الأوزاعي ، وعبد الله بن المبارك ، والفرزاري ، والسيبي ، وابن جابر ، وسعيد ابن عبد العزيز يقولون في هذه الآية : « ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله » إلى آخر الآية ، إنها لأول هذه الأمة وآخرها من المجاهدين في سبيل الله .

* * *

وقال آخرون هذه الآية : نزلت في أهل الإسلام قلة ، فلما كثروا نسخها الله ، وأباح التخلف لمن شاء فقال : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ﴾ [سورة التوبة : ١٢٢]

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤٦٤ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله » ، فقراً حتى بلغ : « ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون » ، قال : هذا حين كان الإسلام قليلاً . فلما كثر الإسلام بعد قال : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ ﴾ ، إلى آخر الآية .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندي : أن الله عني بها الذين وصفهم بقوله : ﴿ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ﴾ [الآية : سورة التوبة : ٩٠] . ثم قال جل ثناؤه : « ما كان لأهل المدينة » ، الذين تخلفوا عن رسول الله ، ولما لمن حولهم من الأعراب الذين قعدوا عن الجهاد معه ، أن يتخلفوا خيافته ، ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه . وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ندب في غزواته تلك كل من أطاق النهوض معه إلى الشخص ، إلا من أذن له ، أو أمره بالمقام بعده . فلم يكن لمن قدر على الشخص التخلف . فعدّد ٤٨/١١ جل ثناؤه من تخلف منهم ، فأظهر نفاق من كان تخلفه منهم نفاقاً ، وعذر من كان تخلفه لعذر ، وتاب على من كان تخلفه تفريطاً من غير شك ولا ارتياب

في أمر الله ، إذ تاب من خطأ ما كان منه من الفعل . فأما التخلف عنه في حال استغناؤه ، فلم يكن محظوراً ، إذا لم يكن عن كراهةٍ منه صلى الله عليه وسلم ذلك . وكذلك حكم المسلمين اليوم إزاء إمامهم . فليس بفرضٍ على جميعهم النهوض معه ، إلا في حال حاجته إليهم ، لما لا بُدَّ للإسلام وأهله من حضورهم واجتماعهم واستنهاضه إياهم ، فيلزمهم حينئذ طاعته .

وإذا كان ذلك معنى الآية ، لم تكن إحدى الآيتين اللتين ذكرنا ناسخةً للأخرى ، إذ لم تكن إحداها نافيةً لحكم الأخرى من كل وجوهه ، ولا جاء خبر يوجه الحجة بأن إحداها ناسخة للأخرى .

* * *

وقد بينا معنى « الخمصة » ، وأنها المجاعة ، بشواهد ، وذكرنا الرواية عن قال ذلك في موضعٍ غير هذا ، فأغنى ذلك عن إعادته ههنا . (١)

* * *

وأما « النيل » ، فهو مصدر من قول القائل : « نالني ينالني » ، و« نلت الشيء » فهو منال . وذلك إذا كنت تناله بيدك ، وليس من « التناول » . وذلك أن « التناول » من « النوال » ، يقال منه : « نُلْتُ له » ، أنول له ، من العطية . وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول : « النيل » مصدر من قول القائل : « نالني بخير ينولني نوالاً » ، و« أنالني خيراً إنالةً » . وقال : كأن « النيل » من الواو أبدلت ياء لحقتها وثقل الواو . وليس ذلك بمعروف في كلام العرب ، بل من شأن العرب أن تصحح الواو من ذوات الواو ، إذا سكنت وانفتح ما قبلها . كقولهم : « القَوْل » و« العَوْل » و« الحَوْل » ولو جاز ما قال ، لحاز « القَيْل » . (٢)

* * *

(١) انظر تفسير « الخمصة » فيما سلف ٩ : ٥٣٢ - ٥٣٤ .

(٢) انظر تفسير « النيل » فيما سلف ٣ : ٦/٢٠ : ١٢/٥٨٧ ، ٤٠٨ ، ١٣/٤٦٩ : ١٣٣ . ولم يفسر « النيل » فيما سلف بمثل هذا البيان في هذا الموضع . وهذه ملاحظة نافعة في استخراج المنهج الذي ألف به أبو جعفر تفسيره هذا .

القول في تأويل قوله ﴿وَلَا يَنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٢١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ، وسائر ما ذكر = « ولا ينالون من عدوً نيلاً » = « ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة » ، في سبيل الله ^(١) = « ولا يقطعون » ، مع رسول الله في غزوه « وادياً » إلا كتب لهم أجر عملهم ذلك ، جزاءً لهم عليه ، كأحسن ما يجزيهم على أحسن أعمالهم التي كانوا يعملونها وهم مقيمون في منازلهم ، كما :-

١٧٤٦٥ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة

قوله : « ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة » ، الآية ، قال : ما ازداد قوم من أهلهم في سبيل الله بُعداً إلا ازدادوا من الله قرباً .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مَنَّهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (١٢٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولم يكن المؤمنون لينفروا جميعاً . ^(٢)

* * *

وقد بينا معنى « الكافة » بشواهد ، وأقوال أهل التأويل فيه ، فأغنى عن إعادته في هذا الموضع . ^(٣)

* * *

(١) لم يكن في المخطوطة ولا المطبوعة : « ولا كبيرة » ، وردتها لأنها حق الكلام .

(٢) انظر تفسير « النفر » فيما سلف ٨ : ٥٣٦ / ١٤ : ٢٥٤ ، ٣٩٩ .

(٣) انظر تفسير « الكافة » فيما سلف ٤ : ٢٥٧ ، ٢٥٨ / ١٤ : ٢٤٢ .

ثم اختلف أهل التأويل في المعنى الذى عناه الله بهذه الآية ، وما « النفر » ،
الذى كرهه لجميع المؤمنين ؟

فقال بعضهم : وهو نَفَرٌ كان من قوم كانوا بالبادية ، بعثهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم يعلمون الناس الإسلام ، فلما نزل قوله : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ
وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﴾ ، انصرفوا عن البادية إلى
النبي صلى الله عليه وسلم ، خشية أن يكونوا ممن تخلف عنه ، ومن عُنِيَ بالآية . فأنزل
الله في ذلك عذرهم بقوله : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة » ، وكره انصراف
جميعهم من البادية إلى المدينة .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤٦٦ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا
عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة
فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة » ، قال : ناسٌ من أصحاب محمد صلى
الله عليه وسلم ، خرجوا في البوادي ، فأصابوا من الناس معروفاً ، ومن الخصب
ما ينتفعون به ، ودعوا من وجدوا من الناس إلى الهدى ، فقال الناس لهم :
ما نراكم إلا قد تركتم أصحابكم وجئتمونا ! فوجدوا في أنفسهم من ذلك حرجاً ، وأقبلوا
من البادية كلهم حتى دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال الله : « فلولا نفر
من كل فرقة منهم طائفة » ، يبتغون الخير = « ليتفقها » ، وليسمعوا ما في الناس ، وما أنزل
الله بعدهم = « ولينذروا قومهم » ، الناس كلهم = « إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » .

١٧٤٦٧ - حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن
ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله = إلا أنه قال في حديثه : فقال الله : « فلولا
نفر من كل فرقة منهم طائفة » ، خرج بعض ، وقعد بعضٌ يبتغون الخير .

١٧٤٦٨ - . . . قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورفاء ،

عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحو حديثه عن أبي حذيفة .

١٧٤٦٩ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حمجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحو حديث المثني عن أبي حذيفة = غير أنه قال في حديثه : ما نراكم إلا قد تركتم صاحبكم ! وقال : « ليتفقها » ، ليسمعوا ما في الناس .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : وما كان المؤمنون لينفروا جميعاً إلى عدوهم ، ويتركوا نبيهم صلى الله عليه وسلم وحده ، كما : -
١٧٤٧٠ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد في قوله : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة » ، قال : ليذهبوا كلهم = فلولا نفر من كل حي وقبيلة طائفة ، وتخلف طائفة = « ليتفقها في الدين » ، ليتفق المتخلفون مع النبي صلى الله عليه وسلم في الدين = ولينذر المتخلفون النافرين إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون .

* * *

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤٧١ - حدثني المثني قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة » ، يقول : ما كان المؤمنون لينفروا جميعاً ، ويتركوا النبي صلى الله عليه وسلم وحده = « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة » ، يعني عصابة ، يعني السرايا ، ولا يتسروا إلا بإذنه ، فإذا رجعت السرايا وقد نزل بعدهم قرآن ، تعلمه القاعدون من النبي صلى الله عليه وسلم . قالوا : « إن الله قد أنزل على نبيكم بعدكم قرآنًا ، وقد تعلمناه » . فيمكث السرايا يتعلمون ما أنزل الله على نبيهم بعدهم ، [ويبحث سرايا آخر ، فذلك قوله : « ليتفقها في الدين » ، يقول يتعلمون ما أنزل الله على نبيه] ^(١) ، ويعلموا السرايا إذا رجعت

(١) ما بين القوسين ، ليس في المخطوطة ، وزاده ناشر المطبوعة من الدر المنثور ٣ : ٢٩٢ ، فيما أرجح .

إليهم لعلهم يحذرون . (١)

١٧٤٧٢ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة » ، إلى قوله : « لعلهم يحذرون » ، قال : هذا إذا بعث نبي الله الحيوش ، أمرهم أن لا يُعَرِّثُوا نبيه ، وتقيم طائفة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تتفقه في الدين ، وتنطلق طائفة تدعو قومها ، وتحذرهم وقائع الله فيمن خلا قبلهم .

١٧٤٧٣ - حدثنا الحسين قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاک يقول في قوله : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة » ، الآية ، كان نبي الله إذا غزا بنفسه لم يحل لأحد من المسلمين أن يتخلف عنه ، إلا أهل العذر . وكان إذا أقام فأسرت السرايا ، لم يحل لهم أن ينطلقوا إلا بإذنه . فكان الرجل إذا أسري فنزل بعده قرآن ، تلاه نبي الله على أصحابه القاعدين معه . فإذا رجعت السرية ، قال لهم الذين أقاموا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله أنزل بعدكم على نبيه قرآنًا » ، فيقرئهم ويفقهونهم في الدين ، وهو قوله : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة » ، يقول : إذا أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم = « فلولوا نفر من كل فرقة منهم طائفة » ، يعنى بذلك : أنه لا ينبغي للمسلمين أن ينفروا جميعاً ونبي الله قاعد ، ولكن إذا قعد نبي الله ، تسرت السرايا ، وقعد معه عظم الناس .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ما هؤلاء الذين نفروا بمؤمنين ، ولو كانوا مؤمنين لم ينفر جميعهم ، واكنهم منافقون . ولو كانوا صادقين أنهم مؤمنون ، لنفر بعض ليتفقه في الدين ، ولينذر قومه إذا رجع إليهم .

(١) كان في المطبوعة : « ويعلمونه » ، وفي الدر : « ويعلموه » ، وفي المخطوطة : « ويعلموا » عطفاً على قوله : « ليفقهوا » .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤٧٤ - حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة » ، فإنها ليست في الجهاد ، ولكن لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مَنَصَّر بالسَّينِ أجذبت بلادهم ، وكانت القبيلة منهم تُقْبَلُ بأسرها حتى يَحِلُّوا بالمدينة من الجَهْد ، ويعتَلُّوا بالإسلام وهم كاذبون ، فضيَّقوا على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأجهدوهم ، وأنزل الله يخبر رسول الله أنهم ليسوا مؤمنين ، فردَّهم رسول الله إلى عشائريهم ، وحذَّر قومهم أن يفعلوا فعلهم ، فذلك قوله : « ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » .

* * *

وقد روى عن ابن عباس في ذلك قول ثالث ، وهو ما : —

١٧٤٧٥ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة » إلى قوله : « لعلهم يحذرون » ، قال : كان ينطلق من كل حيٍّ من العرب عصابة ، فيأتون النبي صلى الله عليه وسلم ، فيسألونه عما يريدونه من دينهم ، ويتفقهون في دينهم ، ويقولون لنبي الله : ما تأمرنا أن نفعله ، وأخبرنا ما نقول لعشائرينا إذا انطلقنا إليهم ؟ قال : فيأمرهم نبي الله بطاعة الله وطاعة رسوله ، ويبعثهم إلى قومهم بالصلاة والزكاة . وكانوا إذا أتوا قومهم نادوا : « إن من أسلم فهو منّا » ، وينذرونهم ، حتى إن الرجل ليعرِّف أباه وأمه . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرهم وينذرون قومهم . ^(١) فإذا رجعوا إليهم ، يدعونهم إلى الإسلام ، وينذرونهم النار ، ويبشرونهم بالجنة .

* * *

(١) هكذا جاءت هذه الجملة في المخطوطة والمطبوعة ، وهي جملة غريبة التركيب ، أخشى أن يكون سقط منها شيء .

وقال آخرون : إنما هذا تكذيب من الله للمنافقين أزرؤا بأعراب المسلمين وغيرهم ، (١) في تخلفهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم من قد عذره الله بالتخلف .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤٧٦ — حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان ابن عيينة ، عن سليمان الأحول ، عن عكرمة قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﴾ ، إلى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ، قال ناس من المنافقين : هلك من تخلف ! فنزلت : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة » ، إلى « لعلمهم يحذرون » ، ونزلت : ﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةً ﴾ ، الآية [سورة الشورى : ١٦] .

١٧٤٧٧ — حدثنا المثني قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة قال ، حدثنا سليمان الأحول ، عن عكرمة ، قال : سمعته يقول : لما نزلت : ﴿ إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [سورة التوبة : ٣٩] ، ﴿ وَمَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ ﴾ إلى قوله : ﴿ لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ، قال المنافقون : هلك أصحاب البدو الذين تخلفوا عن محمد ولم ينفروا معه ! وقد كان ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا إلى البدو ، إلى قومهم يفتقونهم ، فأنزل الله : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة » ، إلى قوله : « لعلمهم يحذرون » ، ونزلت : ﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ ﴾ ، الآية .

* * *

واختلف الذين قالوا : « عني بذلك النهي عن نفر الجميع في السرية » ، وترك

(١) في المطبوعة : « بأعراب المسلمين وعزروهم » ، والصواب ما في المخطوطة .

النبي عليه السلام وحده » ، في المعنيين بقوله : « ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم » .

فقال بعضهم : عني به الجماعة المتخلفة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وقالوا : معنى الكلام : فهلاً نفر من كل فرقة طائفة للجهاد ، ليتفقه المتخلفون في ٥١/١١
الدين ، ولينذروا قومهم الذين نفروا في السرية إذا رجعوا إليهم من غزوهم ؟ وذلك قول قتادة ، وقد ذكرنا رواية ذلك عنه ، من رواية سعيد بن أبي عروبة ، ^(١) وقد : —
١٧٤٧٨ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن
معمر ، عن قتادة : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين » الآية ،
قال : ليتفقه الذين قعدوا مع نبي الله = « ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم » ،
يقول : لينذروا الذين خرجوا إذا رجعوا إليهم .

١٧٤٧٩ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن
معمر ، عن الحسن وقاتدة : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة » ، قالوا : كافة ويَدْعُوا
النبي صلى الله عليه وسلم .

* * *

وقال آخرون منهم : بل معنى ذلك : لتفقه الطائفة النافرة دون المتخلفة ،
وتحذر النافرة المتخلفة .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤٨٠ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن
معمر ، عن الحسن : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين » ،
قال : ليتفقه الذين خرجوا ، بما يُريهم الله من الظهور على المشركين والنصرة ،
ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال : تأويله : وما كان المؤمنون لينفروا جميعاً ويتركوا رسول الله وحده ، وأن الله نهى بهذه الآية المؤمنين به أن يخرجوا في غزو وجهادٍ وغير ذلك من أمورهم ، ويدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحيداً . ولكن عليهم إذا سرى رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية ، أن ينفر معها من كل قبيلة من قبائل العرب = وهى الفرقة ^(١) = « طائفة » ، وذلك من الواحد إلى ما بلغ من العدد ، ^(٢) كما قال الله جل ثناؤه : « فلولاً نفر من كل فرقة منهم طائفة » ، يقول : فهلاً نفر من كل فرقة منهم طائفة ؟ ^(٣) وهذا إلى ها هنا ، على أحد الأقوال التي رويت عن ابن عباس ، وهو قول الضحاك وقتادة .

ولما قلنا : هذا القول أولى الأقوال في ذلك بالصواب ، لأن الله تعالى ذكره حظر التخلف خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المؤمنين به من أهل المدينة مدية الرسول صلى الله عليه وسلم ومن الأعراب ، لغير عذر يُعذرون به ، إذا خرج رسول الله لغزو وجهادٍ عدوٍّ قبل هذه الآية بقوله : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﴾ ، ثم عقب ذلك جل ثناؤه بقوله : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة » ، فكان معلوماً بذلك = إذ كان قد عرفت في الآية التي قبلها اللازم لهم من فرض النفر ، والمباح لهم من تركه في حال غزو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشخصه عن مدينته لجهادٍ عدوٍّ ، وأعلمهم أنه لا يسعهم التخلف خلافه إلا لعذر ، بعد استنأضه بعضهم وتخليفه بعضهم = أن يكون عقيب تعريفهم ذلك ، تعريفهم الواجب عليهم عند مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمدينته ،

(١) انظر تفسير « الفريق » و « الفرقة » فيما سلف : ص : ٥٣٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « طائفة » فيما سلف : ص : ٤٠٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « لولا » فيما سلف ١١ : ٣٥٦ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

ولإشخاص غيره عنها، كما كان الابتداءُ بتعريفهم الواجب عند شخوصه وتخليفه بعضهم.

* * *

وأما قوله : « ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم » ، ^(١) فإن أولى الأقوال في ذلك بالصواب ، قولٌ من قال : ليتفقه الطائفة النافرة بما تعاین من نصر الله أهل دينه وأصحاب رسوله ، على أهل عداوته والكفر به ، فيفقه بذلك من مُعَايِنَتِهِ حقيقةَ علم أمر الإسلام وظهوره على الأديان ، من لم يكن فقهه ، ولينذروا قومهم فيحذروهم أن ينزل بهم من بأس الله مثل الذي نزل بمن شاهدوا وعاینوا ممن ظفر بهم المسلمون من أهل الشرك = إذا هم رجعوا إليهم من غزوهم = « لعلهم يحذرون » ، ^(٢) يقول : لعل قومهم ، إذا هم حذروهم ما عاینوا من ذلك ، ^{٥٢/١١} يحذرون فيؤمنون بالله ورسوله ، حذراً أن ينزل بهم ما نزل بالذين أخبروا خبرهم .

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال بالصواب ، وهو قول الحسن البصري الذي روينا عنه ، ^(٣) لأن « النفر » قد بينا فيما مضى ، أنه إذا كان مطلقاً بغير صلة بشيء ، أن الأغلب من استعمال العرب إياه في الجهاد والغزو . ^(٤) فإذا كان ذلك هو الأغلب من المعاني فيه ، وكان جل ثناؤه قال : « فلولوا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين » ، علم أن قوله : « ليتفقهوا » ، إنما هو شرط للنفر لا لغيره ، إذ كان يليه دون غيره من الكلام .

* * *

فإن قال قائل : وما تنكر أن يكون معناه : ليتفقه المتخلفون في الدين ؟ قيل : ننكر ذلك لاستحالاته . وذلك أن نفر الطائفة النافرة ، لو كان سبباً لتفقه المتخلفة ، وجب أن يكون مقامها معهم سبباً لجهلهم وترك التفقه ، وقد علمنا أن

(١) انظر تفسير « التفقه » فيما سلف ص : ٤١٣ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الحذر » فيما سلف ١٠ : ١٤ / ٥٧٥ : ٣٣١ .

(٣) انظر ما سلف رقم : ١٧٤٨٠ .

(٤) انظر ما سلف ص : ٢٥١ - ٢٥٦ .

مقامهم لو أقاموا ولم ينفروا لم يكن سبباً لمنعهم من التفقه .

* * *

وبعد ، فإنه قال جل ثناؤه : « ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم » ، عطفاً به على قوله : « ليتفقها في الدين » ، ولا شك أن الطائفة النافرة لم ينفروا إلاّ والإنذار قد تقدّم من الله إليها ، وللاّإنذار وخوف الوعيد نفرت ، فما وجهُ إنذار الطائفة المتخلفة الطائفة النافرة ، وقد تساوتا في المعرفة بإنذار الله إياهما ؟ ولو كانت إحداهما جائرة أن توصف بإنذار الأخرى ، لكان أحقّهما بأن يوصف به ، الطائفة النافرة ، لأنها قد عاينت من قدرة الله ونصرة المؤمنين على أهل الكفر به ، ما لم تعاین المقيمة . ولكن ذلك إن شاء الله كما قلنا ، من أنها تنذر من حبيّها وقبيلتها من لم يؤمن بالله إذا رجعت إليه : أن ينزل به ما أنزل بمن عاينته ممن أظفر الله به المؤمنين من نظرائه من أهل الشرك .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (١٢٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله ، قاتلوا من وليكم من الكفار دون من بَعُدَ منهم . (١) يقول لهم : ابدأوا بقتال الأقرب فالأقرب إليكم داراً ، دون الأبعد فالأبعد . وكان الذين ياون المخاطبين بهذه الآية يومئذ ، الروم ، لأنهم كانوا سكان الشام يومئذ ، والشام كانت أقرب إلى المدينة من العراق . فأما بعد أن فتح الله على المؤمنين البلاد ، فإن الفرض على

أهل كل ناحية ، قتالٌ من وليهم من الأعداء دون الأبعد منهم ، ما لم يضطرّ إليهم أهل ناحية أخرى من نواحي بلاد الإسلام . فإن اضطروا إليهم ، لزمهم عنهم ونصرهم ، لأن المسلمين يدٌ على من سواهم .

* * *
ولصحة كون ذلك كذلك ، تأوّل كلٌّ من تأوّل هذه الآية ، أن معناها إيجاب الفرض على أهل كل ناحية قتال من وليهم من الأعداء .
* ذكر الرواية بذلك عنهم :

١٧٤٨١ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن شبيب ابن غرقدة البارق ، عن رجل من بني تميم قال ، سألت ابن عمر عن قتال الديلم قال : عليك بالروم ! (١)

١٧٤٨٢ — حدثنا ابن بشار ، وأحمد بن إسحق ، وسفيان بن وكيع قالوا ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن يونس ، عن الحسن : « قاتلوا الذين يلونكم من الكفار » ، قال : الديلم .

١٧٤٨٣ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن الربيع ، عن الحسن : أنه كان إذا سئل عن قتال الروم والديلم ، تلا هذه الآية : « قاتلوا الذين يلونكم من الكفار » .

١٧٤٨٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يعقوب قال ، حدثنا عمران أخى قال : سألت جعفر بن محمد بن على بن الحسين فقلت : ما ترى فى قتال الديلم ؟ فقال :

(١) الأثر : ١٧٤٨١ — « شبيب بن غرقدة البارق » ، والمشهور « السلمى » ، مضى برقم : ٣٠٠٨ ، ٣٠٠٩ ، وهكذا جاء فى المخطوطة كما أثبتته ، ولكن ناشر المطبوعة كتبه هكذا « عن شبيب بن غرقدة » ، عن عروة البارق ، عن رجل من بني تميم ، وهو لا يصح أبداً ، لأن « عروة البارق » ، هو : « عروة بن أبي الجعد البارق » ، وهو صحابى معروف ، مضى أيضاً برقم : ٣٠٠٨ . والذى حدث هناك أيضاً أنه زاد فى الإسناد « عروة » ، واستظهر أخى أنه زيادة فى الإسناد ، وهو الصواب ، ويؤيده ما حدث فى هذا الموضع ، من ناسخ أو ناشر . وعذره فيما أظن شهرة « شبيب بن غرقدة » أنه « السلمى » ، وأنه يروى عن « عروة البارق » ، فلما رأى « شبيب بن غرقدة البارق » ، ظن أنه خطأ فى الإسناد فأضاف « عن عروة » بين « غرقدة » ، و « البارق » .

قاتلوهم وربطوهم ، فإنهم من الذين قال الله : « قاتلوا الذين يلونكم من الكفار » . (١)
 ١٧٤٨٥ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن
 الربيع ، عن الحسن : أنه سئل عن الشام والديلم ، فقال : « قاتلوا الذين يلونكم
 من الكفار » ، الديلم .

٥٣/١١

١٧٤٨٦ - حدثني علي بن سهل قال ، حدثنا الوليد قال ، سمعت أبا عمرو ،
 وسعيد بن عبد العزيز يقولان : يربط كل قوم ما يليهم من مسألتهم وحصونهم ،
 ويتأولان قول الله : « قاتلوا الذين يلونكم من الكفار » .

١٧٤٨٧ - حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في
 قوله : « قاتلوا الذين يلونكم من الكفار » ، قال : كان الذين يلونهم من الكفار
 العرب ، فقاتلهم حتى فرغ منهم . فلما فرغ قال الله : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
 بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ ، حتى بلغ ، ﴿ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ ، [سورة التوبة : ٢٩] .
 قال : فلما فرغ من قتال من يليه من العرب ، أمره بجهاد أهل الكتاب . قال : وجهادهم
 أفضل الجهاد عند الله .

* * *

وأما قوله : « وليجذبوا فيكم غلظة » ، فإن معناه : وليجد هؤلاء الكفار الذين
 تقابلونهم = « فيكم » ، أي : منكم شدة عليهم (٢) = « واعلموا أن الله مع المتقين » ،
 يقول : وأيقنوا ، عند قتالكم إياهم ، أن الله معكم ، وهو ناصركم عليهم ، فإن
 اتقيتم الله وخفتموه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ، فإن الله ناصر من اتقاه ومعينه .

* * *

(١) الأثر : ١٧٤٨٤ - « يعقوب بن عبد الله القمي » ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٦٩٦٠ .
 وهو يروى عن أخويه : « عبد الرحمن ، وعمران » ، ولم أجد لأخيه « عمران » ترجمة .
 (٢) انظر تفسير « الغلظة » في سلف ٧ : ١٤/٣٤١ : ٣٦٠ .

القول في تأويل قوله ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ ۖ إِمَّا نَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ (١٢٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وإذا أنزل الله سورة من سور القرآن على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فمن هؤلاء المنافقين الذين ذكرهم الله في هذه السورة من يقول : أيها الناس ، أيكم زادته هذه السورة إيماناً؟ يقول : تصديقاً بالله وبآياته . يقول الله : « فأما الذين آمنوا » ، من الذين قيل لهم ذلك = « فزادتهم » ، السورة التي أنزلت = « إيماناً » ، وهم يفرحون بما أعطاهم الله من الإيمان واليقين . (١)

* * *

فإن قال قائل : أو ليس « الإيمان » ، في كلام العرب ، التصديق والإقرار ؟ (٢)
 قيل : بلى !

فإن قيل : فكيف زادتهم السورة تصديقاً وإقراراً ؟

قيل : زادتهم إيماناً حين نزلت ، لأنهم قبل أن تنزل السورة لم يكن لزمهم فرض الإقرار بها والعمل بها بعينها ، إلا في جملة إيمانهم بأن كل ما جاءهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم من عند الله فحق . فلما أنزل الله السورة ، لزمهم فرض الإقرار بأنها بعينها من عند الله ، ووجب عليهم فرض الإيمان بما فيها من أحكام الله وحدوده وفرائضه ، فكان ذلك هو الزيادة التي زادتهم نزول السورة حين نزلت من الإيمان والتصديق بها .

* * *

(١) انظر تفسير « استبشر » فيما سلف ٧ : ٣٩٦ .

(٢) انظر تفسير « الإيمان » فيما سلف من فهارس اللغة (أمن) .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤٨٨ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وإذا ما أنزلت سورة فهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً » ، قال : كان إذا نزلت سورة آمنوا بها ، فزادهم الله إيماناً وتصديقاً ، وكانوا يستبشرون .

١٧٤٨٩ - حدثني الثني قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : « فزادهم إيماناً » ، قال : خشية .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ (١٢٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « وأما الذين في قلوبهم مرض » ، نفاق وشك في دين الله ، (١) فإن السورة التي أنزلت = « زادتهم رجساً إلى رجسهم » ، وذلك أنهم شكوا في أنها من عند الله ، فلم يؤمنوا بها ولم يصدقوا ، فكان ذلك زيادة شك حادثة في تنزيل الله ، لزمهم الإيمان به عليهم ، بل ارتابوا بذلك ، فكان ذلك زيادة نكث من أفعالهم ، إلى ماسلف منهم نظيره من النكث والنفاق . وذلك معنى قوله : « فزادتهم رجساً إلى رجسهم » (٢) = « وماتوا » ، يعني : هؤلاء المنافقين أنهم هلكوا = « وهم كافرون » ، يعني : وهم كافرون بالله وآياته .

* * *

(١) انظر تفسير « المرض » فيما سلف ١ : ٢٧٨ - ٢٨١ / ١٠ : ١٤٠٤ / ١٢ : ١٢ .

(٢) انظر تفسير « الرجس » فيما سلف ص : ٤٢٥ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .

القول في تأويل قوله ﴿ أَوْ لَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ ﴾ (١٢٦)

٥٤/١١

قال أبو جعفر : اختلفت القراءة في قراءة قوله : « أَوْ لَا يَرَوْنَ » .

فقرأته عامة قراءة الأمصار : ﴿ أَوْ لَا يَرَوْنَ ﴾ ، بالياء ، بمعنى : ألا يرى هؤلاء الذين في قلوبهم مرضُ النفاق ؟

* * *

وقرأ ذلك حمزة : ﴿ أَوْ لَا تَرَوْنَ ﴾ ، بالتاء ، بمعنى : ألا ترون أنتم ، أيها المؤمنون ، أنهم يفتنون ؟

* * *

قال أبو جعفر : والصواب عندنا من القراءة في ذلك ، الياءُ ، على وجه التوبيخ من الله لهم ، لإجماع الحجة من قراءة الأمصار عليه ، وصحة معناه .

* * *

فتأويل الكلام إذاً : أَوْ لَا يَرَى هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ أَنَّ اللَّهَ يُخْتَبِرُهُمْ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ، بمعنى أنه يختبرهم في بعض الأعوام مرة ، وفي بعضها مرتين ^(١) = ثم « لَا يَتُوبُونَ » ، يقول : ثم هم مع البلاء الذي يحلّ بهم من الله ، والاختبار الذي يعرض لهم ، لَا يَنْبِئُونَ مِنْ نِفَاقِهِمْ ، وَلَا يَتُوبُونَ مِنْ كُفْرِهِمْ ، وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ بما يرون من حجج الله ويعاينون من آياته ، فيتعظوا بها ، ولكنهم مصرّون على نفاقهم ؟

* * *

واختلف أهل التأويل في معنى « الفتنة » التي ذكر الله في هذا الموضع أن هؤلاء المنافقين يفتنون بها .

فقال بعضهم : ذلك اختبارُ الله إياهم بالقحط والشدة .

* ذكر من قال ذلك :

(١) انظر تفسير « الفتنة » فيما سلف ص : ٢٨٦ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

١٧٤٩٠ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « أو لا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين » ، قال : بالسنة والجوع .

١٧٤٩١ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « يفتنون » ، قال : يبتلون = « في كل عام مرة أو مرتين » ، قال : بالسنة والجوع .

١٧٤٩٢ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « أو لا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين » ، قال : يبتلون بالعذاب في كل عام مرة أو مرتين .

١٧٤٩٣ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « يفتنون في كل عام مرة أو مرتين » ، قال : بالسنة والجوع .

* * *

وقال آخرون : بل معناه : أنهم يختبرون بالغزو والجهاد .
* ذكر من قال ذلك :

١٧٤٩٤ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « أو لا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين » ، قال : يبتلون بالغزو في سبيل الله في كل عام مرة أو مرتين .
١٧٤٩٥ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ، مثله .

* * *

وقال آخرون : بل معناه أنهم يختبرون بما يُشيع المشركون من الأكاذيب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فيفتنن بذلك الذين في قلوبهم مرض .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤٩٦ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا شريك ، عن جابر ، عن أبي الضحى ، عن حذيفة : « ألا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين » ، قال : كنا نسمع في كل عام كذبة أو كذبتين ، فيضلُّ بها فتامٌ من الناس كثير .

١٧٤٩٧ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن شريك ، عن جابر ، عن أبي الضحى ، عن حذيفة قال : كان لهم في كل عام كذبة أو كذبتان .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال : إن الله عَجَّب عباده المؤمنين من هؤلاء المنافقين ، ووبَّخَ المنافقين في أنفسهم بقلَّة تذكُّرهم ، وسوء تنبيههم لمواعظ الله التي يعظهم بها . وجائزٌ أن تكون تلك المواعظُ الشدائدَ التي ينزلها بهم من الجوع والقحط = وجائزٌ أن تكون ما يريهم من نُصرة رسوله على أهل الكفر به ، ويرزقه من إظهار كلمته على كلمتهم = وجائزٌ أن تكون ما يظهر للمسلمين من نفاقهم وخبث سرائرهم ، بركونهم إلى ما يسمعون من أراجيف المشركين برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه = ولا خبر يوجب صحة بعض ذلك دون بعض ، من الوجه الذي يجب التسليم له . ولا قول في ذلك أولى بالصواب من التسليم لظاهر قول الله وهو : ألا يرون أنهم يختبرون في كل عام مرة أو مرتين ، بما يكون زاجراً لهم ، ثم لا ينزجرون ولا يتعظون ؟

* * *

٥٥/١١

القول في تأويل قوله ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (١٢٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « وإذا ما أنزلت سورة » ، من القرآن ، فيها عيبٌ هؤلاء المنافقين الذين وصفَ جل ثناؤه صفتهم في هذه السورة ، وهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم = « نظر بعضهم إلى بعض » ، فتناظروا = « هل يراكم من أحد » ، إن تكلمتم أو تناجيتم بمعاب القوم يخبرهم به ، ثم قاموا فانصرفوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يستمعوا قراءة السورة التي فيها معائبهم . ثم ابتداءً جل ثناؤه قوله : « صرف الله قلوبهم » ، فقال : صرف الله عن الخير والتوفيق والإيمان بالله ورسوله قلوب هؤلاء المنافقين ^(١) = « ذلك بأنهم قوم لا يفقهون » ، يقول : فعل الله بهم هذا الخذلان ، وصرف قلوبهم عن الخيرات ، من أجل أنهم قوم لا يفقهون عن الله مواعظه ، استكباراً ، ونفاقاً . ^(٢)

* * *

واختلف أهل العربية في الجالب حرف الاستفهام .

فقال بعض نحويي البصرة ، قال : « نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد » ، كأنه قال : « قال بعضهم لبعض » ، لأن نظرهم في هذا المكان كان إيماءً ، وشيئاً به ، ^(٣) والله أعلم .

* * *

وقال بعض نحويي الكوفة : إنما هو : وإذا ما أنزلت سورة قال بعضهم لبعض :

هل يراكم من أحد ؟

* * *

(١) انظر تفسير « الصرف » فيما سلف ٣ : ١٩٤ / ١١ : ١٣ / ٢٨٦ : ١١٢ .

(٢) انظر تفسير « الفقه » فيما سلف ص : ٥٧٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) في المطبوعة : « وتنبهاً به » ، وصواب قراءته ما أثبت .

وقال آخر منهم : هذا «النظر» ليس معناه «القول»، ولكنه النظر الذى يجلب الاستفهام، كقول العرب : « تناظروا أيهم أعلم » ، و«اجتمعوا أيهم أفقه»، أى : اجتمعوا لينظروا = فهذا الذى يجلب الاستفهام .

* * *

١٧٤٩٨ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن شعبة ، عن أبي حمزة ، عن ابن عباس قال : لا تقولوا : « انصرفنا من الصلاة » ، فإن قوماً انصرفوا فصرف الله قلوبهم ، ولكن قولوا : « قد قضينا الصلاة » .

١٧٤٩٩ — قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي إسحق ، عن عمير بن تميم الثعلبي ، عن ابن عباس قال : لا تقولوا : « انصرفنا من الصلاة » ، فإن قوماً انصرفوا فصرف الله قلوبهم .^(١)

١٧٥٠٠ — قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن ابن عباس قال : لا تقولوا : « انصرفنا من الصلاة » ، فإن قوماً انصرفوا فصرف الله قلوبهم ، ولكن قولوا : « قد قضينا الصلاة » .

١٧٥٠١ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض » ، الآية ، قال : هم المنافقون .

* * *

وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما : —

١٧٥٠٢ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد » ، ممن

(١) الأثر : ١٧٤٩٩ — « عمير بن تميم الثعلبي » ، هكذا فى المخطوطة أيضاً ، لم أجده له ترجمة فى غير الجرح والتعديل ٣/ ١٧٨ فى « عمير بن قميم الثعلبي » بالقاف . وقال المعلق أنه فى إحدى النسخ « عمير بن قثم الثعلبي » . وفى الثقات والكنى للدولابى « بن تميم » . وقال ابن أبى حاتم : (قال يحيى بن سعيد ، وأبو نعيم ، هو « أبو هلال الطائى » ، وقال وكيع : هو « أبو تهمل » . روى عن ابن عباس ، روى عنه أبو إسحق الهمدانى ، ويونس بن أبى إسحق ، سمعت أبى يقول ذلك) .

سمع خبركم ، رآكم أحدٌ أخبره ؟ ^(١) إذا نزل شيء يخبر عن كلامهم . قال :
 وهم المنافقون . قال : وقرأ : ﴿ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ
 زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا ﴾ ، حتى بلغ : ﴿ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ﴾
 أخبره بهذا ؟ أكان معكم أحد ؟ سمع كلامكم أحد يخبره بهذا ؟

١٧٥٠٣ - حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا شعبة قال ، حدثنا
 أبو إسحق الهمداني ، عن حدثه ، عن ابن عباس قال : لا تقل : « انصرفنا
 من الصلاة » ، فإن الله غير قوماً فقال : « انصرفوا صرف الله قلوبهم » ، ولكن
 قل : « قد صلينا » .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ
 عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٢٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للعرب : لقد جاءكم ، أيها القوم ، رسول
 الله إليكم = « من أنفسكم » ، تعرفونه ، لا من غيركم ففتحموه على أنفسكم في
 النصيحة لكم ^(٢) = « عزيز عليه ما عنتم » ، أي : عزيز عليه عنتكم ، وهو دخول
 المشقة عليهم والمكروه والأذى ^(٣) = « حريص عليكم » ، يقول : حريص على
 هُدَى ضلالتكم وتوبتهم ورجوعهم إلى الحق ^(٤) = « بالمؤمنين رؤوف » ، أي :
 رفيق = « رحيم » . ^(٥)

(١) في المخطوطة : « من يسمع خبركم ولكم أحد أخبره » ، وما في المطبوعة مطابق لما في الدر
 المنثور ٣ : ٢٩٣ ، وهو شبيه بالصواب إن شاء الله .

(٢) انظر تفسير « من أنفسكم » : فيما سلف ٧ : ٣٦٩ .

(٣) انظر تفسير « عزيز » فيما سلف من فهارس اللغة (عز) .

= وتفسير « العنت » فيما سلف ٤ : ٧/٣٦٠ - ١٤٠ - ٨/١٤٤ : ٢٠٦ .

(٤) انظر تفسير « الحرص » فيما سلف ٩ : ٢٨٤ .

(٥) انظر تفسير « رؤوف » فيما سلف ٣ : ٤/١٧١ - ١٤/٢٥١ : ٥٣٩ .

= وتفسير « رحيم » فيما سلف من فهارس اللغة (رحم) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٥٠٤ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن عيينة ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه فى قوله : « لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم » ، قال : لم يصبه شيء من شركٍ فى ولادته .

١٧٥٠٥ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن جعفر بن محمد فى قوله : « لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم » ، قال : لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية . قال : وقال النبى صلى الله عليه وسلم : إني خرجت من نكاحٍ ، ولم أخرج من سفاحٍ .

١٧٥٠٦ - حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرزاق ، عن ابن عيينة ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، بنحوه .

١٧٥٠٧ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم » ، قال : جعله الله من أنفسهم ، فلا يحسدونه على ما أعطاه الله من النبوة والكرامة .^(١)

* * *

وأما قوله : « عزيز عليه ما عنتم » ، فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله .

فقال بعضهم : معناه : ما ضللتم .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٥٠٨ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا طلق بن غنام قال ، حدثنا

الحكم بن ظهير ، عن السدى ، عن ابن عباس فى قوله : « عزيز عليه ما عنتم » ، قال : ما ضللتم .

* * *

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « ولا يحسدونه » بالواو ، والسياق يقتضى ما أثبت .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : عزيز عليه عنت مؤمنكم .
* ذكر من قال ذلك :

١٧٥٠٩ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة :
« عزيز عليه ما عنتهم » ، عزيز عليه عنت مؤمنهم .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك بالصواب ، قول ابن عباس . وذلك
أن الله عم بالخبر عن نبي الله أنه عزيز عليه ما عنت قومه ، ولم يخص أهل الإيمان
به . فكان صلى الله عليه وسلم [كما جاء الخبر من] الله به ، عزيز عليه
عنت جمعهم .^(١)

* * *

فإن قال قائل : وكيف يجوز أن يوصف صلى الله عليه وسلم بأنه كان عزيزاً
عليه عنت جميعهم ، وهو يقتل كفارهم ، ويسبي ذراريهم ، ويسلبهم أموالهم ؟
قيل : إن إسلامهم ، لو كانوا أسلدوا ، كان أحب إليه من إقامتهم على
كفرهم وتكذيبهم إياه ، حتى يستحقوا ذلك من الله . وإنما وصفه الله جل ثناؤه
بأنه عزيز عليه عنتهم ، لأنه كان عزيزاً عليه أن يأتوا ما يُعنتهم ، وذلك أن يضلوا
فيستوجبوا العنت من الله بالقتل والسبي .

* * *

وأما « ما » التي في قوله : « ما عنتهم » ، فإنه رفع بقوله : « عزيز عليه » ،
لأن معنى الكلام ما ذكرت : عزيز عليه عنتكم .

* * *

وأما قوله : « حريص عليكم » ، فإن معناه ما قد بينت ، وهو قول أهل
التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

(١) في المخطوطة ، بياض بين « كما » ، و « الله به » بقدر كلمتين ، وفي المطبوعة أتم الكلام
هكذا : « كما وصفه الله به ، عزيزاً عليه » ، والزيادة بين القوسين استظهار معنى ، وسائر كنعن المخطوطة .

١٧٥١٠ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « حريص عليكم » ، حريص على ضالهم أن يهديه الله .
 ١٧٥١٠ م — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة في قوله : « حريص عليكم » ، قال : حريص على من لم يسلم أن يسلم .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ (١٢٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فإن تولي ، يا محمد ، هؤلاء الذين جئهم بالحق من عند ربك من قومك ، فأدبروا عنك ولم يقبلوا ما أتيتهم به من النصيحة في الله ، وما دعوتهم إليه من النور والهدى ^(١) = « فقل حسبي الله » ، يكفني ربي ^(٢) = « لا إله إلا هو » ، لا معبود سواه = « عليه توكلت » ، وبه وثقت ، وعلى عونك اتكلت ، وإليه وإلى نصره استندت ، فإنه ناصرى ومعينى على من خالفنى وتولى عنى منكم ومن غيركم من الناس ^(٣) = « وهو رب العرش العظيم » ، الذى يملك كل ما دونه ، والملوك كلهم مماليكه وعبيده . ^(٤)

ولما عني بوصفه جل ثناؤه نفسه بأنه « رب العرش العظيم » ، الخبر عن جميع ما دونه أنهم عبيده ، وفي ملكه وسلطانه ، لأن « العرش العظيم » ، إنما كان يكون للملوك ، فوصف نفسه بأنه « ذو العرش » دون سائر خلقه ، وأنه الملك العظيم دون غيره ، وأن من دونه في سلطانه وملكه ، جارٍ عليه حكمه وقضاؤه .

(١) انظر تفسير « التولى » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .

(٢) انظر تفسير « حسب » فيما سلف ص : ٣٤٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « التوكل » فيما سلف ص : ٢٩١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « العرش » فيما سلف ١٢ : ٤٨٢ .

١٧٥١١ - حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « فإن تولوا فقل حسبي الله » ، يعني الكفار ، تولوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذه في المؤمنين .

١٧٥١٢ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عبيد بن عمير قال : كان عمر رحمة الله عليه لا يُثبت آية في المصحف حتى يشهد رجلان . فجاء رجل من الأنصار بهاتين الآيتين : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه » ، فقال عمر : لا أسألك عليهما بيئة أبداً ، كذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٧٥١٣ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أحمد بن عبد الله ابن يونس ، عن زهير ، عن الأعمش ، عن أبي صالح الحنفي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله رحيم يحب كل رحيم ، يضع رحمته على كل رحيم . قالوا : يا رسول الله ، إنا لنرحم أنفسنا وأموالنا = قال : وأراه قال : وأزواجنا = ؟ قال : ليس كذلك ، ولكن كونوا كما قال الله : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » . فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » . أراه قرأ هذه الآية كلها .^(١)

١٧٥١٤ - حدثني محمد بن المثنى قال ، حدثنا عبد الصمد قال ، حدثنا شعبة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف ، عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب قال : آخر آية نزلت من القرآن : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم » ، إلى آخر الآية .

(١) الأثر : ١٧٥١٣ - « أحمد بن عبد الله بن يونس التميمي » ، ثقة ، مضى مراراً ، آخرها

رقم : ١٦٠٩٥

و « زهير » ، هو « زهير بن معاوية بن حديج الحنفي » ، ثقة ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٢٧٩٤ .

و « أبو صالح الحنفي » تابعي ثقة ، مضى برقم : ٣٢٢٦ ، ١٣٢٩١ - ١٣٢٩٣ وهذا خبر مرسل .

١٧٥١٥ — حدثني المثنى قال ، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال ، حدثنا شعبة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، عن أبي قال : آخر آية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم » ، الآية . (١)

١٧٥١٦ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي قال ، حدثنا شعبة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن أبي قال : أحدث القرآن عهداً بالله هاتان الآيتان : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم » ، إلى آخر الآيتين . (٢)

١٧٥١٧ — حدثني أبو كريب قال ، حدثنا يونس بن محمد قال ، حدثنا أبان بن يزيد العطار ، عن قتادة ، عن أبي بن كعب قال : أحدث القرآن عهداً بالله ، الآيتان : « لقد جاءكم رسول الله من أنفسكم » ، إلى آخر السورة . (٣)

* * *

آخر تفسير سورة التوبة (٤)

(١) الأثران : ١٧٥١٤ ، ١٧٥١٥ — « على بن زيد بن جدعان » ، سريء الحفظ ، مضى مراراً آخرها رقم : ١٣٤٩٣ ، ١٦٧٣٦ .

و « يوسف بن مهران البصري » ، ثقة ، مضى مراراً ، آخرها : ١٣٤٩٥ . وهذا الخبر رواه عبد الله ابن أحمد في مسند أبيه ، ٥ : ١١٧ ، من طريق محمد بن أبي بكر ، عن بشر بن عمر ، عن شعبة ، بمثله . وخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ٣٦ ، وقال : « رواه عبد الله بن أحمد ، والطبراني ، وفيه على ابن زيد بن جدعان ، وهو ثقة سريء الحفظ ، وبقية رجاله ثقات » .

(٢) الأثر : ١٧٥١٦ — مكرر الذي قبله ، ولكنه مرسل عن أبي .

(٣) الأثر : ١٧٥١٧ — مرسل ، قتادة لم يرو عن أبي بن كعب .

(٤) بعد هذا في المخطوطة ما نصه :

« والحمد لله رب العالمين »

يتلوه إن شاء الله تعالى

تفسير السورة التي يذكر فيها يونس

تم الجزء الرابع عشر من تفسير الطبرى
ويليه الجزء الخامس عشر وأوله :
تفسير السورة التى يذكر فيها يونس

الفهَارِسُ

فهرس الآيات التي استدلل بها في غير موضعها من التفسير

الصفحة	السورة / الآية	الصفحة	السورة / الآية
	آيات سورة الأعراف		آيات سورة البقرة
٥٥٥٦	١٢	٥٠٠	١٨
٢٥٢	٣٨	٣٠٩	٦١
٣٢٧	١٥٤	٤٩٧	٩٣
	* * *	٣٩٣	١٥٨
	آيات سورة الأنفال	١٦٤	٢١٤
٣٧٨	٢٧	٢٤١	٢٣٨
٢٤	٦٠	٣١٠، ٣٠٩	٢٧٣
٨٠، ٧٩، ٧٨	٧٥		* * *
٤٣٨			آيات سورة آل عمران
	* * *	١٦٤	١٤٢
	آيات سورة التوبة	٥١٤	١٦١
٢٧، ٢٦	٢، ١	٣٠	١٧٥
١٠٢	٤	٢٠١	١٨١
٩٧، ٤٢، ٤١	٥		* * *
١١٠، ١٠٢			آية سورة النساء
١٠٣	٧	٥٥٨	٧٠
١٤٧، ١٤٦	١٠		* * *
١٣٦، ١٣٥	١١		آيات سورة المائدة
١١٢	٢٨	٢٨٢	٤١
٥٧٦، ٤١	٢٩	٥١٨	٧٢
٤١	٣٦	٢٩٢	٧٤
٥٧٠	٣٩	٦١	١١٨
٢٥٣	٤١		* * *
٤٢٧، ٤٢٦	٤٤—٤٢		
٤٢٧	٤٧		

الصفحة	السورة / الآية
٦١	آية سورة إبراهيم ٣٦
	* * *
١٦٨	آية سورة الإسراء ٧٩
	* * *
٣١٥	آية سورة الكهف ٢٩
	* * *
٥٣٢	آيات سورة مريم ٤٨ — ٤٦
٥١٤	٤٧
	* * *
١٧٠	آيات سورة المؤمنون ٦٧، ٦٦
	* * *
٩٥	آيات سورة النور ١
٢٧٦، ٢٧٤، ٢٧٣	٦٢
	* * *
٤٤١	آية سورة الشعراء ١١٢
	* * *
٣٢٧	آية سورة النمل ٧٢
٥١٠	آية سورة القصص ٥٦
	* * *

الصفحة	السورة / الآية
٤٢٧	آيات سورة التوبة ٤٩
٤٤٤	٥٥
٤٢٧	٦٤
٢٤٦	٦٧
٧٩	٧١
٤٢٧	٧٤
٢٩٣	٨٠
٤٢٧	٨١
٤٥٦	٨٤
٥٦٣	٩٠
٤٣٣	٩٢
٥٥٦، ٥٤٨	٩٦، ٩٥
٣٧١	١٠٣
٥٤٥، ٥٤٣	١٠٦
٧٠	١١٥
٤٦٥، ٤٠٤	١١٨، ١١٧
٤٦٧	
٢٥٦، ٢٥٥	١٢٢، ١٢٠
٥٦٣	
	* * *
	آيات سورة يونس
٦٢	٨٨
٥١٤	١٠٠
	* * *
	آية سورة هود
٤٤١	٨٦
	* * *

الصفحة السورة / الآية
آية سورة الحشر

٤٣٨

١٠

* * *

آيات سورة الجمعة

٤٣٨

٣

٢٢٩

١١

* * *

آيات سورة المنافقون

٣٩٧، ٣٩٥

٦

٣٦٦، ٣٦٤

٨

* * *

آية سورة نوح

٦٢

٢٦

* * *

آيات سورة المطففين

٤٠٣

٣٦-٢٩

* * *

آية سورة البروج

٢٠٨

٤

* * *

الصفحة السورة / الآية
آيات سورة العنكبوت

١٦٤

٣-١

* * *

آية سورة الروم

٢٩

٢٤

* * *

آيات سورة الأحزاب

١٥٣

٥

٨٥، ٨٢، ٧٨

٦

٤٠٢

١٦

٣٧٧

٧٢

* * *

آية سورة الشورى

٥٧٠

١٦

* * *

آية سورة محمد

١٤٠، ٥٩

٤

* * *

آية سورة الذاريات

٢٠٨

١٠

* * *

فهرس اللغة

هذا الفهرس مرتب على ترتيب معاجم اللغة ، على أصل
الاشتقاق ، وعلى آخر الأصل باباً ، وأوله فصلاً .

- | | |
|------------------------------|--------------------------|
| (توب) تاب ، يتوب : ١٣١ | (بدأ) بدأ : ١٥٨ |
| ١٣٤ ، ١٥٢ ، ١٦٢ ، | (برأ) برئ : ١٣ ، ١٢ |
| ١٩٠ ، ٣٦٧ ، ٤٤٧ ، | براءة : ٩٥ |
| ٤٦٧ ، ٥٣٩ ، ٥٤٤ ، | تبرأ منه : ٥٠٩ |
| ٥٨١ | (رجأ) الإرجاء : ٤٦٤ |
| تائب : ٥٠٠ | مرجون : ٤٦٤ |
| التوبة : ٤٥٩ | ساء : ١٥١ (سوأ) |
| التواب : ٤٥٩ ، ٥٤٤ | ساعة : ٢٨٩ |
| (حب) استحب كذا على كذا : ١٧٥ | السوء ، السيء : ٤٣١ ، |
| (حرب) حارب الله ورسوله : ٤٦٩ | ٤٣٢ |
| (حسب) حسب يحسب : ١٦٣ ، ٢٨ | سوء عمله : ٢٤٣ |
| حسبك : ٤٤ ، ٤٨ ، | السيء : ٤٤٦ |
| ٤٩ ، ٣٠٤ ، ٣٣٩ ، | (ضها) ضاهأ : ٢٠٧ |
| ٣٤٠ ، ٥٨٧ | (طفأ) أطفأ : ٢١٤ |
| (دأب) دأب : ١٩ ، ٢٠ | (ظمأ) الظمأ : ٥٦١ |
| (دبب) الدواب : ٢١ | (لجأ) ملجأ : ٢٩٨ ، ٥٤٣ |
| (ذهب) أذهب غيظه : ١٦١ | (نبأ) النبأ : ٣٤٤ |
| (ربب) أرباب : ٢٠٩ | نبأه : ٣٣١ ، ٤٢٤ ، |
| (رحب) رحب : ١٧٩ ، ٥٤٣ | ٤٢٥ ، ٤٦٣ |
| رحيب : ١٧٩ | (نسأ) النسئ : ٢٤٣ — ٢٥٠ |
| (رغب) رغب بنفسه عنه : ٥٦١ | (هزأ) استهزأ : ٣٣١ ، ٣٣٢ |
| راغب : ٣٠٤ | (وطأ) وطئ موطناً : ٥٦١ |
| (رqb) رqb : ١٤٦ ، ١٥١ | واطأ : ٢٥٠ |
| في الرقاب : ٣١٦ | |

* * *

- (رهب) أرهب : ٣٤ ، ٣٥
 الرهبان : ٢٠٩ ، ٢١٦
 (ريب) الريب ، الريبة : ٢٧٥
 ٤٩٤ ، ٤٩٥
 الارتياب : ٢٧٥
 (صحب) أصحاب الجحيم : ٥٠٩ ،
 ٥١٨
 (صوب) أصابه : ٢٨٩ ، ٢٩٠ ،
 ٢٩١ ، ٤١٦ ، ٥٦١
 مصيبة : ٢٨٩
 (طيب) طيب : ٧١
 طيبة : ٣٤٨ — ٣٥٠
 (عجب) أعجبه : ٤١٠
 (عذب) عذاب عظيم : ٤٤٥
 (عرب) الأعراب : ٤١٦ — ٤١٩ ،
 ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣٢ ،
 ٤٤٠ ، ٥٦١
 (عقب) أعقبه : ٣٦٩ ، ٣٧٠
 شديد العقاب : ١٢ ، ١٩
 على عقبيه : ١١
 (غلب) غالب : ٧
 يغلب : ٥١
 (غيب) عالم الغيب : ٤٢٤ ،
 ٤٢٥ ، ٤٦٣
 علام الغيوب : ٣٨١
 (قلب) قلب الأمور : ٤٨٣
 انقلب : ٤٢٥
 (قرب) يقرب : ١٩١
 قرني : ٥٠٩
 قرينة قربات : ٤٣٢
 (كتب) كتاب : ٦٤
- كتاب الله : ٩٠
 كتب له : ٢٩٠ ، ٥٦٢ ،
 ٥٦٥
 (كسب) يكسب : ٤٠١ ، ٤٢٥
 (لعب) يلعب : ٣٣٢
 (نصب) النصب : ٥٦١
 * * *
 (عنت) عنت : ٥٨٤ — ٥٨٦
 * * *
 (بعث) الانبعاث : ٢٧٦
 (نكت) نكت : ١٥٣ ، ١٥٧ ،
 ١٥٨
 * * *
 (حجج) الحجج الأكبر : ١١٣ —
 ١٣٠
 سقاية الحاج : ١٦٨
 (خرج) الحرج : ٤١٩
 (خرج) الخروج : ٤٠٣
 يخرج : ٤٠٣
 الإخراج : ٣٣٢
 (درج) درجة : ١٧٣
 (ولج) وليجة : ١٦٣ ، ١٦٤
 * * *
 (جنح) جنح إليه : ٤٠
 (جمع) جمع ، يجمع : ٢٩٨ ، ٢٩٩
 (سبح) سبحانه : ٢١٣
 (سبح) ساح في الأرض : ١١١
 السائح : ٥٠٢ — ٥٠٦
 (صلح) الصالح : ٣٦٩ ، ٤٤٦ ،
 ٥٦٢
 (فرح) فرح : ٢٨٩ ، ٣٩٧

- (فلح) المفلح : ٤١٥
 (مسح) المسيح : ٢٠١ ، ٢٠٨
 (نصح) نصيح لله ورسوله : ٤١٩
 * * *
 (سلخ) انسلخ : ١٣٣ ، ١٣٤
 سلخ ، مسلوخة : ١٣٤
 * * *
 (أبد) أبداً : ١٧٥ ، ٤٠٣ ، ٤٣٩ ، ٤٠٥
 (أيد) أيده : ٤٤ ، ٢٦١
 (جند) جنود : ١٨٩ ، ٢٦١
 (جهد) جاهد : ٧٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ١٦٣ ، ١٦٨ ، ١٧٣ ، ٢٧٠ ، ٢٧٤ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٩٩ ، ٤١١ ، ٤١٤
 الجُهد : ٣٨٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤
 الجهاد : ١٧٧
 (حدد) حادّ الله ورسوله : ٣٣٠
 حدود الله : ٤٢٩ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨
 (حمد) الحامد : ٥٠٢
 (خلد) خالد : ١٦٦ ، ١٧٤ ، ٣٣٠ ، ٣٣٩ ، ٣٤٨ ، ٤١٥ ، ٤٣٩
 (ردد) رده ، يردّه : ٤٢٤ ، ٤٤٥
 الردّ : ٢٧٥
 (رصد) الإرصاء : ٤٦٩
 مرصد : ١٣٤
- (زيد) زاده إيماناً : ٥٧٧
 زيادة في الكفر : ٢٥٠
 (سجد) الساجد : ٥٠٦
 المسجد الحرام : ١٤١ ، ١٦٨ ، ١٩١
 مساجد الله : ١٦٥ ، ١٦٧
 (شرد) شرّد بهم : ٢٢ - ٢٤
 (شهد) يشهد : ٤٧٠
 شاهد : ١٦٥
 الشهادة : ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٦٣
 (صدد) صدّ يصدّ : ١٥١ ، ٢١٦
 (عبد) العابد : ٥٠١
 ظلام للعبيد : ١٨
 (عدد) أعدّ : ٣١ ، ٢٧٦ ، ٤١٥ ، ٤٣٤
 عدّة : ٢٤٣ ، ٢٧٦
 عدّة : ٢٣٤
 (عهد) عاهد : ٢١ ، ٩٥ ، ١٣٢ ، ١٤١ ، ٣٩٦
 العهد : ٢١ ، ١٤١ ، ١٥٣
 (فسد) فسادٌ كبير : ٨٦
 (قصّد) سفر قاصد : ٢٧١
 (قعد) قعد : ٤١٦
 قعد له : ١٣٤
 القعود : ٤٠٣
 القاعد : ٢٧٧ ، ٤١١ ، ٤١٢
 مقعد : ٣٩٧
 (كسد) الكساد : ١٧٧

- (مدد) المدّة : ١٣٢
 (مرد) مرد عليه : ٤٤٠
 (وعد) وعدة : ٥٠٩
 * * *
- (أخذ) أخذه : ١٣٤
 أخذ أمره : ٢٨٩
 أخذه بذنبه : ١٩
 الأخذ : ٦٤
 اتّخذ : ١٦٣ ، ١٧٥ ،
 ٢٠٨ ، ٤٣٠ ، ٤٣٢ ،
 ٤٦٨
 (نَبَذَ) يَنبِذُ : ٢٥
 * * *
- (أجر) أجرٌ : ١٧٥ ، ٥٦٢
 (آخر) اليوم الآخر : ١٦٨ ،
 ١٩٨ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٤٣٢
 (أسر) الأسر ، أسير ، أسرى :
 ٥٨ ، ٧٢
 (أمر) يأتي الله بأمره : ١٧٧
 (بشر) بشره : ١٣١ ، ١٧٤ ،
 ٢١٧ ، ٥٠٨
 استبشر : ٤٩٨ ، ٥٧٧
 (بصر) بصير : ٨٢
 (جلد) أجدرٌ : ٤٢٩
 (جور) جارٌ : ٧
 أجاره : ١٣٨
 استجاره : ١٣٨
 (حبر) الأخبار : ٢٠٨ ، ٢٠٩ ،
 ٢١٦
 (حذر) يحذر : ٣٣١ ، ٥٧٣
 (حصر) حصره : ١٣٤
- (خبير) خبير : ١٦٣
 الأخبار : ٤٢٤
 (خمس) الخامس : ٣٤٤
 (خير) الخير : ٧٢
 خيرة ، خيرات : ٤١٤ ،
 ٤١٥
 (دبر) ولّى مدبراً : ١٧٩
 الأدبار : ١٥
 (دور) دائرة ، دوائر : ٤٣٠
 (ذكر) تذكر : ٥٨١
 يذكّر : ٢٤
 (سخر) سخر يسخر : ٣٨١ ، ٣٨٢
 سخرية الله : ٣٨٢
 (سرر) السرّ : ٣٨١
 (سفر) سفر قاصد : ٢٧١
 (شهر) الأشهر الحرم : ١٣٤
 (صبر) صابر : ٥٠ ، ٥١
 (صغر) صاغر : ٢٠٠ ، ٢٠١
 (صير) المصير : ٣٦٠
 (ضرر) ضره : ٢٥٤
 ضرار : ٤٦٩
 (طهر) طوره تطهيراً : ٤٥٤
 تطهر : ٤٨٢
 المطهرون : ٤٩٠
 (ظهر) ظهر الأمر : ٢٨٣
 ظهر عليه : ١٤٥
 أظهره عليه : ٢١٤
 ظاهر عليه : ١٣٢
 (عذر) اعتذر : ٣٣٦ ، ٤٢٤
 المعتذر ، المعتذر : ٤١٦ ،
 ٤١٧

- (عزر) عزير : ٢٠١
 (عسر) العُسرة : ٥٣٩
 (عشر) عشيرة : ١٧٧
 (عمر) عمر المكان : ١٦٧ ، ١٦٥
 عمارة المسجد الحرام :
 ١٦٨
 (غرر) غره : ١٢
 (غفر) غفر يغفر : ٧٢ ، ٣٩٤
 استغفر : ٣٩٤ ، ٥٠٩
 مغفرة : ٨٨
 غفور : ٧٢ ، ١٣٥ ،
 ١٩٠ ، ٤١٩ ، ٤٣٤ ،
 ٤٤٧
 (غور) غارت العين : ٢٩٨
 الغار : ٢٥٨
 مغارة : ٢٩٨
 (غير) يغيّر ، مغيّر : ١٩
 (فقير) الفقير : ٣٠٥ — ٣١٠
 (قبر) قبره قبراً : ٤٠٥
 (قدر) قدير : ٢٥٤
 (كبير) فساد كبير : ٨٦
 (كفر) كفر : ٢١ ، ٢٨ ، ٥١ ،
 ٨٤ ، ١٣١ ، ١٨٩ ،
 ٢٩٤ ، ٣٣٦ ، ٣٩٤ ،
 ٣٦١ ، ٤٠٦
 الكفر : ١٦٠ ، ١٧٥ ،
 ٤٢٩
 كلمة الكفر : ٣٦١
 الكافر ، الكفار : ١١٢ ،
 ٢١٤ ، ٢٤٣ ، ٢٨٩ ،
 ٢٩٧ ، ٣٣٩ ، ٣٥٧ ،
- ٣٥٨ ، ٤١١ ، ٥٦٢ ،
 ٥٧٤ ، ٥٧٨
 أنذر : ٥٧٣ (نذر)
 نصره ينصره : ٧٧ ، ٨٨ ،
 ١٦٠ ، ١٧٨ ، ٢٥٧ ،
 استنصره : ٨٢
 نصير : ٣٦٨ ، ٥٣٨
 الأنصار : ٤٣٤ ، ٥٣٩
 نظر بعضهم إلى بعض :
 ٥٨٢
 نفر ينفر : ٢٥١ ، ٢٥٢ ،
 ٢٥٤ ، ٢٦٢ ، ٣٩٩ ،
 ٥٦٥
 المنكر : ٣٣٨ ، ٣٤٧ ،
 ٥٠٦
 (نور) نور الله : ٢١٤
 (هجر) هاجر : ٧٧ ، ٨١ ، ٨٢ ،
 ٨٨ ، ٨٩ ، ١٧٣
 المهاجرون : ٤٣٤ ، ٥٣٩
 (هور) هائر ، هار ، مهور :
 ٤٩٢
 انهار : ٤٩٢
 (وذر) ذر : ٤١١
 * * *
 (عجز) أعجز ، معجز : ٣١ ،
 ١١١ ، ١٣١
 (عزز) عزيز : ١٥ ، ٤٨ ، ٥٩ ،
 ٢٦٢ ، ٣٤٧ ، ٥٨٤
 (فوز) الفوز : ٣٥٧ ، ٤١٥ ،
 ٤٣٩ ، ٤٩٨
 فائز : ١٧٣

(فرض) فريضة : ٣٢١
 (فيض) يفيض من الدمع : ٤٢١
 (قبض) قبض يده : ٣٣٨
 (مرض) مرض : ١٢ ، ٥٧٨
 المرضي : ٤١٩
 (نقص) ينقصُ : ٢٢

* * *

(ثبط) ثبطه : ٢٧٦
 (حبط) حبط عمله : ١٦٦ ، ٣٤٤
 (حوط) حوط : ٢٨٩
 (خلط) خلط : ٤٤٦
 (ربط) رباط الخيل : ٣١
 (سخط) يسخط : ٣٠١
 (سقط) سقط في الشيء : ٢٨٦

* * *

(حفظ) الحافظ : ٥٠٧
 (غاظ) غاظ عليه : ٣٦٠
 غلظة : ٥٧٦
 (غيط) يغيط ، الغيط : ١٦١ ، ٥٦٢

* * *

(بيع) البيع : ٤٩٨
 بايع : ٤٩٨
 (تبع) اتبعه : ٤٨ ، ٤٣٤ ، ٥٣٩
 (خدع) يخدع : ٤٤
 (رجع) رجع : ٤٠٣
 (ركع) الراكع : ٥٠٦
 (سمع) سمع : ٢٠ ، ٤٣ ، ٤٣٠ ، ٤٥٤
 سماع : ٢٨٢ ، ٢٨١

(كثر) كثر ، يكثر : ٢١٧ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣٠
 كثر الذهب والفضة :
 ٢١٧ — ٢٢٩
 (لمز) لمزه يلمزه : ٣٠٠
 اللمز : ٣٩٢ ، ٣٨٢ ، ٣٨١

* * *

(أسس) أسسه : ٤٧٥ ، ٤٩١
 (بأس) بثس : ٣٦٠
 (رجس) رجس : ٤٢٥ ، ٥٧٨
 (مسس) مسسه عذاب : ٦٤
 (نجس) نجس : ١٩١ ، ١٩٢
 (نفس) من أنفسكم : ٥٨٤

* * *

(عرش) العرش : ٥٨٧

* * *

(حرص) حريص : ٥٨٤ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧
 (خمس) خمصة : ٥٦١ ، ٥٦٤
 (ربص) تربص : ١٧٧ ، ٢٩١ ، ٤٣٠

(نقص) نقصه : ١٣٢
 (نكص) نكص : ١١

* * *

(حرض) حرض : ٥٠
 (خوض) خاض ، يخوض : ٣٣٢ ، ٣٤١
 (عرض) العرّض القريب : ٢٧١
 عرض الدنيا : ٥٩
 أعرض ، معرض : ٣٦٩ ، ٤٢٥

- (طبع) طبع على قلبه : ٤١٣ ،
٤٢٤
(طوع) طوعاً : ٢٩٣
أطاع : ٣٤٧
المطوّع : ٣٨١ ، ٣٨٢ ،
٣٩٢
استطاع : ٣١
(قنع) قانعه الله : ٢٠٧
(قطع) قطع الوادي : ٥٦٥
تقطعت قلوبهم : ٤٩٥ ،
٤٩٧ ، ٤٩٨
(متع) متاع الدنيا : ٢٥٣ ،
استمتع : ٣٤٠
(مع) مع : ٢٤٢ ، ٢٥٨ ،
٥٧٦
(منع) ما منعه : ٢٩٤
(وضع) أوضعوا خلالكم : ٢٧٨
وضعت الناقة : ٢٧٨
* * *
(بلغ) أبلغه : ١٣٨
(زيع) يزيع : ٥٣٩
* * *
(ألف) ألف بينهم : ٤٥
المؤلفة قلوبهم : ٣١٢ -
٣١٦
(ثقف) يثقف : ٢٢
(جرف) جرف : ٤٩١
(خفف) خفف عنه : ٥١
خفاف ، الخفة : ٢٦٢ -
٢٧٠
(خلف) خلفه : ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٥٤٣ ،
- أخلف الوعد : ٣٧٠
تخلف عنه : ٥٦١
خلف ، خلاف : ٣٩٨ ،
٣٩٩
الخالف : ٤٠٥
المخلفون : ٣٩٧ ، ٣٩٨
الخوالف : ٤١٢ - ٤١٤ ،
٤٢٣ ، ٤٢٤
(خوف) خاف يخاف : ٢٥ ،
١٩٢
(رأف) رؤوف : ٥٣٩ ، ٥٨٤
(ضعف) الضعف : ٥١ ، ٥٧ ،
٥٨
الضعفاء : ٤١٩
(صرف) صرف الله قلبه : ٥٨٢
انصرف : ٥٨٢ - ٥٨٤
(طوف) طائفة : ٣٣٦ ، ٤٠٣ ،
٥٧٢
(عرف) اعترف بذنبه : ٤٤٦
المعروف : ٣٣٨ ، ٣٤٧ ،
٥٠٦
(قرف) اقترف مالا : ١٧٧
(كفف) كافة : ٢٤٢ ، ٥٦٥
* * *
(حرق) الحريق : ١٥
(حقق) حقاً : ٨٨ ، ٤٩٨
دين الحق : ٢١٤
أحق : ١٥٨
(خلق) خلاق : ٣٤٠
(ذوق) ذاق : ١٥ ، ٢٣٠
(رزق) رزق كريم : ٨٨

المؤتفكات : ٣٤٥
 (شرك) أشرك : ٢١٣
 المشترك : ٣٤ ، ٩٥ ،
 ١٣٢ ، ١٣٨ ، ١٤١ ،
 ١٦٥ ، ١٩٠ ، ٢١٤ ،
 ٢٤١
 (ضحك) يضحك : ٤٠١
 (هلك) أهلك : ٢١
 أهلك نفسه : ٢٧١
 (ملك) مُلِكَ : ٥٣٨
 * * *
 (أكل) أكل الأموال : ٢١٦
 (ألل) الإل : ١٤٦ - ١٥٠ ،
 ١٥١
 (أول) آل فرعون : ١٨ ، ٢٠
 (بخل) بخل به : ٣٦٩
 (بدل) استبدل : ٢٥٤
 (بطل) أكل الأموال بالباطل :
 ٢١٦
 (ثقل) ثقال ، الثقل : ٢٦٢ -
 ٢٧٠
 اثاقل : ٢٥٢
 (جعل) جعل : ١٦٨ ، ٢٦١
 (حلل) حلال : ٧١
 حَلَّله : ٢٤٣
 (حمل) يحمل : ٤٢١
 (خبل) خبال : ٢٧٨
 (خلل) أوضعوا خللكم : ٢٧٨ ،
 ٢٧٩
 الخلال ، الخلل : ٢٧٩
 (دخل) مدَّخل : ٢٩٨

(زهق) يزهق : ٢٩٧ ، ٤١١
 (سبق) سبق : ٣١ ، ٦٤
 السابقون : ٤٣٤
 (شقق) الشُّقَّة : ٢٧١
 (صدق) الصدقة : ٣٠٠ ، ٣٠٥ ،
 ٣٨١ ، ٤٥٤ ، ٤٥٩
 تصدق : ٣٦٩
 الصادق : ٥٥٨
 (ضيق) ضاقت الأرض : ٥٤٣
 ضاقت نفسه : ٥٤٣
 ضاق عليه : ١٧٩
 (فرق) فرق يفرِّق : ٢٩٨
 التفريق : ٤٦٩
 فرقة : ٥٧٢
 فريق : ٥٣٩
 (فسق) فاسق : ١٥٠ ، ١٧٧ ،
 ٢٩٣ ، ٣٣٩ ، ٣٩٥ ،
 ٤٠٥ ، ٤٢٨
 (نفق) أنفق : ٣٩ ، ٤٥ ،
 ٢١٧ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ ،
 ٤١٩ ، ٤٢١ ، ٤٣٠ ،
 ٤٣٢ ، ٥٦٥
 نفقة : ٢٩٤ ، ٥٦٥
 نفاق : ٣٧٠ ، ٤٢٩ ،
 ٤٤٠
 المنافق : ٣٣١ ، ٣٣٧ ،
 ٣٣٩ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ،
 ٤٤٠
 (وثق) ميثاق : ٨٢
 * * *
 (أفك) يؤفك : ٢٠٨

- (سبل) سبيل الله ، ٣٩ ، ٧٧ ، ٨٨ ، ١٥١ ، ١٦٨ ، ١٧٣ ، ٢١٦ ، ٢٥٢ ، ٢٧٠ ، ٣٩٩ ، ٥٦١
 في سبيل الله : ٣١٩
 السبيل : ٤٢٣ ، ٤١٩
 ابن السبيل : ٣٢ ، ٣٢١
 خلى سبيله : ١٣٥
 (سفل) السفلى : ٢٦١
 (ضلل) أضل : ٥٣٦
 (طول) الطَّوْل : ٤١١ ، ٤١٢
 (عمل) العاملين على الصدقة : ٣١٠ - ٣١٢
 (عيل) عال ، عيلة : ١٩٢ ، ١٩٣
 (فصل) يفصل الآيات : ١٥٢
 (فضل) فضل الله : ١٩٢ ، ٣٠٤ ، ٣٦٦ ، ٣٦٩
 (قبل) قبل يقبل : ٢٩٤ ، ٤٥٨
 تقبل منه : ٢٩٣
 (قتل) قاتاه الله : ٢٠٧ ، ٢٠٨
 (كسل) كُسَّالِي : ٢٩٥
 (كلل) كلَّ : ٢١
 (نيل) نال ينال : ٣٦١ ، ٣٦٥
 نال منه نيلاً : ٥٦٢ ، ٥٦٤
 نال الشيء ، تناوله : ٥٦٤
 (وكل) التوكل : ١٥ ، ٤٣ ، ٢٩١ ، ٥٨٧
 * * *
- (ألم) عذاب ألم : ١٣١ ، ٢١٧ ، ٢٥٤ ، ٣٢٨ ، ٣٦٨ ، ٣٨٢ ، ٤١٦
 (أثم) أثم الكفر : ١٥٤
 (تم) أتم إليه عهده : ١٣٢
 (جحم) أصحاب الجحيم : ٥٠٩ ، ٥١٨
 (جرم) مجرم : ٣٣٧
 (حرم) حرم يحرم : ١٩٨ ، ٢٤٣
 الأشهر الحرم : ١٣٤ ، ٢٣٤ - ٢٣٨
 المسجد الحرام : ١٤١ ، ١٦٨ ، ١٩١
 (حكم) حكيم : ١٥ ، ٤٨ ، ٥٩ ، ٧٥ ، ١٦٢ ، ١٩٧ ، ٢٦٢ ، ٣٢١ ، ٣٤٧ ، ٤٣٠ ، ٤٦٧ ، ٤٩٥
 (حلم) حلم : ٥٣٦
 (ذم) الذمة : ١٤٦ - ١٥٠ ، ١٥١
 (رحم) يرحم : ٣٤٧
 رحمة : ١٧٤ ، ٣٢٧ ، ٤٣٤ ، ٣٢٨
 رحيم : ٧٢ ، ١٣٥ ، ١٩٠ ، ٤٣٤ ، ٤٤٧ ، ٤٥٩ ، ٥٣٩ ، ٥٤٤ ، ٥٨٤
 أولو الأرحام : ٩٠
 (سلم) السَّلم : ٤٠
 الإسلام : ٣٦١

- (ظلم) يظلم : ٣٩ ، ٢٣٧ ، ٣٤٦
 ظالم : ٢١ ، ١٧٢ ، ٤٩٤ ، ٢٨٢ ، ١٧٦
 ظلام للعبيد : ١٨
 العلم : ٣٨ (علم)
 علم : ٢٠ ، ٤٣ ، ٧٥ ، ٩٠ ، ١٦٢ ، ١٩٧ ، ٢٨٢ ، ٣٢١ ، ٤٣٠ ، ٥٣٧ ، ٤٩٥ ، ٤٦٧ ، ٤٥٤
 عالم الغيب والشهادة : ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٦٣
 علام الغيوب : ٣٨١
 الغارمون : ٣١٧ — ٣١٩ (غرم)
 غنم : ٧١ (غنم)
 قدمت أيديكم : ١٨ (قدم)
 قام بأمره : ٤٠٦ (قوم)
 أقام الصلاة : ١٣٥ ، ٣٤٧ ، ١٦٧ ، ١٥٢
 استقام له : ١٤١
 عذاب مقيم : ٣٤٠
 نعيم مقيم : ١٧٤
 رزق كريم : ٨٨ (كرم)
 كلام الله : ١٣٨ (كلم)
 كلمة الله : ٢٦١
 كلمة الكفر : ٣٦١
 كلمة الذين كفروا : ٢٦١
 نعمة : ١٩ (نعم)
 أنعم : ١٩
 نعيم : ١٧٤
- (نقم) نقم : ٣٦٦
 هم بكذا : ٣٦١ ، ١٥٨ ، ٣٦٥
 اليوم : ١٢٧ ، ١٢٨
 * * *
- (أذن) أذن له : ٢٧٢
 يأذن : ٢٨٦ ، ٤١٦
 إذن الله : ٥١
 أذن : ٣٢٤ — ٣٢٧
 أذان : ١١٢
 استأذن : ٢٧٤ ، ٢٧٥
 ٤٠٣ ، ٤١١ ، ٤٢٣
 المأمن : ١٣٨ (أمن)
 آمن : ٢١ ، ٧٧ ، ٨١ ، ٨٨ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٩٠ ، ١٩٨ ، ٢١٦ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٥١ ، ٣٢٧ ، ٤١١ ، ٤١٤ ، ٤٣٢ ، ٥٠٩ ، ٥٥٨ ، ٥٧٤ ، ٥٧٧
 آمن له : ٤٢٤
 الإيمان : ١٧٥ ، ٣٣٦
 زيادة الإيمان : ٥٧٧
 المؤمن : ٤٤ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٨٨ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٨٩ ، ٢٩١ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٨١ ، ٤٦٣ ، ٤٩٨ ، ٥٠٨ ، ٥٦٥
 الآن : ٥١ (آون)
 بين له : ٥٠٩ ، ٥١٨ ، ٥٣٦ (بين)
 يتبين : ٢٧٢

- (فن) فتنه : ٢٨٦ ، ٥٧٩
 الفتنه : ٨٥ ، ٨٦ ،
 ٢٨٣ ، ٢٧٩
 (كون) ما كان لفلان : ٥٨ ،
 ٥٠٩ ، ٥١٤ ، ٥١٥
 (لعن) لعنه الله : ٣٤٠
 (مكن) أمكن منه : ٧٥
 (وطن) مواطن : ١٧٨
 (يمن) يمين ، أيمان : ١٥٣ ،
 ١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٥٨
 * * *
 (أوه) أواه : ٥٢٣ - ٥٣٦
 أوه ، تأوه : ٥٣٤ ،
 ٥٣٥
 أو ، أوه : ٥٣٥
 (فقه) يققه : ٥١ ، ٣٩٩ ،
 ٤١٣ ، ٥٨٢
 يتفقّه : ٥٧٣
 (فوه) يرضونكم بأفواههم : ١٥٠
 (كره) كره : ٢١٤ ، ٢٧٦ ،
 ٣٩٩
 كرها : ٢٩٣
 كاره : ٢٨٣ ، ٢٩٥
 * * *
 (أبى) أبى : ١٥٠ ، ٢١٤
 (أتى) أتى الله بأمره : ١٧٧
 آتاه : ٧٢ ، ١٩٨ ،
 ٣٠٤ ، ٣٦٩
 أتى الزكاة : ١٣٥ ،
 ١٥٢ ، ١٦٧ ، ٣٤٧
 (أخا) إخوانكم في الدين : ١٥٢
- بينة : ٣٤٥
 (أثخن) أثخن : ٥٩
 (ثمن) ثمن قليل : ١٥٠
 (جنن) جنات : ١٧٤ ، ٣٤٨ ،
 ٤١٥ ، ٤٣٩ ، ٤٩٨
 جنّات عدن : ٣٥٠ -
 ٣٥٥
 (حزن) الحزن : ٤٢١
 (حسن) حسنة : ٢٨٩
 الحسنى : ٢٩١ ، ٤٧٠
 إحسان : ٤٣٤
 المحسن : ٤١٩ ، ٥٦٢
 (حنن) يوم حنين : ١٧٨
 (خون) خيانة : ٢٥ ، ٧٥
 الخائن : ٢٥
 (دون) من دونهم : ٣٥
 من دون الله : ١٦٣ ،
 ٢٠٩ ، ٥٣٨
 (دين) دان يدين : ١٩٨
 دين الحق : ٢١٤
 (زين) زين له : ٧ ، ٢٤٣
 (سكن) السكينة : ١٨٩ ، ٢٦١
 سكن : ٤٥٤
 مساكن : ٣٤٨
 المسكين : ٣٠٥ - ٣١٠
 (طعن) طعن في دينه : ١٥٣
 (ظنن) ظن : ٥٤٣
 (عدن) جنات عدن : ٣٥٠ -
 ٣٥٥
 عدن بالمكان : ٣٥٠
 معدن : ٣٥٠

- (أذى) آذاه : ٣٢٤ ، ٣٢٨
 (أوى) آواه : ٧٧ ، ٨٨
 المأوى : ٣٦٠ ، ٤٢٥
 (أى) آيات : ٢٠ ، ١٥٠ ، ٣٣٢ ، ١٥٢
 (بغى) بغاه ، وأبغاه : ٢٧٩
 ابتغى : ٢٨٣
 (بكى) يبكى : ٤٠١
 (بنو) ابن السبيل ، ابن الحرب : ٣٢٠
 (بنى) بنى ، بنيان : ٤٩١ ، ٤٩٤
 (تقى) تاقاه الله : ٢٠٧
 (ثنى) ثانى اثنين : ٢٥٧
 (جزى) يجزى : ٥٦٥
 الجزاء : ١٨٩ ، ٤٠١ ، ٤٢٥
 الجزية : ١٩٩
 (حمى) أحمى عليه : ٢٢٩ ، ٢٣٠
 (خزى) أخزى : ١١٢ ، ١٦٠
 الخزى : ٣٣٠
 (خشى) خشى : ١٦٧ ، ١٧٧
 الخشية : ١٥٨
 (خلا) خلى سبيله : ١٣٥
 (رأى) تراءى : ٧
 (رضى) رضى بكذا من كذا : ٢٥٢
 أرضاه بفيه : ١٥٠
 رضوان الله : ١٧٤ ، ٣٥٥ - ٣٥٧ ، ٤٩١
- (زكى) آتى الزكاة : ١٣٥ ، ٣٤٧ ، ١٥٢
 يزكّيه تزكية : ٤٥٤
 (سقى) سقاية الحاج : ١٦٨
 (سوى) على سواء : ٢٥ - ٢٧
 استوى : ١٧٢
 (شرى) اشترى : ١٥٠ ، ٤٩٨
 (شفا) شفى صدره : ١٦٠
 شفا جرف : ٤٩١
 (شقى) شاقاه الله : ٢٠٧
 (صلا) أقام الصلاة : ١٣٥ ، ٣٤٧ ، ١٥٢
 صلاتى عليه : ٤٥٤
 صلوات الرسول : ٤٣٢ ، ٤٥٤ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨
 (ضهى) ضاهى : ٢٠٧
 (عدا) المعتدى : ١٥١
 (عسى) عسى : ١٦٧ ، ٤٤٧
 (عفا) عفا عنه : ٢٧٢ ، ٣٣٦
 (علا) العليا : ٢٦١
 (غنى) أغنى عنه : ١٧٩
 أغناه الله : ١٩٢ ، ٣٦٦
 أغنياء : ٤٢٣
 (فأو) فئة : ٧
 (قوى) قوى : ١٩
 قوة : ٣١ ، ٣٤٠
 (كوى) كوى : ٢٢٩ ، ٢٣٠
 (نجا) النجوى : ٣٨١
 (نسى) نسى الله فنسيه : ٣٣٩
 (نمى) انتهى : ١٥٤
 (هدى) يهدى : ١٧٧ ، ٢٤٣

تولّى : ١٣١ ، ٢٨٩ ،

٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٤٢١ ،

٥٨٧

تولاه : ١٧٦

أولى به : ٩٠

ولىّ ، أولياء : ٧٧ ،

٧٨ ، ٨٤ ، ٣٤٧ ،

٣٦٨ ، ٥٣٨

الولاية : ٨١

المولى : ٢٩٠

(يدى) عن يد : ١٩٩ ، ٢٠٠

قدمت أيديكم : ١٨

٣٩٤ ، ٤٩٤ ، ٥٣٦

هدى : ١٧٢ ، ٢١٤

المهتدى : ١٦٧

(ودى) قطع الوادى : ٥٦٥

(وفى) وفّاه إليه : ٣٩

أوفى منه : ٤٩٨

توفاه الله : ١٥

(وفى) اتقى : ٢٢ ، ٧١ ، ١٣٢ ،

١٤٥ ، ٢٤٢ ، ٢٧٥ ،

٥٣٦ ، ٥٥٨ ، ٥٧٦

تقوى : ٤٩١

(ولى) وليه يابيه : ٥٧٤

ولّى يولى : ١٧٩ ، ٢٩٨

بشر بن عطية : ١٦٧٤١
 بشير بن ثابت الأنصاري : ١٦٢٥٧
 بشير بن ميمون الخراساني الواسطي :
 ١٦٣٠٠

بقية بن الوليد : ١٦٧٤٥ ، ١٦٧٥٦
 أبو بكرة : ١٦٦٨٦
 بلال بن أبي هريرة : ١٧٢٠١

* * *

أبو تهليل الطائي (عمير بن تميم
 الثعلبي) : ١٧٤٩٩

* * *

ثابت الحداد (أبو المقدام) (ثابت
 ابن هرمز)
 ثابت بن أسلم البنانى : ١٦٧٢٩
 ثابت بن هرمز الكوفي (ثابت
 الحداد) (أبو المقدام) : ١٦٦٤٥
 ثعلبة بن حاطب الأنصاري : ١٦٩٨٧
 ثعلبة بن سهيل الطهوى : ١٧٢٧٢
 ثمامة بن شق الحمداني المصري
 (أبو علي الحمداني) : ١٦٢٢٥
 ثوبان ، مولى رسول الله : ١٦٦٦٢ ،
 ١٦٦٦٦

* * *

أبو جابر الجرمي (محمد بن عبد الملك
 الأزدي)
 جابر بن الكردى بن جابر الواسطي
 (شيخ الطبري) : ١٧٢٢٨
 جابر بن نوح الحماني : ١٦٣٠١ ،
 ١٦٣٠٢
 أبو جحيفة السوائي (وهب بن
 عبد الله)

إسماعيل بن كثير الحجازي :
 ١٦٢٠١

الأشديق (سليمان بن موسى الشامي)
 أشعث بن عبد الملك الحميراني :
 ١٦٦٨٥

أصبغ بن الفرّج بن سعيد بن نافع
 الأودي المصري : ١٧٢٣٨

أنس بن مالك : ١٦٧٣٦
 أنيس بن أبي يحيى الأسلمي :
 ١٧٢٢٢

أبو أويس المدني (عبد الله بن
 عبد الله بن أويس) : ١٧٢٣١
 أبو أيوب البغدادي (أيوب بن
 إسحق بن إبراهيم) (شيخ
 الطبري)

أيوب بن إسحق بن إبراهيم بن
 سافري (أبو أيوب البغدادي)
 (شيخ الطبري) : ١٦٩٧٣

* * *

بحر بن نصر بن سابق الخولاني
 (شيخ الطبري) : ١٧٢٢١
 البخترى بن المختار العبدي : ١٧٠٩٨
 البراء بن عازب : ١٦٥٨٠ ،
 ١٦٥٨١

ابن بريدة (عبد الله بن بريدة بن
 الحصب)
 بريدة بن الحصب الأسلمي :
 ١٧٣٣٠

أبو بشر (جعفر بن أبي وحشية)
 بشر بن سويد (؟) : ١٦٦٤٣
 بشر بن عصمة المزني : ١٦٧٤١

جشجاب ، أبو عقيل صاحب الصاع
(جشجاب) : ١٧٠٠٨

حبويه ، أبو يزيد (إسحق بن
إسماعيل)

حبيب بن أبي الأشرس (حبيب
ابن حسان) (حبيب بن أبي هلال)
١٦٥٢٨

حبيب بن حسان (حبيب بن أبي
الأشرس) (حبيب بن أبي هلال) :
١٦٥٢٨

حبيب بن أبي عمرة القصاب ،
اللحام (أبو عبد الله الحماني) :
١٦٢٨٨

حبيب بن أبي هلال (حبيب بن
حسان) (حبيب بن أبي الأشرس)
١٦٥٢٨

حجاج بن أبي زينب السلمي (أبو
يوسف الواسطي) (الصيقل) :
١٧١٥١

حجر بن حجر الكلاعي : ١٧٠٨٦
حرملة بن عمران التجيبي : ١٦٢٠٧
حريز بن عثمان بن جبر الرحبي :
١٦٧٤٥ ، ١٦٧٥٥ ، ١٦٧٥٦
الحسن بن جنيد البلخي (شيخ
الطبري) : ١٦٦٥٠

حسن بن صالح بن صالح بن حي
الثوري : ١٦٩٦١

الحسن بن ناصح البصري السراج :
١٦٩٥٦

الحسن بن ناصح المخزومي الحلال :
١٦٩٥٦

جشجاب ، أبو عقيل صاحب الصاع
(حبجاب) : ١٧٠٠٨

الجريري (سعيد بن إياس الجريري)
جسر بن فرقد ، أبو جعفر القصاب :
١٦٩٤٠ ، ١٦٩٤١

جعدة بن هيرة المخزومي : ١٦٦٥٧ -
١٦٦٥٩

جعفر بن حميد (؟؟) : ١٦٧٤١
جعفر بن دينار (جعفر بن أبي
المغيرة الخزاعي) : ١٦٧٤١

أبو جعفر الرازي : ١٧٢٣٧

جعفر بن عون المخزومي : ١٦٢٢٦

جعفر بن أبي المغيرة الخزاعي (جعفر
ابن دينار) : ١٦٧٤١

جعفر بن أبي وحشية (أبو بشر) :
١٦٦٧٣

* * *

حاتم بن أبي صغيرة (أبو يونس
القشيري) : ١٧٤١٠ ، ١٧٤١١

أبو حاجز (يزيد بن عامر السوائي)
الحارث الأعور (الحارث بن عبد الله
الهمداني)

الحارث بن زبيد الحضرمي المصري :
١٧٤١٨

الحارث بن عبد الله الهمداني (الحارث
الأعور) : ١٦٣٧١ ، ١٦٣٩٥ ،
١٦٣٩٦

الحارث بن يعقوب بن ثعلبة الأنصاري
المصري : ١٦٧٣٢

حبان بن زيد الشرعي : ١٦٧٤٥

حبان بن هلال الباهلي : ١٦٧٢٩

الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي :
١٧١٢٢

حسين بن محمد المروزي : ١٦٣٧٥
الحسين بن يزيد السبيعي الطحان
(شيخ الطبري) : ١٦٦٣١
أبو حصين (عبد الله بن أحمد
ابن يونس) (شيخ الطبري) :
١٦٦٧١

حصين بن جندب (أبو ظبيان
الجنبي) : ١٦٦٧٩
حصين بن عبد الرحمن السلمي :
١٧٢٣٧

حصين بن عبد الرحمن الهذلي :
١٦٦٧٤ ، ١٦٦٧١

حفص بن حميد القمي : ١٦٩٦٠
الحكم بن عبد الله الأنصاري (أبو
النعمان) : ١٧٠١٣

الحكم بن عتيبة : ١٧٣٥١ ، ١٦٣٧٥
حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف
الأنصاري : ١٦٣٧٧
حميد بن زياد الخراط (أبو صخر) :
١٦٣٨٢

حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي :
١٦٩٦١

حميد بن عبد الرحمن بن عوف
الزهرى : ١٦٤٣٧

حميد بن هلال العدوي : ١٦٦٧٥
حيوة بن شريح : ١٦٣٨٢

* * *

أبو خالد الأحمسي البجلي : ١٦٤٥٠
خالد بن حيان الرقي (أبو يزيد

الكندي ، الخراز) : ١٦٨٩٦
خالد بن يسار : ١٧٠١٤
خلف بن ياسين الكوفي (خلف
ابن ياسين بن معاذ) : ١٧٢٥٠
خلف بن ياسين بن معاذ (خلف
ابن ياسين الكوفي) : ١٧٢٥٠
أبو الخليل (عبد الله بن أبي الخليل
الهمداني)
أبو خيثمة (عبد الله بن خيثمة) :
١٧٠٠٨

* * *

الداناخ (عبد الله بن فيروز)
الدروردي (عبد العزيز بن محمد عبيد)
* * *

ذو البجادين (عبد الله بن عبد نهم
الزني) (عبد الله ذو البجادين
الزني) : ١٧٤١٨

* * *

أبو راشد الحبراني الحميري الحمصي :
١٦٧٥٦
راشد بن سعد المقرئ الحبراني :
١٦٧٥٥

ربيعة بن عثمان بن ربيعة التيمي :
١٧٢٠٣ ، ١٧٢١٨

رضي بن أبي عقيل : ١٧٠١٤
رفاعة بن سهل بن رافع (أبو عقيل ،
صاحب الصاع) : ١٧٠٠٨

أبو روح (عون بن موسى الكتاني
الليثي)

روح بن عبادة القيسي : ١٦٦٨٥

* * *

سحبيل بن محمد بن أبي يحيى سمعان
الأسلمى (عبد الله بن محمد...):

١٧٢٢٢

سعيد بن إياس الجريري : ١٦٦٧٦

سعيد بن ثابت (؟) : ١٧٠٠٢

سعيد بن السائب الطائفي : ١٦٥٨٥

سعيد بن أبي سعيد المقبرى : ١٦٣٠٠

سعيد بن سنان البرجمي (أبو سنان

الشيبياني) : ١٧٣٣٦

سعيد بن شرحبيل الكندي : ١٦٢٢٥

سعيد بن عمرو السكوني (شيخ

الطبرى) : ١٦٧٥٦

سعيد بن مسلمة بن هشام بن

عبد الملك بن مروان : ١٦٦٥٠

سعيد بن أبي هلال الليثي المصري :

١٧٤٢٩

أبو سلام (معاوية بن سلام بن أبي

سلام)

أبو سلام الأسود (مطور) : ١٦٥٥٧

سلام بن سالم الخزاعي (شيخ الطبرى)

١٧٢٥٠

ساحان الأنصرى : ١٦٨٠٦

أبو سلمة (موسى بن إسماعيل

المنقرى)

أبو سلمة العبدى (عمر بن الوليد الشنى)

سلمة بن بخت : ١٦٣٩١

أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف :

١٧٠١٠

سلمة بن كهيل الحضرمي : ١٧٣٧٠

أبو السليل (ضريب بن نفيير بن

سمير القيسي) : ١٧٠١٥

زامل بن أوس الطائي : ١٧٣٣٩

أبو زبيد ، عبثر (عبثر بن القاسم

الزبيدى)

زكريا بن عدى بن زريق التيمى :

١٧٤٢٧ ، ١٦٩٤٥

أبو زميل (سماك بن الوليد الحنفي)

زهير بن الأصمغ العامري : ١٦٨٤٢

زهير بن معاوية بن حديج الجعفي :

١٧٥١٣

زياد بن سعد بن عبد الرحمن

الخراساني : ١٦٩٣٢

زيادة بن محمد الأنصارى : ١٦٩٤٣ ،

١٦٩٤٤

زيد بن أثيع (يثيع) : ١٦٣٧٢ ،

١٦٣٧٣

زيد بن أسلم العدوى : ١٦٩١١

زيد بن أبي أنيسة الجزرى : ١٦٩٤٥

زيد بن حباب العكلي : ١٦٦٨٤ ،

١٦٧٢١

زيد بن سهل الأنصارى (أبو طلحة) :

١٦٧٣٦

زيد بن صوحان العبدى : ١٧٠٩٣

زيد بن وهب الهمداني الجهنى :

١٦٥٢٧ ، ١٦٦٧١ ، ١٦٦٧٤

زيد بن يثيع (أثيع) : ١٦٣٧٢ ،

١٦٣٧٣

* * *

السائب بن أبي حفص الطائفي : ١٦٥٨٥

سالم بن أبي الجعد الأشجعي :

١٦٦٦١ ، ١٦٦٦٢ ، ١٦٦٦٣ ،

١٦٦٦٦ ، ١٦٦٨٠

شبيب بن غرقدة البارق ، السلمي :
١٧٤٨١

شرحبيل بن سعد الخطمي : ١٧٢٣١
شريك بن أبي نمر (شريك بن
عبد الله بن أبي نمر) : ١٦٨٣٦
شريك بن عبد الله بن أبي نمر
(شريك بن أبي نمر) : ١٦٨٣٦
شعبة بن دينار الكوفي : ١٦٢٣٠
شمر بن عطية الأسدي الكاهلي :
١٦٩٦٠

شهاب بن عباد العصري العبدى :
١٦٣٨٥ ، ١٦٣٨٦

شهر بن حوشب : ١٦٦٦٤ ،
١٦٦٦٥ ، ١٧٢٢٥ ، ١٧٢٢٨ ،
١٧٢٣٠ ، ١٧٤١٦ ، ١٧٤١٧ ،
شوذب ، أبو معاذ : ١٦٢٦٥ ،
١٦٢٦٦ ، ١٦٢٦٧

الشيبياني (ضرار بن مرة) (أبو سنان)
(سعيد بن سنان)
الشيبياني (أبو إسحق الشيبياني)
(سليمان بن أبي سليمان)

* * *

أبو صالح الحنفى : ١٧٥١٣
صالح بن حيان القرشى : ١٧٢١٥
صالح بن كيسان المدنى : ١٦٢٢٤ ،
١٦٢٢٦ ، ١٦٢٢٧ ، ١٦٢٢٨ ،
صالح بن مسمار المروزي السلمي
(شيخ الطبرى) : ١٦٧٦٧ ،
١٦٩٨٣

صبيح بن عبد الله العيسى (صبيح

سليمان بن بريدة بن الحصيب
الأسلمى : ١٧٣٣٠

سليمان بن أبي سليمان الشيبياني
(أبو إسحق الشيبياني) : ١٦٣٦٩
سليمان بن عمر بن خالد الأقطع الرقى
(شيخ الطبرى) : ١٧١٦٩
سليمان بن قرم بن معاذ التيمى :
١٦٣٧٥

سليمان بن موسى الأموى الشامى
(الأشدق) : ١٦٣٨٠
سماك بن الوليد الحنفى (أبو زميل) :
١٦٢٩٤

سمعان ، أبو يحيى الأسلمى : ١٧٢٢٢
أبو سنان (عبد الله بن سنان الأسدى)
أبو سنان الشيبياني (ضرار بن مرة)
(سعيد بن سنان)
أبو سهل العبادانى (محمد بن رجاء) :
١٧٠١٧

سهل بن بيضاء : ١٦٢٩٣
سهل بن حنيف : ١٧١٨٨
سهل بن رافع (أبو عقيل ، صاحب
الصاع) : ١٧٠٠٨

سهل بن سعد بن مالك الساعدى
الأنصارى : ١٧٢١٨
سهل بن محمد بن عثمان السجستانى
(شيخ الطبرى) : ١٦٤٤٧
سهيل بن بيضاء : ١٦٢٩٣
سيار ، أبو الحكم العنزى : ١٧٢٢٨
أبو سيدان (عبيد بن طفيل)

* * *

شبابة بن سوار الفزارى : ١٦٩٩٩

أبو عامر الراهب : ١٧١٩٧
عامر بن عبد الله بن يساف (عامر

ابن يساف) : ١٧٠١٧

عامر بن يساف اليمامي (عامر بن

عبد الله بن يساف) : ١٧٠١٧

عباد العصري : ١٦٣٨٥ ، ١٦٣٨٦

عباد بن حنيف : ١٧١٨٨

عبر (أبو زبيد) (عبر بن القاسم
الزبيدي)

عبر بن القاسم الزبيدي (أبوزبيد) :

١٧١٠٦

عبد الأعلى بن واصل بن عبد الأعلى

ابن هلال الأسدي (شيخ الطبري) :

١٦٤٧٥ ، ١٧٢٣١

عبد الحميد المدني (عبد الحميد بن

سليمان الخزاعي) : ١٧٢٣٦

عبد الحميد بن بهرام القزاري :

١٧٤١٦ ، ١٧٤١٧

عبد الحميد بن سليمان الخزاعي

(أبو عمر المدني الضرير) :

١٧٢٣٦

عبد الرحمن ، مولى أم برثن (برثم)

(عبد الرحمن بن آدم) :

١٦٥٨٢ ، ١٦٥٨٧

عبد الرحمن الإراشي الأنيفي

(أبو عقيل صاحب الصاع) :

١٧٠٠٨

أبو عبد الرحمن الفهري : ١٦٥٧٩

عبد الرحمن بن آدم (عبد الرحمن

ابن أم برثن) : ١٦٥٨٢

عبد الرحمن بن بشر بن الحكم

ابن عبد الله بن عميرة (: ١٦٩٩٦ ،

١٦٩٩٧

صبيح بن عبد الله بن عميرة العبسي :

١٦٩٩٦ ، ١٦٩٩٧

أبو صخر (حميد بن زياد الخراط)

صدقة بن يسار الجزري : ١٦٦٨٤

صفوان بن عمرو : ١٦٧٤٥

صفوان بن عمرو بن هرم السكسكي :

١٦٧٤٥

صفوان بن عيسى الزهري : ١٧٢٢٤

صلة بن زفر القيسي : ١٦٥٣٠ ،

١٦٥٣٣

أبو الصهباء البكري : ١٦٣٨٢

الصيقل (حجاج بن أبي زينب)

* * *

ضرار بن مرة الشيباني (أبوسنان) :

١٧٣٣٦ ، ١٧٣٣٧

ضريب بن نفير بن سمير القيسي

الجريري (أبو السائل) : ١٧٠١٥

* * *

طالوت بن عباد : ١٧٠١٠

أبو طلحة (زيد بن سهل الأنصاري)

طلحة بن عبيد الله بن كريز بن

جابر الكعبي : ١٦١٨٩

طلق بن حبيب العنزي : ١٧٢٤٨

* * *

أبو ظبيان الجنبى (حصين بن

جندب)

* * *

عاصم بن أبي النجود : ١٧٣٦٣ -

١٧٣٦٧

عبد العزيز بن محمد بن عبيد الدراوردي
١٧٢٠٢

عبد العزيز بن المختار الأنصاري الدباغ :
١٧٢٤٨

عبد الكريم بن الحارث بن يزيد
الحضرمي المصري : ١٦٢٢٥

عبد الكريم بن أبي عمير (شيخ
الطبري) : ١٦٢٦٠

عبد الله الدانا (عبد الله بن فيروز)
عبد الله ذو البجادين المزني

(ذو البجادين) : ١٧٤١٨

أبو عبد الله الحماني (حبيب بن
أبي عمرة)

عبد الله بن أحمد بن يونس البربوعي
(أبو حصين) (شيخ الطبري) :

١٦٦٧١

عبد الله بن إدريس الأودي :
١٦٢٢٤

عبد الله بن أريقط : ١٧٤١٨

عبد الله بن أبي أوفى الأسلمي :
١٦٣٩٨

عبد الله بن بريدة بن الحصيب
الأسلمي : ١٧٢١٥

عبد الله بن الحارث بن نوفل الهاشمي :
١٦٩٤٥

عبد الله بن حنيف : ١٧١٨٨

عبد الله بن أبي الخليل الهمداني
(أبو الخليل) : ١٧٣٣٤

عبد الله بن خيثمة (أبو خيثمة) :
١٧٠٠٨

عبد الله بن رباح الأنصاري : ١٧٤١٣

النيسابوري (شيخ الطبري) :
١٦٦١٨

عبد الرحمن بن سعد (عبد الرحمن
ابن عبد الله بن سعد) : ١٧٠١١

عبد الرحمن بن سمحان (أبو عقيل
صاحب الصاع) : ١٧٠٠٨

عبد الرحمن بن عبد الله بن ثعلبة
البلوي (أبو عقيل بن عبد الله)

(أبو عقيل ، صاحب الصاع) :
١٧٠٠٨

عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد
الدشتكي الرازي (عبد الرحمن

ابن سعد) : ١٧٢٣٧، ١٧٠١١

عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب
ابن مالك الأنصاري : ١٧٠١٦

عبد الرحمن بن عمرو بن عبسة
السلمي : ١٧٠٨٦

عبد الرحمن بن معقل المزني : ١٧٠٩٨

عبد الرحمن بن مغراء الدوسي :

١٧٠٩٣

عبد الرحمن بن ملّ (أبو عثمان
النهدى) : ١٧١٥١

عبد الرحمن بن أبي هريرة : ١٧٢٠١

عبد الرحمن بن يزيد النخعي :
١٦٩٩٥

عبد السلام بن حرب الملائي النهدي :
١٦٦٣١

عبد الصمد بن حبيب الأزدي
العوزي : ١٦٣٨٧

عبد العزيز بن عبد الصمد العمي :
١٧٤١٣

عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي
طالب الهاشمي : ١٧٤٢٤ ،

١٧٤٢٧

عبد الله بن محمد بن أبي يحيى سمعان
الأسلمي (سحبل بن محمد...) :

١٧٢٢٢

عبد الله بن مسعود : ١٦٩٩٥

عبد الله بن يسار (أبو همام) :

١٦٥٧٩

عبد المؤمن بن خالد الحنفي : ١٦٧٢١
أبو عبد الملك (علي بن يزيد الألهاني)

عبد الملك بن حبيب الأزدي

(أبو عمران الجوني) : ١٧٤١٣

عبد الملك بن حميد بن أبي غنية
الحزاعي (ابن أبي غنية) :

١٧٣٥١

عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون

التيمي : ١٦١٨٩

عبد الملك بن مروان : ١٦٥٧٢ ،

١٦٧٢٨

عبد الواحد (ابن عبد الواحد) :

١٦٦٦٠

ابن عبد الواحد (عبد الله بن

عبد الواحد) (يحيى بن عبد الواحد)

(فلان بن عبد الواحد)

(عبد الواحد) : ١٦٦٦٠

عبد الوهاب بن عطاء الخفاف :

١٦٨٤٢

عبدة ، أبو غسان : ١٦٩٥٣

عبدة بن أبي لبابة الأسدي :

١٦٢٦٠

عبد الله بن رجاء بن عمرو (أبو عمر

الغداني) : ١٦٩٧٣

عبد الله بن السائب الكندي :

١٧١٦٦ - ١٧١٦٣

عبد الله بن سلام الإسرائيلي :

١٧٢٣٠

عبد الله بن سنان الأسدي (أبو سنان)

١٦٤١١ - ١٦٤١٣ ، ١٦٤٤٣

عبد الله بن عاصم الحماني : ١٦٩٥٤

عبد الله بن عامر الأسلمي : ١٧٢١٩

عبد الله بن عبد الله بن أويس بن

مالك الأصبحي (أبو أويس

المدني) : ١٧٢٣١

عبد الله بن عبد نهم المنزني (ذو البجادين) :

١٧٤١٨

عبد الله بن عبد الواحد (ابن

عبد الواحد) : ١٦٦٦٠

عبد الله بن عبيدة بن نشيط الربذي :

١٦٢٢٩

عبد الله بن فيروز (عبد الله ،

الدانا) : ١٧٢٤٨

عبد الله بن قتادة المحاربي (عبد الله

ابن أبي قتادة) : ١٧١٦٣ -

١٧١٦٦

عبد الله بن أبي قتادة المحاربي (عبد الله

ابن قتادة) : ١٧١٦٣ - ١٧١٦٦

عبد الله بن عمرو بن العاص (عبد الله

بن عمرو بن وائل) : ١٧٠٠١

عبد الله بن عمرو بن وائل (عبد الله

ابن عمرو بن العاص بن وائل) :

١٧٠٠١

عبيد الله بن عمرو بن حفص بن عاصم
ابن عمر بن الخطاب (العمري) :

١٦٦٥٣

عبيد الله بن عمرو الرقي : ١٦٩٤٥
عبيد الله بن موسى بن أبي المختار
العبيسي : ١٦٤٧٥

عبيد بن طفيل العبيسي ، الغطفاني
(أبو سيدان) : ١٧٢٧١

عبيد بن محمد بن القاسم بن سليمان
ابن أبي مريم (عبيد بن محمد) :

١٧٤٣٤

عبيد بن محمد الوراق (عبيد بن
محمد بن القاسم بن سليمان) : ١٧٤٣٤
أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود :

١٦٢٩٣

أبو العبيدين (معاوية بن سبرة
ابن حصين)

عتبة بن أبي عتبة (عتبة بن مسلم
التيمي) : ١٧٤٢٩

عتبة بن مسلم التيمي (عتبة بن
أبي عتبة) : ١٧٤٢٩

أبو عثمان النهدي (عبد الرحمن بن مل)
عثمان بن صالح بن صفوان السهمي
المصري : ١٧٤١٨

عثمان بن عبيد الله بن أبي رافع :

١٧٢٠١ ، ١٧٢٠٢ ، ١٧٢٠٣

عثمان بن عمر بن فارس العبدى :
١٦٣٧٠

عدي بن حاتم الطائي : ١٦٦٣١ -

١٦٦٣٣

عروة البارقي (عروة بن أبي الجعد

البارقي) : ١٧٤٨١

عروة بن أبي الجعد البارقي (عروة

البارقي) : ١٧٤٨١

عروة بن الزبير : ١٦٥٧٢ ، ١٦٧٢٨

عصمة بن زامل الطائي : ١٧٣٣٩

عطاء بن زهير بن الأصمغ العامري :

١٦٨٤٢

أبو عطية الوادعي (عمرو بن أبي جندب)

عطية بن سعد بن جنادة العوفي :

١٦٦٥٢ ، ١٦٨٧٨

عفان بن مسلم بن عبد الله الصفار :

١٦٣٦٩ ، ١٦٧٢٩

عقبة بن عامر الجهني : ١٧٤١٨

عقبة بن عمرو بن ثعلبة (أبو مسعود

الأنصاري) : ١٧٠١٣

ابن أبي عقيل (رضي بن أبي عقيل)

أبو عقيل ، صاحب الصاع (حبّاب)

(جنّاث) (عبد الرحمن

الإراشي الأنيفي) (سهل بن رافع)

(رفاعة بن سهل بن رافع)

(أبو عقيل بن عبد الله بن ثعلبة

البلوي) (عبد الرحمن بن عبد الله

ابن ثعلبة البلوي) (عبد الرحمن

ابن سمحان)

أبو عقيل صاحب الصاع ، حبّاب

(جنّاث) : ١٧٠٠٨ ، ١٧٠١٣ ،

١٧٠١٤

أبو عقيل بن عبد الله بن ثعلبة البلوي

(عبد الرحمن بن عبد الله)

(أبو عقيل صاحب الصاع) :

١٧٠٠٨

عمر بن عطاء بن وراز : ١٦٩٣١
عمر بن كثير بن أفلح المدني :

١٧٤٤٦

عمر بن الوليد الشني (أبو سلمة
العبدى) : ١٦٣٨٥ ، ١٦٣٨٦
أبو عمران الجوني (عبد الملك بن
حيب)

عمران بن أنس العامري المصري : ١٧٢١٨

أبو عمرو الأوزاعي : ١٦٢٦٠

عمرو بن جندب (عمرو بن أبي
جندب) (أبو عطية الوادعي) :

١٦٩٦١

عمرو بن أبي جندب (عمرو بن
جندب) (أبو عطية الوادعي) :

١٦٩٦١

عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصاري
المصري : ١٦٤٣٧ ، ١٦٧٣٢ ،

١٧٤٢٩

عمرو بن فائد (أبو علي الأسواري)
ص : ١٩٣ تعليق : ٢

عمرو بن قيس الملائي : ١٦٦٧٧

عمرو بن مرة الجملي : ١٦٦٧٧

العمرى (عبيد الله بن عمر بن حفص
ابن عاصم)

عمير بن إسحق : ١٦٢٦٢

عمير بن تميم الثعلبي (عمير بن قميم
الثعلبي) (عمير بن قميم الثعلبي)

(أبو هلال الطائي) (أبو هلال

الطائي) : ١٧٤٩٩

عمير بن قميم الثعلبي (عمير بن تميم) :

١٧٤٩٩

أبو العلاء بن الشخير (يزيد بن
عبد الله بن الشخير)

علقمة بن مرثد الحضري : ١٧٣٣٠

أبو علي الأسواري (عمرو بن فائد)

أبو علي الهمداني (ثمالة بن شفي

الهمداني المصري) : ١٦٢٢٥

علي بن الأقمير الوادعي الهمداني :

١٦٩٦١

علي بن الحكم البتاني : ١٦٨٢٧

علي بن رباح بن قصير اللخمي

المصري : ١٧٤١٨

علي بن زيد بن جدعان : ١٧٥١٤ ،

١٧٥١٥

علي بن زيد بن عبد الله بن أبي

مليكة : ١٦٧٣٦

علي بن يزيد الألهاني (أبو عبد الملك) :

١٦٩٨٧

عليه بن زيد المحاربي : ١٧٠٠٨

عمار بن معاوية الدهني (أبو معاوية

البجلي) : ١٦٣٨٢

عمارة بن عمير التيمي : ١٦٩٩٥

عمر ، مولى غفرة (عمر بن عبد الله

المدني) : ١٦٢٠٧

أبو عمر الغداني (عبد الله بن رجاء

ابن عمرو)

عمر بن أبي سلمة بن عبد الرحمن

ابن عوف : ١٧٠١٠

عمر بن عبد الله المدني (عمر ، مولى

غفرة) : ١٦٢٠٧

عمر بن عطاء بن أبي الخوار :

١٦٩٣١

قتادة ، رجل من محارب (ابن قتادة) :

(عبدالله بن قتادة) : ١٧١٦٣

ابن قتادة ، رجل من محارب (قتادة)

(عبد الله بن قتادة) : ١٧١٦٣

قرة بن حبيب بن يزيد بن شهرزاد

القنوى الرماح : ١٦٩٤١

قيس بن الربيع الأسدي : ١٦٣٦٨

أبو قيس بن الوليد بن المغيرة :

١٦١٩٥

* * *

كثير بن العباس بن عبد المطلب :

١٦٥٧٧

ابن الكردى (جابر بن الكردى)

(شيخ الطبرى)

كعب الأخبار : ١٧٤١٣

كعب بن مالك : ١٧٤٤٧ —

١٧٤٥٠

كنانة بن عبد ياليل الثقفى : ١٧١٩٩

كههمس بن الحسن التميمى : ١٧٠٠٢

* * *

ابن لهيعة : ١٦٢٢٥ ، ١٧٤١٨

* * *

ابن الماجشون (عبد الملك بن

عبد العزيز)

مالك بن مغول بن عاصم البجلي :

١٧٢٢٨

مبشر بن إسماعيل الحلبي : ١٧٠٠١

أبو مجيب الشاشى : ١٦٦٦٠

محبوب بن محرز القواريرى : ١٦٢٢٦

محرر بن ألى هريرة (محمد بن

ألى هريرة) ١٦٣٦٨ ، ١٧٢٠١

عمير بن قميم الثعلبي (عمير بن تميم) :

١٧٤٩٩

أبو عوانة (الوضاح بن عبد الله

اليشكرى)

عوف بن مالك بن فضلة (أبو الأحوص) :

١٦٢٦١

عون بن موسى الكنانى اللبى (أبوروح

١٦٩٥٣ ، ١٦٩٥٤

عويم بن ساعدة : ١٧٢٣٨

عياش العامرى (عياش بن عمرو

العامرى)

عياش بن عمرو العامرى : ١٦٣٩٨

* * *

أبو غسان ، عبدة : ١٦٩٥٣

غضيف بن أعين الشيبانى (غطيف) :

١٦٦٣٣

غطيف بن أعين الشيبانى (غضيف) :

١٦٦٣٢ ، ١٦٦٣١

ابن أبى غنية (يحيى بن عبد الملك

ابن حميد) (عبد الملك بن حميد)

* * *

فلان بن عبد الواحد (ابن عبد الواحد)

١٦٦٦٠

* * *

قابوس بن أبى ظبيان الجنبى : ١٦٦٧٩

القاسم بن بشر بن أحمد بن معروف

(شيخ الطبرى) : ١٦٩٩٩

القاسم بن عبد الرحمن الشامى :

١٦٩٨٧

القاسم بن عمرو بن محمد العنقزى :

١٧٢٠٢

محمد بن مرزوق (محمد بن محمد
ابن مرزوق) (شيخ الطبري)
محمد بن مسلم الطائفي : ١٦٩٨٣
محمد بن معمر بن ربيع البحراني
(شيخ الطبري) : ١٦٦٨٥

محمد بن أبي هريرة (محرر بن
أبي هريرة) : ١٧٢٠١
محمد بن يزيد الأدي (شيخ الطبري) :
١٦٥٨٥

مرارة بن ربيع (مرارة بن الربيع)
(مرارة بن ربيعة) : ١٧١٧٧ ،
١٧٤٣٦

مرارة بن الربيع (مرارة بن ربيع) :
١٧١٧٧ ، ١٧١٨٣ ، ١٧٤٣٣ ،
١٧٤٤٠ ، ١٧٤٤١ ، ١٧٤٤٢

مرارة بن ربيعة (مرارة بن ربيع) :
١٧١٧٧ ، ١٧١٨٣ ، ١٧٤٣٣ ،
١٧٤٣٤ ، ١٧٤٣٦ ، ١٧٤٤٣ ،
١٧٤٤٤

أبو مسعود الأنصاري البدرى (عقبة
ابن عمرو بن ثعلبة) : ١٧٠١٣

مسلم البطين (مسلم بن عمران)
مسلم القرقي (مسلم بن مخراق العبدى)
مسلم بن عمران (مسلم البطين) :
١٧٣٧٠

مسلم بن مخراق العبدى الفريابي
(مسلم القرقي) : ١٧٢٣٤

المسيب بن شريك التميمي : ١٦٨٠٦
مصعب بن سعد بن أبي وقاص :
١٦٦٣١ - ١٦٦٣٣

محمد الحرم (محمد بن عمر الحرم) :
(محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير)
محمد بن بكر بن عثمان البرساني : ١٦٣٨٩
محمد بن رجاء (أبوسهل العباداني) :
١٧٠١٧

محمد بن زيد بن مهاجر بن قنفذ
التميمي : ١٦٩٣٢

محمد بن سابق التميمي : ١٧٢٢٨
محمد بن سنان الباهلي العوقي :
١٦٩٨٣

محمد بن سيرين : ١٦٦٨٦
محمد بن شعيب بن شابور الأموي :
١٦٩٨٧

محمد بن عبد الله بن سلام بن
الحارث الخزرجي الإسرائيلي :
١٧٢٢٨ ، ١٧٢٣٠

محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير
الليثي (محمد الحرم) : ١٦٩٩٩
محمد بن عبد الملك الأزدي (أبو جابر
الحرمي) : ١٦٤٤٧

محمد بن عبيدة بن نسيط الربذي :
١٦٢٢٩

محمد بن عمر الحرم (محمد الحرم) :
١٦٩٩٩

محمد بن قيس بن مخزومة بن المطلب :
١٦٣٨٩

محمد بن حبيب بن إسحق القرشي :
١٦٢٦٩

محمد بن محمد بن مرزوق الباهلي
(محمد بن مرزوق) (شيخ
الطبري) : ١٧٢٤٩

موسى بن إسماعيل المنقرى التبوذكى
(أبو سلمة) : ١٧٢٤٩

موسى بن ثروان العجلي (. . .)
سروان (. . . فروان) :
١٦٧٦٧

موسى بن سروان العجلي (. . ثروان)
(. . . فروان) : ١٦٧٦٧

موسى بن عبد الرحمن المسروقي
(شيخ الطبري) : ١٦٦٨٤

موسى بن عبيدة بن نشيط الربذي :
١٦٢٢٩ ، ١٦٦٨٤ ، ١٧٠١٤

موسى بن فروان العجلي (. . سروان)
(. . . ثروان) : ١٦٧٦٧

موسى بن أبي كثير الأنصاري :
١٧٢٣٧

* * *

نافع بن جبير بن مطعم : ١٧٤٢٩
نجدة الخراساني (نجدة بن نفع
الحنفي)

نجدة بن نفع الحنفي (نجدة
الخراساني) : ١٦٧٢١ ، ١٦٧٢٢

نجيح بن عبد الرحمن السندي
(أبو معشر) : ١٦٩٣٠

أبو نصر (؟) : ١٦٦٧٧
النضر بن شميل المازني : ١٦٧٦٧
أبو النعمان (الحكم بن عبد الله
الأنصاري)

* * *

هرون بن رباب التيمي الأسدي :
١٧٠٠١

أبو هاشم الرماني : ١٧٤٥٤

مطر : محمد الضبي : ١٧٢٥٤
معان بن رفاعة السلمي (السلامي)
١٦٩٨٧

أبو معاوية البجلي (عمار بن معاوية
الدهني)

معاوية بن سلام بن أبي سلام مطور
الحبشي (أبو سلام) : ١٦٥٥٧

معاوية بن سبرة بن حصين السوائي
العامري (أبو العبيدين) :

١٧٣٨٦ ، ١٧٣٧٨-١٧٣٧٠
معدان بن أبي طلحة الكنانى :

١٦٦٦٢ ، ١٦٦٨٠
أبو معشر (نجيح بن عبد الرحمن
السندي)

معقل القسملی (معقل بن داود)
معقل بن داود (معقل القسملی) :

١٦٣٨٧
معقل بن عبيد الله العبسي الجزري
الحراني : ١٦٨٢١ ، ١٦٨٤٢

معن بن عدی : ١٧٢٣٨
معن بن عيسى الأشجعي القزاز :
١٦٥٨٥

مغيرة بن مقسم الضبي : ١٦٣٦٨
المغيرة بن النعمان النخعي : ١٦٧٣٧
أبو المقدام (ثابت الحداد) (ثابت
بن هرمز الكوفي)

ابن أبي مليكة (علي بن زيد بن
عبد الله بن أبي مليكة)
مطور (أبو سلام الأسود) :
١٦٥٥٧

مورق بن مشمرج العجلي : ١٦٧٦٧

ياسين بن معاذ الزيات : ١٧٢٥٠
أبويحيى ، سمعان الأسلمى : ١٧٢٢٢
يحيى بن آدم : ١٦٩٦١ ، ١٧٢٢٩ ،
١٧٢٣٠

يحيى بن الجزار العرنى : ١٦٤٠٥ ،
١٦٤٠٨ ، ١٧٣٧١

يحيى بن رافع (؟) : ١٧٢٢٩ ،
١٧٢٣٠

يحيى بن رافع الثقفى : ١٧٢٢٩
يحيى بن سليم الطائفى : ١٦٢٠١
يحيى بن عبد الله بن حميد بن أبى
غنية الخزاعى (ابن أبى غنية) :
١٧٣٥١

يحيى بن عبد الواحد (ابن عبد الواحد)
١٦٦٦٠

يحيى بن عثمان بن صالح القرشى
السهمى المصرى : (شيخ الطبرى)
١٧٤١٨

يحيى بن أبى كثير الطائى اليمامى :
١٦٥٦٠ ، ١٧٠١٧

يزيد بن أبان الرقاشى (يزيد الرقاشى)
١٧٠٥٣

يزيد بن أبى حبيب الأزدى المصرى :
١٦٢٢٥

يزيد بن أبى زياد القرشى : ١٦٩٤٥
يزيد الرقاشى (يزيد بن أبان
الرقاشى) : ١٧٠٥٣

أبو يزيد ، حبويه (إسحق بن
إسماعيل)

أبو يزيد الكندى الخراز (خالد
بن حيان)

هشام بن سعد المدنى : ١٦٩١١
هشام بن عمار بن نصير السلمى :
١٦٩٨٧

هشام بن الغاز بن ربيعة الجرشى :
١٦٤٤٧

أبو هلال الطائى (عمير بن تميم
الثعلبى) : ١٧٤٩٩

أبو همام (عبد الله بن يسار)
همام بن يحيى بن دينار الأزدى :
١٦٣٠٦ ، ١٦٧٢٩

* * *

واقد ، مولى زيد بن خليفة :
١٦٦٠١ ، ١٦٦٠٢

الوضاح بن عبد الله الشكرى
(أبو عوانة) : ١٧٠١٠

أبو الوليد الدمشقى (أحمد بن
عبد الرحمن بن بكار) (شيخ
الطبرى)

الوليد بن عبد الله بن أبى مغيث :
١٦٢٥٩ ، ١٧٣١٣

الوليد بن مسلم القرشى : ١٦٢٦٠ ،
١٦٥٥٧

الوليد بن أبى مغيث (الوليد بن
عبد الله بن أبى مغيث) :
١٦٢٥٩

وهب الخير (وهب بن عبد الله)
وهب بن عبد الله (وهب الخير)
(أبو جحيفة السوائى) : ١٦٣٨٣ ،

١٦٤١٦

* * *

يزيد بن عامر السوائي (أبو حازم) :

١٦٥٨٥

يزيد بن عبد الله بن الشخير (أبو العلاء

ابن الشخير) : ١٦٦٧٦

يعقوب بن إبراهيم بن جبير الواسطي

(شيخ الطبري) : ١٦٧٢٩

يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود

الثقفي : ١٦٩٥٦

يعقوب بن عبد الله القمي : ١٦٩٦٠ ،

١٧٤٨٤

يعلى بن عطاء العامري الطائفي : ١٦٥٧٩

أبو يوسف الواسطي (حجاج بن

أبي زينب) (الصيقل)

يوسف بن مهران البصري :

١٧٥١٤ ، ١٧٥١٥

يونس الجرمي : ص : ٢٠٨ ،

تعليق : ٣ .

أبو يونس القشيري ، الباهلي (حاتم

ابن أبي صغيرة) : ١٧٤١٠ ، ١٧٤١١

يونس بن يزيد الأيلي : ١٦٤٣٧

فهرس المصطلحات

الإجراء (الصرف) : ١٧٨ ، ٢٠٤

الباطن : ٢٩٦

الترجمة (البدل) : ٣٤٤

التطويل (الزيادة) : ٣٠

تقديم الكلام : ٢٩٥

الحشو : ٣٠

الرد : ٢٦١

الصلة (الزيادة) : ٣٠

الظاهر : ٢٩٦

الكناية : ٢٢٨ ، ٢٤٠

مباحث العربية والنحو وغيرها

* « أم » دخولها للاستفهام المعترض في وسط الكلام ، ليفرق بينه وبين الاستفهام المبتدأ : ١٦٥

* « أن » دخولها يدلّ على الاستقبال : ٥١٤

* « أن » مع « كان » تأويلها بمعنى « ينبغي » في نحو قوله « ما كان لنيّ أن يغلّ » ،
أى : ما كان ينبغي له : ٥١٤

* « أن » و « أن » ، من منصوب « حسب » و « ظن » : ٢٨ ، ٣٠

* « إن » بمعنى « إذ » في نحو قوله : « إن كنت أبى فأكرمنى » ، بمعنى : إذ كنت
١٩٣

* « أتى » بمعنى : أى وجه : ٢٠٨

* « الباء » بمعنى « فى » : ١٧٩

* « عن » بمعنى « من بعد » كقولهم : « ما كان الأمر إلا عن سبب كذا » ،
أى : بعد ذلك السبب ، أو من أجله : ٥١٥

* « فى » بمعنى « من » نحو : « وليجدوا فيكم غلظة » ، بمعنى : منكم : ٥٧٦ .

* « كيف » الاكتفاء بها دليلاً على معنى الكلام ، لتقدم ما يراد من المعنى بها
قبلها ، نحو قوله :

وخبّرتماني أنّما الموتُ بالقرى فكيف وهذى هَضْبَةٌ وكثيبُ

ومعناه : كيف يكون الموت في القرى ، وهذى هضبة وكثيب لا ينجو فيهما
منه أحد : ١٤٥

- * « اللام » في نحو قولهم « ردفكم » و « ردف لكم » : ٣٢٧
- * « لعل » بمعنى « كى » : ٢٤
- * « لم ؟ » بمعنى : لأى شىء : ٢٧٢
- * « من » بمعنى المبدأ ، كقولك : « لم أره من يوم كذا » ، بمعنى : مبدأ ذلك ،
اليوم : ٤٧٦
- * « واو » المعية ، بمعنى « الباء » في نحو قوله : « استوى الماء والخشبة » ، أى
بالخشبة ، و « خلطت الماء واللبن » : ٤٤٦ ، ٤٤٧
- * * *
- * « القول » حذفه لدلالة الظاهر عليه : ١٧ ، ٢٣٠
- * « ما كان له أن يفعل » ، معناها : ٥٨ ، ٥١٤
- * « اليوم » يضاف إلى المعنى الذى يكون فيه ، نحو : « يوم الفطر » ، أى اليوم
الذى يفطر فيه الناس : ١٢٧ ، ١٢٨
- * « ابن » العرب تسمى اللازم لشيء يعرف به : « ابنه » ، نحو : « ابن السبيل » ،
و « ابن الحرب » : ٣٢٠
- * « ابن » العرب لا تنونه إذا كان « الابن » نعتاً للاسم ، وتنونه إذا كان خبراً
عنه : ٢٠٥
- * « حسب » يطلب في كلام العرب منصوباً وخبره : ٢٨
- * « عسى » ، بمعنى « لعل » في كلام العرب ، ولكنه من الله واجب : ١٦٧ ،
٤٤٧
- * « علم » الاكتفاء لها بمنصوب واحد ، كقوله :
فَإِنَّ اللَّهَ يَمْلِكُنِي وَيُؤْتِي وَأَنَا سَوْفَ يَلْقَاهُ كِلَانَا
- ٣٨ ، ٣٩ :

* « ينبغي » تطلب الاستقبال : ٥١٤

* * *

* « الأمر » تخرج العرب الكلام مخرج الأمر ، ومعناه الجزاء ، تفعل ذلك في الأماكن التي يحسن فيها « إن » التي بمعنى الجزاء ، كقوله : « أنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبل منكم » ، بمعنى : إن تنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبل منكم : ٢٩٤ ، ٢٩٣

* « التقديم و » التأخير » ، مثال منه : ٧١ ، ٧٢ ، ٢٩٥

* « الحذف » العرب إذا أعادت الحرف بعد مضي معناه ، استجازت حذف الفعل : ١٤٥

* وضع الاسم موضع المصدر في نحو قوله :

لَعَمْرُكَ مَا الْفِتْيَانُ أَنْ تَنْبُتَ اللَّحَى وَلَكِنَّمَا الْفِتْيَانُ كُلُّ فِتْيَ نَدَى

جعل خبر « الفتيان » « أن تنبت » ، كما يقال : « إنما السخاء حاتم » :

١٧٣ ، ١٧٢

* الشيطان يذكران ، فيستغنى بالخبر عن أحدهما في عائد ذكرهما من الخبر عن الأخرى ، لدلالة الكلام عن أن الخبر عن الأخرى مثل الخبر عنها نحو :

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ، وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفٌ

لم يقل : « راضون » : ٢٢٨ ، ٢٢٩

* شأن العرب أن يضمروا لكل معايين ، نكرة كان أو معرفة ذلك المعايين : « هذا » و « هذه » ، فيقولون عند معايينهم الشيء الحسن : « حسن والله » ، أى : هذا حسن : ٩٥ .

* * *

* « الهمزة » في قولك « أفعلت » ، بعد قولك « فعلت » بمعنى : الإعانة ، نحو « حلبتك » بمعنى : حلبت لك = و « أحلبتك » ، بمعنى أعتك على الحلب :

٢٧٩

* « فاعل » لا تكاد تعجب فاعلاً إلا من اثنين ، نحو « خاصم » ، ومن نادر

الكلام أن يجيء على غير القياس نحو: « قاتلهم الله » ، بمعنى : قتل : ٢٠٧ ،
٢٠٨

* « فاعلة » مصدر ، نحو : « العافية » و « العاقبة » : ٢٤٢

* « فعّال » بمعنى كثرة الفعل ، نحو قولك : « سَمَّاع » ، من كثرة سماعه الكلام
الكذب أو نحوه ، فإذا أرادوا سماع كلام الرجل وأمره ونهيه قيل « سامع » :
٢٨٢

* « فَعِيل » بمعنى « مفعول » : ٢٤٣

* * *

* « الإدغام » وزن « تفاعل » ، إذا أدغمت التاء في التاء ، أحدثت ألفاً تتوصل
بها إلى الكلام ، نحو : « اثَّاقِل » في « ثناقل » و « اتابع » في « تتابع » : ٢٥٢

* « الإدغام » إدغام التاء إذا جاورت الدال ، لتقارب مخرجهما : ٤١٧ .

* « الاستفهام » ، الاستفهام المعترض ، والاستفهام المبتدأ ، ودخول « أم »
للتفريق بين الأول والثاني : ١٦٥

* « التنوين » حذف نون التنوين لالتقاء الساكنين ، استثقالاً لتحريكه نحو :

* إِذَا غُطِيفُ السَّلَیِّ فَرَا *

حذف النون للساكن الذي استقبلها : ٢٠٤ ، ٢٠٥

* « الجمع » العرب قد تذهب بالواحد إلى الجماع ، وبالجماع إلى الواحد ،
كقولهم : « عليه ثوبٌ أخلاق » : ١٦٦ ، ١٦٧

* « الجمع » ، ومراد به المفرد : ٣٣٦

* « الصرف » صرف الاسم الأعجمي لحفته ، نحو : « عزيزٌ ابن الله » : ٢٠٤

* « الصرف » يجري المذكر إذا كان اسماً لمذكر ، نحو : « ويوم حنين » ، ويترك
إجراؤه إذا أريد به أن يكون اسماً للبلدة نحو :

نَصَرُوا نَبِيَّهُمْ وَشَدُّوا أَرْزَهُ بِحُنَيْنَ يَوْمَ تَوَاكَلِ الْأَبْطَالِ
يترك إجراء « حنين » : ١٧٨

* « العدد » العرب تقول فيما بين الثلاثة إلى العشرة ، إذا كُنَّتْ عنه : « فعلنا ذلك
لثلاث ليال خلون ، ولأربعة أيام بقين » .
وإذا أخبرت عما فوق العشرة إلى العشرين قالت : « فعلنا ذلك لثلاث عشرة
خلت ، ولأربع عشرة مضت » : ٢٤٠

* « العدد » إخراج الكناية عن العدد من الثلاثة إلى العشرة ، بالنون ، وما فوق
ذلك بالهاء : ٢٤٠ ، ٢٤١

* « العدد » قولهم : « ثاني اثنين » و « ثالث ثلاثة » ، فهو أحد الاثنين ،
وأحد الثلاثة ، بخلاف قولهم : « هو أخو ستة ، و غلام سبعة » ، لأن « الأخ »
و « الغلام » غير الستة والسبعة : ٢٥٧

* « المفرد » والمراد به « الجمع » ، كقولك : « لقيت كل رجل » ، بمعنى :
كل الرجال : ٤٧٦

* « النكرة » بصليتها تكون كالمعرفة : ٩٥

* * *

* كل خبر من الله وعد فيه عباده على عمل ثواباً وجزاء ، وعلى تركه عقاباً
وعذاباً ، وإن لم يكن خارجاً ظاهره مخرج الأمر ، ففي معنى الأمر : ٥٧

* « النسخ » ، الناسخ لا يكون إلا ما نفي حكم المنسوخ من كل وجه ، فأما
ما كان بخلاف ذلك ، فغير كائن ناسخاً : ٤٢

* « النسخ » ، هو نفي حكم قد كان ثبت ، بحكم آخر غيره : ١٤٠

* « الخصوص » و « العموم » : ٢٢٥ ، ٢٢٦

* « الخصوص » و « العموم » ، إذا لم يكن في الآية دلالة على أنها غنى بها

خصوص دون عموم ، ولم يكن خبر من الرسول ، ولا في فطرة عقل ، فالعموم
أولى بها : ٥٠٧

* « العموم » و « الخصوص » الخبر العام غير محصور على معنى دون معنى :
فلا وجه لأن يخصّ بغير دلالة توجب صحة القول بخصوصه : ٧٠ ، ٧١

* * *

* لا وجه لتوجيه حرف في كتاب الله إلى التطويل (الزيادة) بغير حجة يجب
التسليم لها ، وله في الصحة مخرج : ٣٠

* توجيه معنى كلام الله إلى الأظهر الأشهر ، أولى من توجيهه إلى خلاف ذلك :
٨٧ ، ١٢٨ ، ٢٤١

* صرف تأويل كلام الله إلى ما دلّ عليه ظاهره ، أولى من صرفه إلى باطن
لا دلالة على صحته : ٢٩٦

فهرس التفسير

- ٣ تصدير الجزء الرابع عشر .
- ٧ تفسير قوله تعالى : « وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم » ، وذلك يوم بدر ، وتشبه إبليس في صورة سراقه ، والأخبار في ذلك .
- ١٢ مقالة المنافقين : « غر هؤلاء دينهم » .
- ٢٥ خوف خيانة العدو ، ونبد العهد إليه .
- ٣١ بيان معنى « إعداد القوة للعدو » ، وأنه الرَّمْيُ ، والأحاديث في ذلك .
- ٣٧ قول أبي جعفر أن « القوة » عامٌ ، وأنه جميع آلة الحرب .
- ٤٢ « النسخ » وأحكامه .
- ٤٥ بيان معنى التأليف بين قلوب المؤمنين .
- ٥٠ أمر رسول الله بتحريض المؤمنين على القتال .
- ٥١ بيان العدد من المؤمنين الذى أمر أن يلتقى عشرة أضعافه من المؤمنين ، ثم تخفيف الله سبحانه ذلك ، بأن يلتقى العدد منهم ضعفه ، والأخبار في ذلك .
- ٥٨ أخذ الفدية من أسارى بدر ، وما نزل في ذلك .
- ٦١ حديث أسارى بدر ، ومقالة أبى بكر وعمر وعبد الله بن رواحة .
- ٦٤ إحلال الغنيمة للمسلمين ، ولم تكن أحلت لأحد قبلهم ، والأخبار في ذلك .
- ٧٠ « العموم » و« الخصوص » .

- ٧٢ أخبار فداء أسرى بدر .
- ٧٣ خبر مال البحرين الذى أتى به رسولُ الله .
- ٧٦ خبر يوم الفتح ، وأمان رسول الله الناس إلا عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، ومقيس بن صُبابه ، وابن خطل ، وامرأة كانت تدعو على رسول الله .
- ٧٧ معنى « ولاية » بعض المؤمنين بعضاً ، وما كان من التوارث كان بالهجرة والنصرة دون القرابة .
- ٧٨ منازل المؤمنين على عهد رسول الله .
- ٩٠ خبر لشريح القاضى فى قضائه .
- ﴿ تَفْسِيرُ سُورَةِ التَّوْبَةِ ﴾
- ٩٥ تفسير سورة التوبة .
- ٩٦ من برئ إليهم رسول الله من العهد الذى كان بينه وبينهم ، فأذن لهم فى السياحة فى الأرض أربعة أشهر ، واختلاف المختلفين فيهم .
- ٩٦ سبب نزول سورة « براءة » .
- ١٠٠ تأمير أبى بكر على الحاج سنة تسع ، وبعث على بن أبى طالب بأربعين آية من « براءة » ، فقرأها على الناس .
- ١٠٢ ترجيح أبى جعفر بين أقوال المختلفين فى الأربعة الأشهر والإذن بالسياحة .
- ١٠٣ حديث أبى هريرة ، وكان مع على وهو ينادى بسورة « براءة » .
- ١٠٥ سائر الأخبار فى نزول « براءة » ، وبعثة أبى بكر وعلى .
- ١١٣ بيان معنى « الحج الأكبر » ، واختلاف المختلفين فيه .
- ١٢٧ ترجيح أبى جعفر بين أقوال المختلفين .

- ١٢٨ بيان السبب الذى من أجله قيل لهذا اليوم « يوم الحج الأكبر » .
- ١٣٨ إجارة المشرك المستجير حتى يسمع كلام الله ، ثم إبلاغه مأمنه .
- ١٦٨ الأخبار فى سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام .
- ١٨٠ « يوم حنين » ، ومقالة من قال : « لن تغلب اليوم بكثرة » !
- ١٩٣ خوف المؤمنين انقطاع تجارتهم ، لما نفى الله المشركين عن المسجد الحرام .
- ٢٠٢ خبر « عزيز » ، الذى قالت اليهود : « عزيز ابن الله » .
- ٢٠٩ حديث عدى بن حاتم فى اتخاذ الأخبار والرهبان أرباباً من دون الله .
- ٢١٧ الاختلاف فى معنى كثر الذهب والفضة .
- ٢٢٣ ترجيح أبى جعفر بين الأقوال فى « الكثر » .
- ٢٢٤ حديث مانع الزكاة ، وجزاؤه فى الآخرة .
- ٢٢٥ « العموم » و « الخصوص » .
- ٢٢٧ خبر أبى ذرّ بالربذة ، وما كان منه فى أمر « الكثر » .
- ٢٣٠ بقية أخبار أبى ذرّ .
- ٢٣٤ عدة الشهور ، اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حرم .
- ٢٤٣ النسيء ، وبيان معناه .
- ٢٤٥ النساء فى الجاهلية ، وكيف كان النسيء ، والأخبار فى ذلك .
- ٢٥٦ « النسخ » .
- ٢٥٨ أخبار هجرة رسول الله وصاحبه أبى بكر ، وخبر الغار .

- ٢٦٢ اختلاف المختلفين في النفر خفافاً وثقالاً .
- ٢٦٧ « سورة البعوث » أو « البحوث » ، وهي « سورة التوبة » .
- ٢٨٤ أخبار « غزوة تبوك » .
- ٢٨٥ أخبار الجلد بن قيس ، ومقاتله في غزوة تبوك .
- ٣٠٢ أخبار لمنز اللامز في الصدقات .
- ٣٠٣ خبر « ذى الحويصرة التميمي » .
- ٣٠٥ الاختلاف في صفة « الفقير » و « المسكين » .
- ٣٠٨ ترجيح أبي جعفر بين أقوالهم .
- ٣١١ اختلاف المختلفين في قدر ما يعطى العامل على الزكاة .
- ٣١٢ بيان معنى « المؤلف قلوبهم » من هم ، وتسميتهم ، والأخبار في ذلك .
- ٣١٥ اختلاف أهل العلم في وجود « المؤلف » اليوم وعدمها ، وهل يعطى أحد على التألف على الإسلام .
- ٣١٦ اختلافهم في بيان معنى « وفي الرقاب » .
- ٣١٧ بيان معنى « الغارمين » .
- ٣٢٥ خبر الذين يؤذون نبي الله ، ويقولون ، « هو أذن » .
- ٣٣٣ خبر من أخبار المنافقين في غزوة تبوك .
- ٣٤١ حديث : « لتأخذن كما أخذ الأمم من قبلكم ، شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع » .
- ٣٤٩ صفة مساكن المؤمنين في الجنة .
- ٣٥١ خبر أبي الدرداء في « جنة عدن » .

٣٥٨ الاختلاف في صفة الجهاد الذي أمر الله نبيّه به في المنافقين .

٣٦١ خبر مقالة الجلاس بن سويد بن الصامت .

٣٧٠ خبر ثعلبة بن حاطب الأنصاري الذي سأله رسول الله أن يدعو الله أن يرزقه مالا ، وما كان من أمره لما جاءه المال ، وخبره في عهد أبي بكر وعمر وعثمان .

٣٧٦ حديث صفة المنافق : « إذا حدث كذب » ، إلى آخر الحديث .

٣٨٢ خبر لمز المطوعين في الصدقة ، ومقالة المنافقين ، والأخبار في صاحب الصاع .

٣٩٥ خبر موت عبد الله بن أبي ابن ساول ، وألبسه رسول الله قميصه .

٤٠٦ بقية خبر موت عبد الله بن أبي ، والأخبار في ذلك .

٤٢٣ أخبار البكائين ، الذي بكوا لما لم يجد رسول الله ما يحملهم عليه .

٤٢٦ خبر تبوك ، ومقالة من قال : « لا تفتنا بنساء بني الأصفر » .

٤٣٥ الاختلاف في بيان قوله : « والسابقون الأولون » .

٤٣٨ خبر عمر في اختلاف القراءة .

٤٤٣ خبر حذيفة في المنافقين .

٤٤٧ خبر الذين تخلفوا عن « غزوة تبوك » ، وربطوا أنفسهم في سوارى المسجد .

٤٥٥ بقية خبر المتخلفين عن « غزوة تبوك » .

٤٥٩ أحاديث الصدقة ، وأنها تقع في يد الله ، ويكون هو الذي يضعها في يد السائل .

٤٦٤ بقية أخبار المتخلفين عن « غزوة تبوك » .

- ٤٦٨ مسجد الضرار ، والأخبار في أمره وأمر أبي عامر الراهب .
- ٤٧٦ المسجد الذى أسس على التقوى ، واختلاف العلماء فيه .
- ٤٨٣ خبر أهل قباء ، وما أثنى الله به عليهم من حب التطهر ، والأخبار في ذلك .
- ٤٩٣ خبر خروج الدخان من مسجد الضرار في زمن بنى أمية .
- ٥٠٧ « العموم » و « الخصوص » .
- ٥٠٩ النهى عن الاستغفار للمشركين من ذوى القربى .
- ٥٠٩ خبر وفاة أبي طالب عم رسول الله ، وآخر ما تكلم به أنه على دين عبدالمطلب .
- ٥١١ وقوف رسول الله على قبر أمه ، والأخبار في ذلك .
- ٥٢١ خبر جمع الناس يوم القيامة ، وما يكون عن صفتهم يومئذ ، ورؤية إبراهيم أباه ، ومسحه ضبعاً .
- ٥٣٣ خبر موت ذى البجادين ، وما كان من صفته .
- ٥٤٠ « غزوة العسرة » ، وهى « غزوة تبوك » ، ومخرج الناس إليها .
- ٥٤١ خبر عمر في « غزوة العسرة » .
- ٥٤٤ خبر الثلاثة الذين خُلِّفوا ، وتوبة الله عليهم .
- ٥٤٧ حديث كعب بن مالك ، وما كان من تخلفه في « غزوة تبوك » .
- ٥٦٥ نفر إلى القتال ، نفر فرقة ، وبقاء فرقة للتفقه في الدين .
- ٥٦٦ نفر الذى كرهه لجميع المؤمنين ، واختلاف المختلفين فيه .

٥٩٣ فهرس الآيات التي استدل بها في غير موضعها من التفسير .

* * *

٥٩٦ فهرس اللغة .

٦٠٩ فهرس أعلام المترجمين في التعليق .

٦٢٥ فهرس المصطلحات .

٦٢٦ فهرس مباحث النحو والعربية وغيرها .

٦٣٢ فهرس التفسير .